

مَنْهَاجُ السَّنَنِ النَّبَوِيِّ

فِي نَقْضِ كَلَامِ الشَّيْعَةِ الْفُذَرِيَّةِ

لِابْنِ تَيْمِيَّةَ

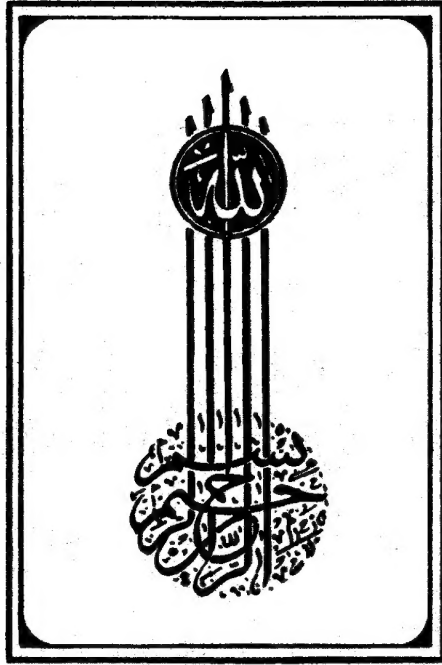
أَبِي الْعَبَّاسِ رَجَى الدِّينِ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ الْحَكِيمِ

تَحْقِيقُ

الدُّكْتُورُ مُحَمَّدُ دُرَّشَادُ سَالِم

الجزء الثامن

١٤٠٦ - ١٩٨٦



الطبعة الأولى

١٤٠٦ - ١٩٨٦

رموز الكتاب

- ١ - ن = نسخة نور عثمانية باستانبول .
- ٢ - م = نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة .
- ٣ - ب = النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق .
- ٤ - ع = نسخة عاشر أفندي باستانبول .
- ٥ - ا = نسخة مكتبة الأوقاف الأولى ببغداد .
- ٦ - ق = نسخة مكتبة الأوقاف الثانية (المختصرة) ببغداد .
- ٧ - و = نسخة الولايات المتحدة الأمريكية .
- ٨ - ل = مخطوطة جامعة الإمام الأولى .
- ٩ - ص = مخطوطة جامعة الإمام الثانية .
- ١٠ - هـ = مخطوطة جامعة الإمام الثالثة .
- ١١ - ح = مخطوطة جامعة الإمام الرابعة .
- ١٢ - س = مخطوطة جامعة الإمام الخامسة .
- ١٣ - ر = مخطوطة جامعة الملك سعود الأولى .
- ١٤ - ي = مخطوطة جامعة الملك سعود الثانية .
- ١٥ - ك = كتاب «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة» لابن المطهر الحلي .

﴿فصل﴾

تابع كلام
الرافضى على
علم على رضى
الله عنه
الرد عليه

قال الرافضى^(١): «وأما علم الكلام فهو أصله، ومن خطبه تعلم^(٢) الناس، وكل^(٣) الناس تلاميذه».

والجواب: أن هذا الكلام كذب لا مدح فيه؛ فإن الكلام المخالف للكتاب والسنة باطل، وقد نزه الله علياً عنه، ولم يكن فى الصحابة والتابعين أحدٌ يستدل على حدوث العالم بحدوث الأجسام، وبثبت حدوث الأجسام بدليل الأعراض والحركة والسكون، والأجسام مستلزمة لذلك لا تنفك عنه، وما لا يسبق الحوادث فهو حادث، ويبنى ذلك على حوادث لا أول لها.

بل أول ما ظهر هذا / الكلام فى الإسلام بعد المائة الأولى، من جهة الجعد بن درهم والجهم بن صفوان، ثم صار إلى أصحاب عمرو بن عبيد، كابى الهذيل العلاف وأمثاله.

وعمر بن عبيد، وواصل بن عطاء إنما كانا يظهران الكلام فى إنفاذ الوعيد، وأن النار لا يخرج منها من دخلها، وفى التكذيب بالقدر. وهذا كله مما نزه الله عنه^(٤) علياً.

(١) فى (ن) ص ١٧٩ (م).

(٢) ك: استفاد

(٣) ن، س، ب: وكان.

(٤) ن، م: منه.

وليس فى الخطب الثابتة عن على شىء من أصول المعتزلة الخمسة، بل كل ذلك إذا نقل عنه فهو كذب عليه. وقدماء المعتزلة لم يكونوا يعظمون علياً، بل كان فيهم من يشك فى عدالته، ويقول: قد فسق عند إحدى^(١) الطائفتين لا بعينها: إما على، وإما طلحة والزبير، فإذا شهد أحدهما لم أقبل شهادته. وفى قبول شهادة على منفردة قولان لهم. وهذا معروف عن عمرو بن عبيد وأمثاله من المعتزلة^(٢).
والشيعة القدماء كلهم، كالهشاميين^(٣) وغيرهما، يشتون الصفات، ويقرؤون بالقدر، على خلاف قول متأخرى الشيعة، بل يصرحون بالتجسيم، ويحكى عنهم فيه شاعات، وهم يدعون أنهم أخذوا ذلك عن أهل البيت^(٤).

(١) م: عند أحد، وهو تحريف.

(٢) يقول ابن طاهر البغدادي فى كتابه «أصول الدين» (ص ٢٩٠ - ٢٩١): «وقال واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وأكثر القدرية: تتولى علياً وأصحابه على انفرادهم، وتتولى طلحة والزبير وأتباعهما على انفرادهم، ولكن لو شهد على مع رجل من أصحابه قبلت شهادتهما، ولو شهد طلحة أو الزبير مع واحد من أصحابه قبلت شهادتهما، ولو شهد على مع طلحة على باقة بقل لم نحكم بشهادتهما، لأن أحدهما فاسق، والفاسق مخلد فى النار وليس بمؤمن ولا كافر». وانظر: مقالات الإسلاميين ١٤٥/٢.

(٣) ن، س، ب: كالهشاميين، وهو تحريف. والمقصود: هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجوالقي.

(٤) ذكر الأشعري فى «مقالات الإسلاميين» ١٠٦/١ - ١٠٩ مقالات الروافض فى التجسيم وقسمهم فى ذلك إلى ست فرق وذكر تفصيل أقوالهم، ثم قال ١٠٩/١: «وقالوا فى التوحيد بقول المعتزلة والخوارج، وهؤلاء قوم من متأخريهم. فأما أولئك فلأنهم كانوا يقولون ما حكينا عنهم من التشبيه». وتكلم الأشعري بعد ذلك ١١٤/١ - ١١٥ على قول الرافضة فى أعمال العباد فقال إن الفرقة الأولى فرقة هشام بن الحكم يقولون: إن أفعال

وقد ثبت عن جعفر الصادق أنه سُئل عن القرآن: أخالق هو أم مخلوق؟ فقال: ليس بخالق ولا مخلوق، لكنه كلام الله.

وأما قول الرافضى: «إن واصل بن عطاء أخذ عن أبى هاشم ابن محمد بن الحنفية».

فيقال: إن [الحسن بن] محمد بن الحنفية^(١) قد وضع كتابا فى الإرجاء، نقيض قول المعتزلة. ذكر هذا غير واحد من أهل العلم^(٢). وهذا يناقض مذهب المعتزلة، الذى يقول به واصل بن عطاء، ويُقال: إنه أخذه عن أبى هاشم^(٣).

الإنسان اختيار له من وجه واضطرار من وجه. وكذلك الفرقة الثانية يزعمون أنه لا جبر، كما قال الجهمى، ولا تفويض كما قالت المعتزلة. وأما الفرقة الثالثة منهم فهم «يزعمون أن أعمال العباد غير مخلوقة لله. وهذا قول قوم يقولون بالاعتزال والإمامة». (١) فى جميع الأصول: محمد بن الحنفية، وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته، وهو الذى يدل عليه كلام ابن تيمية بعد قليل، إذ أنه يتكلم على الحسن وعلى أبى هاشم ابني محمد ابن الحنفية

(٢) المعروف أن الحسن بن محمد بن الحنفية هو - لا والده - أول من ألف فى الإرجاء وهو صاحب أقدم رسالة فى الإرجاء وفى الرد على القدرية. انظر: سزكين م ١ ج ٤ ص ١٥-١٦.

(٣) أبوهاشم هو عبدالله بن محمد بن على بن أبى طالب (أى ابن الحنفية). قال ابن حجر فى «تهذيب التهذيب» ١٦/٦: «... عن الزهرى ثنا: عبدالله والحسن ابنا محمد بن على، وكان الحسن أرضاهما، وفى رواية: وكان الحسن أوثقهما... وقال أبوأسامة: أحدهما مرجىء والآخر شيعى» وذكر ابن حجر: قال الزبير: كان أبوهاشم صاحب الشيعة» وقال: «وكان عبدالله يتبع - وفى رواية - يجمع: أحاديث السبائية... مات سنة ثمان وتسعين وأرخه الهيثم سنة تسع وتسعين».

وقيل : إن أبا هاشم هذا صنف كتاباً أنكر عليه ، لم يوافقه عليه أخوه
ولا أهل بيته ، ولا أخذه عن أبيه .

ويكل حال الكتاب الذى نُسب إلى الحسن يناقض ما يُنسب^(١) إلى
أبى هاشم ، وكلاهما قد قيل : إنه رجع عن ذلك^(٢) ، ويمتنع أن يكونا
أخذاً هذين المتناقضين عن أبيهما محمد بن الحنفية ، وليس نسبة
أحدهما إلى محمد بأولى من الآخر ، فبطل القطع بكون محمد بن
الحنفية كان يقول بهذا وبهذا .

بل المقطوع به^(٣) أن محمداً ، مع براءته من قول المرجئة ، فهو من
قول المعتزلة أعظم براءة ، وأبوه على أعظم براءة من المعتزلة والمرجئة
منه .

وأما الأشعرى فلا ريب عنه أنه كان تلميذاً لأبى على الجبائى ، لكنه

(١) ن ، م ، : ما نسب .

(٢) ذكر ابن حجر فى ترجمته للحسن بن محمد بن الحنفية فى «تهذيب التهذيب»
٣٢٠-٣٢١ أنه أول من تكلم فى الإرجاء ، ثم قال : «وقال سلام بن أبى مطيع عن
أيوب : أنا أتيراً من الإرجاء ، إن أول من تكلم فيه رجل من أهل المدينة يقال له الحسن
ابن محمد . وقال عطاء بن السائب عن زاذان وميسرة أنهما دخلا على الحسن بن محمد
فلاماه على الكتاب الذى وضع فى الإرجاء ، فقال لزاذان : يا أبا عمرو لوددت أنى كنت
مت ولم أكتبه» وذكر ابن حجر أن الحسن توفى سنة ٩٩ أو ١٠٠ وقيل غير ذلك فى وفاته ،
ثم ذكر أن الإرجاء الذى تكلم الحسن فيه غير الإرجاء الذى يعنيه أهل السنة المتعلق بالإيمان
وقال إنه اطلع على كتابه المذكور فوجد أن الحسن يقول فيه إنه يرجىء من كان بعد أبى بكر
وعمر وأنه يرى عدم القطع على إحدى الطائفتين المقتلتين فى الفتنة بكونه مخطئاً أو مصيباً ثم
قال : «وأما الإرجاء الذى يتعلق بالإيمان فلم يعرج عليه» .

(٣) ن ، س ، ب : عنه .

فارقه ورجع عن جُمَل^(١) مذهبه، وإن كان قد بقى عليه شىء من أصول مذهبه، لكنه خالفه فى نفى الصفات، وسلك فيها طريقة ابن كُلاب، وخالفهم فى القدر ومسائل الإيمان والأسماء والأحكام، وناقضهم فى ذلك، أكثر من مناقضة حسين النجّار وضرار بن عمرو ونحوهما، ممن هو متوسط فى هذا الباب، كجمهور الفقهاء وجمهور أهل الحديث، حتى مال فى ذلك إلى قول جهم. وخالفهم فى الوعيد، وقال بمذهب الجماعة، وانتسب إلى مذهب أهل الحديث والسنة، كأحمد بن / حنبل وأمثاله، وبهذا اشتهر عند الناس.

ظ ٣٣٣

فالقَدْر الذى يُحمد من مذهبه، * هو ما وافق فيه أهل السنة والحديث، كالجمال الجامعة. وأما القَدْر الذى يذم من مذهبه، فهو ما وافق فيه بعض المخالفين للسنة والحديث، من المعتزلة والمرجئة والجهمية والقدرية ونحو ذلك.

وأخذ مذهب أهل الحديث عن* زكريا بن يحيى الساجى بالبصرة^(٢)، وعن طائفة ببغداد من أصحاب أحمد وغيرهم. وذكر فى المقالات ما اعتقد أنه مذهب أهل السنة والحديث، وقال^(٣): «بكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب».

(١) ن، م : حمل. (**) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) أبو يحيى زكريا بن يحيى بن عبد الرحمن بن محمد بن عدى الضى البصرى الساجى، محدث البصرة فى عصره، كان من الحفاظ الثقات، ولد سنة ٢٢٠ وتوفى سنة ٣٠٧. انظر ترجمته فى : طبقات الشافعية ٣/٢٩٩-٣٠١؛ الأعلام ٣/٨١.

(٣) فى «المقالات» ١/٣٢٥.

وهذا المذهب هو من أبعد المذاهب عن مذهب الجهمية والقدرية .
وأما الرافضة^(١) - كهذا المصنف وأمثاله من متأخري الإمامية - فإنهم
جمعوا أحسن المذاهب: مذهب الجهمية في الصفات، ومذهب القدرية
في أفعال العباد، ومذهب الرافضة في الإمامة والتفضيل .
فتبين أن ما نُقل عن عليٍّ من الكلام فهو كذب عليه، ولا مدح فيه .
وأعظم من ذلك أن القرامطة الباطنية ينسبون قولهم إليه، وأنه أعطى
علما باطنا مخالفا للظاهر .

وقد ثبت في الصحيح عنه أنه قال: «والذي / فلق»^(٢) الحبة، وبرأ
النسمة، ما عهد إلى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا لم يعهده^(٣) إلى
الناس، إلا ما في هذه الصحيفة، وكان فيها العقل وفكاك الأسرى، وأن
لا يُقتل مسلم بكافر، إلا فهما يؤتيه الله عبداً في الكتاب^(٤) .
ومن الناس من ينسب إليه الكلام في الحوادث، كالجفر وغيره،
وآخرون ينسبون إليه البطاقة وأموراً أخرى، يُعلم أن علياً برىء منها .

١٤٦/٤

(١) ن، س، ب : والرافضة ؛ م : الرافضة .

(٢) ن، س، ب : خلق .

(٣) م : مما لم يعهده .

(٤) جاء هذا الأثر في ثلاثة مواضع في البخاري عن الشعبي عن أبي جحيفة : ٢٩/١ (كتاب
العلم، باب كتابة العلم)، ٦٨/٤-٦٩ (كتاب الجهاد والسير، باب فكاك الأسير)،
١١/٩، ١٢-١٣ (كتاب الديات، باب العاقلة، باب لا يُقتل المسلم بالكافر)؛ سنن
الترمذي ٤٣٢/٢-٤٣٣ (كتاب الديات، باب ما جاء لا يُقتل مسلم بكافر)؛ سنن النسائي
٢١/٨ (كتاب القسامة، باب سقوط القود من المسلم للكافر)؛ سنن الدارمي ١٩٠/٢
(كتاب الديات، باب لا يقتل مسلم بكافر)؛ المسند (ط . المعارف) ٣٥/٢-٣٦ .

وكذلك جعفر الصادق قد كُذِبَ عليه من الأكاذيب ما لا يعلمه إلا الله، حتى نُسِبَ إليه القول فى أحكام النجوم والرعود والبروق، والقرعة، التى هى من الاستقسام بالأزلام، ونُسِبَ إليه كتاب «منافع سور القرآن»، وغير ذلك مما يعلم العلماء أن جعفرأ رضى الله عنه برىء من ذلك، وحتى نسب إليه أنواع من تفسير القرآن على طريقة الباطنية، كما ذكر ذلك عنه أبو عبدالرحمن السلمى فى كتاب «حقائق التفسير»، فذكر قطعة من التفاسير التى هى من تفاسيره، وهى من باب تحريف الكلم عن مواضعه، وتبديل مراد الله تعالى من الآيات بغير مراده^(١). وكل ذى علم بحاله يعلم أنه كان بريئاً من هذه الأقوال، والكذب على الله فى تفسير كتابه العزيز.

وكذلك قد نسب إليه بعضهم الكتاب الذى يسمى «رسائل إخوان الكدر»^(٢). وهذا الكتاب صُنِفَ بعد جعفر الصادق بأكثر من مائتى سنة؛ فإن جعفرأ توفى سنة ثمان وأربعين ومائة، وهذا الكتاب صُنِفَ فى أثناء الدولة العبّيدية الباطنية الإسماعيلية، لما استولوا على مصر، وبنوا^(٣) القاهرة، صَنَفَ طائفة من الذين أرادوا أن يجمعوا بين الفلسفة والشريعة والتشيع، كما كان يسلكه هؤلاء العبّيدون، الذين كانوا يدعون أنهم من وَلَدِ عَلَى.

(١) انظر عن الكتب الباطنية التى نسبت إلى جعفر الصادق ما سبق أن ذكرته فيما مضى ٤٦٥-٤٦٤/٢.

(٢) م : الصفا .

(٣) س، ب : وتبوؤا .

وأهل العلم بالنسب يعلمون أن نسبهم باطل ، وأن جدّهم^(١) يهودى فى الباطن وفى الظاهر، وجدّهم ديصانى من المجوس ، تزوج امرأة هذا اليهودى ، وكان ابنه ريبيا لمجوسى ، فانتسب إلى زوج أمه المجوسى ، وكانوا ينتسبون إلى باهلة ، على أنهم من مواليهم ، وأدعى هو أنه من ذرية محمد بن إسماعيل بن جعفر ، وإليه انتسب الإسماعيلية ، وأدعوا أن الحق معهم دون الاثنى عشرية ، فإن الاثنى عشرية يدعون إمامة موسى ابن جعفر ، وهؤلاء يدعون إمامة إسماعيل بن جعفر .

وأئمة هؤلاء فى الباطن ملاحدة زنادقة ، شر من الغالية ، ليسوا من جنس الاثنى عشرية ، لكن إنما طرقهم على^(٢) هذه المذاهب الفاسدة ونسبتها إلى على ما فعلته الاثنا عشرية وأمثالهم ، كذب أولئك عليه نوعا من الكذب^(٣) ، ففرّعه هؤلاء ، وزادوا عليه ، حتى نسبوا الإلحاد إليه ، كما نسب هؤلاء إليه مذهب الجهمية والقدرية وغير ذلك .

ولما كان هؤلاء الملاحدة ، من الإسماعيلية والنصيرية ونحوهم ، ينتسبون^(٤) إلى على ، وهم طرقية وعشرية وغرباء وأمثال هؤلاء ، صاروا يُضيفون إلى على ما برّاه الله منه ، حتى صار اللصوص من العشيرة يزعمون أن معهم كتاباً من على بالإذن لهم فى سرقة أموال الناس ، كما ادعت اليهود الخيابة أن معهم كتاباً من على بإسقاط الجزية عنهم ،

(١) ب : جدّهم .

(٢) م : إلى .

(٣) س ، ب : وأمثالهم عليه نوع من الكذب .

(٤) م ، س ، ب : ينسبون .

وإباحة عشر أموال أنفسهم^(١)، وغير ذلك من الأمور المخالفة لدين الإسلام.

وقد أجمع العلماء على أن هذا كله كذب على عليّ، وهو من أبرّ الناس من^(٢) هذا كله.

ثم صار هؤلاء يعدّون ما افتروه عليه من هذه الأمور مدحاً له، يفضلونه بها على الخلفاء قبله، ويجعلون تنزّه أولئك من مثل الأباطيل^(٣) عيباً فيهم وبغضاً، حتى صار^(٤) رؤوس الباطنية تجعل منتهى الإسلام وغايته هو الإقرار^(٥) بربوبية الأفلاك، وأنه ليس وراء الأفلاك صانع لها ولا خالق، ويجعلون هذا هو باطن دين الإسلام الذي بُعث به الرسول، وأن هذا هو تأويله، وأن هذا التأويل ألقاه عليّ إلى الخواص، حتى اتصل بمحمد ابن إسماعيل بن جعفر، وهو عندهم / القائم، ودولته هي القائمة عندهم، وأنه ينسخ ملة محمد بن عبدالله، ويظهر التأويلات الباطنة التي يكتُمها التي أسرها إلى عليّ.

وصار هؤلاء يُسقطون عن خواص أصحابهم الصلاة والزكاة والصيام والحج، ويبيحون لهم المحرّمات من / الفواحش والظلم والمنكر^(٦) وغير ذلك.

(١) م : أموال الناس.

(٣) ن : ويجعلون تنزّه ذلك من مثل الأباطيل ؛ م : ويجعلون بين أولئك من مثل الأباطيل ؛ س : ويجعلون ذلك من مثل الأباطيل ؛ ب : ويجعلون مثل ذلك من الأباطيل . ولعل الصواب ما أثبتته .

(٤) م ، س : صاروا ، وهو تحريف . (٥) م : الاقتداء ، وهو تحريف .

(٦) ن ، س : الممكن ؛ م : المحكى ؛ ب : المنكر . ولعل الصواب ما أثبتته .

وصنّف المسلمون فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم كتباً معروفة
لِما علموه من إفسادهم الدين والدنيا، وصنّف فيهم القاضي عبد الجبار،
والقاضى أبوبكر بن الطيب، وأبويعلّى، والغزالي، وابن عقيل،
وأبو عبدالله الشهرستاني، وطوائف غير هؤلاء.

وهم الملاحدة الذين ظهروا بالشرق والمغرب، واليمن والشام،
ومواضع متعددة، كأصحاب الألموت^(١) وأمثالهم.

وكان من أعظم ما به دخل هؤلاء على المسلمين^(٢) وأفسدوا الدين هو
طريق الشيعة، لفرط جهلهم وأهوائهم وبعدهم من دين الإسلام.

وبهذا وصّوا دعائهم أن يدخلوا على المسلمين من باب التشيع،
وصاروا يستعينون^(٣) بما عند الشيعة من الأكاذيب والأهواء، ويزيدونهم
على ذلك ما ناسبهم من الافتراء، حتى فعلوا فى أهل الإيمان ما لم يفعلوه
عبدة الأوثان والصلبان، وكان حقيقة أمرهم دين فرعون الذى هو شر^(٤) من
دين اليهود والنصارى وعباد^(٥) الأصنام.

وأول دعوتهم التشيع، وآخرها الانسلاخ من الإسلام، بل من الملل
كلها.

ومن عرف أحوال الإسلام، وتقلّب الناس فيه، فلا بد أنه قد عرف شيئاً
من هذا.

(١) انظر ما سبق أن ذكرته عن الألموت فيما مضى ٤٤٥/٣.

(٢) ن، من: المسلمين، وهو خطأ.

(٣) من: يستغيثون.

(٤) م: أشر. (٥) ن: عبادة.

وهذا تصديق لقول النبي صلى الله عليه وسلم فى الحديث المتفق عليه: «لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحر ضبٍ لدخلتموه». قالوا: يارسول الله: اليهود والنصارى؟ قال: «فَمَنْ»^(١).

وفى الحديث الآخر المتفق عليه: «لتأخذنَّ أمتى مأخذ الأمم قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع» قالوا: يارسول الله: فارس والروم؟ قال: «ومن الناس إلا هؤلاء؟»^(٢).

وهذا بعينه صار فى هؤلاء المنتسبين إلى التشيع؛ فإن هؤلاء الإسماعيلية أخذوا من مذاهب الفرس، وقولهم بالأصلين: النور والظلمة، وغير ذلك أموراً، وأخذوا من مذاهب الروم من النصرانية، وما كانوا عليه قبل النصرانية من مذهب اليونان، وقولهم بالنفس والعقل، وغير ذلك أموراً، ومزجوا هذا بهذا، وسُمُّوا ذلك باصطلاحهم: السابق والتالى، وجعلوه هو القلم واللوح، وأن القلم هو العقل، الذى يقول هؤلاء: إنه أول المخلوقات، واحتجَّوا بحديث يُروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: أول ما خلق الله العقل، قال له: أقبل، فأقبل. فقال له: أدبر، فأدبر. فقال: وعزَّتى ما خلقت خلقاً أكرم علىَّ منك، فبك آخذ، وبك أعطى، وبك الثواب، وبك العقاب.

وهذا الحديث رواه بعض من صَنَّف فى فضائل العقل، كداود بن

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٨/٢، وأراه هناك: «لتبعن...»

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٣٦٥/٦.

المجبر^(١) ونحوه، وهو حديث موضوع كُذِبَ على النبي صلى الله عليه وسلم عند أهل المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو حاتم بن حبان البستي والدارقطني وابن الجوزي وغيرهم^(٢)، لكن^(٣) لما وافق رأى هؤلاء استدلوأ به على عادتهم، مع أن لفظ الحديث يناقض مذهبهم.

فإن لفظه «أَوَّل» بالنصب. وروى أنه «لَمَّا خلق الله العقل» أى أنه قال له هذا الكلام فى أول أوقات خلقه. فالمراد به أنه خاطبه حين خلقه، لا أنه أول المخلوقات. ولهذا قال فى أثناؤه: «ما خلقت خلقاً أكرم على منك» فدل على أنه خلق قبله غيره، ووصفه بأنه «يقليل ويدبر»

(١) س، ب: كداود بن المحب، وهو تحريف.

(٢) قال ابن الجوزى فى كتابه «الموضوعات» ١٧٤/١ بعد أن روى هذا الحديث بأسانيد مختلفة: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال يحيى بن معين: الفضل رجل سوء. قال ابن حبان: وحفص بن عمر يروى الموضوعات لا يحل الاحتجاج به، وأما سيف فكذاب بإجماعهم» ثم روى الحديث من طريق آخر ١٧٥/١ وقال: إنه غير صحيح. ثم روى (١٧٦/١) عن الدارقطني قوله: إن كتاب العقل وضعه أربعة: أولهم: ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المجبر فركبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، ثم سرقه عبدالعزيز بن أبى رجاء فركبه بأسانيد آخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي فأتى بأسانيد أخرى. وزاد ابن الجوزى ١٧٧/١: «وقد رويت فى العقول أحاديث كثيرة ليس فيها شيء يثبت». وانظر أيضاً: اللآلئ المصنوعة للسيوطى ١٢٩/١-١٣٠؛ المقاصد الحسنة للسخاوى، ص ١١٨، ١٣٤؛ تنزيه الشريعة لابن عراق الكنانى ٢١٣/١؛ الفوائد المجموعة للشوكانى، ص ٤٧٦؛ تذكرة الموضوعات للفتنى، ص ٢٩-٣٠؛ كشف الخفاء للمجلونى ٢٣٦-٢٣٧، ٢٦٣؛ الموضوعات لعلى القارى، ص ٢٧، ٣٠؛ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة للألبانى ١١/١. وانظر ما ذكره الذهبى فى «ميزان الاعتدال» ٢/٢٠ عن داود بن المجبر. وانظر «الصفدية» ٢٣٨/١-٢٣٩.

(٣) س، ب: ولكن.

والعقل الأول^(١) عندهم يمتنع عليه هذا. وقال: «بك آخذ، وبك أعطى، وبك الثواب» وهذا العقل عندهم^(٢) هو ربُّ العالم كله، هو المبدع له كله، وهو معلول الأول، لا يختص به أربعة أعراض، بل هو عندهم^(٣) مبدع الجواهر كلها: العلوية، والسفلية، والحسية^(٤)، والعقلية. والعقل في لغة المسلمين عرض قائم بغيره وإما قوة في النفس^(٥). وأما مصدر [العقل]^(٦): عَقْلٌ يَعْقِلُ عَقْلاً. وأما العاقل فلا يُسمى في لغتهم العقل.

وهؤلاء في اصطلاحهم العقل جوهر قائم بنفسه. وقد بسطنا الكلام على هذا، وبينا حقيقة أمرهم بالمعقول والمنقول، وأن ما يثبتونه من المفارقات عند التحقيق لا يرجع إلا إلى أمر وجودها في الأذهان لا في الأعيان، إلا النفس الناطقة، وقد أخطأوا في بعض صفاتها^(٧). وهؤلاء قولهم: إن العالم معلول علة قديمة أزلية واجبة الوجود، وإن العالم لازم لها. لكن حقيقة قولهم: / إنه علة غائية، وإن الأفلاك تتحرك حركة إرادية شوقية للتشبه به، وهو محرك لها، كما يحرك

(١) الأول: ساقطة من (س)، (ب).

(*) ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) ن، م: الحسية.

(٣) ب: إما قوة النفس، وهو خطأ.

(٤) العقل: ساقطة من (ن)، (م).

(٥) انظر في هذا: الرسالة «السبعينية» لابن تيمية، ضمن مجموع الفتاوى الكبرى، نشره فرج الله الكردي، مطبعة كردستان العلمية، القاهرة، ١٣٢٩. وانظر كتابي: مقارنة بين الغزالي وابن تيمية، ط. دار القلم، الكويت، ١٩٧٥/١٣٩٥.

المحبوب المتشبه به لمحبه الذى يتشبه به، ومثل هذا لا يوجب أن يكون هو المحدث لتصوراته وإرادته وحركاته.

فقولهم فى حركة الفلك من جنس قول القدرية فى أفعال^(١) الحيوان. لكن هؤلاء يقولون: حركة الفلك هى سبب الحوادث. فحقيقة قولهم: إن الحوادث كلها تحدث بلا محدث أصلاً، وإن الله لا يفعل شيئاً. ولكل مقام مقال.

وهم جعلوا العلم الأعلى والفلسفة الأولى هو العلم الباطن فى الوجود ولواحقه، وقسموا الوجود إلى جوهر وعرض، ثم قسموا الأعراض إلى /
ظ ٣٣٤ تسعة أجناس، ومنهم من ردها إلى خمسة، ومنهم من ردها إلى ثلاثة؛ فإنه لم يبق لهم دليل على الحصر. وقسموا الجواهر^(٢) إلى خمسة أنواع: العقل، والنفس، والمادة، والصورة، والجسم.

وواجب الوجود تارة يسمونه جوهرأ، وهو قول قدمائهم كأرسطو وغيره، وتارة لا يسمونه بذلك، كما قاله ابن سينا. وكان قدماء القوم يتصورون فى أنفسهم أموراً عقلية، فيظنونها ثابتة فى الخارج، كما يحكى عن شيعة فيثاغورس وأفلاطون^(٣)، وأن أولئك أثبتوا أعداداً مجردة فى الخارج، وهؤلاء أثبتوا المثل الأفلاطونية، وهى الكليات المجردة عن الأعيان، وأثبتوا المادة المجردة، وهى الهيولى الأولية، وأثبتوا المدة

(١) س، ب : أحوال.

(٢) م : الجوهر.

(٣) ن، س : وأفلاطون.

المجردة، وهى الدهر العقلى المجرد عن الجسم وأعراضه، وأثبتوا الفضاء^(١) المجرد عن الجسم وأعراضه.

وأرسطو وأتباعه خالفوا سلفهم فى ذلك، ولم يشبوا من هذه شيئا مجرداً، ولكن أثبتوا المادة المقارنة للصورة، وأثبتوا الكليات المقارنة للأعيان، وأثبتوا العقول العشرة. وأما النفس الفلكية فأكثرهم يجعلها قوة جسمانية، ومنهم من يقول: هى جوهر قائم بنفسه كنفس الإنسان.

ولفظ «الصورة» يريدون به تارة ماهو عرض، كالصورة الصناعية، مثل شكل السرير والخاتم والسيف. وهذه عرض قائم بمحلّه^(٢). والمادة هنا جوهر قائم بنفسه، ويريدون بالصورة تارة الصورة الطبيعية، وبالمادة المادة^(٣) الطبيعية.

ولاريب أن الحيوان والمعاذن والنبات^(٤) لها صورة هى خلقت من مواد، لكن [يعنون]^(٥) بالصورة جوهرأ قائما بنفسه، وبالمادة جوهرأ آخر مقارنا لهذه.

وآخرون فى مقابلتهم من أهل الكلام، القائلين بالجوهر الفرد، ويزعمون أنه ما ثم من حادث يُعلم حدوثه بالمشاهدة إلا الأعراض، وأنهم لا يشهدون حدوث جوهر من الجواهر.

(١) ن، م، س : الفضاء، وهو تحريف. والمقصود هنا إثبات الخلاء أو المكان.

المجرد عن الجسم. (٢) م : بنفسه.

(٣) المادة : ساقطة من (س)، (ب).

(٤) ب : والنباتات.

(٥) يعنون : ساقطة من (ن)، (م)، (س).

وكلا القولين خطأً. وقد بسطنا الكلام عليهما فى غير هذا الموضع .
وقد يُراد بالمادة المادة الكلية المشتركة بين الأجسام ، وبالصورة^(١)
الصورة الكلية المشتركة بين الأجسام ، ويدَّعون أن كليهما جوهر عقلى ،
وهو غلط ؛ فإن المشترك بين الأجسام أمرٌ كلى ، والكليات لا توجد
كليات^(٢) إلا فى الأذهان لا فى الأعيان . وكل ما وجد فى الخارج فهو
مميّز بنفسه عن غيره ، لا يشركه فيه غيره ، إلا فى الذهن إذا أُخذ كلياً .
والأجسام يعرض لها الاتصال والانفصال ، وهو الاجتماع والافتراق ،
وهما من الأعراض ، ليس الانفصال شيئاً قائماً بنفسه ، كما أن الحركة
ليست شيئاً قائماً بنفسه غير الجسم المحسوس يَرِدُ عليه الاتصال
والانفصال ، ويسمّونه الهيولى والمادة . وهذا وغيره مبسوط فى غير هذا
الموضع^(٣) .

وكثير من الناس قد لا يفهمون حقيقة ما يقولون وما يقول غيرهم ، وما
جاءت به الرسل ، حتى يعرفوا ما فيه من حق وباطل ، فيعلمون هل هم
موافقون لصريح المعقول ، أو هم مخالفون له . ومن أراد التظاهر
بالإسلام منهم عبّر عن ذلك بالعبارات الإسلامية ، فيعبّر عن الجسم
بعالم المَلَك ، وعن النفس بعالم الملكوت ، وعن العقل بعالم
الجبروت ، أو بالعكس . ويقولون : إن العقول والنفوس هى الملائكة ،

(١) ن ، م ، س : والصورة .

(٢) ن ، م : كلمات ، وهو تحريف .

(٣) انظر مثلاً : كتاب «الصفدية» وكتاب «درء تعارض العقل والنقل» وكتاب «الرد على
المنطقيين» .

وقد يجعلون قوى النفس التى تقتضى فعل الخير هى الملائكة، وقواها التى تقتضى الشر هى الشياطين، وأن الملائكة التى تنزل على الرسل، والكلام الذى سمعه موسى بن عمران إنما هو فى نفوس الأنبياء، ليس فى الخارج، بمنزلة ما يراه النائم، وما يحصل لكثير من الممرورين^(١) وأصحاب الرياضة، حيث يتخيل فى نفسه أشكالا نورانية، ويسمع فى نفسه أصواتا، فتلك هى عندهم ملائكة الله، وذلك هو كلام الله، ليس له كلام منفصل.

ولهذا يدعى أحدهم أن الله كلمه كما كلم موسى بن عمران، أو أعظم مما كلم موسى، لأن موسى كلم عندهم بحروف وأصوات فى نفسه، وهم يكلمون بالمعانى المجردة العقلية.

وصاحب «مشكاة الأنوار» و«الكتب المضمون بها على غير أهلها»^(٢) وقع فى كلامه قطعة من هذا النمط، وقد كفرهم بذلك فى مواضع أخر، ورجع عن ذلك، واستقر أمره على مطالعة البخارى ومسلم وغيرهما. ومن هنا سلك صاحب «خلع النعلين» ابن قسي^(٣) وأمثاله. وكذلك

(١) ن، س، ب : الممرورين، وهو تحريف. وفى «لسان العرب»: «والمرارة: التى فيها المرّة. والمرّة: إحدى الطبائع الأربع. ابن سيده: والمرّة مزاج من أمزجة البدن... والممرور الذى غلبت عليه المرّة». ويقول ابن سينا فى «الإشارات والتنبيهات» ٣، ٨٧٢-٨٧١/٤: «قد يشاهد قوم من المرضى والممرورين صوراً محسوسة ظاهرة حاضرة، ولا نسبة لها إلى محسوس خارج، فيكون انتقاشها إذن من سبب باطن أو سبب مؤثر فى سبب باطن».

(٢) وهو الغزالي.

(٣) هو أبو القاسم أحمد بن الحسن بن قسي، رومى الأصل، من بادية شلب، استعرب وتآدب

ابن عربي صاحب «فصوص الحکم» و«الفتوحات المکیّة». ولهذا ادّعى أنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المَلَك، الذي يوحى به إلى الأنبياء. والنبی عنده يأخذ من المَلَك الذي يوحى به إلى الرسل، لأن النبى عنده يأخذ من الخيالات التى تمثّلت فى نفسه لَمّا صوّرت له المعانى^(١) العقلية فى الصور^(٢) الخيالية، وتلك الصور^(٣) عنده هى الملائكة، وهى بزعمه تأخذ عن عقله المجرد قبل أن تصير خيالا، ولهذا يفضل الولاية على النبوة، ويقول:

مقام النبوة فى برزخ. . فوق الرسول ودون السولى
والولى على أصله الفاسد يأخذ عن الله بلا / واسطة، لأنه يأخذ عن عقله، وهذا عندهم هو الأخذ عن الله بلا واسطة^(٤) إذ ليس عندهم ملائكة منفصلة تنزل بالوحى^(٥)، والربّ عندهم ليس هو موجوداً مبيناً

ص ٣٣٥

وقال الشعر، ثم عكف على الوعظ، وكثر مريدوه، فادّعى أنه المهدي وتسمّى بالإمام. ثار على دولة الملتّمين واشترك فى الأحداث السياسية إلى أن قتل سنة ٥٤٦هـ. انظر ترجمته فى: الحلة السيرة، ص ١٩٩-٢٠٣؛ الأعلام ١/١١٣-١١٤. وكتابه «خلع النعلين» طبع ببيروت.

- (١) ن، س : والمعانى.
- (٢) س، ب : الصورة.
- (٣) ب : الصورة.
- (٤) فى هامش (س) أمام هذا الموضع كتب مايلى : «تنبّه لهذا التقرير، فإن مثل هذا لا يقع إلا من سخافات (لعلها: سخافات) العقول، فقد قال فى القصيدة المشهورة :
ومن ساوى وليا مع نبى : تكفّر بهذا الكلم اللهاب
فما بالك إذا فضّل الولى على النبى ! اهـ . من هامش الأصل».
- (٥) ن، س، ب : تنزل الوحي.

للمخلوقات، بل هو وجود مطلق، أو مشروط بنفى^(١) الأمور الثبوتية عن الله، أو نفى الأمور الثبوتية والسلبية، وقد يقولون: هو وجود المخلوقات أو حالاً فيها، أو لا هذا ولا هذا.

فهذا عندهم غاية كل رسول ونبي^(٢): النبوة عندهم الأخذ عن القوة المتخيّلة التى صوّرت المعانى العقلية فى المثل الخيالية، ويسمونها القوة القدسية، فلهذا جعلوا الولاية فوق النبوة.

وهؤلاء من جنس القرامطة الباطنية الملاحدة، لكن هؤلاء ظهروا فى قالب التصوف والتنسك ودعوى التحقيق والتأله^(٣)، وأولئك ظهروا فى قالب التشيع والموالاة، فأولئك يعظمون شيوخهم حتى يجعلوهم أفضل من الأنبياء، وقد يعظمون الولاية حتى يجعلوها أفضل من النبوة، وهؤلاء يعظمون أمر الإمامة، حتى قد يجعلون الأئمة أعظم من الأنبياء، والإمام أعظم من النبى، كما يقوله الإسماعيلية.

وكلاهما أساطين الفلاسفة^(٤) الذين يجعلون النبى فيلسوفاً، ويقولون: إنه يختصّ بقوة قدسية، ثم منهم من يفضل النبى على الفيلسوف، ومنهم من يفضل الفيلسوف على النبى، ويزعمون أن النبوة

(١) ن : ينفى .

(٢) ب : ومبنى .

(٣) ن : والتأله وذلك ؛ س، ب : وأمثال ذلك .

(٤) ن : وكلاهما يباطنا الفلاسفة ؛ س، ب : وكلاهما يباطنان الفلاسفة ؛ م : وكلاهما أساطين الفلاسفة . ولعل الصواب ما أثبتته، والمقصود أن كلاً من المتصوفة والشيعية والإسماعيلية من أساطين الفلاسفة مثل ابن سينا وابن عربى وغيرهما يقولون كذا وكذا . الخ .

مكتسبة، وهؤلاء يقولون^(١) : إن النبوة عبارة عن ثلاث صفات، من حصلت له فهو نبي : أن يكون له قوة قدسية حدسية ينال بها العلم بلا تعلم، وأن تكون نفسه قوية لها تأثير في هوى العالم، وأن يكون له قوة يتخيل بها ما يعقله، ومرثياً في نفسه، ومسموعاً في نفسه.

هذا كلام ابن سينا وأمثاله في النبوة، وعنه أخذ ذلك الغزالي في كتبه «المضنون بها على غير أهلها».

وهذا القدر الذي ذكره يحصل لخلق كثير من آحاد الناس ومن المؤمنين، وليس هو من أفضل عموم المؤمنين، فضلاً عن كونه نبياً، كما بسط في موضعه.

وهؤلاء قالوا هذا لما احتاجوا إلى الكلام^(٢) في النبوة على أصول سلفهم الدهرية، القائلين بأن الأفلاك قديمة أزلية، لا مفعولة لفاعل بقدرته واختياره، وأنكروا علمه بالجزئيات، ونحو ذلك من أصولهم الفاسدة؛ فتكلم هؤلاء في النبوة على أصول أولئك.

وأما القدماء - أرسطو وأمثاله - فليس لهم في النبوة كلام محصل. والواحد^(٣) من هؤلاء يطلب أن يصير نبياً، كما كان السهروردي المقتول يطلب أن يصير نبياً، وكان قد جمع بين النظر والتأله، وسلك نحواً من مسلك الباطنية، وجمع بين / فلسفة الفرس واليونان، وعظم أمر الأنوار، وقرب دين المجوس الأول، وهي نسخة الباطنية الإسماعيلية، وكان له

١٥٠/٤

(١) س، ب : ويقولون ..

(٢) س، ب : في الكلام .

(٣) ن، س، ب : فالواحد .

يد في السحر والسيما، فقتله المسلمون على الزندقة بحلب في زمن صلاح الدين.

وكذلك ابن سبعين، الذي جاء من المغرب إلى مكة، وكان يطلب أن يصير نبياً، وجدّ غار حراء الذي نزل فيه الوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ابتداءً، وحكى عنه أنه كان يقول: لقد ذرّب ابن آمنة^(١) حيث قال: «لا نبىّ بعدى». وكان بارعا في الفلسفة وفي تصوف المتفلسفة وما يتعلق بذلك.

وهو، وابن عربي، وأمثالهما، كالصدر القنوي، وابن الفارض، والتلمساني: منتهى أمرهم القول بوحدة الوجود، وأن الوجود^(٢) الواجب القديم الخالق هو الوجود الممكن المحدث المخلوق، ما ثم لا غير^(٣) ولا سوى، لكن لما رأوا تعدد المخلوقات صاروا تارة يقولون: مظاهر ومجالي.

فإذا قيل لهم: فإن كانت المظاهر أمراً وجودياً تعدّد^(٤) الوجود، وإلا لم يكن لها حينئذ حقيقة. وما هو نحو هذا الكلام، الذي يبيّن أن الوجود نوعان: خالق ومخلوق.

قالوا: نحن نثبت عندنا في الكشف ما يناقض صريح العقل، ومن

(١) ن، س، ب: لقد ررب (غير منقوطة)؛ م: لقد رردب (غير منقوطة) الرامية، وهو تحريف.

ولعل الصواب ما أثبتته. وفي «اللسان»: «وقيل: الذرّب اللسان: الشّتم الفاحش».

(٢) عبارة «وأن الوجود»: ساقطة من (س)، (ب).

(٣) م: لا غيره.

(٤) ن: بعدد. والكلمة غير منقوطة في (م).

أراد أن يكون محققاً مثلنا فلا بد أن يلتزم^(١) الجمع بين النقيضين، وأن الجسم الواحد يكون في وقت واحد في موضعين.

وهؤلاء الأصناف قد بُسط الكلام عليهم في غير هذا الموضع، فإن هؤلاء يكثرون في الدول الجاهلية^(٢)، وعامتهم تميل إلى التشيع، كما عليه ابن عربي وابن سبعين وأمثالهما، فاحتاج الناس إلى كشف حقائق هؤلاء، وبيان أمورهم على الوجه الذي يُعرف به الحق من الباطل، فإن هؤلاء يدّعون في أنفسهم أنهم أفضل أهل الأرض، وأن الناس لا يفهمون حقيقة إشاراتهم. فلما يسّر الله أنى بيّنت لهم حقائقهم، وكتبت/ في ذلك من المصنّفات ما علموا به أن هذا هو تحقيق قولهم، وتبين لهم بطلانه بالعقل الصريح والنقل الصحيح والكشف المطابق، رجع عن ذلك من علمائهم^(٣) وفضلائهم من رجع، وأخذ هؤلاء يشتون للناس تناقضهم، ويردّونهم إلى الحق^(٤).

ظ ٣٣٥

وكان من أصول ضلالهم^(٥) ظنهم أن الوجود المطلق يوجد في الخارج، إما: مطلق لا بشرط^(٦)، وإما مطلق بشرط، فالمطلق لا

(١) م : يلزم .

(٢) ب : الجاهلة .

(٣) م : أعيانهم ؛ ن : عيائهم، وهو تحريف .

(٤) ن، س : ويردّونهم من الحق ؛ ب : ويرأّونهم من الحق ؛ م : ويردّونهم من الحق . ولعل الصواب ما أثبتّه .

(٥) م : إضلالهم .

(٦) ن، س، ب : إما معلولا بشرط . والمثبت من (م) .

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (س)، (ب) .

بشرط^(١) الذى يسمونه الكلى الطبيعى ، إذا قيل : إنه موجود فى الخارج ، فإن الذى يوجد فى الخارج مقيداً معيناً هو مطلق فى الذهن ، مقيد فى الخارج . وأما من زعم أن فى الذهن^(٢) شيئاً مطلقاً وهو مطلق حال تحققه فى الخارج ، فهو غلط غلطاً ضلّ فيه كثير من أهل المنطق والفلسفة .

وأما المطلق بشرط الإطلاق فهو الوجود المقيد بسلب جميع الأمور الثبوتية والسلبية ، كما يوجد الإنسان مجرداً عن كل قيد . فإذا قلت : موجود أو معدوم ، أو واحد أو كثير ، أو فى الذهن أو فى الخارج - كان ذلك قيداً زائداً على الحقيقة المطلقة بشرط الإطلاق .

وهكذا الوجود تأخذه مجرداً عن كل قيد ثبوتى وسلبى ، فلا تصفه لا بالصفات السلبية ولا الثبوتية .

وهذا^(٣) هو واجب الوجود عند أئمة الباطنية ، كأبى يعقوب السجستانى صاحب «الأقاليد الملكوتية» وأمثاله . لكن من هؤلاء من لا يعرف : يرفع^(٤) النقيضين ، فيقول : لا موجود ولا معدوم^(٥) ، ومنهم من يقول : بل أمسك عن إثبات أحد النقيضين ، فلا أقول : موجود ولا معدوم^(٦) ، كأبى يعقوب ، وهو منتهى تجريد هؤلاء القائلين بوحدة الوجود .

(١) ن ، م : فى الخارج . وفى (س) فى الأصل : فى الخارج ، وكتب فى الهامش : لعله : فى الذهن .

(٢) س ، ب : وهكذا .

(٣) ن ، س : من لا يعرف يرفع ؛ م : من لا يرفع . . . ب : من لا يعرف يرفع .

(٤-٤) : ساقط من (م) .

وابن سينا وأتباعه يقولون: الوجود الواجب هو الوجود المقيّد بسلب الأمور الثبوتية دون السلبية، وهذا أبعد عن الوجود في الخارج من المقيّد بسلب الوجود والعدم، وإن كان ذلك ممتنعاً في الموجود والمعدوم.

فقلت لأولئك المدّعين للتحقيق: أنتم بنيتم أمركم على القوانين المنطقية، وهذا الوجود المطلق بشرط الإطلاق، المقيّد بسلب النقيضين عنه، لا يوجد في الخارج^(*) باتفاق العقلاء، وإنما يُقدّر في الذهن تقديرًا، وإلا فإذا قدّرنا إنسانًا مطلقًا، واشترطنا فيه أن لا يكون موجوداً ولا معدوماً، ولا واحداً ولا كثيراً، لم يوجد في الخارج، بل نفرض في الذهن كما نفرض / الجمع بين^(*) النقيضين، فنرفض رفع^(*) النقيضين كرفض الجمع بين النقيضين.

١٥١/٤

ولهذا كان هؤلاء تارة يصفونه بجمع النقيضين أو الإمساك عنهما، كما يفعل ابن عربي وغيره كثيراً^(*)، وتارة يجمعون بين هذا وهذا، كما يوجد أيضاً في كلام أصحاب «البطاقة» وغيرهم.

فإذا قالوا مع ذلك: إنه مبدع العالم، وشرطوا فيه أنه لا يُوصف بثبوت ولا انتفاء^(*) - كان تناقضاً؛ فإن كونه مبدعاً لا يخرج عن هذا وهذا.

وكذلك إذا قالوا: موجود واجب، وشرطوا فيه التجريد عن النقيضين - كان تناقضاً.

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(١) رفع : ساقطة من (م).

(٢) م : بكثرة.

(٣) م : ثبوت الانتفاء.

وحقيقة قولهم: موجود لا موجود، وواجب لا واجب. وهذا منتهى أمرهم، وهو الجمع بين النقيضين، أو رفع النقيضين. ولهذا يصيرون إلى الحيرة ويعظمونها، وهي عندهم منتهى معرفة الأنبياء والأولياء والأئمة والفلاسفة.

ومن أصول ضلالهم ظنهم أن هذا تنزيه عن التشبيه، وأنهم متى وصفوا بصفة إثبات أو نفى كان فيه تشبيه بذلك. ولم يعلموا أن التشبيه المنفى عن الله هو ما كان وصفه بشيء من خصائص المخلوقين، أو أن يجعل شيء من صفاته مثل صفات المخلوقين، بحيث يجوز عليه ما يجوز عليهم، أو يجب له ما يجب لهم، أو يمتنع عليه ما يمتنع عليهم مطلقاً.

فإن هذا هو التمثيل الممتنع المنفى بالعقل مع الشرع، فيمتنع وصفه بشيء من النقائص^(١)، ويمتنع مماثلة غيره له في شيء من صفات الكمال. فهذان جماع لما ينزه الرب تعالى عنه، كما بسطنا ذلك في مواضع كثيرة.

وعلى هذا وهذا دلّ قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [سورة الإخلاص]، كما قد بسطنا ذلك في مصنف مفرد في تفسير هذه الشواهد.

فأما الموافقة في الاسم، كحى وحى، وموجود وموجود، وعليم وعليم - فهذا لا بد منه، ويلزم من نفى هذا التعطيل المحض؛ فإن كل

(١) م : النقائص . (٢) وهو كتاب تفسير سورة الإخلاص، وطبع أكثر من مرة.

موجودين قائمين بأنفسهما فحيث^(١) لا بد أن يجمعهما اسم عام^(٢) يدل على معنى عام^(٣)، لكن المعنى العام^(٤) لا يوجد عامًا إلا في الذهن لا^(٥) في الخارج.

فإذا قيل: هذا الموجود وهذا الموجود مشتركان في مسمى الوجود، كان ما اشتركا فيه لا يوجد مشتركا إلا في الذهن لا في الخارج^(٦). وكل موجود فهو يختص بنفسه وصفات نفسه، لا يشركه غيره في شيء من ذلك في الخارج، وإنما الاشتراك هو نوع من التشابه والاتفاق، والمشارك فيه الكلي لا يوجد كذلك إلا في الذهن، فإذا وجد في الخارج لم يوجد إلا متميزا عن نظيره، لا يكون هو إياه، ولا هما في الخارج، مشتركان في شيء في الخارج.

فاسم الخالق إذا وافق / اسم المخلوق، كالموجود والحي - وقيل: إن هذا الاسم عام كلي، وهو من الأسماء المتواطئة أو المشككة^(٧) - لم يلزم من ذلك أن يكون ما يتصف به الرب من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه المخلوق، بل ولا يكون ما يتصف به أحد المخلوقين من مسمى هذا الاسم قد شاركه فيه مخلوق آخر، بل وجود هذا يخصه

ص ٣٣٦

(١) ن: وحين؛ س: وحيث؛ م: ويعتبر.

(٢-٣) : ساقط من (ب) فقط.

(٣) م، س، ب: القائم.

(٤) م: ولا، وهو خطأ.

(٥) م: لا في الذهن ولا في الخارج، وهو خطأ.

(٦) م: ومن الأسماء المتواطئة والمشككة... ن: وهو من الأسماء المتواطئة أو المشككة.

وجود هذا يخصه، لكن ما يتصف به المخلوق قد يماثل ما يتصف به المخلوق، ويجوز على أحد المثليين ما يجوز على الآخر.

وأما الرب - سبحانه وتعالى - فلا يماثل شئ من الأشياء في شئ من صفاته، بل التباين الذى بينه وبين كل واحد من خلقه فى صفاته، أعظم من التباين الذى بين أعظم المخلوقات وأحقرها. وأما المعنى الكلى العام المشترك فيه، فذاك - كما ذكرنا - لا يوجد كلياً إلا فى الذهن.

وإذا كان المتصفان به بينهما نوع موافقة ومشاركة ومشابهة من هذا الوجه، فذاك لا محذور فيه؛ فإنه^(١) ما يلزم ذلك القدر المشترك من وجوب وجواز وامتناع فإن الله متصف به، فالموجود من حيث هو موجود، أو العليم أو الحى، مهما قيل: إنه يلزمه من وجوب وامتناع وجواز، فالله موصوف به، بخلاف وجود المخلوق وحياته وعلمه، فإن الله لا يوصف بما يختص به المخلوق من وجوب وجواز واستحالة، كما أن المخلوق لا يوصف بما يختص به الرب من وجوب وجواز واستحالة.

فمن فهم هذا انحلت عنه إشكالات كثيرة يعثر فيها كثير من الأذكياء،

الناظرين فى العلوم الكلية والمعارف / الإلهية، فهذا أحد أقوالهم فى الوجود الواجب، وهو المطلق بشرط الإطلاق عن النفى والإثبات، وهو أكملها فى التعطيل والإلحاد.

والثانى: قول ابن سينا وأتباعه: إنه هو الوجود المقيّد^(٢) بالقيود السلبية

(١) ب : فإن .

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (س)، (ب).

لا الثبوتية، وقد يُعبر عنه بأنه الوجود المقيّد^(١) تارة^(٢) لا يعرض له شيء من الماهيات، كما يُعبر الرازى وغيره.

وهذه العبارات - بناءً على قولهم: إن الوجود يعرض للماهية الممكنة. فإن للناس ثلاثة أقوال. قيل: إن الوجود زائد على الماهية فى الواجب والممكن، كما يقول ذلك أبو هاشم وغيره، وهو أحد قولى الرازى، وقد يقوله بعض النظار من أصحاب أحمد وغيرهم.

وقيل: بل الوجود فى الخارج هو الحقيقة الثابتة فى الخارج، ليس هناك شيان. وهذا قول الجمهور من أهل الإثبات، وهذا قول عامة النظار من مثبتة الصفات من أهل المذاهب الأربعة وغيرهم. لكن ظن الشهرستانى والرازى والآمدى ونحوهم أن قائل هذا القول يقول: إن لفظ الوجود مقول بالاشتراك اللفظى، ونقلوا ذلك عن الأشعرى وغيره، وهو غلط عليهم؛ فإن أصحاب هذا القول هم جماهير الخلق من الأولين والآخرين، وليس فيهم من يقول بأن لفظ «الوجود» مقول بالاشتراك اللفظى، إلا طائفة قليلة، وليس هذا قول الأشعرى وأصحابه، بل هم متفقون على أن الوجود ينقسم إلى قديم ومحدث، واسم الوجود يعمهما.

لكن الأشعرى ينفى الأحوال، ويقول: العموم والخصوص يعود إلى الأقوال، ومقصوده أنه ليس فى الخارج معنى كلى عام، ليس مقصوده أن الذهن لا يقوم به معنى عام كلى.

(١) ب (فقط): بأن.

وهؤلاء الذين قالوا: إن من قال: وجود كل شيء هو نفس حقيقته الموجودة، إنما هذا هو قول بالاشتراك اللفظي، لأنهم قالوا: إذا جعلنا الوجود عامًّا من الألفاظ المتواطئة المتساوية أو المتفاضلة^(١) التي تسمى المشكّكة، وقلنا: إن الوجود ينقسم إلى واجب وممكن وقديم ومحدث، كان النوعان قد اشتركا في مسمّى الوجود، وهو كليّ مطلق، فلا بد أن يتميز أحدهما عن الآخر بما يخصّه، وهو حقيقة، فيلزم أن يكون لكل منهما حقيقة غير الوجود.

فمن قال: إن الشيء الموجود في الخارج ليس شيئاً غير الحقيقة الموجودة في الخارج، لم يمكنه أن يقول: لفظ الوجود يعمّهما، بل يقول: هو مقول عليهما بالاشتراك اللفظي.

وهذا غلط ضلّت فيه طوائف، كالرازي وأمثاله.

بيان ذلك من ثلاثة وجوه: أحدها: أن يُقال: لفظ الوجود كلفظ الحقيقة، وكلفظ الماهية، وكلفظ الذات والنفس. فإذا قلتم: الوجود ينقسم إلى واجب وممكن، أو قديم ومحدث - كان بمنزلة قولكم: الحقيقة تنقسم إلى واجبة وممكنة، أو إلى قديمة ومحدثة، وبمنزلة قولهم: الذات تنقسم إلى هذا وهذا وهذا، والماهية تنقسم إلى هذا وهذا، ونحو ذلك من الأسماء العامة، وبمنزلة قولهم: الشيء ينقسم إلى واجب وممكن، وقديم وحادث.

وحينئذ فإذا قلتم: يشتركان في الوجود أو الوجوب^(٢)، ويمتاز أحدهما

(١) م: والمتفاضلة.

(٢) م: في الوجود والواجب.

عن الآخر بالحقيقة أو الماهية^(١) - كان بمنزلة أن يُقال: يشتركان في الماهية أو الحقيقة^(٢)، ويمتاز أحدهما عن الآخر بالوجود أو الوجوب^(٣).
 ظ ٣٣٦ / فإن قلتم: إنما اشتركا في الوجود العام الكلّي، وامتاز كل منهما بالحقيقة التي تخصّه.

قيل: وكذلك يقال: إنما اشتركا في الحقيقة العامة الكلّية، وامتاز كل منهما بالوجود الذي يخصّه. فلا فرق حينئذ بين ما جعلتموه كلياً مشتركاً^(٤)، كالجنس والعرض العام، وبين ما جعلتموه مختصاً بميّزاً جزئياً، كالفصل والخاصة. لكن عمدتم إلى شيئين متساويين في العموم والخصوص، فقدّرتم أحدهما في حال عموميه، والآخر في حال خصوصيه. فهذا كان من تقديركم، وإلا فكل منهما يمكن فيه التقدير كما أمكن في الآخر، وكل منهما في نفس الأمر مساوٍ للآخر في عموميه وخصوصيه، وكونه مشتركاً ومميزاً، فلا فرق في نفس الأمر بين ما جعلتموه جنساً أو عرضاً عاماً، وما جعلتموه فصلاً أو خاصة، إلا أنكم قدّرتم أحد المتساويين عاماً والآخر خاصاً.

الوجه الثاني: أن يُقال: إذا قلتم: الموجودان يشتركان / في مسمى الوجود، فلا بد أن يتميّز أحدهما عن الآخر بأمر آخر.
 قيل لكم: المميّز يمكن أن يكون وجوداً^(٥) خاصاً، فلم قلتم: إنه

١٥٣/٤

(١) م: والماهية.

(٢) م: والحقيقة.

(٣) م: والوجوب.

(٤) ب: مشتركاً كلياً.

(٥) م: موجوداً.

يكون شيء خارج^(١) عن مسمى الوجود حتى تثبتون حقيقة أخرى. وهذا كما إذا قلنا: الإنسانان يشتركان في مسمى الإنسانية، وأحدهما يمتاز عن الآخر بخصوصية أخرى - كان المميز إنسانيته التي تخصه، لم يحتج أن يجعل المميز شيئا غير الإنسانية يعرض له الإنسانية. ولكن هؤلاء يظنون أن الأنواع المشتركة في كلي لا يفصل بينها إلا مواد أخرى. وفي هذا الموضع كلام مبسوط على غلط أهل المنطق فيما غلطوا فيه في الكليات، وتقسيم الكليات، وتركيب الحدود من الذاتيات وغير ذلك، ومواد الأقيسة، والفرق بين اليقيني وغير اليقيني منها، وغير ذلك مما هو مكتوب في غير هذا الموضع.

الوجه الثالث: أن يُقال: إذا قلنا: الموجودان يشتركان في مسمى الوجود، وأحدهما لا بد أن يمتاز عن الآخر. فليس المراد أنهما اشتركا في أمر بعينه موجود في الخارج، فإن هذا ممتنع، بل المراد أنهما اتفقا في ذلك وتشابها فيه من هذه الجهة، ونفس ما اشتركا فيه لا يكون بعينه مشتركا فيه إلا في الذهن، لا في الخارج، وإلا فنفس وجود هذا لم يشركه فيه هذا.

وحينئذ فإذا قلنا: لفظ «الوجود»^(٢) من الألفاظ العامة الكلية المتواطئة أو المشككة، وهي المتواطئة التي تتفاضل معانيها، لا تتماثل مع الاتفاق في أصل المسمى، كالبياض المقول على بياض الثلج القوي وبياض

(١) ب (فقط): شيئا خارجا. والمعنى: إنه يوجد شيء خارج... الخ.

(٢) س، ب: الموجود.

العاج الضعيف، والسواد المقول على سواد القار وعلى سواد الحبشة، والعلو المقول على علو السماء وعلى علو السقف، والواسع المقول على البحر وعلى الدار الواسعة، والوجود المقول على الواجب بنفسه وعلى الممكن الموجود بغيره، وعلى القائم بنفسه والقائم بغيره، والقديم المقول على العرجون وعلى ما لا أول له، والمحدث المقول على ما أحدث في اليوم وعلى كل ما خلقه الله بعد أن لم يكن، والحي الذي يُقال على الإنسان والحيوان والنبات وعلى الحي القيوم الذي لا يموت أبداً.

بل أسماء الله [الحسنى]^(١) تعالى التي تسمى بها خلقه، كالمليك والسميع والبصير والعليم والخبير^(٢) ونحو ذلك، كلها من هذا الباب.

فإذا قيل: في جميع الألفاظ العامة ومعانيها العامة - سواء كانت متماثلة أو متفاضلة - إن أفرادها اشتركت فيها أو اتفقت ونحو ذلك، لم يُرد به أن في الخارج "معنى عاماً يوجد" عاماً في الخارج، وهو نفسه مشترك. بل المراد أن الموجودات المعينة اشتركت في هذا العام الذي لا يكون عاماً إلا في علم العالم، كما أن اللفظ العام لا يكون عاماً إلا في لفظ اللافظ، والخط العام لا يكون عاماً إلا في خط الكاتب.

والمراد بكونه عاماً شموله للأفراد الخارجة، لا أنه^(٣) نفسه شيء

(١) الحسنى: زيادة في (م).

(٢) ن، م: والحكيم.

(٣-٣) : ساقط من (س)، (ب).

(٤) م: أن.

موجود يكون هو^(١) نفسه مع هذا المعين، وهو نفسه مع هذا المعين، فإن هذا^(٢) مخالف للحس والعقل.

والمقصود هنا أن ابن سينا مذهبه أن الوجود الواجب لنفسه هو الوجود المقيّد بسلب جميع الأمور الثبوتية، لا يجعله مقيّدا^(٣) بسلب النقيضين، أو بالإمساك عن النقيضين، كما فعل السجستاني وأمثاله من القرامطة [وغيرهم]^(٤)، وعبر ابن سينا عن قولهم بأنه الوجود المقيّد بأنه لا يعرض لشيء من الحقائق، أو لشيء من الماهيات، * لا اعتقادهم أن الوجود يعرض للممكنات، وهو يقول: وجود الواجب نفس ماهيته.

والجمهور من أهل السنة يقولون ذلك، لكن الفرق بينهما أن عنده هو وجود مطلق بشرط سلب الماهيات* عنه، فليس له ماهية سوى الوجود المقيّد بالسلب.

وأما الأنبياء وأتباعهم وجماهير العقلاء فيعلمون أن الله له حقيقة يختص بها، لا تماثل^(٥) شيئا من الحقائق، وهي موجودة. وطائفة من المعتزلة ومن وافقهم يقولون: هي موجودة بوجود زائد على حقيقتها.

(١) عبارة «يكون هو»: ساقطة من (م).

(٢) عبارة «فإن هذا»: ساقطة من (م).

(٣) م: مقدرا.

(٤) وغيرهم: ساقطة من (ن)، (م). وفي (س): وغيره.

(٥-٥): ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٥) ن، م، س: لا يماثل.

وأما الجمهور فيقولون: الحقائق المخلوقة ليست فى الخارج، إلا الموجود الذى هو الحقيقة التى فى الخارج. وإنما يحصل الفرق بينهما بأن يجعل أحدهما ذهنياً، / والآخر / خارجياً، فإذا جعلت الماهية أو الحقيقة اسماً لما فى الذهن، كان ذلك غير ما فى الخارج. وأما إذا قيل: الوجود ذهنى فهو الماهية الذهنية، وإذا قيل: الماهية الخارجية فهى الوجود الخارجى، فإذا كان هذا فى المخلوق فالخالق أولى.

ومذهب ابن سينا معلوم الفساد بضرورة العقل بعد التصور التام؛ فإنه إذا اشترك الموجودان فى مسمى الوجود، لم يميز أحدهما عن الآخر بمجرد السلب، فإن التمييز فى نفس الأمر بين المشتركين لا يكون بمجرد العدم المحض، إذ العدم المحض ليس بشيء، وما ليس بشيء لا يحصل منه الامتياز فى نفس الأمر، ولا يكون الفاصل بين الشئيين الموجودين الذى يختص بأحدهما إلا أمراً ثبوتياً، أو متضمناً لأمراً ثبوتياً.

وهذا مستقر عندهم فى المنطق. فكيف يكون وجود الرب مماثلاً لوجود الممكنات فى مسمى الوجود^(١) ولا يمتاز عن المخلوقات إلا بعدم محض لا ثبوت فيه؟

بل على هذا التقدير يكون أى موجود قُدِّرَ أكمل من هذا الموجود؛ فإن ذلك الموجود مختص - مع وجوده - بامر ثبوتى عنده، والوجود الواجب لا يختص عنده إلا بامر عدمى، مع تماثلهما فى مسمى الوجود. فهذا القول يستلزم مماثلة الوجود الواجب لوجود كل ممكن فى

(١) م : الموجود .

الوجود، وأن لا يمتاز عنه إلا بسلب الأمور الثبوتية .
والكمال هو فى الوجود لا فى العدم ؛ إذ العدم المحض لا كمال فيه ،
فحينئذ يمتاز عن الممكنات بسلب جميع الكمالات ، وتمتاز عنه بإثبات
جميع الكمالات .
وهذا غاية ما يكون من تعظيم الممكنات فى الكمال والوجود ،
ووصف الوجود الواجب بالنقص والعدم .

وأيضاً فهذا الوجود الذى لا يمتاز عن غيره إلا بالأمور العدمية^(١) يمتنع
وجودة فى الخارج ، بل لا يمكن إلا فى الذهن ؛ لأنه إذا شارك سائر
الموجودات فى مسمى الوجود كان هذا كلياً ، والوجود لا يكون كلياً إلا
فى الذهن ، لا فى الخارج ، والأمور العدمية المحضة لا توجب ثبوته^(٢)
فى الخارج ، فإن ما فى الذهن هو بسلب الحقائق الخارجية عنه أحق
بسلبها^(٣) عما فى الخارج ، لو كان ذلك ممكناً فى الخارج ، فكيف إذا
كان ممتنعاً؟

فإذا كان الكلّى لا يكون إلا ذهنياً ، والقيد العدمى لا يخرج عنه أن
يكون كلياً ، ثبت أنه لا يكون فى الخارج .
وأيضاً فإن ما فى الخارج لا يكون إلا معيناً ، له وجود يخصه . فما لا
يكون كذلك لا يكون إلا فى الذهن .

(١) م : إلا بأمور العدم .

(٢) م : ثبوته .

(٣) س ، ب : لسلبها .

فثبت بهذه الوجوه الثلاثة - وغيرها - أن ما ذكره في واجب الوجود لا يتحقق إلا في الذهن لا في الخارج.

فهذا قول من قيده بالأمور العدمية.

ولهم قول ثالث، وهو الوجود المطلق لا^(١) بشرط الإطلاق، الذي يسمونه الكلّي الطبيعي. وهذا لا يكون في الخارج إلا معيّناً، فيكون من جنس القولين قبله. ومنهم من يظن أنه ثابت في الخارج، وأنه جزء من المعيّنات^(٢)، فيكون الوجود الواجب المبدع لكل ما سواه: إما عرضاً قائماً بالمخلوقات، وإما جزءاً منها، فيكون الواجب مفتقراً إلى الممكن عرضاً فيه، أو جزءاً منه، بمنزلة الحيوانية في الحيوانات، لا تكون هي الخالقة للحيوان، ولا الإنسانية هي المبدعة للإنسان، فإن جزء الشيء وعرضه لا يكون هو الخالق له، بل الخالق مبين له منفصل عنه، إذ جزؤه وعرضه داخل فيه، والداخل في الشيء لا يكون هو المبدع له كله^(٣).
فما وصفوا به ربّ العالمين يمتنع معه^(٤) أن يكون خالقاً^(٥) لشيء من الموجودات، فضلاً عن أن يكون خالقاً لكل شيء. وهذه الأمور مبسطة في موضع آخر^(٦).

(١) لا : ساقطة من (س)، (ب).

(٢) عبارة «وأنه جزء من المعيّنات» ساقطة في (م) ومكانها بياض.

(٣) م : كلياً.

(٤) م : منه.

(٥) ن، س : جاهلاً؛ ب : جاهلاً، وهو تحريف.

(٦) م : مواضع آخر.

والمقصود هنا أن هؤلاء الملاحدة حقيقة قولهم^(١) تعطيل الخالق،
وجحد حقيقة النبوات والمعاد والشرائع، وينتسبون إلى موالة على،
ويدّعون أنه كان على هذه الأقوال، كما تدّعي القدرية والجهمية
والرافضة أنه كان على قولهم أيضا، ويدّعون أن هذه الأقوال مأخوذة عنه،
وهذا كله باطل كذب على على رضى الله عنه.

﴿فصل﴾

قال الرافضى^(٢): «وعلم التفسير إليه يُعزى، لأن ابن عباس
كان تلميذه فيه. قال / ابن عباس: حدّثنى أمير المؤمنين فى
تفسير «الباء» من بسم الله الرحمن الرحيم من أول الليل إلى
آخره».

والجواب: أن يقال: أولا، أين الإسناد الثابت بهذا النقل عن ابن عباس؟
فإن أقل ما يجب على المحتج بالمنقولات أن يذكر الإسناد الذى يُعلم
به صحة النقل. وإلا فمجرد ما يُذكر فى الكتب من المنقولات لا يجوز
الاستدلال به، مع العلم بأن فيه شيئا كثيرا من الكذب^(٣).

ويقال: ثانيا، أهل العلم بالحديث يعلمون أن هذا من الكذب؛ فإن
هذا الأثر المأثور عن ابن عباس كذب عليه، وليس له إسناد يعرف، وإنما

(١) ن، م، س: الذين حقيقة قولهم...

(٢) فى (ك) ص ١٧٩ (م) - ١٨٠ (م).

(٣) فى هامش (س) أمام هذا الموضع كتب ما يلى: «صحة الإسناد شرط للاستدلال».

تابع كلام
الرافضى على
علم على رضى
الله عنه
١٥٥/٤

الرد عليه من
وجوه
الوجه الأول

الوجه الثانى

يذكر مثل هذه الحكايات بلا إسناد. وهذه يرويها أهل المجهولات، الذين يتكلمون بكلام لا حقيقة له، ويجعلون / كلام عليّ وابن عباس من جنس كلامهم، كما يقولون عن عمر أنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر يتحدثان وكنت كالزنجي بينهما، فإن هذا كذب على عمر باتفاق أهل العلم، وكما ينقلون عن عمر أنه تزوج امرأة أبي بكر^(١) ليسألها عن علمه في السرّ، فقالت: كنت أشم من فيه رائحة الكبد المحترقة، وهذا أيضا كذب، وعمر لم يتزوج امرأة أبي بكر^(٢)، وإنما تزوجها عليّ: تزوج أسماء بنت عميس، ومعها ربيبه محمد بن أبي بكر، فترتي عنده.

وهذا ابن عباس نُقل عنه من التفسير ماشاء الله بالأسانيد الثابتة، ليس في شيء منها ذكر عليّ. وابن عباس يروي عن غير واحد من الصحابة: يروي عن عمر، وأبي هريرة، وعبدالرحمن بن عوف، وعن زيد بن ثابت، وأبي بن كعب، وأسماء بن زيد، وغير واحد من المهاجرين والأنصار. وروايته عن عليّ قليلة جدا، ولم يخرج أصحاب الصحيح^(٣) شيئا من حديثه عن عليّ، وخرجوا حديثه عن عمر وعبدالرحمن بن عوف وأبي هريرة وغيرهم.

وأیضا فالتفسير أخذ عن غير ابن عباس^(٤): أخذ عن ابن مسعود وغيره

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (س)، (ب).

(١) م: الصحيحين.

(٢) ن: عن عمر ابن عباس؛ س، ب: عن عمر وابن عباس. والمثبت من (م) وهو الصواب.

من الصحابة، الذين لم يأخذوا عن عليّ شيئا، وما يُعرف بأيدي المسلمين تفسير ثابت [عنه]^(١). وهذه كتب الحديث والتفسير مملوءة بالآثار عن الصحابة والتابعين، والذي فيها عن عليّ قليل جدا. وما يُنقل في «حقائق» السلمي من التفسير عن جعفر الصادق عامته كذب على جعفر، كما قد كُذِبَ عليه غير ذلك، كما تقدم.

﴿فصل﴾

قال الرافضى^(٢): «وأما علم الطريقة فإليه منسوب؛ فإن الصوفية كلهم يُسندون الخرقه إليه». **والجواب: أن يقال أولا:** أما أهل المعرفة وحقائق الإيمان، المشهورين في الأمة بلسان الصدق، فكلهم متفقون على تقديم أبي بكر، وأنه أعظم الأمة في الحقائق الإيمانية والأحوال العرفانية. وأين من يقدّمونه في الحقائق التي هي أفضل الأمور عندهم - إلى من ينسب إليه الناس لباس الخرقه؟

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»^(٣) فآين حقائق القلوب من لباس الأبدان؟

(١) عنه: زيادة في (ب).

(٢) في (ك) ص ١٨٠ (م).

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٣١٦/٥.

ويقال: ثانياً، الخرق متعددة، أشهرها خرقتان: خرقه إلى عمر،
 وخرقة إلى عليّ. فخرقة عمر لها إسنادان: إسناد إلى أويس القرني،
 وإسناد إلى أبي مسلم الخولاني. وأما الخرقه المنسوبة إلى عليّ
 فإسنادها إلى الحسن البصري، والمتأخرون يصلونها بمعروف الكرخي؛
 فإن الجنيد صحب السريّ [السقطي]^(١)، والسريّ صحب معروفاً
 الكرخي بلا ريب.

وأما الإسناد من جهة معروف فينقطع، فتارة يقولون: إن معروفاً
 صحب عليّ بن موسى الرضا، وهذا باطل قطعاً، لم يذكره المصنفون
 لأخبار معروف بالإسناد الثابت المتصل، كأبي نعيم، وأبي الفرج بن
 الجوزي في كتابه الذي صنّفه في فضائل معروف. ومعروف كان منقطعاً
 في الكرخ، وعليّ بن موسى كان المأمون قد جعله ولي العهد^(٢) بعده،
 وجعل شعاره لباس الخضرة، ثم رجع عن ذلك وأعاد شعار السواد.
 ومعروف لم يكن ممن يجتمع^(٣) بعليّ بن موسى، / ولا نقل عنه ثقة
 أنه اجتمع به، أو أخذ عنه شيئاً، بل ولا يُعرف أنه رآه، ولا كان معروف
 بوابه، ولا أسلم على يديه، وهذا كله كذب.

١٥٦/٤

وأما الإسناد الآخر، فيقولون: إن معروفاً صحب داود الطائي. وهذا
 أيضاً لا أصل له، وليس في أخباره المعروفة ما يُذكر فيها. وفي إسناد
 الخرقه أيضاً أن داود الطائي صحب حبيباً العجمي. وهذا أيضاً لم يُعرف
 له حقيقة.

(١) السقطي: زيادة في (م).

(٢) م: اجتمع.

(٣) ن، م: ولي العهد.

وفيهما أن حبيبا العجميَّ صحب الحسن البصري، وهذا صحيح، فإن الحسن كان له أصحاب كثيرون، مثل أيوب السخيتاني، ويونس بن عبيد، وعبدالله بن عوف، ومثل محمد بن واسع، ومالك بن دينار، وحبيب العجمي، وفرقد السبخي، وغيرهم من عبّاد البصرة.

وفيهما أن الحسن صحب عليّا، وهذا باطل باتفاق أهل المعرفة؛ فإنهم متفقون على أن الحسن لم يجتمع بعليّ، وإنما أخذ عن أصحاب عليّ: أخذ عن الأحنف بن قيس، وقيس بن عبّاد وغيرهما عن عليّ. وهكذا رواه أهل الصحيح.

والحسن وُلد لستين بقيتا من خلافة عمر، وقُتل عثمان وهو بالمدينة. كانت أمّه أُمّة لأم سلمة، فلما قُتل عثمان حُمِل إلى البصرة، وكان عليّ بالكوفة، والحسن في وقته صبي من الصبيان لا يُعرف ولا له ذكر^(١).

والأثر الذي يُروى عن عليّ أنه دخل إلى جامع البصرة وأخرج القصاص إلا الحسن، كذب باتفاق أهل المعرفة. ولكن المعروف أن عليّا دخل المسجد فوجد قاصّا يقص، فقال: ما اسمك؟ قال: أبويحيى. قال: هل^(٢) تعرف الناسخ من المنسوخ؟ قال: لا. قال:

(١) الحسن بن أبي الحسن بن يسار أبو سعيد البصري مولى زيد بن ثابت، ولد لستين بقيتا من خلافة عمر وتوفي سنة ١١٠. ذكر ابن أبي حاتم من صح له السماع عنهم ومن لم يصح له سماع عنهم ولم يذكر عليّا فيمن صح له السماع عنهم. انظر ترجمته في: الجرح والتعديل م ١ ق ٢ ص ٤٠-٤٢؛ تذكرة الحفاظ ١/ ٧١-٧٢؛ ميزان الاعتدال ١/ ٥٢٧؛ تهذيب التهذيب ٢/ ٢٦٣-٢٧٠.

(٢) هل: ساقطة من (س)، (ب).

هلكت وأهلك، إنما أنت أبو: اعرفوني^(١)، ثم أخذ بأذنه، فأخرجه^(٢)
من المسجد.

فروى أبو حاتم في كتاب «الناسخ والمنسوخ»^(٣): حدثنا الفضل بن
دكين^(٤)، حدثنا سفيان، عن أبي حصين، عن أبي عبد الرحمن السلمي
قال: انتهى عليّ إلى قاصّ وهو يقصّ، فقال: أعلمت الناسخ
والمنسوخ؟ قال: لا. قال: هلكت وأهلك.

قال: وحدثنا زهير بن عباد الرواسي، حدثنا أسد بن حمران^(٥)، عن
جوير، عن الضحاك: أن عليّ بن أبي طالب دخل مسجد الكوفة فإذا
قاصّ يقصّ، فقام على / رأسه فقال: يا هذا تعرف الناسخ من
المنسوخ؟ قال: لا. قال: أفتعرف مدني القرآن من مكّيّه؟ قال: لا.
قال: هلكت وأهلك. قال: أتدرون من هذا؟ هذا يقول: اعرفوني
اعرفوني اعرفوني.

وقد صنّف ابن الجوزي مجلداً في مناقب الحسن البصري^(٦)،

(١) ن: أبو عرفوني؛ م: أبو عن فولى، وهو تحريف.

(٢) م: وأخرجه؛ س، ب: فأخذه.

(٣) لم يذكر سزكين هذا الكتاب ضمن كتب أبي حاتم الرازي المخطوطة. انظر: سزكين م ١
ج ٢ ص ٢٩٨.

(٤) م: ذكين. وقال ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ٢٧٠/٨: «الفضل بن دكين وهو لقب
واسمه: عمرو بن حمّاد بن زهير بن درهم التيمي، مولى آل طلحة، أبو نعيم الملائني
الكوفي الأحول»، ثم ذكر ٢٧٥/٨ اختلاف الناس في سنة وفاته وهي ٢١٨ تقريباً.

(٥) م: بن حرّان.

(٦) وهو كتاب «فضائل الحسن البصري: أدبه حكمته نشأته... الخ» تأليف ابن الجوزي،

وصنّف أبو عبدالله محمد بن عبدالواحد المقدسى جزءاً فيمن لقيه من الصحابة^(١). وأخبار الحسن مشهورة فى مثل «تاريخ البخارى». وقد كتبت أسانيد الخرقه، لأنه كان لنا فيها أسانيد، فبيّنتها ليُعرف الحق من الباطل.

ولهم إسناد آخر^(٢) بالخرقة المنسوبة إلى جابر، وهو منقطع جداً. وقد عُقل بالنقل المتواتر أن الصحابة لم يكونوا يلبسون مريديهم خرقه، ولا يقصون شعورهم، ولا التابعون. ولكن هذا فعله بعض مشايخ المشرق من المتأخرين.

وأخبار الحسن مذكورة بالأسانيد الثابتة من كتب كثيرة، يعلم منها ما ذكرنا. وقد أفرّد^(٣) أبو الفرج بن الجوزى له كتاباً فى مناقبه وأخباره. وأضعف من هذا نسبة الفتوة إلى علىّ وفى إسنادهما من الرجال المجهولين الذين لا يُعرف لهم ذكر ما يبيّن كذبها.

وقد علم كلّ من له علم بأحوال الصحابة والتابعين أنه لم يكن فيهم أحد يلبس سراويل، ولا يسقى ملحاً، ولا يختص أحد بطريقة تسمى الفتوة، لكن كانوا قد اجتمع بهم التابعون، وتعلّموا منهم، وتادّبوا بهم، واستفادوا منهم، وتخرّجوا على أيديهم، وصحبوا من صحبوه منهم، وكانوا يستفيدون من جميع الصحابة.

طبع بالقاهرة سنة ١٣٥٠ ومعه نسخة خطية فى أيا صوفيا رقم ١٦٤٢، انظر سزكين ١ جـ

٤ ص ١٠.

(١) ب: من أصحابه.

(٢) م: أخرج.

(٣) س، ب: أسانيد آخر.

وأصحاب ابن مسعود كانوا يأخذون عن عمر وعلى وأبي الدرداء وغيرهم . وكذلك أصحاب معاذ بن جبل رضى الله عنه كانوا يأخذون عن ابن مسعود وغيره . وكذلك أصحاب ابن عباس يأخذون عن ابن عمر وأبي هريرة وغيرهما . وكذلك أصحاب زيد بن ثابت يأخذون عن أبي هريرة وغيره .

وقد انتفع بكل منهم من نفعه الله ، وكلهم متفقون على دين واحد وطريق واحدة وسبيل واحدة ، يعبدون الله ويطيعون الله / ورسوله^(١) ١٥٧/٤ صلى الله عليه وسلم ، ومن بلغهم من الصادقين عن النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً قبلوه ، ومن فهم من القرآن والسنة^(٢) ما دلّ عليه القرآن والسنة استفادوه ، ومن دعاهم إلى الخير الذى يحبه الله ورسوله أجابوه .

ولم يكن أحد منهم يجعل شيخه رباً يستغيث به ، كالإله الذى يسأله ويرغب إليه ، ويعبده ويتوكل عليه ، ويستغيث به حياً وميتاً . ولا كالنبي الذى تجب طاعته فى كل ما أمر ، فالحلال ما حلله والحرام ما حرّمه .

فإن هذا ونحوه دين النصارى الذين قال الله فيهم : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [سورة التوبة : ٣١] .

وكانوا متعاونين على البر والتقوى ، لا على الإثم والعدوان ، متواصين بالحق ، متواصين بالصبر .

(١) م : ويطيعون رسول الله . . .

(٢) س ، ب : من السنة والقرآن .

والإمام والشيخ ونحوهما عندهم بمنزلة الإمام فى الصلاة، وبمنزلة دليل الحاج. فالإمام يقتدى به المأمومون، فيصلّون بصلاته، لا يُصلّى عنهم^(١)، وهو يصلّى بهم الصلاة التى أمر الله ورسوله بها، فإن عدل عن ذلك سهواً أو عمدا لم يتبعوه.

ودليل الحاج يدلّ الوفد على طريق البيت ليسلكوه ويحجّوه بأنفسهم، فالدليل لا يحج عنهم، وإن أخطأ الدلالة لم يتبعوه. وإذا اختلف دليلان وإمامان نظر أيهما كان الحق معه اتبع. فالفاصل بينهم الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. [الآية [سورة النساء: ٥٩].

وكلّ من الصحابة الذين سكنوا الأمصار أخذ عنه الناس الإيمان والدين.

وأكثر المسلمين بالشرق والمغرب لم يأخذوا عن عليّ شيئا، فإنه - رضى الله عنه - كان ساكنا بالمدينة، وأهل المدينة لم يكونوا يحتاجون إليه إلا كما يحتاجون إلى نظرائه، كعثمان فى مثل قصة شاورهم^(٢) فيها عمر ونحو ذلك.

ولما ذهب إلى الكوفة، كان أهل الكوفة قبل أن يأتهم قد أخذوا الدين

(١) ن، س، ب: فيصلون فصلاته لا تصلى عنهم..

(٢) ن، س: قصة يشاورهم؛ ب: قضية يشاورهم.

عن سعد بن أبي وقاص، وابن مسعود، وحذيفة، وعمّار، وأبي موسى، وغيرهم ممن أرسله عمر إلى الكوفة.

وأهل البصرة أخذوا الدين عن عمران بن حصين، وأبي بكرة، وعبد الرحمن بن سمرة، وأنس، وغيرهم من الصحابة.

وأهل الشام أخذوا الدين عن معاذ بن جبل، وعبد الله بن الصامت، وأبي الدرداء، وبلال، وغيرهم من الصحابة.

والعباد والزهاد من أهل هذه البلاد أخذوا الدين عن شاهدوه من الصحابة. فكيف يجوز أن يقال: إن طريق أهل الزهد والتصوف متصل به دون غيره؟

وهذه كتب الزهد، مثل «الزهد» للإمام أحمد، و«الزهد» لابن المبارك، ولوكيع بن الجراح، ولهناد بن السري، ومثل كتب أخبار الزهاد «كحلية الأولياء» و«صفوة الصفوة» وغير ذلك، فيها من أخبار الصحابة والتابعين أمور كثيرة، وليس الذى فيها لعلّي أكثر مما فيها لأبي بكر وعمر ومعاذ وابن مسعود وأبي بن كعب وأبي ذر وأبي الدرداء وأبي أمامة وأمثالهم من الصحابة رضى الله عنهم أجمعين.

﴿فصل﴾

قال الرافضى^(١): «وأما علم الفصاحة / فهو منبعه، حتى

تابع كلام
الرافضى: علم
الفصاحة هو
منبعه

(١) فى (ك) ص ١٨٠ (م).

قيل : كلامه فوق^(١) كلام المخلوق ودون كلام الخالق ، ومنه تعلم الخطباء» .

والجواب: أن يقال: لا ريب أن علياً كان من أخطب الصحابة^(٢)، وكان أبو بكر خطيباً، وعمر خطيباً، وكان ثابت بن قيس بن شماس خطيباً معروفاً بأنه خطيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما كان حسان ابن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة شعراءه .

ولكن كان أبو بكر يخطب عن النبي صلى الله عليه وسلم في حضوره وغيبته، فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خرج في الموسم يدعو الناس إلى الإسلام، وأبو بكر معه يخطب معه، ويبين بخطابه ما يدعو الناس إلى متابعة النبي صلى الله عليه وسلم، ونبي الله ساكت يقره على ما يقول، وكان كلامه تمهيداً وتوطئة / لما يبلغه الرسول معونة له، لا تقدماً بين يدي الله ورسوله .

كما كان ثابت بن قيس بن شماس يخطب أحياناً عن النبي صلى الله عليه وسلم، وكان يسمى خطيب رسول الله .

وكان عمر من أخطب الناس، وأبو بكر أخطب منه يعترف له عمر بذلك^(٣)، وهو الذي خطب المسلمين وكشف لهم عن موت النبي صلى الله عليه وسلم، وثبت الإيمان في قلوب المسلمين، حتى لا يضطرب الناس لعظيم المصيبة التي نزلت بهم .

(١) ك: حتى قيل في كلامه إنه فوق...

(٢) م: الناس. (٣) س، ب: يعرف له عمر بذلك.

ولما قدم هو وأبو بكر مهاجرين إلى المدينة، قعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقام أبو بكر يخاطب^(١) الناس عنه، حتى ظن من لم يعرفهما أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى أن عرف بعد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القاعد.

وكان يخرج معه إلى الوفود، فيخاطب الوفود، وكان يخاطبهم في مغيبه. ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان هو الذي خطب الناس. وخطب يوم السقيفة خطبة بليغة انتفع بها الحاضرون كلهم، حتى قال عمر: «كنت قد زورت في نفسى مقالة أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدي أبي بكر، وكنت أدارى منه بعض الحدّ، فلما أردت أن أتكلّم قال أبو بكر: على رسلك. فكرهت أن أغضبه، فتكلّم أبو بكر، وكان أحلم^(٢) منى وأوفر، والله ما ترك من كلمة أعجبتنى في تزويرى إلا قال في بديهته مثلها أو أفضل منها»^(٣).

وقال أنس: خطبنا أبو بكر رضى الله عنه ونحن كالثعالب، فما زال يثبتنا حتى صرنا كالأسود.

وكان زياد بن أبيه من أخطب الناس وأبلغهم، حتى قال الشعبي: ما تكلم أحدٌ فأحسن، إلا تمنيت أن يسكت، خشية أن يزيد فيسىء، إلا زياداً، كان كلما أطال أجاد - أو كما قال. وقد كتب الناس خطب زياد.

(١) م: يخطب.

(٢) م: أحكم.

(٣) هذا جزء من حديث السقيفة، وسبق الكلام عليه فيما مضى ١/٥١٨، ٤/٣٦٥.

وكان معاوية خطيباً، وكانت عائشة من أخطب الناس، حتى قال الأحنف بن قيس: سمعت خطبة أبي بكر وعمر وعثمان وعليّ فما سمعت الكلام من مخلوق أفحم ولا أحسن من عائشة.

وكان الخطباء الفصحاء كثيرين في العرب قبل الإسلام وبعده. وجماهير هؤلاء لم يأخذوا عن عليّ شيئاً.

فقول القائل: «إنه منبع علم الفصاحة» كذب بَيِّن، ولو لم يكن إلا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أخطب منه وأفصح، ولم يأخذ منه شيئاً.

وليست الفصاحة التشدق في الكلام، والتعكير في الكلام^(١)، ولا سجع الكلام، ولا كان في خطبة عليّ ولا سائر خطباء العرب من الصحابة وغيرهم تكلف الأسجاع، ولا تكلف التحسين الذي يعود إلى مجرد اللفظ، الذي يُسمّى علم البديع، كما يفعله المتأخرون من أصحاب الخطب والرسائل والشعر.

وما يوجد في القرآن من مثل قوله: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [سورة الكهف: ١٠٤] و﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ [سورة العاديات: ١١] ونحو ذلك، فلم يتكلف لأجل التجانس، بل هذا تابع غير مقصود بالقصد الأول، كما يوجد في القرآن من أوزان الشعر، ولم يقصد به الشعر. كقوله تعالى: ﴿وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سورة سبأ: ١٣]،

(١) عبارة «والتعكير في الكلام»: ساقطة من (س)، (ب).

وقوله: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيَ أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [سورة الحجر: ٤٩]، ﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ﴾ [سورة الشرح: ٢، ٣]، ونحو ذلك.

وإنما البلاغة المأمور بها في مثل قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [سورة النساء: ٦٣]: هي علم المعاني والبيان، فيذكر^(١) من المعاني ما هو أكمل مناسبة للمطلوب، ويذكر^(٢) من الألفاظ ما هو أكمل في بيان تلك المعاني.

فالبلاغة بلوغ غاية المطلوب، أو غاية الممكن، من المعاني بآتم ما يكون من البيان، فيجمع صاحبها بين تكميل المعاني المقصودة، وبين تبينها بأحسن وجه. ومن الناس من تكون همته إلى المعاني، ولا يوفيها حقها من الألفاظ الميَّنة. ومن الناس من يكون ميَّنا لما في نفسه^(٣) من المعاني، لكن لا تكون تلك المعاني محصلة للمقصود المطلوب في ذلك المقام، فالمخبر مقصوده تحقيق المخبر به، فإذا بيَّنه^(٤) ويَّين ما يحقق ثبوته، لم يكن بمنزلة الذي لا يحقق ما يخبر به، أو لا يبيِّن ما يُعلم به ثبوته.

والأمر مقصوده تحصيل الحكمة المطلوبة، فمن أمر ولم يُحكَمْ ما أمر به، أو لم يبيِّن الحكمة في ذلك، لم يكن بمنزلة الذي أمر بما هو حكمة، ويَّين وجه الحكمة فيه.

وأما تكلف الأسجاع والأوزان، والجناس والتطبيق، ونحو ذلك مما

(٣) م : نطقه.

(٤) م : أثبته.

(١) ن، س : فنذكر.

(٢) ن، س : ونذكر.

١٥٩/٤ تكلفه / متأخرو الشعراء والخطباء والمترسلين والوعاظ ، فهذا لم يكن
من دأب خطباء / الصحابة والتابعين ، والفصحاء منهم ، ولا كان ذلك
مما يهتم به^(١) العرب .

وغالب من يعتمد ذلك يزخرف اللفظ بغير فائدة مطلوبة من المعانى ،
كالمجاهد الذى يزخرف السلاح وهو جبان .

ولهذا يُوجد الشاعر، كلما أمعن فى المدح والهجو، خرج فى ذلك
إلى الإفراط فى الكذب، يستعين بالتخيّلات والتمثيلات^(٢) .

وأيضاً فأكثر الخطب التى ينقلها صاحب «نهج البلاغة» كذبٌ على
على . وعلى - رضى الله عنه - أجل وأعلى قدراً من أن يتكلّم بذلك
الكلام ، ولكن هؤلاء وضعوا أكاذيب وظنوا أنها مدح ، فلا هى صدق ولا
هى مدح . ومن قال : إن كلام علىّ وغيره من البشر فوق كلام
المخلوق ، فقد أخطأ . وكلام النبى صلى الله عليه وسلم فوق كلامه ،
وكلاهما مخلوق .

ولكن هذا من جنس كلام ابن سبعين الذى يقول : هذا كلام بشير^(٣)
يشبه بوجه ما كلام البشر ، وهذا ينزع إلى أن يجعل كلام الله ما فى
نفوس البشر . وليس هذا من كلام المسلمين .

وأيضاً فالمعانى الصحيحة التى توجد فى كلام علىّ موجودة فى كلام
غيره ، لكن صاحب «نهج البلاغة» وأمثاله أخذوا كثيراً من كلام الناس

(١) م : مما يهتم به . .

(٢) ب : أو التمثيلات .

(٣) م : تبشير؛ ب : بشر .

فجعلوه من كلام عليّ، ومنه ما يُحكى عن عليّ أنه تكلم به، ومنه ما هو كلام حقّ يليق به أن يتكلم به، ولكن هو في نفس الأمر من كلام غيره. ولهذا يوجد في كلام «البيان والتبيين» للجاحظ وغيره من الكتب كلام منقول عن غير عليّ، وصاحب «نهج البلاغة» يجعله عن عليّ. وهذه الخطب المنقولة في كتاب «نهج البلاغة» لو كانت كلّها عن عليّ من كلامه، لكانت موجودة قبل هذا المصنّف، منقولة عن عليّ بالأسانيد وبغيرها. فإذا عرّف من له خبرة بالمنقولات أن كثيراً منها - بل أكثرها - لا يُعرف قبل هذا، علّم أن هذا كذب، وإلا فليُبين الناقل لها في أي كتاب ذكر ذلك؟ ومن الذي نقله عن عليّ؟ وما إسناده؟ وإلا فالدعوى المجردة لا يعجز عنها أحد.

ومن كان له خبرة بمعرفة طريقة أهل الحديث، ومعرفة الآثار والمنقول بالأسانيد، وتبيّن صدقها من كذبها، علّم أن هؤلاء الذين ينقلون مثل هذا عن عليّ من أبعد الناس عن المنقولات، والتميز بين صدقها وكذبها.

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١) : «وقال^(٢) : سلوني قبل أن تفقدوني ، سلوني عن طرق السماء فإنني أعلم بها من طرق الأرض» .

تابع كلام
الرافضي قال
عليّ : سلوني
قبل أن
تفقدوني
الخ

(١) في (ك) ص ١٨٠ (م).

(٢) ك : وقال عليه الصلاة والسلام .

والجواب أن يقال: لاريب أن علياً لم يكن يقول هذا بالمدينة، بين المهاجرين والأنصار، الذين تعلّموا كما تعلم، وعرفوا كما عرف. وإنما قال هذا لما صار إلى العراق، وقد دخل في دين الإسلام خلق كثير، لا يعرفون كثيرا من الدين، وهو الإمام الذي يجب عليه أن يفتيهم ويعلمهم، فكان يقول لهم ذلك ليعلّمهم ويفتيهم، كما أن الذين تأخرت حياتهم من الصحابة، واحتاج الناس إلى علمهم، نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث كثيرة لم ينقلها الخلفاء الأربعة ولا أكابر الصحابة، لأن أولئك كانوا مستغنيين عن نقلها، لأن الذين عندهم قد علموها كما علموها.

ولهذا يروى لابن عمر وابن عباس وعائشة وأنس وجابر وأبي سعيد، ونحوهم من الصحابة، من الحديث ما لا يروى لعليّ ولا لعمر. وعمر وعليّ أعلم من هؤلاء كلهم، لكن هؤلاء احتاج الناس إليهم، لكونهم تأخرت وفاتهم، وأدركهم من لم يدرك أولئك السابقين، فاحتاجوا أن يسألوهم، واحتاج أولئك أن يعلموهم ويحدّثوهم.

فقول عليّ لمن عنده بالكوفة: «سلوني» هو من هذا الباب، لم يقل هذا لابن مسعود ومعاذ وأبيّ بن كعب وأبي الدرداء وسلمان وأمثالهم، فضلا عن أن يقول ذلك لعمر وعثمان.

ولهذا لم يكن هؤلاء ممن يسأله، فلم يسأله قط لا معاذ ولا أبيّ ولا ابن مسعود، ولا من هو دونهم من الصحابة، وإنما كان يستفتيه المستفتي، كما يستفتي أمثاله من الصحابة، وكان عمر وعثمان /

يشاورانه كما يشاوران أمثاله ، فكان عمر يشاور في الأمور لعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبي موسى وغيرهم ، حتى كان يدخل ابن عباس معهم ، مع صغر سنه . وهذا مما أمر الله به المؤمنين ومدحهم عليه بقوله : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة الشورى : ٣٨] .

ولهذا كان رأى عمر وحكمه وسياسته من أسدّ الأمور ، فما رأى بعده مثله [قط^(١)] ، ولا ظهر الإسلام وانتشر وعزّ كظهوره وانتشاره وعزّه في زمنه . وهو الذى كسّر كسرى ، وقصر قيصر والروم والفرس ، وكان أميره الكبير على الجيش الشامى أبا عبيدة ، وعلى الجيش العراقى سعد بن أبى وقاص ، ولم يكن لأحد - بعد أبى بكر - مثل خلفائه ونوابه وعمّاله وجنده وأهل شوراه .

التعليق على
قوله : أنا أعلم
بطرق السماء ..
الخ

وقوله : «أنا أعلم بطرق السماء من طرق الأرض» .

كلام باطل لا يقوله عاقل ، ولم يصعد أحد ببذنه إلى السماء من الصحابة والتابعين ، وقد تكلم الناس فى معراج / النبى صلى الله عليه وسلم : هل هو ببذنه أو بروحه ؟ وإن كان الأكثرون على أنه ببذنه ، فلم ينازع السلف فى غير النبى صلى الله عليه وسلم أنه لم يعرج ببذنه . ومن اعتقد هذا من الغلاة فى أحد من المشايخ وأهل البيت فهو من الضلال ، من جنس من اعتقد من الغلاة فى أحد من هؤلاء النبوة ، أو ماهو أفضل من النبوة ، أو الإلهية .

(١) قط : زيادة فى (م) .

وهذه المقالات كلها كفر بَيِّنٌ، لا يَشْتَرِبُ في ذلك أحد من علماء الإسلام. وهذا كاعتقاد الإسماعيلية، أولاد ميمون القَدَّاح، الذين كان جَدُّهم يهوديا ربيا لمجوسى، وزعموا أنهم أولاد محمد بن إسماعيل بن جعفر، واعتقد كثير من أتباعهم فيهم الإلهية أو النبوة، وأن محمد بن إسماعيل بن جعفر نسخ شريعة محمد صلى الله عليه وسلم.

وكذلك طائفة من الغلاة يعتقدون الإلهية أو النبوة فى على وفى بعض أهل بيته: إما الاثنا عشر وإما غيرهم.

وكذلك طائفة من العامة والنسك يعتقدون فى بعض الشيوخ نوعاً من الإلهية أو النبوة، أو أنهم أفضل من الأنبياء، [ويجعلون خاتم الأولياء أفضل من خاتم الأنبياء]^(١)، وكذلك طائفة من هؤلاء يجعلون الأولياء أفضل من الأنبياء.

ويعتقد ابن عربى ونحوه أن خاتم الأنبياء يستفيد من خاتم الأولياء، وأنه هو خاتم الأولياء.

ويعتقد طائفة أخرى أن الفيلسوف الكامل أعلم من النبى بالحقائق العلمية والمعارف الإلهية.

فهذه الأقوال ونحوها هى من الكفر المخالف لدين الإسلام باتفاق أهل الإسلام، ومن قال منها شيئاً فإنه يُسْتَتَابُ منه، كما يستتاب نظراؤه

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م) فى هذا الموضع، ووردت هذه العبارات بعد قليل فيهما.

ممن يتكلم بالكفر، كاستتابة المرتد إن كان مظهرًا لذلك، وإلا كان داخلًا في مقالات أهل الزندقة والنفاق.

وإن قُدِّرَ أن بعض الناس خَفِيَ عليه مخالفة ذلك لدين الإسلام: إما لكونه حديث عهد بالإسلام، أو لنشأته بين قوم جهال يعتقدون مثل ذلك - فهذا بمنزلة من يجهل وجوب الصلاة أو بعضها، أو يرى الواجبات تجب على العامة دون الخاصة، وأن المحرمات - كالزنا والخمر - مباح للخاصة دون العامة.

وهذه الأقوال قد وقع في كثير منها كثير من المنتسبين إلى التشيع، والمنتسبين إلى كلام أو تصوف أو تفلسف. وهي مقالات باطلة معلومة البطلان عند أهل العلم والإيمان، لا يخفى بطلانها على من هو من أهل الإسلام والعلم.

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١): «وإليه يرجع^(٢) الصحابة في مشكلاتهم، وردَّ عمر في قضايا كثيرة، قال^(٣) فيها: لولا على لهلك عمر». **والجواب:** أن يقال: ما كان الصحابة يرجعون إليه ولا إلى غيره وحده في شيء من دينه: لا واضححه ولا مشكله، بل كان إذا نزلت النازلة

تابع كلام
الرافضي: وإليه
يرجع الصحابة
في مشكلاتهم...
الخ

الرد عليه

(١) في (ك) ص ١٨٠ (م).

(٢) ك: وإليه عليه السلام رجع..

(٣) ك: وقال.

يشاورهم عمر رضى الله عنه، فيشاور عثمان وعليًا وعبدالرحمن وابن مسعود وزيد بن ثابت وأبا موسى، حتى يشاور ابن عباس، وكان من أصغرهم سنًا. وكان السائل يسأل عليًا تارة، وأبي بن كعب تارة، وعمر تارة.

١٦١/٤ وقد سُئل ابن عباس أكثر مما سُئل عليّ، وأجاب / عن المشكلات أكثر من عليّ، وما ذاك لأنه أعلم منه، بل عليّ أعلم منه، لكن احتاج إليه من لم يدرك عليًا.

فأما أبو بكر رضى الله عنه فما ينقل عنه أحد أنه استفاد من عليّ شيئاً من العلم، والمنقول أن عليًا هو الذى استفاد منه، كحديث صلاة التوبة^(١) وغيره.

وأما عمر فكان يشاورهم كلهم، وإن كان^(٢) عمر أعلم منهم. وكان كثير من القضايا يقول فيها أولاً ثم يتبعونه، كالعمريتين والعول وغيرهما؛ فإن عمر هو أول من أجاب فى زوج وأبوين، أو امرأة^(٣) وأبوين بأن للأمم ثلث الباقي، وأتبعه أكابر الصحابة وأكابر الفقهاء، كعثمان وابن مسعود

(١) سبق الكلام على حديث صلاة التوبة فيما مضى ٥١٣/٥ وذكرت هناك مكانه فى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجه والمسند، وأوله (وهذا نصه فى سنن أبى داود): كنت رجلاً إذا سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثاً نفعتنى الله منه بما شاء أن ينفعتنى، وإذا حدثنى أحد من أصحابه استخلفتة، فإذا حلف لى صدقته. قال: وحدثنى أبو بكر، وصدق أبو بكر رضى الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم... الحديث.

(٢) ن، س، ب: وكان.

(٣) ن، م: وامرأة.

وعلى وزيد والأئمة الأربعة. وخفى وجه قوله على ابن عباس، فأعطى الأم الثلث، ووافقه طائفة. وقول عمر أصوب، لأن الله إنما أعطى الأم الثلث إذا ورثه أبواه.

كما قال: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ﴾ [سورة النساء: ١١]، فأعطاهما الثلث إذا ورثه أبواه، والباقي بعد فرض الزوجين هو ميراث بين الأبوين^(١) يقتسمانه كما اقتسما الأصل، كما لو كان على الميت دين أو وصية فإنهما يقتسمان ما يبقى أثلاثاً.

وأما قوله: «إنه رد عمر إلى قضايا كثيرة قال فيها: لولا على لهلك عمر».

الرد على قوله:
إن علياً رد عمر
إلى قضايا
كثيرة... الخ

فيقال: هذا لا يُعرف أن عمر قاله إلا في قضية واحدة، إن صح ذلك. وكان عمر يقول مثل هذا لمن هو دون على.

قال للمرأة التي عارضته في الصداق: رجل أخطأ وامرأة أصابت. وكان قد رأى أن الصداق ينبغي أن يكون مقدراً بالشرع، فلا يُزاد على صداق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم وبناته، كما رأى كثير من الفقهاء أن أقله مقدّر بنصاب السرقة. وإذا كان مقدراً بالشرع، والفاضل قد بذله الزوج واستوفى عوضه^(٢)، والمرأة لا تستحقه، فيُجعل في بيت المال كما يجعل في بيت المال ثمن^(٣) عصير الخمر إذا باعه المسلم،

(١) ن: هو من ميراث بين الأبوين؛ م: هو من ميراث الزوجين هو من ميراث الأبوين.

(٢) م: عرضه، وهو تحريف.

(٣) س: فيجعل في بيت المال ثمن...؛ ب: فيجعل في بيت المال كثر...

وأجرة من أجر نفسه لحمل الخمر، ونحو ذلك، على أظهر أقوال العلماء.

فإن من استوفى منفعة محرمة بعوضها، كالذى يزنى بالمرأة بالجعل، أو يستمتع الملاهى / بالجعل، أو يشرب الخمر بالجعل، إن أعيد إليه جعله بعد قضاء غرضه، فهذا زيادة فى إعانته على المعصية، فإن كان يطلبها بالعوض، فإذا حصلت له هى والعوض، كان ذلك أبلغ فى إعانته على الإثم والعدوان، وإن أُعطى ذلك للبايع والمؤجر، كان قد أبيح له العوض الخبيث، فصار مصروف^(١) هذا المال فى مصالح المسلمين.

وعمر إمام عدل، فكان قد رأى أن الزائد على المهر الشرعى يكون هكذا، فعارضته امرأة وقالت: لِمَ تمنعنا شيئاً أعطانا الله إياه فى كتابه؟ فقال: وأين فى كتاب الله؟ فقالت: فى قوله تعالى ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قَنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾ [سورة النساء: ٢٠]، ورؤى أنها قالت له: أمنك نسمع أم من كتاب الله تعالى؟ قال: بل من كتاب الله. فقرأت عليه الآية، فقال: رجل أخطأ وامرأة أصابت^(٢).

(١) ب : مصرف.

(٢) ذكر هذا الأثر ابن كثير فى تفسيره لآية ٢٠ من سورة النساء (ط . الشعب ٢/٢١٢-٢١٣) وأشار إلى رواية الإمام أحمد والترمذى للحديث ولكن من غير مناقشة المرأة لعمر رضى الله عنه، ثم روى الخبر كاملاً وفيه اعتراض امرأة من قريش على عمر رضى الله عنه، وقال بعده: «إسناده جيد قوى» ثم ذكر طريقين آخرين لهذا الأثر. والأثر من غير الزيادة المذكورة فى المسند (ط المعارف) الأرقام ٢٨٥، ٢٨٧، ٣٤٠، وهو فى سنن أبى داود والترمذى وابن ماجة والمستدرك والسنن الكبرى للبيهقى (انظر تعليق أحمد شاكر رحمه الله ٢/٢٧٧-٢٧٨). وانظر كلامى عليه فيما سبق ٧٤/٤ (ت ٤).

ومع هذا فقد أخبر النبي ^(ص) صلى الله عليه وسلم [فى حق عمر] ^(١) من العلم والدين والإلهام، بما لم يخبر بمثله، لا فى حق عثمان ولا على ولا طلحة ولا الزبير ^(٢).

وفى الترمذى عن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه» ^(٣).

قال ^(٤): وقال ابن عمر: ما نزل بالناس أمر قط، فقالوا فيه، وقال عمر فيه، إلا نزل فيه القرآن على نحو ما قال عمر.

وفى سنن أبى داود عن أبى ذر قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله وضع الحق على لسان عمر يقول به» ^(٥).

وفى الترمذى عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لو كان بعدى نبي لكان عمر» ^(٦).

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد كان فيمن كان قبلكم من الأمم ناس» ^(٧) محدثون من غير أن

(١) ب (فقط): فقد أخبر عنه النبي...

(٢) فى حق عمر: ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

(٣) س، ب: ولا فى الزبير.

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٦/٦.

(٥) أى الترمذى بعد الحديث السابق مباشرة فى سننه ٢٨٠/٥.

(٦) الحديث عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ١٩١/٣-١٩٢ (كتاب الخراج والإمارة والفتى)، باب فى تدوين العطاء.

(٧) سبق هذا الحديث فيما مضى ٦٨/٦.

(٨) ناس: ليست فى (م).

يكونوا أنبياء، فإن يكن في أمتي أحدٌ فعمر»^(١). قال ابن وهب: تفسير محدّثون: ملهمون. وقال ابن عيينة: محدّثون: أي مفهمون.

وفى الصحيحين عن أبي سعيد قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «بيننا أنا نائم رأيت الناس يعرضون وعليهم قمص، فمنها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعُرض على عمر وعليه قميص يجره». قالوا: فما أولته يارسول الله؟ قال: «الدين»^(٢).

١٦٢/٤ وفى الصحيحين عن ابن عمر / قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بيننا أنا نائم أتيت بقدح لبن فشربت منه، حتى أنى لأرى^(٣) الرّى يخرج من تحت أظفارى، ثم أعطيت فضلى عمر بن الخطاب». «قال من حوله: فما أولت ذلك يارسول الله؟ قال: «العلم»^(٤).

وفى الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا ابن الخطاب»، والذي نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك»^(٥).

وفى الصحيحين عن أنس أن عمر قال: وافقت ربي في ثلاث.

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٠/٦.

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢١/٦.

(٣) س، ب: أرى.

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢١/٦.

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٥/٦.

قلت: لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى. فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ [سورة البقرة: ١٢٥] وقلت: يارسول الله: يدخل على نساك البر والفاجر، فلو أمرتهن يحتجبن. فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي صلى الله عليه وسلم في الغيرة، فقلت: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنْ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ﴾ [سورة التحريم: ٥] فنزلت كذلك^(١).

وهذا الباب في فضائل عمر كثير جدا.

وأما قصة الحكومة في الأرغفة^(٢)، فهي مما يحكم فيها - وما هو أدق منها - من هو^(٣) دون علي. وللفقهاء في تفاريع مسائل القضاء والقسمة وغير ذلك من الدقائق ما هو أبلغ من هذه، وليسوا مثل علي. وأما مسألة القرعة^(٤) فقد رواها أحمد وأبو داود عن زيد بن أرقم^(٥)،

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٢/٦.

(٢) لم يذكر ابن تيمية فيما سبق هذه القصة، وكلام ابن المطهر عنها في (ك) ص ١٨٠ (م) هو كما يلي: «وأوضح كثيرا من المشكلات: جاء إليه شخصان، كان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة، فجلسا يأكلان فجاءهما ثالث وشاركهما، فلما فرغوا رمى إليهما ثمانية دراهم، فطلب صاحب الأكثر خمسة، فأبى عليه صاحب الأقل، فتخاصما ورجعا إلى علي عليه السلام، فقال: قد أنصفك. فقال: يا أمير المؤمنين عليه السلام إن حقى أكثر وأنا أريد منه الحق، فقال: إذا كان كذلك فخذ درهما واحداً وأعطه الباقي».

(٣) عبارة «من هو»: ساقطة من (س)، (ب).

(٤) قال ابن المطهر في (ك) ص ١٨١ (م): «واقف مالكان جارية لهما في طهر واحد فحملت، فأشكل الحال، فترافعا إليه عليه السلام، فحكم بالقرعة، فصوره رسول الله صلى الله عليه وآله، وقال: الحمد لله الذي جعل فينا أهل البيت من يقضى على سنن داود عليه السلام؛ يعنى به القضاء بالإلهام».

(٥) الحديث عن زيد بن أرقم رضى الله عنه في: سنن أبى داود ٣٧٦/٢-٣٧٧ (كتاب الطلاق، باب من قال بالقرعة إذا تنازعا في الولد) ونصه: «عن زيد بن أرقم قال: كنت جالسا

لكن جمهور الفقهاء لا يقولون بهذه، وأما أحمد فنقل عنه تضعيف^(١) الخبر فلم يأخذ به، وقيل: أخذ به. وأحمد أوسع الأئمة أخذاً بالقرعة، وقد أخذ بقضاء عليّ في الزينة^(٢)، وحديثها أثبت من هذا، رواه سماك ابن حرب، وأخذ به أحمد^(٣). وأما الثلاثة فما بلغهم لا هذا ولا هذا، أو بلغهم ولم يثبت عندهم. وكان عند أحمد من العلم بالآثار، ومعرفة صحتها من سقمها، ما ليس لغيره.

(١) م، س، ب: بضعف.

(٢) ن: الرية؛ م: بيته؛ س، ب: الرتبة. والصواب ما أثبتته. والزينة - كما شرحها الشيخ أحمد شاكر رحمه الله - : حفيرة تحفر للأسد والصيد، ويغطي رأسها بما يسترها ليقع فيها.

(٣) الحديث في المسند (ط . المعارف) ٢/٢٤، ٢٥، ٢٣٦، ٣٢٧-٣٢٨ ونصه (٢/٢٤): حدثنا أبو سعيد، حدثنا إسرائيل، حدثنا سَمَّاك، عن حنش، عن عليّ قال: بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، فانتبهنا إلى قوم قد بنوا زينةً للأسد، فبينما هم كذلك يتدافعون إذ سقط رجل، فتعلق بآخر، ثم تعلق رجل بآخر، حتى صاروا فيها أربعة، فجرحهم الأسد، فانتدب له رجلٌ بحرية فقتله، وماتوا من جراحاتهم كلهم، فقاموا أولياء الأول إلى أولياء الآخر، فأخرجوا السلاح ليقتلوا، فأتاهم عليّ على تفيئة ذلك، فقال: تريدون أن تقاتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم حي؟! إني أقضى بينكم قضاءً إن رضيتم فهو القضاء، وإلا حُجِز بعضكم عن بعض حتى تأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فيكون هو الذي يقضى بينكم، فمن عَدَا بعد ذلك فلا حقَّ له، اجمعوا من قبائل الذين حَفَرُوا البئرَ رُيْعَ الدية وثُلث الدية ونصف الدية والدية كاملة، فلأول الربيع، لأنه هلك مَنْ فوقه، وللثاني ثُلث الدية، وللثالث نصف الدية، فأبوا أن يرضوا. فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو عند مقام إبراهيم فقصوا عليه القصة، فقال: أنا أقضى بينكم، واحتسب، فقال رجل من القوم: إن علينا قضي بيننا، فقصوا عليه القصة، فأجازهم رسول الله صلى الله عليه وسلم.

صحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله سند الحديث في مواضعه الأربعة، وقال في شرحه: «على تفيئة ذلك: أي على أثره». وقال: «والحديث في مجمع الزوائد ٦/٢٨٧».

وهذا يدل على فضل علىّ، ولا نزاع في هذا، لكن لا يدل علىّ أنه أقضى الصحابة.

وأما قوله: «معرفة القضايا بالإلهام»^(١) فهذا خطأ؛ لأن الحكم بالإلهام بمعنى أنه من أُلهم أنه صادق حَكَمَ بذلك بمجرد الإلهام، فهذا^(٢) لا يجوز في دين المسلمين.

وفي الصحيح عن أم سلمة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إنكم تختصمون إليّ، ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، وإنما أقضى بنحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه، فإنما أقطع له قطعة من النار»^(٣). فأخبر أنه يقضى بالسمع لا بالإلهام، فلو كان الإلهام طريقاً لكان النبي صلى الله عليه وسلم أحق بذلك، وكان الله يوحى إليه معرفة صاحب الحق، فلا يحتاج إلى بيّنة ولا إقرار، ولم يكن ينهى أحداً أن يأخذ مما يُقضى له. ولما حكم في اللعان بالفرقة قال: «إن جاءت به كذا فهو للزوج، وإن جاءت به كذا فهو للذي رميت به» فجاءت به على النعت المكروه، فقال: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»^(٤)

(١) وهو قوله الذي ذكرناه في التعليق الأسبق «... من يقضى على سنن داود عليه السلام، يعنى به القضاء بالإلهام».

(٢) س، ب : وهذا.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤١٢/٦.

(٤) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما في: البخارى ١٠٠/٦ - ١٠١ (كتاب التفسير، سورة النور، باب ويدراً عنها العذاب...) وأرّله: «أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي صلى الله عليه وسلم بشريك بن سحماء... الحديث وفيه... فقال النبي صلى الله عليه

فأنفذ الحكم باليمين، ولم يحكم بالبينة^(١).

وأما إن قيل: إنه يُلهم الحكم الشرعى؛ فهذا لا بد فيه من دليل شرعى، لا يجوز الحكم / بمجرد الإلهام؛ فإن الذى ثبت بالنص أنه كان ملهماً هو عمر بن الخطاب، كما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قد كان فى الأمم قبلكم محدثون، فإن يكن فى أمتى فعمرو» ومع هذا فلم يكن يجوز لعمر أن يفتى ولا يقضى ولا يعمل بمجرد ما يُلقى فى قلبه، حتى يعرض ذلك على الكتاب والسنة، فإن وافقه قبله، وإن خالفه رده.

وأما ما ذكره من الحكومة فى البقرة التى قتلت حماراً^(٢)، فهذا

وسلم: «أبصروها فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين فهو لشريك ابن سحماء فجاءت به كذلك، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «لولا ما مضى من كتاب الله لكان لى ولها شأن». والحديث فى: سنن أبى داود ٣٦٩/٢-٣٧٠ (كتاب الطلاق، باب فى اللعان)؛ سنن الترمذى ١٢/٥-١٣ (كتاب التفسير، سورة النور)؛ سنن ابن ماجه ١/٦٦٨ (كتاب الطلاق، باب اللعان). وانظر: نيل الأوطار ٦٧/٧-٦٨.

(١) ب: بالشبهة. (٢) سبق هذا الحديث قبل قليل.

(٣) لم يذكر ابن تيمية قبل هذه الواقعة واقعة أخرى ذكرها ابن المطهر فى (ك) ص ١٨١ (م) ونص كلامه: «وركبت جارية جارية أخرى فنخستها نائلة، فوقعت الراكبة فماتت، ففضى عليه السلام بثلاثى ديتها على النأخسة والقامصة، وصوّبه النبى صلى الله عليه وآله». وأما قصة البقرة فهى فى نفس الصفحة ونصها: «وقتل بقرة حماراً، فترافع المالكان إلى أبى بكر، فقال: بهيمة قتلت بهيمة، لا شىء على ربّها. ثم مضى إلى عمر، ففضى بذلك أيضاً. ثم مضى إلى على عليه السلام فقال: إن كانت البقرة دخلت على الحمار فى منامه، فعلى ربّها قيمة الحمار لصاحبه، وإن كان الحمار دخل على البقرة فى منامها فقتلته، فلا غرم على صاحبها. فقال النبى صلى الله عليه وآله: لقد قضى على بن أبى طالب عليه السلام بينكما بقضاء الله عز وجل».

الحديث لا يُعرف، وليس هو فى شىء من كتب الحديث والفقه، مع احتياج الفقهاء فى هذه المسألة إلى نصٍّ، ولم يَذكر له إسناداً، فكيف يُصدّق بشىء لا دليل على صحته؟ بل الأدلة المعلومة تدلّ على انتفائه.

ومع هذا فهذا الحكم الذى نقله عن علىّ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم أقرّه، إذا حُمِل على ظاهره كان مخالفاً لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم ثبت عنه أنه قال: «العجماء جُبَّارٌ» وهذا فى الصحيحين وغيرهما، واتفق العلماء على صحته وتلقّيه بالقبول^(١)، والتصديق والعمل به.

والعجماء تأنّث أعجم، وكل بهيمة فهى عجماء، كالبقرة والشاة وغيرهما. وهذه إذا كانت ترعى فى المراعى / المعتادة، فأفلتت نهراً ١٦٣/٤ من غير تفريط من صاحبها، حتى دخلت على حمار فأفسدته، أو

(١) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: البخارى ١٣٠/٢ (كتاب الزكاة، باب فى الركاز الخمس) ونصه: «العجماء جُبَّارٌ، والبشر جُبَّار، والمعدن جُبَّار، وفى الركاز الخمس». وجاء الحديث فى مواضع أخرى فى البخارى (انظر فتح البارى، الأرقام ٢٣٥٥، ٦٩١٢، ٦٩١٣). وقال ابن حجر فى «فتح البارى» ٢٥٥/١٢: «العجماء... البهيمة... جُبَّار: بضم الجيم وتخفيف الموحدة، هو الهدر الذى لا شىء فيه، كذا أسنده ابن وهب عن ابن شهاب، وعن مالك: ما لادية فيه، أخرجه الترمذى... وقال الترمذى: فسّر بعض أهل العلم، قالوا: العجماء الدابة المنفلتة من صاحبها، فما أصابت من انفلاتها فلا غرم على صاحبها. والحديث فى: مسلم ١٣٣٤-١٣٣٥ (كتاب الحدود، باب جرح العجماء...); سنن أبى داود ٢٧٣/٤ (كتاب الديات، باب العجماء والمعدن والبشر جُبَّار); سنن الترمذى ٧٧/٢ (كتاب الزكاة، باب ما جاء أن العجماء جرحها جُبَّار...); سنن النسائى ٣٣/٥-٣٤ (كتاب الزكاة، باب المعدن). والحديث فى سنن ابن ماجه ومسنده أحمد وموطأ مالك.

أفسدت زرعاً، لم يكن على صاحبها ضمان باتفاق المسلمين، فإنها عجماء لم يفرط صاحبها.

وأما إن كانت خرجت بالليل، فعلى صاحبها الضمان عند أكثر العلماء، كمالك والشافعي وأحمد، لقصة سليمان بن داود في النفس^(١)، ولحديث ناقة البراء بن عازب، فإنها دخلت حائطاً فأفسدته، فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن على أهل المواشى ما أفسدت مواشيهن بالليل، وقضى على أهل الحوائط^(٢) بحفظ حوائطهم^(٣).

(١) الإشارة هنا إلى قوله تعالى: ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين﴾ ففهمناها سليمان... [سورة الأنبياء: ٧٨، ٧٩]. وذكر ابن كثير في تفسيره للآيتين ما رواه الطبري عن ابن مسعود وابن عباس، ثم أورد ما رواه ابن أبي حاتم بسنده عن مسروق قال: «الحرث الذي نفشت فيه الغنم إنما كان كرماً نفشت فيه الغنم، فلم تدع فيه ورقة ولا عتقوداً من عنب إلا أكلته، فأتوا داود، فأعطاهم رقابها، فقال سليمان: لا، بل تؤخذ الغنم فيعطاهم أهل الكرم، فيكون لهم لبنها ونفعها، ويُعطى أهل الغنم الكرم فيصلحوه ويعمره حتى يعود كالذي كان ليلة نفشت فيه الغنم، ثم يعطى أهل الغنم غنمهم، وأهل الكرم كرمهم. وهكذا قال شريح ومرة ومجاهد وقتادة وابن زيد وغير واحد».

ونفشت فيه غنم القوم، قال ابن قتيبة في «تفسير غريب القرآن» (ص ٢٨٧): رعت ليلاً.

(٢) م: الحائط.

(٣) الحديث عن حرام بن مَحِيصَة عن أبيه، وعن حرام بن مَحِيصَة عن البراء بن عازب رضى الله عنه في: سنن أبي داود ٤٠٣/٣ - ٤٠٤ (كتاب البيوع والإيجارات، باب المواشى تفسد زرع قوم (الحديثان رقم ٣٥٦٩، ٣٥٧٠)؛ سنن ابن ماجه ٧٨١/٢ (كتاب الأحكام، باب الحكم فيما أفسدت المواشى)؛ الموطأ ٧٤٧/٢ - ٧٤٨ (كتاب الأقضية، باب القضاء في الضواري والحريسة). وقال المحقق رحمه الله: «قال ابن عبد البر: هكذا رواه مالك وأصحاب ابن شهاب عنه مرسلًا، والحديث من مراسيل الثقات، وتلقاه أهل

وذهب أبو حنيفة وابن حزم وغيرهما إلى أنه لا ضمان في ذلك، وجعلوها داخلة في العجماء. وضعف بعضهم حديث ناقة البراء^(١).
وأما إن كان صاحبها اعتدى، وأرسلها في زرع قوم، أو بقرب زرعهم^(٢)، أو أدخلها إلى اصطبل الحمار بغير إذن صاحبه فأتلفتها، فهذا يضمن لعدوانه^(٣).

فهذه قضية البقرة والحمار، إن كان صاحب البقرة لم يفرط، فالتفريط

الحجاز، وطائفة من أهل العراق، بالقبول، وجرى عمل أهل المدينة عليه. قلت أخرجه أبو داود موصولا في ٤٠٠٠. والحديث أيضا في: المسند (ط. الحلبي) ٢٩٥/٤، ٤٣٧، ٤٣٦-٤٣٥/٥.

(١) قال ابن حزم في المحلى ١٤٦/٨ (ط. المنيرية ١٣٥٠): «ولا ضمان على صاحب البهيمة فيما جتته في مال أودم ليلا أو نهاراً، لكن يؤمر صاحبه بضبطه، فإن ضبطه فذاك، وإن عاد ولم يضبطه يبيع عليه، لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «العجماء جرحها جبار». وهو قول أبي حنيفة وأبي سليمان.

وقال مالك والشافعي: يضمن ما جتته ليلا ولا يضمن ما جتته نهاراً. وهو قضاء شريح وحكم الشعبي. واحتجوا في ذلك بحديث ناقة البراء بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى أن على أهل الحوائط حفظها بالنهار، وعلى أهل الماشية ما أصابت بالليل.

قال على (بن حزم): لو صبح هذا لما سبقونا إلى القول به، ولكنه خبر لا يصح، لأنه إنما رواه الزهري عن حرام بن محيصة عن أبيه، ورواه الزهري أيضا عن أبي أمامة بن سهل ابن حنيف أن ناقة للبراء. . . فصيح أنه مرسل، لأن حراما ليس هو ابن محيصة لصلبه، إنما هو ابن سعد بن محيصة، وسعد لم يسمع من البراء، ولا أبو أمامة، ولا حجة في منقطع، ولقد كان يلزم الحنيفة القائلين: إن المرسل والمسند سواء أن يقولوا به، ولكن هذا مما تناقضوا فيه.

ثم ذكر ابن حزم الاحتجاج بقصة سليمان عليه السلام، ورد ذلك، وقال: «ولو روي ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قامت به حجة لأنه مرسل».

(٢) س، ب : زرع . (٣) ن : لعداوته .

من صاحب الحمار، كما لو دخلت الماشية نهراً فأفسدت الزرع، فإن صاحب الحمار لم يغلّق عليه الباب^(١)، كما لو دخلت البقرة على الحمار^(٢) إن كان الحمار نائماً، وإن كان هو المفرط بإدخالها إلى الحمار كان ضامناً. وأما أن يُجعل مجرد اعتداء الحمار على البقرة أو البقرة على الحمار^(٣) بدون تفريط^(٤) صاحبها كاعتداء صاحبها^(٥)، فهذا يوجب كون البهيمة كالعبد، ما أتلّفه يكون في رقبتها، ولا يكون جباراً، وهذا ليس من حكم المسلمين، ومن نقل هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم فقد كَذَب عليه.

وقد قلنا غير مرة: إن هؤلاء الجهّال يكذبون ما يظنون به مدحا ويمدحون به، فيجمعون بين الكذب وبين المدح، فلا صدق ولا علم ولا عدل، فيضلّون^(٦) في الخير والعدل. وقد تقدم الكلام على قوله ﴿يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ [سورة يونس: ٣٥].

-
- (١) س: فإن صاحبها لم يغلّق عليها الباب؛ ب: فإن صاحبه لم يغلّق عليه الباب.
- (٢) في جميع النسخ: كما لو دخل الحمار على البقرة، وهو خطأ. وأحسب أن الصواب ما أثبتته.
- (٣) (م): ما بين النجمتين ساقط من (م).
- (٤) س: وأما أن يجعل مجرد اعتداء الحمار بدون تفريط؛ ب: وأما أن يجعل مجرد اعتداء البقرة بدون تفريط.
- (٥) عبارة «كاعتداء صاحبها»: ساقطة من (م).
- (٦) ن: يطلون؛ م: فطلون؛ س، ب: يظنون. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته.

﴿فصل﴾

تابع كلا
الرافضى
الرابع : أنه كا
أشجع
الناس .. الخ

قال الرافضى^(١) : «الرابع : أنه كان أشجع الناس ، وبسيفه ثبتت^(٢) قواعد الإسلام ، وتشيدت أركان الإيمان ، ما انهزم فى مواطن^(٣) قط ، ولا ضرب بسيف^(٤) إلا قط ، طالما^(٥) كشف الكرب عن وجه رسول الله^(٦) صلى الله عليه وسلم ، ولم يفر كما فر غيره ، ووقاه بنفسه لما بات على^(٧) فراشه ، مستترا بإزاره ، فظنه المشركون إياه ، وقد اتفق المشركون على قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٨) ، فأحدقوا به وعليهم السلاح ، يرصدون طلوع الفجر ليقتلوه ظاهرا ، فيذهب دمه ، لمشاهدة بنى هاشم قاتليه من جميع القبائل ، ولا يتم لهم الأخذ بشأه لاشتراك الجماعة فى دمه ، ويعود كل قبيل عن قتال رهطه . وكان ذلك

(١) فى (ك) ص ١٨١ (م) - ص ١٨٢ (م) .

(٢) ن ، م ، س : ثبت .

(٣) ك (ص ١٨٢ م) : موضع .

(٤) ك : بسيفه .

(٥) ك : وطالما .

(٦) ن ، س ، ب : النبى .

(٧) م : فى .

(٨) ك : وظن المشركون - وقد اتفقوا على قتل رسول الله صلى الله عليه وآله - أنه هو . . .

سبب حفظ دم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمت السلامة، وانتظم به الغرض في الدعاء إلى الملة، فلما أصبح القوم، ورأوا^(١) الفتك به، ثار إليهم، ففترقوا عنه حين عرفوه^(٢)، وانصرفوا وقد ضلت حيلهم^(٣)، وانتقض تدبيرهم.

الرد عليه

والجواب: أنه لا ريب أن علياً رضي الله عنه كان من شجعان الصحابة، وممن نصر الله الإسلام بجهاده، ومن كبار السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار^(٤)، ومن سادات من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله، وممن قتل بسيفه عدداً من الكفار. لكن لم يكن هذا من خصائصه، بل غير واحد من الصحابة شاركه في ذلك، فلا يثبت بهذا فضله في الجهاد على كثير من الصحابة، فضلاً عن أفضليته على الخلفاء، فضلاً عن تعيين^(٥) للإمامة.

وأما قوله: «إنه كان أشجع الناس».

فهذا كذب، بل كان أشجع^(٦) الناس رسول الله صلى الله عليه وسلم. كما في الصحيحين عن أنس قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) ك : وأرادوا.

(٢) ن، م، س، ب : حين عرفهم. والتصويب من (ك).

(٣) ن، س، ب : حيلتهم.

(٤) والأنصار: ليست في (م).

(٥) ب (فقط) : تعيينه.

(٦) م : كان أشجع، س، ب : بل أشجع.

وسلم أحسن الناس، وكان أجود الناس، وكان أشجع الناس. ولقد فرع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق ناس قبل الصوت، فتلقاهم النبي صلى الله عليه وسلم راجعاً وقد سبقهم إلى الصوت، وهو على فرس لأبي طلحة عري، في^(١) عنقه السيف، وهو يقول: / «لن تراعوا». قال البخارى: استقبلهم وقد استبرأ الخبر^(٢).

وفى المسند عن عليّ رضى الله عنه قال: «كان إذا اشتد البأس اتقىنا برسول الله / صلى الله عليه وسلم، فهو كان أقرب إلى العدو منا»^(٣).
والشجاعة تُفسّر بشيئين: أحدهما: قوة القلب وثباته عند المخاوف. والثانى: شدة^(٤) القتال بالبدن، بأن يقتل كثيراً، ويقتل قتلاً عظيماً. والأول: هو الشجاعة، وأما الثانى فيدل على قوة البدن وعمله. وليس كل من كان قوى البدن كان قوى القلب، ولا بالعكس. ولهذا

(١) م: على.

(٢) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى: البخارى ٣٩/٤، ٥٢ (كتاب الجهاد والسير، باب الحمائل وتعليق السيف بالعتق، باب مبادرة الإمام عند الفزع، باب السرعة والركض فى الفزع)، ١٣/٨ (كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل)؛ مسلم ١٨٠٢/٤-١٨٠٣ (كتاب الفضائل، باب فى شجاعة النبي عليه السلام وتقدمه للحرب)؛ سنن الترمذى ١١٧/٣-١١٨ (كتاب الجهاد، باب ما جاء فى الثبات عند القتال)؛ سنن ابن ماجة ٩٢٦/٢ (كتاب الجهاد، باب الخروج فى النفير)؛ المسند (ط . الحلبي) ١٤٧/٣، ١٨٥، ٢٦١، ٢٧١.

(٣) الحديث - مع اختلاف فى اللفظ - فى موضعين فى المسند (ط . المعارف) ٢٢٨/٢ (رقم ١٠٤٢)، ٣٤٣/٢ (رقم ١٣٤٦) وصحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله الحديثين. وجاء الحديث مختصراً بمعناه ٦٤/٢ (رقم ٦٥٤) وإسناده صحيح كذلك.

(٤) شدة: ساقطة من (م).

تجد الرجل الذى يقتل كثيراً ويقاتل إذا كان معه من يُؤمّنه، إذا خاف أصابه الجبن، وانخلع قلبه. وتجد الرجل الثابت القلب، الذى لم يقتل بيديه كثيراً، ثابتاً فى المخاوف، مقدّماً على المكاره^(١). وهذه الخصلة يُحتاج إليها فى أمراء الحروب وقوّاده ومقدّميه أكثر من الأولى؛ فإن المقدّم إذا كان شجاع القلب ثابتاً، أقدم وثبت ولم ينهزم، فقاتل معه أعوانه، وإذا كان جباناً ضعيف القلب ذلّ ولم يقدم ولم يثبت، ولو كان قوى البدن.

والنبي صلى الله عليه وسلم كان أكمل الناس فى هذه الشجاعة، التى هى المقصودة فى أئمة الحرب، ولم يقتل بيده إلا أبى بن خلف، قتله يوم أحد، ولم يقتل بيده أحداً لا قبلها ولا بعدها. وكان أشجع من جميع الصحابة، حتى أن جمهور أصحابه انهزموا يوم حنين، وهوراكب على بغلة، والبغلة لا تكرر ولا تفر، وهو يقدم عليها إلى ناحية العدو، وهو يقول

أنا النى لا^(٢) كذب * أنا ابن عبدالمطلب

فيسمى نفسه، وأصحابه قد انكفوا عنه، وعدوه مقدم عليه، وهو مقدم على عدوه على بغلته، والعباس أخذ بعنانها^(٣). وكان على - وغيره - يتقون برسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه

(١) م : مقدماً فى المكاره.

(٢) م : بلا .

(٣) سبق حديث غزوة حنين فيما مضى ٦٣/٥ ، ٦٤

أشجع منهم، وإن كان أحدهم قد قتل بيده^(١) أكثر مما قتل النبي صلى الله عليه وسلم.

وإذا كانت الشجاعة المطلوبة من الأئمة شجاعة القلب، فلا ريب أن أبا بكر كان أشجع من عمر، وعمر أشجع من عثمان وعليّ وطلحة والزبير. وهذا يعرفه من يعرف سيرهم وأخبارهم؛ فإن أبا بكر رضى الله عنه باشر الأهوال التي كان يباشرها النبي صلى الله عليه وسلم من أول الإسلام إلى آخره، ولم يجبن ولم يخرج ولم يفشل، وكان يقدم على المخاوف: يقى النبي صلى الله عليه وسلم بنفسه، يجاهد المشركين تارة بيده وتارة بلسانه وتارة بماله، وهو في ذلك كله مقدم.

وكان يوم بدر مع النبي صلى الله عليه وسلم في العريش، مع علمه بأن العدو يقصدون مكان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ثابت القلب، ربيط الجأش، يظاهر النبي صلى الله عليه وسلم ويعاونه. ولما قام النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه ويستغيث ويقول «اللهم أنجز لى ما وعدتنى، اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد، اللهم، اللهم...» جعل^(٢) أبو بكر يقول له: يا رسول الله هكذا مناشدتك ربك إنه سينجز لك ما وعدك^(٣).

وهذا يدل على كمال يقين الصديق، وثقته بوعد الله، وثباته وشجاعته: شجاعة إيمانية^(٤) زائدة على الشجاعة الطبيعية.

(١) بيده : ساقطة من (م).

(٢) س، ب : وجعل .

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٦/ ١٣٠-١٣١ . (٤) م : إيمان .

وكان حال رسول الله أكمل من حاله، ومقامة أعلى من مقامه. ولم يكن الأمر - كما ظنه بعض الجهال - أن حال أبي بكر أكمل^(١) - نعوذ بالله من ذلك - ولا نقص في استغاثة النبي صلى الله عليه وسلم ربه في هذا المقام، كما توهمه بعض الناس، وتكلم ابن عقيل وغيره في هذا الموضوع بخطئ من القول مردود على من قاله، بل كان رسول الله صلى الله عليه جامعاً كاملاً، له من كل مقام ذروة سنامه ووسيلته، فيعلم أن الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً قدح في العقل، والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، ويعلم أن عليه أن يجاهد المشركين ويقيم الدين بكل ما يقدر عليه من جهاده بنفسه وماله وتحريضه للمؤمنين، ويعلم أن الاستتصار بالله والاستغاثة به والدعاء له فيه أعظم الجهاد وأعظم الأسباب في تحصيل المأمور ودفع المحذور.

ولهذا كان يستفتح بصعاليك / المهاجرين^(٢)، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أقبلت قريش - ومعه أصحابه - أخبر^(٣) أصحابه بمصارعهم، وقال: «هذا مصرع عتبة بن ربيعة، وهذا مصرع شيبة بن ربيعة، وهذا مصرع أمية بن خلف، وهذا مصرع أبي جهل بن هشام،

(١) م، ب : أكبر.

(٢) سبق الحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وأوله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يستفتح بصعاليك المهاجرين ويقول: «هل تنصرون إلا بضعاثكم». انظر ما سبق ٤٨٣/٤.

(٣) ن، م : قريش وقد خرج وأخبر..

وهذا مصرع فلان^(١) ثم مع علمه أن ذلك سيكون، يعلم أن الله إذا قضى شيئاً يكون، فلا يمنع ذلك أن يقضيه بأسباب تكون، وأن من الأسباب ما يكون العباد مأمورين به، ومن أعظم ما يؤمر به الاستغانة^(٢) بالله، فقام بما يؤمر به، مع علمه بأنه سيكون ما وُعد به، كما أنه يعبد الله ويطيعه، مع علمه بأن له السعادة في الآخرة.

والقلب إذا غشيتة الهيبة والمخافة والتضرع قد يغيب عنه شهود ما يعلمه، ولا يمنعه ذلك أن يكون عالماً به مصداً له، ولا أن يكون في اجتهد وجهد بمباشرة الأسباب. ومن علم أنه إذا مات يدخل الجنة^(٣)،

(١) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ، ولكن جاء حديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى مسلم ١٤٠٣/٣-١٤٠٤ (كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر) فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم شاور أصحابه... الخ وفى آخر هذا الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هذا مصرع فلان» قال: ويضع يده على الأرض، ههنا وههنا. قال فما ماط أحدهم (أى تباعد) عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وجاء حديث آخر بمعناه فى سيرة ابن هشام ٢٦٧/٢؛ السيرة النبوية لابن كثير (تحقيق مصطفى عبد الواحد) ٣٩٢/٢-٣٩٣؛ زاد المعاد ١٧٣/٣-١٧٤. على أن الخبر الذى ذكره ابن تيمية يشبه خبر رؤيا جهيم بن الصلت رضى الله عنه التى ذكرها ابن اسحاق فى السيرة (سيرة ابن هشام ٢٧٠/٢) قال: إني رأيت فيما يرى النائم، وإني لبين النائم واليقظان، إذ نظرت إلى رجل قد أقبل على فرس حتى وقف، ومعه بعير له، ثم قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وفلان وفلان... الخ. وانظر السيرة النبوية لابن كثير ٣٩٨/٢-٣٩٩.

(٢) س، ب: الاستعانة.

(٣) ن، م، س: لم يدخل الجنة. وكتب فى هامش (س) ما يلى: «لعل «لم» زائدة من سهو الناسخ، والله أعلم - ناقله».

لم يمنع^(١) أن يجد بعض ألم الموت، والمريض الذى إذا أُخبر أن فى دوائه العافية، لا يمنعه ذلك أن يجد مرارة الدواء - فقام مجتهداً فى الدعاء المأمور به، وكان هو رأس الأمر، وقطب رحى الدين، فعليه أن يقوم بأفضل مما^(٢) يقوم به غيره.

وذلك الدعاء والاستغاثة كان أعظم الأسباب التى نزل بها النصر. ومقام أبى / بكر دون هذا، وهو معاونة الرسول والذب عنه، وإخباره بأننا واثقون بنصر الله تعالى، والنظر إلى جهة العدو، وهل قاتلوا المسلمين أم لا؟ والنظر إلى صفوف المسلمين لئلا تختل، وتبلغ المسلمين ما يأمر به النبى صلى الله عليه وسلم فى هذه الحال.

ظ ٣٤١

ولهذا قال تعالى ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [سورة التوبة: ٤٠]. وأخبر تعالى أن الناس إذا لم ينصروه فقد نصره الله، إذ أخرجهم الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار.

وهذه الحال كان الخوف فيها على النبى صلى الله عليه وسلم دون غيره. وسيأتى الكلام على هذه القصة فى آخر الكتاب. والوزير مع الأمير له حال وللأمير^(٣) حال.

والمقصود هنا أن أبا بكر كان أشجع الناس، ولم يكن بعد الرسول

(١) ب : لم يمنعه.

(٢) ن، م، س : ما.

(٣) م : والأمين؛ ب : والأمير.

صلى الله عليه وسلم أشجع منه . ولهذا لما مات النبی صلى الله عليه وسلم، ونزلت بالمسلمين أعظم نازلة نزلت بهم، حتى أوهنت العقول، وطيشت^(١) الألباب، واضطربوا اضطراب الأرشية في الطوي^(٢) البعيدة القعر، فهذا ينكر موته، وهذا قد أقعد، وهذا قد دُهِش فلا يعرف من يمر عليه ومن يسلم عليه، وهؤلاء يضجون بالبكاء، وقد وقعوا في نُسخة القيامة، وكأنها قيامة صغرى مأخوذة من القيامة الكبرى، وأكثر البوادي قد ارتدوا عن الدين، وذلت كُماثته، فقام الصديق رضى الله عنه بقلب ثابت، وفؤاد شجاع، فلم يجزع، ولم ينكل، قد جمع له بين الصبر واليقين، فأخبرهم بموت النبی صلى الله عليه وسلم، وأن الله اختار له ما عنده، وقال لهم: «من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾» [سورة آل عمران: ١٤٤]، فكان الناس لم يسمعوا هذه الآية حتى تلاها الصديق^(٣)، فلا تجد أحداً إلا وهو يتلوها، ثم خطبهم فثبتهم وشجعهم.

قال أنس: «خطبنا أبو بكر رضى الله عنه، وكنا كالشعالب، فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود».

(١) م : أذهب العقول وطاشت.

(٢) الرشاء : الحبل، أو حبل الدلو ونحوه... والجمع أرشية. والطوي : البئر المطوية بالحجارة، مذكر، فإن أنت فعلى المعنى...

(٣) م : تلاها أبو بكر.

وأخذ في تجهيز أسامة، مع إشارتهم عليه، وأخذ في قتال المرتدين، مع إشارتهم عليه بالتمهل والترص، وأخذ يقاتل حتى مانع الزكاة، فهو مع الصحابة يعلمهم إذا جهلوا، ويقوّيهم إذا ضعفوا، ويحثهم إذا فتروا، فقوى الله به علمهم ودينهم وقوتهم، حتى كان عمر - مع كمال قوته وشجاعته - يقول له: يا خليفة رسول الله تألف الناس، فيقول: علام أتألفهم؟ أعلى دين مفترى؟ أم على شعر مفتعل؟ وهذا باب واسع يطول وصفه.

فالشجاعة المطلوبة من الإمام لم تكن في أحدٍ بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل منها في أبي بكر، ثم عمر. وأما القتل فلا ريب أن غير عليّ من الصحابة قتل من الكفار أكثر مما قتل عليّ، / فإن كان من قتل أكثر يكون أشجع، فكثير من الصحابة أشجع من عليّ، فالبراء ابن مالك^(١) - أخو أنس - قتل مائة رجلٍ مبارزةً، غير من شورك في دمه. وأما خالد بن الوليد فلا يُخصى عدد من قتله إلا الله، وقد انكسر في يده في غزوة مؤتة تسعة أسياف، ولا ريب أنه قتل أضعاف ما قتله عليّ. وكان لأبي بكر مع الشجاعة الطبيعية شجاعة دينية، وهي قوة^(٢) يقينية بالله عز وجل، وثقة بأن الله ينصره والمؤمنين. وهذه الشجاعة لا تحصل لكل من كان^(٣) قوى القلب، لكن هذه تزيد بزيادة الإيمان واليقين،

(١) ن، م : فالبراء بن عازب، وهو خطأ.

(٢) س، ب : دينية وقوة...

(٣) س : لا تحصل لكن من كان (وفي الهامش: لعله: إلا لمن)؛ ب : إلا لمن كان..

وتنقص بنقص ذلك، فمتى تيقن أنه يغلب عدوه كان إقدامه عليه، بخلاف إقدام من لم يكن كذلك، وهذا كان من أعظم أسباب شجاعة المسلمين وإقدامهم على عدوهم، فإنهم كانوا أيقنوا بخير الله ورسوله: أنهم منصورون وأن الله^(١) يفتح لهم البلاد.

ومن شجاعة الصديق ما فى الصحيحين عن عروة بن الزبير قال: سألت عبد الله بن عمرو^(٢) عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: رأيت عُقبة بن أبى مُعيط جاء إلى النبی صلى الله عليه وسلم وهو يصلى، فوضع رداءه فى^(٣) عنقه فخنقه خنقا شديدا، فجاء أبو بكر فدفعه عنه، وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [سورة غافر: ٢٨] ^(٤).

(١) س، ب: والله ..

(٢) م: بن عمر.

(٣) س، ب: من.

(٤) الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما فى: البخارى ١٠/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبی صلى الله عليه وسلم، باب حدثنا الحميدى ومحمد بن عبد الله ..)، ٤٦/٥ (كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبی صلى الله عليه وسلم وأصحابه من المشركين بمكة)، ١٢٧/٦ (كتاب التفسير، سورة المؤمن)؛ المسند ١٤٣/١١-١٤٤ وقال الشيخ أحمد شاکر رحمه الله: «وهذا الحديث من رواية الوليد بن مسلم عن الأوزاعى ذكره ابن كثير فى التفسير (٧: ٢٩٢) من رواية البخارى عن ابن المدينى، وذكره فى التاريخ (٣: ٤٥-٤٦) من رواية البخارى عن عياش بن الوليد. وقال فى التاريخ: «انفرد به البخارى» يعنى عن صحيح مسلم، ولم يروه من أصحاب الكتب الستة غير البخارى، كما يتبين من ذخائر الموارث (٤٥٣٥)».

﴿فصل﴾

ومما ينبغي أن يُعلم أن الشجاعة إنما فضيلتها في الدين لأجل الجهاد في سبيل الله، وإلا فالشجاعة إذا لم يستعن بها صاحبها على الجهاد في سبيل الله، كانت: إمّا وبلاً عليه، إن استعان بها صاحبها على طاعة الشيطان، وإما غير نافعة له، إن استعملها فيما لا يقربه إلى الله تعالى. فشجاعة عليّ والزبير وخالد وأبي دجانة والبراء بن مالك وأبي طلحة، وغيرهم من شجعان الصحابة، إنما صارت من فضائلهم، لاستعانتهم بها على الجهاد في سبيل الله؛ فإنهم بذلك استحقّوا ما حمد الله به المجاهدين.

وإذا كان كذلك، فمعلوم أن الجهاد منه ما يكون بالقتال باليد^(١)، ومنه ما يكون بالحجّة والبيان والدعوة.

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا * فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [سورة الفرقان: ٥١، ٥٢] "فأمره الله سبحانه وتعالى أن يجاهد الكفار بالقرآن جهاداً كبيراً". وهذه السورة مكية نزلت بمكة، قبل أن يهاجر / النبي صلى الله عليه وسلم، وقبل أن يُؤمر بالقتال، "ولم يؤذن له". وإنما كان هذا الجهاد^(٢) بالعلم والقلب والبيان والدعوة لا بالقتال^(٣). وأما القتال فيحتاج إلى التدبير والرأى،

ص ٣٤٢

(١) باليد: ساقطة من (س)، (ب). (٢-٢) : ساقط من (م).

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٣) ن، م، س: وإنما كان هذا قتال الجهاد...

ويحتاج إلى شجاعة القلب، وإلى القتال باليد. وهو إلى الرأي والشجاعة في القلب في الرأس المطاع أحوج منه إلى قوة البدن. وأبو بكر وعمر رضى الله عنهما مقدّمان في أنواع الجهاد غير قتال البدن.

قال أبو محمد بن حزم^(١): «وجدناهم يحتجّون بأن علياً كان أكثر الصحابة جهاداً وطعنا في الكفار وضرباً، والجهاد أفضل الأعمال. قال^(٢): وهذا خطأ، لأن الجهاد ينقسم أقساماً ثلاثة: أحدها: الدعاء إلى الله تعالى باللسان. والثاني: الجهاد عند الحرب بالرأى والتدبير. والثالث: الجهاد باليد في الطعن والضرب. فوجدنا الجهاد باللسان لا يلحق فيه أحد بعد النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر ولا عمر. أما أبو بكر فإن أكابر الصحاب أسلموا على يديه، فهذا أفضل عمل، وليس لعلّ من هذا كثير حظ. وأما عمر فإنه من يوم أسلم عزّ الإسلام وعبد الله علانية^(٣)، وهذا أعظم الجهاد. وقد انفرد هذان الرجلان بهذين الجهادين اللذين لا نظير لهما، ولا حظ لعلّ في هذا.

وبقى القسم الثاني، وهو الرأي والمشورة^(٤)، فوجدناه خالصاً لأبي بكر ثم لعمر.

(١) في كتابه «الفصل» ٢١١/٤ - ٢١٢.

(٢) الفصل: قال أبو محمد.

(٣) الفصل: عزّ الإسلام، وعبد الله تعالى بمكة جهراً، وجاهد المشركين بمكة بيديه، فضرب وضرب حتى ملّوه فتركوه، فعبده الله تعالى علانية.

(٤) ن، م، س: والمشهور. وفي هامش (س) كتب: «كذا في الأصل». وفي (ب): والتدبير. والمثبت من «الفصل».

بقي القسم الثالث، وهو الطعن والضرب والمبارزة، فوجدناه أقل مراتب الجهاد بمرهان ضروري، وهو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاشك عند كل مسلم في أنه المخصوص بكل فضيلة، فوجدنا جهاده صلى الله عليه وسلم إنما كان في أكثر أعماله وأحواله بالقسمين الأولين من الدعاء إلى الله عز وجل والتدبير والإرادة^(١)، / وكان أقل عمله الطعن والضرب والمبارزة، لا عن جبن، بل كان أشجع أهل الأرض قاطبة نفساً وبدناً، وأتمهم نجدة، ولكنه كان يؤثر الأفضل فالأفضل من الأعمال، فيقدمه^(٢) ويستغل به، ووجدناه^(٣) يوم بدر - وغيره - كان أبوبكر معه لا يفارقه، إيثاراً من النبي صلى الله عليه وسلم له بذلك، واستظهاراً برأيه في الحرب، وأنساً بمكانه، ثم كان عمر ربما شورك في^(٤) ذلك، وقد انفرد بهذا المحل دون عليّ ودون سائر الصحابة، إلا في الندرة.

ثم نظرنا مع ذلك في^(٥) هذا القسم من^(٦) الجهاد، الذي هو الطعن والضرب^(٧) والمبارزة، فوجدنا عليّاً لم ينفرد بالسيوف^(٨) فيه، بل قد شاركه فيه غيره شركة العيان^(٩)، كطلحة والزبير وسعد، ومن^(١٠) قُتل في صدر الإسلام، كحمزة وعبيدة بن الحارث بن عبدالمطلب ومصعب بن

(١) الفصل: والإدارة.

(٢) ن، م، س: ووجدنا.

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٤) ن، س، ب: في.

(٥) ن، س، ب: الضرب والطعن.

(٦) الفصل: بالسوق.

(٧) م، الفصل: العنان.

(٨) الفصل: ومن ...

عمير، ومن الأنصار سعد بن معاذ وسماك بن خرشة^(١) - يعني أبا دجانة - وغيرهما، ووجدنا أبا بكر وعمر قد شاركاه في ذلك بحظ حسن، وإن لم يلحقا بحظوظ هؤلاء، وإنما ذلك لشغلهمما بالأفضل من ملازمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومؤازرته في حين الحرب، وقد بعثهما على البعوث أكثر مما بعث عليًا، وقد بعث أبا بكر إلى بنى فزارة وغيرهم، وبعث [عمر]^(٢) إلى بنى فلان، وما نعلم لعلّى بعثا إلا إلى بعض حصون خيبر ففتحه^(٣). فحصل أرفع أنواع الجهاد^(٤) لأبى بكر وعمر، وقد شاركا عليًا في أقل أنواع الجهاد، مع جماعة غيرهم.

﴿فصل﴾

قلت: وأما قوله: «سيفه ثبت قواعد الإسلام»^(٥) وتشيدت أركان الدين»^(٦).

فهذا كذب ظاهر لكل من عرف الإسلام، بل سيفه جزء من أجزاء

(١) س، ب : وسماك بن حارثة، وهو خطأ. وذكر ابن حجر في «الإصابة» ٥٩/٤ أبا دجانة الأنصارى وقال: «اسمه: سماك بن خرشة، وقيل: ابن أوس بن خرشة» وكذلك قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٥٩/٤. وذكر ابن حجر في «الإصابة» ٧٥/٢ صحابيا آخر اسمه «سماك بن خرشة الأنصارى» وقال: «آخر وهو غير أبى دجانة».

(٢) عمر : ساقطة من (ن)، (م)، (س)، (ب)، وأثبتها من الفصل ٢١٢/٤.

(٣) الفصل : ففتحه، وقد بعث إليه قبله أبا بكر وعمر فلم يفتحاه.

(٤) الفصل : الجهاد خالصا...

(٥) ن، م، س : الإيمان. وسبقت العبارة في هذا الجزء، ص ٩٥ وفيها: الإسلام.

(٦) سبقت العبارة من قبل وفيها: أركان الإيمان، وكذا هي في (ك).

كثيرة، جزء من أجزاء أسباب تثبيت قواعد الإسلام، وكثير من الوقائع التي ثبت بها الإسلام لم يكن لسيفه فيها تأثير، كيوم بدر: كان سيفاً من سيوف كثيرة.

وقد قدمنا غير مرة أن غزوات القتال كلها كانت تسع غزوات، وعلى بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لم يشهد قتال الروم وفارس، ولم يُعرف لعلّى غزاة أثر فيها تأثيراً منفرداً كثيراً عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل كان نصره في المغازي تبعاً لنصر رسول الله صلى الله عليه وسلم.

والحروب الكبار التي كان فيها هو الأمير ثلاثة: يوم الجمل والصفين والنهروان. وفي الجمل والنهروان كان منصوراً، فإن جيشه كان أضعاف المقاتلين له، ومع هذا لم يستظهر على المقاتلين له^(١)، بل مازالوا مستظهِرين عليه إلى أن استشهد إلى كرامة الله ورضوانه، وأمره يضعف، وأمر المقاتلين له يقوى.

وهذا مما يدل على أن الانتصار الذي كان يحصل له في حياة النبي صلى الله عليه وسلم كان نصراً من الله لرسوله، ولمن قاتل معه على دينه. فإن الله يقول: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [سورة غافر: ٥١].

وكذلك انتصار غير عليّ كانتصار أبي بكر وعمر وعثمان على من قاتلوه، إنما كان نصراً من الله لرسوله، كما وعده بذلك في كتابه.

(١) له: ساقطة من (س)، (ب).

﴿فصل﴾

وأما قوله: «ما انهزم قط» .

فهو في ذلك كأبي بكر وعمر وطلحة والزبير وغيرهم من الصحابة رضى الله عنهم . فالقول في أنه ما انهزم ، كالقول في أن هؤلاء ما انهزموا قط . ولم يعرف لأحد^(١) من هؤلاء هزيمة ، وإن كان قد وقع شيء في الباطن ولم يُنقل ، فيمكن / أن علياً وقع منه ما لم يُنقل .

ظ ٣٤٢

والمسلمون كانت لهم هزيمتان : يوم أحد ، ويوم حنين . ولم يُنقل أن أحداً من هؤلاء انهزم ، بل المذكور في السير والمغازي أن أبا بكر وعمر ثبتا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد ويوم حنين ، ولم ينهزما مع من انهزم . ومن نقل أنهما انهزما يوم حنين فكذبه معلوم . وإنما الذي انهزم يوم أحد عثمان ، وقد عفا الله عنه . وما نقل من انهزام أبي بكر وعمر بالراية يوم حنين فمن الأكاذيب المختلفة التي افترها المفترون .

وقوله: «ما ضرب بسيفه إلا قط» .

فهذا لا يعلم ثبوته ولا انتفاؤه ، وليس معنا في ذلك نقل يعتمد عليه . ولو قال قائل في خالد والزبير والبراء بن مالك / وأبي دجاجة وأبي طلحة ونحوهم : إنه ما ضرب بسيفه إلا قط ، كان القول في ذلك كالقول في عليّ ، بل صدق هذا في مثل خالد والبراء بن مالك أولى .

فإن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «خالد سيف من سيوف الله سلّه الله على المشركين»^(٢) . فإذا قيل فيمن جعله الله من سيوفه : إنه ما

(١) ن ، م : لم يعرف لواحد . (٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/ ٤٧٧ .

ضرب إلا قط^(١) ، كان أقرب إلى الصدق، مع كثرة ما عُلم من قتل خالد في الحروب، وأنه لم يزل منصوراً.

وأما قوله: «وطالما كشف الكروب عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم».

وقوله: وطالما
كشف الكروب
عن وجه النبي
صلى الله عليه
وسلم

فهذا كذب بيّن، من جنس أكاذيب الطريقة؛ فإنه لا يعرف أن علياً كشف كربة عن وجه النبي صلى الله عليه وسلم قط، بل ولا يُعرف ذلك عن أبي بكر وعمر، وهما كانا أكثر جهادا منه، بل هو صلى الله عليه وسلم الذى طالما كشف عن وجوههم الكرب.

لكن أبو بكر دفع عنه لما أراد المشركون أن يضربوه ويقتلوه بمكة، جعل يقول: «أتقتلون رجلاً أن يقول: ربّنى الله» حتى ضربوا أبا بكر. ولم يعرف أن علياً فعّل مثل هذا.

وأما كون المشركين أحاطوا به حتى خلّصه أبو بكر أو علىّ بسيفه، فهذا لم ينقله أحد من أهل العلم ولا حقيقة له، لكن هذا الرافضى - وأمثاله - كأنهم قد طالعوا^(٢) السير والمغازى التى وضعها الكذابون والطريقة، مثل كتاب «تنقلات الأنوار» للبكرى الكذاب وأمثاله، مما هو من جنس ما يذكر فى سيرة البطال ودلهمة والعيار وأحمد الدنف والزريق المصرى، والحكايات التى يحكونها عن هارون ووزيره مع العامة، والسيرة الطويلة التى وُضعت لعنترة بن شداد.

وقد وضع الكذابون فى مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هو

(١) فى «لسان العرب»: «القطّ: القطع عامة». (٢) م: كانوا قد طالعوا.

من هذا الجنس، وهذا يصدّقه الجهّال ومن لم يكن عارفا بما ذكره العلماء من الأخبار الصحيحة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، وأما أهل العلم فيعلمون أن هذا كذب.

وما ذكره من مبيته على فراشه، فقد قدمنا أنه لم يكن هناك خوف على علي أصلاً. وأشهر ما نقل من ذلك ذبّ المؤمنين عن النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد، لما ولّى أكثر المسلمين مدبرين، فطمع العدو في النبي صلى الله عليه وسلم، وحرصوا على قتله، وطلب أمية بن خلف قتله^(١)، فقتله النبي صلى الله عليه وسلم بيده، وشج المشركون جبينه، وهشموا البيضة على رأسه، وكسروا رباعيته. وذبّ عنه الصحابة الذين حوله، كسعد بن أبي وقاص جعل يرمى والنبي صلى الله عليه وسلم يقول له^(٢): «ارم فداك أبي وأمي»^(٣).

ووقاه طلحة بيده، فشلت يد طلحة^(٤). وقتل حوله جماعة من خيار المسلمين.

(١) س: وطمع أمية بن خلف قتله؛ ب: وطمع أمية بن خلف في قتله.

(٢) له: ساقطة من (س)، (ب).

(٣) الحديث عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في: البخارى ٣٩/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب المعجّن ومن يتترس بترس صاحبه) ولفظه: «ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يُفدّى رجلاً بعد سعد، سمعته يقول: ارم فداك أبي وأمي». والحديث في: مسلم ١٨٧٦/٤ (كتاب فضائل الصحابة، باب في فضل سعد بن أبي وقاص...); سنن الترمذى ٣١٤/٥ (كتاب المناقب، باب مناقب أبي إسحاق سعد بن أبي وقاص...); سنن ابن ماجه ٤٧/١ (المقدمة، باب في فضائل أصحاب رسول الله...، فضل سعد ابن أبي وقاص...); المسند (ط. المعارف) ٩١/٢، ٢٢٠، ٢٦٦-٢٦٧.

(٤) في البخارى ٩٧/٥ (كتاب المغازى، باب إذ همت طائفتان منكم أن تفشلا...).

وفى الحديث أن علياً لما أمر فاطمة بغسل سيفه يوم أحد، قال :
اغسله غير ذميم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «إن تكن أحسنت
فقد أحسن فلان وفلان» وعدَّ جماعة من الصحابة^(١).

﴿فصل﴾

تابع كلام
الرافضي : وفى
غزاة بدر . . الخ

قال الرافضي^(٢) : «وفى غزاة بدر، وهى أول الغزوات، كانت
على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدمه إلى المدينة^(٣)، وعمره
سبع وعشرون سنة، قتل منهم ستة وثلاثين رجلا بانفراده، وهم^(٤)
أعظم من نصف المقتولين، وشرك في الباقيين» .

والجواب : أن هذا من الكذب البين المفترى باتفاق أهل العلم،
العالمين بالسير والمغازى . ولم يذكر هذا أحدٌ يُعتمد عليه فى النقل،
وإنما هو من وضع جهال الكذابين . بل فى الصحيح قتل غير واحد لم
يشرك على فى واحدٍ منهم، مثل أبى جهل، وعقبة بن أبى مُعيط، ومثل
أحد ابنى ربيعة : إما عتبة بن ربيعة، وإما شيبه بن ربيعة، وأبى بن خلف
وغيرهم .

الرد عليه

وذلك أنه لما برز من المشركين ثلاثة : عتبة، وشيبة، والوليد، فانتدب

قيس قال : رأيت يد طلحة شلاء وفى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أحد .
(١) سبق هذا الخبر فيما مضى ٤/٤٨١، وهو فى سيرة ابن هشام ٣/١٠٦ بمعناه .

(٢) فى (ك) ص ١٨٢ (م) .

(٤) س، ب : وهو .

(٣) ك : من قدومه المدينة .

لهم ثلاثة من الأنصار، فقالوا: من أنتم؟ فسَمُّوا أنفسهم^(١). فقالوا: أكفاء كرام، ولكن نريد بنى عمنا. فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أقاربه بالبروز إليهم، فقال: «قم ياحمزة، قم يا عبيدة، قم يا عليّ» وكان أصغر المشركين هو الوليد، وأصغر المسلمين عليّ، فبرز هذا إلى هذا، / فقتل عليّ قرنه، وقتل حمزة قرنه. قيل: إنه كان عتبة، وقيل: كان شيبة. ١٦٩/٤ وأما عبيدة فجرح قرنه، وساعده حمزة على قتل قرنه، وحُمل عبيدة بن الحارث^(٢).

وقيل: إن علياً لم يقتل ذلك اليوم إلا نفرًا دون العشرة، أو أقل، أو أكثر.

وغاية ما ذكره ابن هشام، وقبله موسى بن عقبة، وكذلك الأموي^(٣)،

(١) م: نفوسهم.

(٢) انظر هذا الخبر في سيرة ابن هشام ١٧٧/٢. وجاء الخبر في حديث عن عليّ رضي الله عنه في: سنن أبي داود ٧١/٣ (كتاب الجهاد، باب في المبارزة)؛ المسند (ط). المعارف ١٩٢/٢-١٩٤ (حديث رقم ٩٤٨).

(٣) اشتهر من مؤرخي السيرة الوليد بن مسلم ويعرف بالأموي وهو أبو العباس الوليد بن مسلم الأموي (بالولاء) الدمشقي، ولد سنة ١١٩ وتوفي سنة ١٩٥، كان عالم الشام في عصره، من حفاظ الحديث ومن كتاب السيرة والمغازي، ألف حوالي ٧٠ كتاباً منها كتاب «المغازي» وقد وصل إلينا منه قطع في صحيح البخاري. انظر: شذرات الذهب ٣٤٤/١؛ الأعلام ١٤٣/٩؛ سزكين م ١ ج ٢، ص ٩٨. ولكن ابن تيمية يحدد لنا من يقصده بالأموي بعد صفحات (ص ١١٦) فيقول: وسعيد بن يحيى الأموي والوليد بن مسلم، ورجحت أن يكون الخطأ من ابن تيمية أو من النساخ. والصواب هو يحيى بن سعيد بن أبان، أبو أيوب، الأموي، الكوفي ولد سنة ١١٤ وتوفي سنة ١٩٤ وله كتاب «المغازي» ذكره سزكين م ١ ج ٢ ص ٩٧-٩٨، وتكلم عليه: وانظر أيضاً: تهذيب التهذيب ٣٢٦-٣٢٥/١؛ تذكرة الحفاظ ٢١٤-٢١٣/١١.

جميع ما ذكره / أحد عشر نفساً، واختُلف في ستة أنفس، هل قتلهم هو أو غيره، وشارك في ثلاثة. هذا جميع ما نقله هؤلاء الصادقون^(١).

﴿فصل﴾

تابع كلام
الرافضي: وفي
غزاة أحد لما
انهزم الناس
كلهم عن النبي
صلى الله عليه
وسلم إلا علي بن
أبي طالب...
الخ

قال الرافضي^(٢): «وفي غزاة أحد لما انهزم الناس كلهم عن النبي صلى الله عليه وسلم إلا علي بن أبي طالب، ورجع^(٣) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفرٌ يسير، أولهم عاصم بن ثابت، وأبودجانة، وسهل بن حنيف، وجاء عثمان بعد ثلاثة أيام، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: لقد ذهبت فيها عريضة. وتعجبت الملائكة من شأن علي^(٤)، فقال جبريل وهو يعرج إلى السماء:

لا سيف إلا ذو الفقار : رولا فتى إلا علي

وقتل أكثر^(٥) المشركين في هذه الغزاة، وكان الفتح فيها على يده. وروى قيس بن سعد قال^(٦): سمعت علياً يقول: أصابني

(١) انظر في ذلك ابن هشام ٣٦٥/٢ - ٣٧٤.

(٢) في (ك) ص ١٨٢ (م) - ١٨٣ (م).

(٣) ك: إلا علي بن أبي طالب عليهما السلام وحده ثم رجع..

(٤) ك (ص ١٨٣ م) : من ثبات علي عليه السلام.

(٥) ك: وقتل علي عليه السلام أكثر..

(٦) ك: روى قيس بن سعد عن أبيه قال..

يوم أحد ستة عشر ضربة^(١)، سقطت إلى الأرض فى أربع منهن، فجاءنى رجلٌ حسن الوجه حسن اللّمة^(٢) طيّب الريح، فأخذ بضبعى، فأقامنى، ثم قال: أقبل عليهم فقاتل فى طاعة الله وطاعة رسوله، فهما عنك راضيان. قال على: فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وأخبرته. فقال: يا على أما تعرف الرجل؟ قلت: لا، ولكن شبّهته بدحية الكلبى. فقال: يا على أقرّ الله عينيك^(٣)، كان ذاك جبريل^(٤).

الرد عليه

والجواب: أن يقال: قد ذكر فى هذه من الأكاذيب العظام التى لا تنفق إلا على من لم يعرف الإسلام، وكأنه يخاطب بهذه الخرافات من لا يعرف ما جرى فى الغزوات. كقوله: «إن عليا قتل أكثر المشركين فى هذه الغزاة، وكان الفتح فيها على يده».

فيقال: آفة الكذب الجهل. وهل كان فى هذه الغزاة فتح؟ بل كان المسلمون قد هزموا العدو أولاً، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد وكل بشجرة الجبل الرماة، وأمرهم بحفظ ذلك المكان، وأن لا يأتوهم سواء غلبوا أو غلبوا. فلما انهزم المشركون صاح بعضهم: أى قوم الغنيمة! فنهاهم أميرهم عبدالله بن جبير، ورجع العدو عليهم، وأمير المشركين

(١) ستة عشر ضربة: كذا فى (ك) وفى سائر النسخ نقلاً عنها، وهو خطأ. والصواب: ست عشرة ضربة.

(٢) س، ب: اللحية.

(٣) ن، م، س: عيناك.

(٤) ك: فإنه كان جبريل عليه السلام.

إذ ذاك خالد بن الوليد، فأتاهم من ظهورهم، فصاح الشيطان: قُتل محمد. واستشهد في ذلك اليوم نحو سبعين، ولم يبق مع النبي صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم إلا اثنا عشر رجلاً، فيهم أبو بكر وعمر.

وأشرف أبو سفيان فقال: أفى القوم محمد؟ أفى القوم محمد؟ والحديث في الصحيحين^(١)، وقد تقدّم لفظه^(٢). وكان يوم بلاء وفتنة وتمحيص، وانصرف العدو عنهم منتصراً، حتى هم بالعود^(٣) إليهم، فندب النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين للحاقه.

وقيل إن في هؤلاء نزل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾ [سورة آل عمران: ١٧٢] وكان في هؤلاء المتدبين: أبو بكر والزبير. قالت عائشة لابن الزبير: أبوك وجدك ممن قال الله فيهم: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ﴾^(٤)، ولم يقتل يومئذ من المشركين إلا نفر قليل، وقصد العدو رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتهدوا في قتله، وكان ممن ذب عنه

(١) م : فى الصحيح .

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٢٣/١ ، ٢١/٥ .

(٣) س ، ب : بالعدو، وهو خطأ .

(٤) الحديث عن عائشة رضى الله عنها فى : البخارى ١٠٢/٥ (كتاب المغازى، باب الذين استجابوا لله والرسول) ونصه : قالت لعروة : يا ابن اختى كان أبوك منهم : الزبير وأبو بكر لما أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصاب يوم أحد وانصرف عنه المشركون خاف أن يرجعوا . قال : «من يذهب فى إثرهم؟» فانتدب منهم سبعون رجلاً . قال : كان فيهم أبو بكر والزبير . والحديث فى : مسلم ١٨٨٠/٤ - ١٨٨١ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل طلحة والزبير ..) ؛ تفسير ابن كثير ١٤٤/١٤٥ - ١٤٥ .

يومئذ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، وجعل يرمى عنه، والنبى صلى الله عليه وسلم يقول له: «ارم فداك أبى وأمى».

وفى الصحيحين عن سعد قال: جمع لى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أبويه يوم أحد^(١). وكان سعد مجاب الدعوة مسدد الرمية.

وكان فيهم أبو طلحة رامياً، وكان^(٢) شديد النزع، وطلحة بن عبيد الله: وقى النبى صلى الله عليه وسلم بيده فشلت يده. وظاهر النبى صلى الله عليه وسلم بين درعين، وقُتل دونه نفر.

قال ابن إسحاق فى «السيرة» فى نفر الذين قاموا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم قال^(٣): «ترس / دون النبى صلى الله عليه وسلم أبودجانة بنفسه: يقع النبل فى ظهره وهو منحن عليه، حتى كثر فيه النبل. ورمى سعد بن أبى وقاص دون النبى صلى الله عليه وسلم. قال سعد: فلقد رأيته يناولنى النبل، ويقول^(٤): «ارم فداك أبى وأمى»، حتى إنه لناولنى السهم ماله نصل، فيقول: «ارم»^(٥).

(١) الحديث عن سعد بن أبى وقاص رضى الله عنه فى: البخارى ٢٢/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبى...); مسلم ١٨٧٦/٤ (كتاب فضائل الصحابة، باب فى فضل سعد...); سنن الترمذى ٣١٤/٥ (كتاب المناقب، باب مناقب أبى إسحاق سعد...); سنن ابن ماجه ٤٧/١ (المقدمة، باب فى فضائل أصحاب رسول الله...، فضل سعد...); المسند (ط. المعارف) رقم ١٤٩٥، ١٥٦٢.

(٢) س، ب: فكان.

(٣) فى: سيرة ابن هشام ٨٧/٣.

(٤) ابن هشام: وهو يقول.

(٥) ابن هشام: ارم به. والكلام التالى بعد هذه العبارة فى سيرة ابن هشام ٨٦/٣.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم حين غشيه القوم: «من رجل^(١) يشري لنا نفسه؟»... فقام^(٢) زياد بن السكن في نفر: خمسة من الأنصار. وبعض الناس يقول: إنما هو عمارة بن زيد^(٣) بن السكن - فقاتلوا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً، ثم رجلاً، يُقتلون دونه، حتى كان آخرهم زياد أو عمارة^(٤) فقاتل حتى أثبتته الجراحة، ثم فاءت فئة من المسلمين فأجهضوهم عنه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أذنوه مني» فأذنوه منه، فوسّده قدمه، فمات وختّه على قدم النبي صلى الله عليه وسلم.

قال^(٥): «وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رمى عن قوسه^(٦) حتى اندقت سِيَّتُهَا^(٧)، فأخذها قتادة بن النعمان، فكانت عنده، وأصيبت يومئذ عين قتادة بن النعمان، حتى وقعت على وجنته^(٨). وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ردّها بيده وكانت^(٩) أحسن عينيه وأحدهما^(١٠).

(١) رجل : ساقطة من (س)، (ب).

(٢) بعد كلمة «نفسه» يوجد في سيرة ابن هشام عبارات استغرقت سطراً لم يذكرها ابن تيمية.

(٣) ابن هشام : بن يزيد .. (٤) ن، م، س : زياد بن عمارة.

(٥) أبو ابن إسحاق في «سيرة ابن هشام» ٨٧/٢.

(٦) م : رمى بيده عن قوسه. (٧) السية : طرف القوس.

(٨) ن، م، س : وجنته. (٩) ابن هشام : فكانت.

(١٠) ذكر ابن حجر هذا الخبر في ترجمة قتادة بن النعمان في «الإصابة» ٢١٧/٣ وقال إن

الواقعة حدثت في غزوة بدر، ثم قال : «وجاء من أوجه أخر أنها أصيبت يوم أحد. أخرجه

الدارقطني وابن شاهين من طريق عبد الرحمن بن يحيى العلوي عن مالك عن عاصم بن

عمر بن قتادة عن محمود بن ليد عن قتادة بن النعمان أنه أصيبت عينه يوم أحد فوقع

ولم يكن على ولا أبو بكر ولا عمر من الذين كانوا يدفعون عن النبي صلى الله عليه وسلم، بل كانوا مشغولين بقتال آخرين، وجرح النبي صلى الله عليه وسلم في جبينه، ولم يجرح على.

فقوله: «إن علياً قال أصابتني يوم / أحد ست عشرة»^(١) ضربة، سقطت إلى الأرض في أربع منهن»^(٢).

كذب على على، وليس هذا الحديث في شيء من الكتب المعروفة عند أهل العلم. فأين إسناده هذا؟ ومن الذي صححه من أهل العلم؟ وفي أي كتاب من الكتب التي يُعتمد على نقلها ذكر هذا؟ بل الذي جرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وكثير من الصحابة.

قال ابن إسحاق^(٣): «فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى فَمَ الشَّعْب خرج على بن أبي طالب حتى ملأ درقته من المهراس»^(٤) فجاء

على وجهه، فردها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكانت أصح عينيه. وأخرجه السدائقي والبيهقي في «الدلائل» من طريق عياض بن عبد الله بن أبي سرح عن أبي سعيد الخدري عن قتادة أن عينه ذهبت يوم أحد، فجاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم فردها فاستقامت. وساقها ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مطولة مرسله.

(١) م : سبعة عشر.

(٢) س، ب : سقطت في أربع منهن إلى الأرض.

(٣) ابن هشام ٣ / ٩٠-٩١.

(٤) ن، س : حتى ملأ ترسه من المهراس؛ ب : حتى ملأ ترسه من المهراس؛ ابن

هشام : حتى ملأ درقته ماءً من المهراس. وفي «اللسان» : «الدركة السحفة وهي ترس من جلود ليس فيه خشب ولا عَقَب». وفي التعليق على ابن هشام : «قال أبوذر : قال أبو العباس : المهراس : ماء بأحد. وقان غيره : المهراس : حجر ينقر ويجعل إلى جانب البئر، ويصب فيه الماء ليتفجع به الناس».

به رسول^(١) الله صلى الله عليه وسلم ليشرب منه ، فوجد له ريحاً ، فعافه فلم يشرب منه ، وغسل عن وجهه الدم ، وصب على رأسه وهو يقول : «اشتد غضب الله على من أدمى^(٢) وجه نبيه^(٣)» .

وقوله : «إن عثمان جاء بعد ثلاثة أيام» كذب آخر .

وقوله : «إن جبريل قال وهو يعرج :

لا سيف إلا ذو الفقار : رولا فتى إلا على^(٤)»

كذب باتفاق الناس ؛ فإن ذا الفقار لم يكن لعلى ، ولكن كان سيفاً لأبى جهل غنمه المسلمون يوم بدر ، فروى الإمام أحمد والترمذى وابن ماجه عن ابن عباس قال : تنفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه

(١) ابن هشام : فجاء به إلى رسول... (٢) ابن هشام ٩١/٣ : دُمى .

(٣) فى البخارى ١٠١/٥ (كتاب المغازى ، باب ما أصاب النبى صلى الله عليه وسلم من الجراح يوم أحد) عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «اشتد غضب الله على من قتله النبى صلى الله عليه وسلم فى سبيل الله ، اشتد غضب الله على قوم دَمَوْا وجه نبى الله صلى الله عليه وسلم» . وجاءت عبارة «اشتد غضب الله على قوم دَمَوْا وجه رسوله» مرفوعة إلى النبى صلى الله عليه وسلم ضمن حديث مطول عن ابن عباس فى المسند (ط . المعارف) ٢٠٩-٢١١ (رقم ٢٦٠٩) فيه أخبار غزوة أحد وصحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله إسناده وقال إن الحاكم رواه فى المستدرک ٢٩٦/٢-٢٩٧ وصححه هو والذهبي وذكره ابن كثير فى التفسير ٢٦١/٢-٢٦٢ ونقل كلام ابن كثير عنه ، ثم ذكر أنه فى «مجمع الزوائد» ١١٠-١١١ وفى «الدر المنثور» ٨٤/٢ ثم قال : «وهو حديث غريب حقا ، فى لفظه ما يوهم أن ابن عباس شهد الواقعة ، وما كان ذلك قط ، فإنه كان إذ ذاك طفلاً مع أبيه بمكة . والظاهر عندى أنه حكاه عن واحد من الصحابة ممن شهد أحداً ، ونسى بعض الرواة أن يذكر من حدّث ابن عباس به» .

(٤) سبق الكلام على هذا الخبر فيما مضى ٦٩-٦٨/٥ .

ذا الفقار يوم بدر، وهو الذى رأى فيه الرؤيا يوم أحد. قال: «رأيت فى سيفى ذى الفقار فلأ فأولته فلأ يكون فيكم، ورأيت أنى مُردف كبشا، فأولته كبش الكتبية، ورأيت أنى فى درع حصينة، فأولتها المدينة، ورأيت بقرأ تذبج، فبقر والله خير» فكان الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١).

وهذا الكذب المذكور فى ذى الفقار من جنس كذب بعض الجهال: أنه كان له سيف يمتد إذا ضرب به كذا وكذا ذراعاً، فإن هذا مما يعلم العلماء أنه لم يكن قط: لا سيف على ولا غيره. ولو كان سيفه يمتد لمدّه يوم قاتل معاوية.

(١) الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى: المسند (ط . المعارف) ١٤٦/٤-١٤٧. وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله فى تعليقه: «إسناده صحيح. ابن أبى الزناد هو عبدالرحمن. والحديث ذكره ابن كثير فى التاريخ ١١/٤-١٢ من رواية البيهقى من طريق ابن وهب عن ابن أبى الزناد بأطول مما هنا، وقال: رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عبدالرحمن بن أبى الزناد عن أبيه، به. ذوالفقار (يفتح الفاء): سعى بذلك لأنه كانت فيه حفر صغار حسان، والسيف المقفر: الذى فيه حوز مطمئة عن متنه. الفل (يفتح الفاء وتشديد اللام): الثلم فى السيف، وأصله الكسر والضرب، ومنه (الفل) للقوم المنهزمين». ووجدت أن ابن ماجه ذكر الحديث مختصراً فى سنته ٩٣٩/٢ (كتاب الجهاد، باب السلاح) ولفظه فيه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تنفل سيفه ذا الفقار يوم بدر». وجاء الحديث فى المسند (ط . الحلبي) ٢٦٧/٣ عن أنس رضى الله عنه ولفظه رأيت فيما يرى الناس كأنى مردف كبشاً، وكان ظبة سيفى انكسرت، فأولت أنى أقتل صاحب الكتبية، وأن رجلاً من أهل بيتى يُقتل». وفى ابن هشام ٦٦/٣-٦٧: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنى قد رأيت والله خيراً. رأيت بقرأ، ورأيت فى دُباب سيفى ثلماً، ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة، فأولتها المدينة»، قال ابن هشام: وحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «رأيت بقرأ لى

وقال بعض الجهال: إنه مدّ يده حتى عبر الجيش على يده بخير،
 وإنه قال للبغلة: «قطع الله نسلك» فانقطع نسلها. فهذا من الكذب
 البين؛ فإنه يوم خير لم يكن معهم بغلة، ولا كان للمسلمين بغلة على
 عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلا بغلته التي أهداها له المقوقس،
 وذلك بعد غزوة خيبر، بعد أن أرسل إلى الأمم، وأرسل إلى ملوك
 الأرض^(١): هرقل ملك الشام، وإلى المقوقس ملك مصر، وإلى كسرى
 ملك الفرس. وأرسل إلى ملوك^(٢) العرب مثل صاحب اليمامة وغيره.

وأيضا فالجيش لم يعبر أحد منهم على يد على ولا غيره، والبغلة لم
 تزل عقيما قبل ذلك، ولم تكن قبل ذلك تلد فعقمت، ولو قدر أنه دَعَا
 على بغلة معينة لم تعم الدعوة جنس البغال.

ومثل هذا / الكذب الظاهر قول بعض الكذابين: إنه لما سُبِي
 بعض أهل البيت حُمِلوا على الجمال عرايا، فنبت لهم سنامات من
 يومئذ، وهى البخاتى. وأهل البيت لم يُسب أحد منهم فى الإسلام، ولا
 حُمِل أحد من نسائهم مكشوف العورة، وإنما جرى هذا على أهل البيت
 فى هذه الأزمان بسبب الرافضة، كما قد علمه الخاص والعام.

بل هذا الكذب مثل كذب من يقول: إن الحجاج قتل الأشراف،
 والحجاج^(٣) لم يقتل أحداً من بنى هاشم، مع ظلمه وفتكه بكثير من

١٧١/٤

تذبح. قال: فأما البقر فهى ناس من أصحابى يقتلون. وأما الثلم الذى رأيت فى ذباب
 سيفى، فهو رجل من أهل بيتى يقتل، ولم أعرف مكان الحديث فى سنن الترمذى.

(١) ن، م، س: إلى ملوك الشام ولعل الصواب ما أثبتته.

(٢) ن، م، س: ملك، وهو خطأ. (٣) والحجاج: ساقطة من (ب) فقط.

غيرهم ، لكن قتل كثيراً من أشراف العرب ، وكان عبد الملك قد أرسل إليه أن لا يقتل أحداً من بنى هاشم ، وذكر له أنه لما قُتل الحسين في ولاية بنى حرب - يعنى ملك يزيد - أصابهم شرٌّ ، فاعتبر عبد الملك بذلك ، فنهاه أن يقتل أحداً من بنى هاشم ، حتى أن الحجاج طمع أن يتزوج هاشمية ، فخطب إلى عبدالله بن جعفر ابنته ، وأصدقها صداقاً كثيراً ، فأجابته عبدالله إلى ذلك ، فغضب من ذلك مَنْ غضب من أولاد عبد الملك ، ولم يروا الحجاج أهلاً لأن يتزوج واحدة من بنى هاشم ، ودخلوا على عبد الملك وأخبروه بذلك ، فمنع الحجاج من ذلك ، ولم يروه كفؤاً لنكاح هاشمية ولا أن يتزوجها .

وبالجملة فالأحاديث التى ينقلها كثير من الجهال لا ضابط لها ، لكن منها ما يُعرف كذبه بالعقل ، ومنها ما يُعرف كذبه بالعادة ، ومنها ما يُعرف كذبه بأنه خلاف ما عُلم بالنقل الصحيح ، ومنها ما يُعرف كذبه بطرق أخرى .

﴿فصل﴾

قال الرافضى^(١) : «وفى غزاة الأحزاب ، وهى غزاة الخندق ، لما فرغ النبى صلى الله عليه وسلم من عمل^(٢) الخندق ، أقبلت

(١) فى (ك) ص ١٨٣ (م) - ١٨٤ (م) .

(٢) عمل : ساقطة من (س) ، (ب) .

قريش يقدمها أبوسفيان وكنانة وأهل تهامة في عشرة آلاف، وأقبلت غطفان ومن تبعها من أهل نجد، ونزلوا من فوق المسلمين ومن تحتهم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [سورة الاحزاب: ١٠]، فخرج عليه الصلاة والسلام بالمسلمين مع ثلاثة آلاف^(١)، وجعلوا الخندق بينهم، واتفق المشركون مع اليهود، وطمع المشركون بكثرتهم وموافقة اليهود، وركب عمرو بن [عبد] ود^(٢) وعكرمة بن أبي جهل، ودخلا من مضيق في الخندق إلى المسلمين، وطلب^(٣) المبارزة، فقام عليّ وأجابه، فقال النبي^(٤) صلى الله عليه وسلم: إنه عمرو، فسكت. ثم طلب المبارزة ثانيا وثالثا، وكل^(٥) ذلك يقوم عليّ، ويقول له النبي صلى الله عليه وسلم: إنه عمرو، فأذن له في الرابعة، [فقال له عمرو: ارجع يا ابن أخي فما أحب أن أقتلك]^(٦). فقال له عليّ: كنت عاهدت / الله أن لا يدعوك رجلٌ من قريش إلى إحدى خلتين^(٧) إلا أخذتها منه، وأنا أدعوك

ص ٣٤٤

(١) ك: النبي صلى الله عليه وسلم وآله بالمسلمين وهم ثلاثة آلاف.

(٢) ن، م، س، ب: عمرو بن ود. والمثبت من (ك) وهو الصواب.

(٣) ك: وطلب.

(٤) فقال: ساقطة من (س)، (ب). وفي (ك): فقال له النبي...

(٥) ك: وفي كل...

(٦) ما بين المعقوفتين زيادة من هامش (ك) وسقطت من جميع النسخ.

(٧) ن، س: أحد جبلتين؛ م: أحد خلتين؛ ك: بإحدى خصلتين. والمثبت من (ب).

إلى الإسلام. قال عمرو: لا حاجة لى بذلك. قال: أدعوك إلى البراز. قال: ما^(١) أحب أن أقتلك. قال على: بل أنا أحب^(٢) أن أقتلك. فحَمِيَ عمرو، ونزل عن فرسه، وتجاولا^(٣)، فقتله على^(٤)، وانهزم عكرمة، ثم انهزم باقى المشركين واليهود. وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: قتل على لعمر بن عبد ودّ أفضل من عبادة الثقلين».

الرد عليه من
وجوه
الوجه الأول
الوجه الثانى

والجواب: أن يقال: أولاً: أين إسناد هذا النقل وبيان صحته؟

ثم يقال: ثانياً: قد ذكر فى هذه الغزوة أيضا عدة أكاذيب. منها قوله: إن قريشا وكنانة وأهل تهامة كانوا فى عشرة آلاف، فالأحزاب كلهم من هؤلاء، ومن أهل نجد: تميم وأسد وغطفان، ومن اليهود: كانوا قريبا من عشرة آلاف. والأحزاب كانوا ثلاثة أصناف^(٥): قريش وحلفاؤها، وهم أهل مكة ومن حولها. وأهل نجد: تميم وأسد وغطفان ومن دخل معهم. واليهود بنو قريظة.

وقوله: إن عمرو بن عبد^(٦) ود وعكرمة [بن أبى جهل]^(٧) ركبا، ودخلا من مضيق فى الخندق.

(١) ك: النزال، قال عمرو: ما... (٢) ك: قال له على: لكنى أحب...

(٣) ك: وتجادلا.

(٤) ك: فقتله على عليه السلام وولده، وهو خطأ. انظر: ابن هشام ٢٣٥/٣ - ٢٣٦.

(٥) س، ب: والأصناف كانوا ثلاثة أحزاب..

(٦) م: وحلفاؤهم.

(٧) عبد: ساقطة من (س)، (ب). (٨) بن أبى جهل: زيادة فى (م).

وقوله: إن عمراً لما قتل وانهزم^(١) المشركون واليهود.

هذا من الكذب البارد، فإن المشركين بقوا محاصرين للمسلمين^(٢) بعد ذلك هم واليهود، حتى خَبَبَ بينهم نعيم بن مسعود، وأرسل الله عليهم الريح الشديدة: ريح الصبا، والملائكة من السماء.

كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا * إِذْ جَاءَكُمْ مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَكَلَّغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا * وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [سورة الأحزاب: ٩-١٢] إلى قوله: ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ [سورة الأحزاب: ٢٥].

١٧٢/٤

وهذا يبيِّن أن المؤمنين لم يقاتلوا فيها، وأن المشركين ما ردَّهم الله بقتال. وهذا هو المعلوم المتواتر عند أهل العلم بالحديث والتفسير والمغازي والسير والتاريخ.

فكيف يُقال بأنه باقتتال عليٍّ وعمرو بن عبد ودٍ وقتله له^(٣) انهزم المشركون.

والحديث الذي ذكره عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: قتل عليٍّ لعمر بن عبد ودٍ أفضل من عبادة الثقلين. من الأحاديث

(١) ب : لما قتل انهزم...

(٢) ن، س، ب : المسلمين.

(٣) له : ساقطة من (س)، (ب).

الموضوعة ، ولهذا لم يروه أحد من علماء المسلمين فى شىء من الكتب التى يُعتمد عليها ، بل ولا يعرف له إسناد صحيح ولا ضعيف^(١) .

وهو كذب لا يجوز نسبته إلى النبى صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه لا يجوز أن يكون قتل كافر أفضل من عبادة الجن والإنس ، فإن ذلك يدخل فيه عبادة الأنبياء . وقد قُتل من الكفار من كان قتله أعظم من قتل عمرو بن [عبد]^(٢) ودّ . وعمرو هذا لم يكن فيه من معاداة النبى صلى الله عليه وسلم ومضارّته له وللمؤمنين ، مثل ما كان فى صناديد قريش ، الذين قُتلوا ببدر ، مثل أبى جهل ، وعقبة بن أبى معيط ، وشيبة بن ربيعة ، والنضر بن الحارث ، وأمثالهم الذين نزل فيهم القرآن . وعمرو هذا لم ينزل فيه شىء من القرآن ، ولا عرف له شىء ينفرد به فى معاداة النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنين .

وعمر بن عبد ودّ هذا لم يعرف له ذكر فى غزاة بدر ولا أحد ، ولا غير ذلك من مغازى قريش التى غزوا فيها النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا فى شىء من السرايا ، ولم يشتهر ذكره إلا فى قصة الخندق ، مع^(٣) أن قصته ليست مذكورة فى الصحاح ونحوها ، كما نقلوا فى الصحاح مبارزة الثلاثة يوم بدر إلى الثلاثة : مبارزة حمزة وعبيدة وعلى مع عتبة وشيبة والوليد .

وكتب التفسير والحديث مملوءة بذكر المشركين الذين كانوا يؤذون

(١) لم أجد هذا الحديث الموضوع .

(٢) عبد : ساقطة من (ن) ، (م) .

(٣) س ، ب : ومع .

النبي صلى الله عليه وسلم، مثل أبي جهل، وعقبة بن أبي معيط، والنضر بن الحارث، وغيرهم، وبذكر رؤساء الكفار، مثل الوليد بن المغيرة وغيره، ولم يذكر أحد عمرو بن عبد ود: لا في هؤلاء ولا في هؤلاء، ولا كان من مقدمي القتال، فكيف يكون قتل مثل هذا أفضل من عبادة الثقليين؟ ومن المنقول بالتواتر أن الجيش لم يهزم بقتله، بل بقوا بعده محاصرين مجدين^(١) كما كانوا قبل قتله.

﴿فصل﴾^(٢)

قال الرافضي^(٣): «وفي غزاة بني النضير قتل عليّ رامي ثنية^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم^(٥)، وقتل بعده عشرة، وانهزم الباقون».

والجواب: أن يقال: ما تذكره في هذه الغزاة وغيرها من الغزوات من المنقولات لا بد من ذكر إسناده أولاً، وإلا فلو أراد إنسان أن يحتج بنقل لا يُعرف إسناده في جزرة بقل لم يقبل منه^(٦)، فكيف يحتج به في مسائل الأصول؟!

(١) مجدين: ليست في (م).

(٢) فصل: ساقطة من (س)، (ب).

(٣) في (ك) ص ١٨٤ (م).

(٤) ثنية: ساقطة من (م). وفي (ك): قبة.

(٥) ك: صلى الله عليه وآله بسهم..

(٦) س: في جزرة يقبل منه؛ ب: في جزئية لا يقبل منه؛ م: في جزرة بقل لم يعقل منه.

ثم يقال : ثانياً : هذا من الكذب الواضح ، فإن بنى النصير هم الذين أنزل الله فيهم سورة الحشر باتفاق الناس ، وكانوا من اليهود ، وكانت قصتهم قبل الخندق وأحد ، ولم يذكر فيها^(١) مصاف ولا هزيمة ، ولا رمى أحد ثنية النبي صلى الله عليه وسلم فيها ، وإنما أصيبت ثنيته يوم أحد . وكان النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون في غزاة بنى النصير ، قد^(٢) حاصروهم حصاراً شديداً ، وقطعوا نخيلهم .

وفيهم أنزل الله تعالى : ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [سورة الحشر : ٥] .

ظ ٣٤٤

ولم يخرجوا لقتال حتى ينهزم أحد منهم ، وإنما كانوا في حصن يقاتلون من وراءه . كما قال تعالى : ﴿ لَا يِقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً إِلَّا فِي قُرَىٰ مُحْصَنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقَلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ﴾ [سورة الحشر : ١٤] .

ثم إن النبي صلى الله عليه وسلم أجلاهم إجلاء لم يقتلهم فيه . قال تعالى^(٣) : ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [سورة الحشر : ٢] إلى قوله تعالى : ﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾ [سورة الحشر : ٢] .

١٧٣/٤

(١) ن ، م ، س : فيه .

(٢) ن ، س ، ب : وقد .

(٣) ن ، م : لم يقتلهم ، وفيه قال تعالى .

قال ابن إسحاق بعد أن ذكر نقضهم العهد، وأنهم أرادوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم، لما خرج إليهم يستعين بهم في دية القتيلين اللذين قتلها عمرو بن أمية، قال^(١): «فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسير إليهم وبالتهيؤ لحربهم^(٢)». «واستعمل علي المدينة ابن أم مكتوم فيما ذكر ابن هشام^(٣). ونزل تحريم الخمر^(٤)».

قال ابن إسحاق: فتحصنوا منه في الحصون، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع النخيل والتحريق فيها، فنادوه: أي محمد^(٥) قد كنت تنهى عن الفساد، وتعييه على من صنعه، فما بال قطع النخيل وتحريقها؟!.

قال^(٦): «وقد كان رهط من بني عوف بن الخزرج قد بعثوا^(٧) إلى بني النضير: أن اثبتوا وتمنعوا، فإننا لن نُسلمكم، إن قوتلتهم قاتلنا معكم، وإن خرجتم خرجنا معكم. فتربصوا ذلك من نصرهم^(٨)»، فلم يفعلوا، وقذف الله في قلوبهم الرعب، وسألوا رسول الله^(٩) صلى الله عليه وسلم أن

(١) ابن هشام ٢٠٠/٣.

(٢) ابن هشام: وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير إليهم.

(٣-٣) : كذا في ابن هشام نسخة أ. وفي الميثب فيها: قال ابن هشام واستعمل... الخ.

(٤) ابن هشام: «قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيع الأول، فحاصروهم ست ليال، ونزل

تحريم الخمر». (٥) ابن هشام: أن يا محمد.

(٦) بعد كلامه السابق مباشرة.

(٧) ابن هشام: .. الخزرج منهم عدو الله عبد الله بن أبي بن سلول ووديعة ومالك بن أبي قوقل، وسويد وداعس، قد بعثوا..

(٨) ب: فتربصوا من ذلك نصرهم. (٩) س، ب: الرسول.

يجليهم^(١) ويكف عن دمائهم ، على أن لهم ما حَمَلَت الإبل من أموالهم إلا الحلقة^(٢) ، ففعل ، فاحتملوا من أموالهم ما استقلَّت به الإبل ، فكان الرجل منهم يهدم بيته عن نِجَافِ بابه^(٣) ، فيضعه على ظهر بعيره ، فينطلق به . فخرجوا إلى خير ، ومنهم من سار إلى الشام .

قال^(٤) : « وحدثني عبدالله بن أبي بكر أنه^(٥) حُدِّث : أنهم استقلَّوا بالنساء والأموال والأبناء^(٦) ، معهم الدفوف والمزامير ، والقينات^(٧) يعزفن خلفهم بزهو وفخر^(٨) ما رُئِيَ مثله من حَيٍّ من الناس^(٩) . وخلَّوا الأموال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، يضعها حيث يشاء ، فقسَّمها رسول الله صلى الله عليه وسلم بين^(١٠) المهاجرين الأولين دون الأنصار . إلا أن سهل بن حنيف وأبا دجانة^(١١) ذكرا فاقة وفقرا ، فأعطاهما النبي صلى الله عليه وسلم^(١٢) .

-
- (١) س ، ب : يخليهم .
(٢) في التعليق على ابن هشام : « الحلقة : السلاح كله ، أو خاص بالدروع .
(٣) في التعليق : النِجَاف (بوزن كتاب) : العتبة التي بأعلى الباب .
(٤) في ابن هشام بعد سطين : قال ابن إسحاق . .
(٥) س ، ب : بأنه .
(٦) والأموال : ساقطة من (ب) . وفي ابن هشام : والأبناء والأموال .
(٧) ابن هشام : والقيان .
(٨) ابن هشام : خلفهم وإن فيهم لأم عمرو ، صاحبة عروة بن الورد العبسي ، التي ابتاعوا منه ، وكانت إحدى نساء بني غفار ، بزهاء وفخر . .
(٩) ابن هشام : من الناس في زمانهم . (١٠) ابن هشام : على .
(١١) ابن هشام ٢٩٢/٣ : وأبا دجانة سِمَاك بن خرشة .
(١٢) ابن هشام : ذكرا فقرا فأعطاهما رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال^(١): «وأنزل الله تعالى في بني النضير سورة^(٢) الحشر بأسرها يذكر فيها ما أصابهم من نقمة^(٣)، وما سلط به رسوله عليهم^(٤)، وما عمل فيهم^(٥)».

وفى الصحيحين عن ابن عمر أن يهود بني النضير ولا بني [قريظة]^(٦) حاربوا رسول الله صلى عليه وسلم، فأجلى بني النضير، وأقر قريظة ومنهم عليهم، حتى حاربت قريظة بعد ذلك، فقتل رجالهم، وسبى نساءهم، وأولادهم وأموالهم، وقسم أنفالهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمنهم وأسلموا، وأجلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود المدينة كلهم: بني قينقاع، وهم قوم عبد الله ابن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهودى كان بالمدينة^(٧).

(١) بعد الكلام السابق بستة أسطر.

(٢) ابن هشام: ونزل في بني النضير سورة...

(٣) م: نقمة؛ ابن هشام: نقمته.

(٤) ن، س، ب: وما سلط الله به رسوله عليهم؛ ابن هشام: وما سلط عليهم به رسوله صلى الله عليه وسلم.

(٥) ابن هشام: وما عمل به فيهم.

(٦) ن، م: وقريظة.

(٧) الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما في: البخارى ٨٨/٥ (كتاب المغازى، باب حديث بني النضير...); مسلم ١٣٨٧/٣-١٣٨٨ (كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز); سنن أبى داود ٢١٤/٣-٢١٥ (كتاب الخراج والإمارة والفتى، باب فى خبر النضير).

﴿فصل﴾^(١)

تابع كلام
الرافضى على
شجاعة على
رضى الله عنه

قال الرافضى:^(٢) «وفى غزوة السلسلة جاء أعرابى فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم أن جماعة من العرب قصدوا أن يكبسوا عليه بالمدينة»^(٣)، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من اللوائى؟^(٤) فقال أبوبكر: أنا له، فدفع إليه اللواء، وضم إليه سبعمائة، فلما وصل إليهم، قالوا^(٥): ارجع الى صاحبك، فإننا فى جمع كثير، فرجع^(٦)، فقال فى^(٧) اليوم الثانى: من اللوائى؟^(٨) فقال عمر: أنا^(٩)، فدفع إليه الراية، «ففعل كالأول، فقال فى اليوم الثالث^(١٠) أين على؟ فقال على: أنا ذا»^(١١) يارسول الله:

-
- (١) فصل : ساقطة من (س)، (ب).
 (٢) فى (ك) ص ١٨٤ (م) - ١٨٥ (م).
 (٣) ك: أن يُبَيِّتُوا النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة.
 (٤) ن، م : للوady. (٥) ك : قالوا له.
 (٦) فى هامش (ك) : «خوفا من الهلاك. وقد قال الله تعالى: (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة).
 (٧) ك : فقال عليه السلام فى ..
 (٨) ن، م : للوady.
 (٩) ك : أنا له.
 (١٠) * : ما بين النجمتين ساقط من (م) وجاءت هذه العبارات فى غير موضعها بعد ذلك.
 (١٠) ك: فقال صلى الله عليه وآله فى اليوم الثالث.
 (١١) ك: أين على بن أبى طالب عليه السلام؟ فقال عليه السلام: أنا ذا. . .

فدفع إليه الراية^(١)، ومضى إلى القوم، ولقيهم^(٢) بعد صلاة الصبح، فقتل منهم ستة أو سبعة، وانهزم الباقون، وأقسم الله تعالى بفعل أمير المؤمنين فقال: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ السورة^(٣) [سورة العاديات: ١] .

الرد عليه

فالجواب: أن يقال له: أجهل الناس يقول لك: بين لنا سند هذا، حتى ثبت أن هذا نقل صحيح. والعالم يقول له^(٤): إن هذه الغزاة - وما ذكر فيها - من جنس الكذب الذى يحكيه الطريقة، الذين يحكون الأكاذيب الكثيرة من سيرة عنترة، والبطال، وإن كان عنترة له سيرة مختصرة، والبطال له سيرة يسيرة، وهى ما جرى له فى دولة بنى أمية وغزوة الروم، لكن ولدها الكذابون حتى صارت مجلدات، وحكايات الشطار، كأحمد الدنف والزريق المصرى، وصاروا يحكون حكايات يختلقونها / عن الرشيد وجعفر، فهذه الغزاة من جنس هذه الحكايات، لم يعرف فى شيء من كتب المغازى والسير المعروفة عند أهل العلم ذكر هذه الغزاة، ولم يذكرها أئمة هذا الفن فيه، كموسى بن عقبة، وعروة بن الزبير، والزهرى، وابن إسحاق وشيوخه، والواقدي، ويحيى بن سعيد الأموى^(٥)، والوليد بن مسلم، ومحمد بن عائذ، وغيرهم، ولا لها ذكر فى الحديث، ولا نزل فيها شيء من القرآن.

١٧٤/٤

(١) ك: فلقاهم.

(٢) السورة: ليست فى (ك).

(٣) ب: لك.

(٤) فى جميع النسخ: وسعيد بن يحيى الأموى. وانظر ما سبق ص ٩٥ من هذا الجزء.

وبالجملة مغازى رسول الله صلى الله عليه وسلم - لاسيما / غزوات القتال - معروفة مشهورة، مضبوطة متواترة عند أهل العلم بأحواله، المذكورة فى كتب أهل الحديث والفقه والتفسير والمغازى والسير ونحو ذلك، وهى مما تتوفر الدواعى على نقلها، فيمتنع عادة وشرعا أن يكون للنبي صلى الله عليه وسلم غزاة يجرى فيها مثل هذه الأمور لا ينقلها أحد من أهل العلم بذلك، كما يمتنع أن يكون قد فُرض فى اليوم والليلة أكثر من خمس صلوات، أو فرض فى العام أكثر من صوم^(١) شهر رمضان ولم ينقل ذلك، وكما يمتنع أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم قد غزا الفرس بالعراق، وذهب إلى اليمن، ولم ينقل ذلك أحد، وكما يمتنع أمثال ذلك مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله لو كان ذلك موجودا.

وسورة «العاديات» فيها قولان: أحدهما: أنها نزلت بمكة، وهذا يروى عن ابن مسعود وعكرمة وعطاء وغيرهم، فعلى هذا يظهر كذب هذا القول. والثانى: أنها نزلت بالمدينة، وهو مروى عن ابن عباس وقتادة. وهذا القول يناسب قول من فسر «العاديات» بخيل المجاهدين، لكن المشهور عن على المنقول عنه فى كتب التفسير أنه كان يفسر «العاديات» بإبل الحُجَّاج وعدوها من مزدلفة إلى منى. وهذا يوافق القول الأول، فيكون على ما قاله على يكذب هذا القول. وكان ابن عباس والأكثر يفسرونها بالخيال العاديات فى سبيل الله^(٢).

(١) صوم : ساقطة من (س)، (ب).

(٢) ذكر ابن كثير فى تفسيره ٤٨٦/٨ أن عليا وعبدالله فسرا «العاديات» بأنها الإبل وفسرها ابن عباس بأنها الخيل، فبلغ عليا قول ابن عباس فقال: ما كانت لنا خيل يوم بدر، فقال

وأيضاً؛ ففي هذه الغزاة أن الكفار نصحووا المسلمين، وقالوا
لأبي بكر: ارجع إلى صاحبك، فإننا في جمع كثير. ومعلوم أن هذا
خلاف عادة الكفار المحاربين.

وأيضاً فأبو بكر وعمر لم ينهزما قط، وما ينقله بعض الكذابين من
انهزامهما يوم حُنين، فهو من الكذب المفترى.

فلم يقصد أحد المدينة إلا يوم الخندق وأُحد، ولم يقرب أحد من
العدو المدينة للقتال إلا في هاتين الغزاتين^(١).

وفي غزوة الغابة أغار بعض الناس على سرح^(٢) المدينة.

وأما ما ذكر في غزوة السلسلة فهو من الكذب الظاهر الذي لا يذكره
إلا من هو من أجهل الناس وأكذبهم.

وأما غزوة ذات السلاسل فتلك سرية بعث فيها النبي صلى الله وسلم
عمرو بن العاص أميراً فيها، لأن المقصودين كانوا بنى عذرة^(٣)، وكان
بينهم وبين عمرو بن العاص قرابة، فأرسله إليهم لعلهم يسلمون، ثم
أردفه بأبي عُبَيْدة بن الجراح، وليس لعلّى فيها ذكر، وكانت قريباً من
الشام بعيدة من المدينة، وفيها احتلم عمرو بن العاص في ليلة باردة
فتيمم وصلى بأصحابه، فلما أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم قال:

ابن عباس: إنما كان ذلك في سرية بعثت، ثم نقل ابن كثير عن ابن أبي حاتم وابن جرير
الخبر مفصلاً ٤٨٦/٨-٤٨٧ وفي آخره: «قال ابن عباس: فتزعت عن قولي ورجعت إلى
الذي قال على رضى الله عنه». وانظر ٤٨٧/٨؛ زاد المسير لابن الجوزي ٢٠٦/٩-٢٠٨.
(١) م: الحربتين.

(٢) ن، م: سراح.

(٣) م: لأن المقصود كان من بنى عذرة؛ ب: لأن المقصود منها كانوا بنى عذرة.

«يا عمرو: أصليت^(١) بأصحابك وأنت جنب؟» قال: إني سمعت الله يقول: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [سورة النساء: ٢٩] فأقره النبي صلى الله عليه وسلم على فعله ولم ينكره لما بين له عذره^(٢).

وقد تنازع الفقهاء هل قوله: أصليت بأصحابك وأنت جنب؟ استفهام، أى: هل صليت مع الجنابة، فلما أخبره أنه تطهر بالتيمم ولم يكن جنباً أقره، أو هو إخبار بأنه جنب، والتيمم يبيح الصلاة وكان يرفع^(٣) الجنابة، على قولين، والأول هو الأظهر.

﴿فصل﴾

قال الرافضى^(٤): «وقتل من بنى المصطلق مالكا وابنه، وسبى كثيراً، من جملتهم جويرية بنت الحرث بن أبى ضرار، فاصطفاهما النبي صلى الله عليه وسلم، فجاءها^(٥) أبوها فى ذلك

(١) م، س، ب: صليت.

(٢) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن عمرو بن العاص رضى الله عنه فى: سنن أبى داود ١٤١/١ (كتاب الطهارة، باب إذا خاف الجنب البرد أيتيم؟)؛ المسند (ط).
الحلى) ٢٠٣/٤ - ٢٠٤؛ المستدرک للحاكم ١٧٧/١. وقال الحاكم: «صحيح على شرط الشيخين» ووافقه الذهبى، وصحح الألبانى الحديث فى إرواء الغلیل ١٨١/١ - ١٨٣، واستدرک على الحاكم والذهبی وقال إن الحديث صحيح على شرط مسلم فقط.

(٣) ن، س، ب: ولا يرفع.

(٤) فى (ك) ص ١٨٥ (م).

(٥) ك: فجاء.

اليوم، فقال: يا رسول الله: ابنتي^(١) كريمة لا تسبي^(٢)، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يخيّرهما^(٣)، فقال: أحسنت وأجملت، ثم قال: يا بنية لا تفضحي قومك، قالت: اخترت الله ورسوله^(٤).

/ **والجواب أن يقال:** أولاً: لا بد من [بيان]^(٥) إسناد كل ما يحتاج به من المنقول، أو عزوه إلى كتاب تقوم به الحجة. [وإلا]^(٦) فمن أين يُعلم أن هذا وقع؟ ثم يقول من يعرف السيرة: هذا كله من الكذب، من أخبار الرافضة التي يخلقونها؛ فإنه لم ينقل أحد أن علياً فعل هذا في غزوة بني المصطلق، ولا سبي جُوَيْرِيَة بنت الحارث، وهي لما سُبيت كاتبت على نفسها، فأذى عنها النبي صلى الله عليه وسلم، وعُتقت من الكتابة، وأعتق الناس السبي لأجلها، وقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ولم يقدم أبوها أصلاً ولا خيّرهما. وروى أبو داود عن عائشة^(٧) قالت: وقعت جُوَيْرِيَة بنت الحارث بن

١٧٥/٤

الرد عليه

(١) ابنتي : ساقطة من (س)، (ب).

(٢) ك : ولا تسبي .

(٣) ك : فأمره عليه السلام بأن يخيّرهما، وفي هامش (ك): بين الكفر والإسلام، فاختارت الإسلام.

(٤) ك : فقالت : اخترت الله ورسوله صلى الله عليه وآله .

(٥) بيان : زيادة في (م).

(٦) وإلا : زيادة في (ب).

(٧) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في : سنن أبي داود ٣٠/٤ (كتاب العتق، باب في بيع المكاتب إذا فسخت الكتابة)؛ المسند (ط . الحلبي) ٢٧٧/٦ .

المصطلق في سهم ثابت بن قيس بن شماس،* [أو ابن عم له] (١)،
فكاتبت على نفسها، وكانت امرأة مُلآحة لها في العين حظ (٢) [تأخذها
العين. قالت عائشة] (٣): فجاءت تسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم
في كتابتها، فلما قامت على الباب فرأيتها كرهت مكانها، وعرفت أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم سَيرى منها مثل الذي رأيت، فقالت:

يا رسول الله أنا جويرية بنت الحارث وإنه كان (٤) من أمري ما لا يخفى
عليك، وإنى وقعت في سهم ثابت بن قيس بن شماس*، وإنى كاتبت
على نفسي، وجئتك تعينني (٥). فقال لها رسول الله صلى الله عليه
وسلم: «فهل لك فيما هو خير لك؟» قالت: وما هو يا رسول الله؟ قال:

«أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك» قالت: قد فعلت. فلما / تسامع الناس
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية، أرسلوا ما في
أيديهم من السبي واعتقوهم، وقالوا: أصهار رسول الله صلى الله عليه
وسلم. قالت: فما رأينا [امرأة] (٦) كانت أعظم بركة على قومها منها،

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (س).

(١) عبارة «أو ابن عم له» في (ب) فقط، وهي في سنن أبي داود.

(٢) عبارة «لها في العين حظ» : ساقطة من (س)، (ب)، وهي ليست في سنن أبي داود ولا
في المسند.

(٣) عبارة «تأخذها العين. قالت عائشة» في (ب) فقط، وهي في سنن أبي داود.

(٤) ب : وأنا كان؛ سنن أبي داود: وإنما كان..

(٥) ب : وجئت تعينني؛ سنن أبي داود: فجئتك أسألك في كتابتي.

(٦) امرأة: ساقطة من (ن)، (م)، (س). وهي في (ب)، سنن أبي داود.

أعتق في سبيها^(١) أكثر من مائة أهل بيت من بني المصطلق^(٢).

﴿فصل﴾

قال الرافض^(٣): «وفي غزوة خيبر^(٤) كان الفتح فيها على يد أمير المؤمنين، ودفع الراية^(٥) إلى أبي بكر فانهزم، ثم إلى عمر فانهزم، ثم إلى عليّ وكان أرمداً^(٦)، فتفل في عينيه^(٧)، وخرج فقتل مرحباً، فانهزم الباقيون، وغلّقوا عليهم الباب، فعالجه أمير المؤمنين فقلعه، وجعله^(٨) جسراً على الخندق، وكان الباب يغلقه عشرون رجلاً، ودخل المسلمون الحصن ونالوا الغنائم، وقال عليه السلام: والله ما قلعه بقوة خمسمائة رجل ولكن بقوة

تابع الكلام على
شجاعة عليّ
رضي الله عنه

(١) ن، م: في سبيها. والمثبت من (س)، (ب)، سنن أبي داود.
(٢) جاء هذا الحديث أيضاً في: ابن هشام ٣٠٧/٣؛ زاد المعاد (واسم الغزوة فيه: غزوة المريسيع، وقال الأستاذان المحققان: «هو ماء لبنى خزاعة بينه وبين القرع (موضع من ناحية المدينة) مسيرة يوم، وتسمى غزوة بني المصطلق، وهو لقب لجذيمة بن سعد ابن عمرو، بطن من بني خزاعة». ثم قال المحققان عن الحديث: «وإسناده صحيح». وجاء هذا الحديث في: البداية والنهاية لابن كثير ١٥٨/٤ - ١٥٩؛ طبقات ابن سعد ٦٤/٢؛ تاريخ الطبري ٦١٠/٢، ١٦٥/٣.

(٣) في (ك) ص ١٨٥ (م) - ١٨٦ (م).

(٤) ك: غزاة.

(٥) س، ب: ودفع الراية فيها.

(٦) ك: وكان أرمداً العين.

(٧) م: عينه. (٨) ن، س، ب: وجعل.

ربانية^(١)، وكان فتح مكة بواسطته».

الرد عليه

والجواب: بعد أن يُقال: لعنة الله على الكاذبين^(٢)، أن يُقال: من ذكر هذا من علماء النقل؟ وأين إسناده وصحته؟ وهو من الكذب؛ فإن خير لم تُفتح كلها في يوم واحد، بل كانت حصونا متفرقة، بعضها فتح عنوة، وبعضها فتح صلحا، ثم كتموا ما صالحهم عليه النبي صلى الله عليه وسلم، فصاروا محاربين، ولم ينهزم فيها أبوبكر ولا عمر. وقد روى أن علياً اقتلع باب الحصن، وأما جعله جسراً فلا.

وقوله: «كان فتح مكة بواسطته».

من الكذب أيضاً؛ فإن علياً ليس له في فتح مكة أثر أصلاً، إلا كما لغيره ممن شهد الفتح.

والأحاديث الكثيرة المشهورة في غزوة الفتح تتضمن هذا. وقد عزم عليٌّ على قتل حموين لأخته أجارتهما أخته أم هانئ، فأجار رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجات. وقد هم بتزوج^(٣) بنت أبي جهل، حتى غضب النبي صلى الله عليه وسلم فتركه.

وفي الصحيحين^(٤) عن أبي هريرة قال^(٥): كنا يوم الفتح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فجعل خالد بن الوليد على المُجَنَّبَةِ اليسرى،

(١) ك: والله ما قلعت باب خير بقوة جسمانية بل بقوة ربّانية.

(٢) م: الكاذبين.

(٣) ن، س، ب: بتزويج، وهو تحريف.

(٤) وفي الصحيحين: كذا في جميع النسخ، والحديث ليس في البخاري. انظر البخاري

١٤٥/٥-١٥٣.

(٥) الحديث في: مسلم ١٤٠٧/٣-١٤٠٨ (كتاب الجهاد والسير، باب فتح مكة).

وجعل الزبير على المُجَنَّبَةِ اليمنى^(١)، وجعل أبا عبيدة على البياذقة
 وبطن الوادى. فقال: «يا أبا هريرة ادع لى الأنصار» فجاءوا^(٢) يهرولون،
 فقال «يامعشر الأنصار: هل ترون أوباش قریش؟» قالوا: نعم. قال:
 «انظروا إذا لقيتموهم غداً أن تحصدوهم حصداً» وأحفى^(٣) بيده، ووضع
 يمينه على شماله وقال: «موعدكم الصفا» فما أشرف يومئذ [لهم]^(٤) أحد
 إلا أناموه^(٥). قال: فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا،
 وجاءت الأنصار، فأطافوا بالصفا، فجاء أبوسفيان فقال: يا رسول الله:
 أيديت خضراء قریش، / لا قریش بعد اليوم. فقال رسول الله صلى الله
 عليه وسلم: «من دخل دار أبى سفيان فهو آمن، ومن ألقى السلاح فهو
 آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن».

وفى الصحيحين^(٦) من حديث عروة بن الزبير قال: «لما سار رسول

(١) المجنبتان: هما الميمنة والميسرة، ويكون القلب بينهما.

(٢) ن، م، س: الساقة. والمثبت من (ب) وهو فى «مسلم». وفى التعليق: «على البياذقة.

هم الرجال. وهو فارسى معرب... قيل سموا بذلك لخفتهم وسرعة حركتهم».

(٣) مسلم: فدعوتهم فجاءوا...

(٤) ن، م، س: وأحفى. والمثبت من (ب). وفى «مسلم»: أحفى، وهو كذلك فى شرح

النووى على مسلم ١٣٢/١٢ (ولم يشرحها النووى). وقال ابن الأثير فى «النهاية فى

غريب الحديث»: «ومنه حديث الفتح: أن تحصدوهم حصداً، وأحفى بيده، أى أمالها،

وصفاً للحصد والمبالغة فى القتل». (٥) لهم: فى (ب) فقط، وهى فى مسلم.

(٦) قال النووى ١٣٢/١٢: «أى ما ظهر لهم أحد إلا قتلوه فوقع إلى الأرض، أو يكون بمعنى:

أسكنوه بالقتل كالنائم».

(٧) وفى الصحيحين: كذا فى جميع النسخ. ولم أجد الحديث فى مسلم، وهو فى: البخارى

١٤٦/٥-١٤٧ (كتاب المغازى، باب أين ركز النبى صلى الله عليه وسلم الراية يوم

الله صلى الله عليه وسلم عام الفتح ، فبلغ ذلك قريشاً ، خرج أبو سفيان ابن حرب وحكيم بن حزام ، ويثليل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقبلوا يسرون حتى أتوا مر الظهران ، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة ، فقال أبو سفيان : ما هذه لكأنها^(١) نيران عرفة ؟ فقال يثليل بن ورقاء : نيران بنى عمرو . فقال أبو سفيان : عمرو أقل من ذلك . فرآهم ناس من حرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركوهم ، فأخذوهم ، فأتوا بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم أبو سفيان . فلما سار قال للعباس : «أمسك»^(٢) أبا سفيان عند خطم الجبل^(٣) حتى ينظر إلى المسلمين فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمر مع النبي صلى الله عليه وسلم كتيبة كتيبة^(٤) على أبي سفيان ، فمرت كتيبة ، فقال : يا عباس من هذه ؟ قال : [هذه]^(٥) غفار . قال : مالي ولغفار ؟ ثم مرت جُهينة فقال مثل ذلك^(٦) ثم مرت سعد بن هذيم ، فقال

الفتح) وهو عن هشام عن أبيه . قال ابن حجر في : فتح الباري ٦/٨ : عن هشام (هو ابن عروة) عن أبيه . . . هكذا أورده مرسلًا ، ولم أره في شيء من الطرق عن عروة موصولًا ، ومقصود البخاري منه ما ترجم به وهو آخر الحديث ، فإنه موصول عن عروة عن نافع بن جبير بن مطعم عن العباس بن عبدالمطلب والزيبر بن العوام .

(١) م : فكأنها .

(٢) البخاري ١٤٧/٥ : احبس .

(٣) قال ابن حجر (فتح الباري ٨/٨) : «أى أنف الجبل» .

(٤) م : كتيبة بعد كتيبة .

(٥) هذه : في (ب) فقط . وهي في «البخاري» .

(٦) : عبارة «ثم مرت سعد بن هذيم فقال مثل ذلك» : ساقطة من (س) ، (ب) . وفي (ن) ،

(٦) (م) : ثم مرت سعد بن هند . . . والمثبت من «البخاري» .

مثل ذلك. ثم مرت سُلَيْم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم يَر مثلها. قال: من هؤلاء؟ قال: الأنصار^(١) عليهم سعد بن عبادة، معه الراية. فقال سعد بن عبادة: يا أبا سفيان اليوم يوم الملحمة، اليوم تُسْتَحْلُ الكعبة. فقال أبو سفيان: يا عَبَّاسُ حَبْذا^(٢) يوم الدُّمَارِ^(٣)، ثم جاءت كتيبة، وهى أقل الكتائب، فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وراية النبی صلى الله عليه وسلم مع الزبير، فلما مرَّ النبی صلى الله عليه وسلم بأبى سفيان قال: أَلَمْ تَعْلَمْ ما قال سعد بن عبادة؟ قال: «وما قال»؟ قال: قال كذا وكذا. فقال: «كذب سعد، ولكن هذا يوم يعظَّم الله فيه الكعبة^(٤)»، ويوم تُكسى فيه الكعبة، ثم أمر أن تُركَز رايته بالحُجُون.

﴿فصل﴾

قال الرافض^(٥): «وفى غزاة^(٦) حُثَيْن خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم متوجهاً^(٧) فى عشرة آلاف من المسلمين،

تابع الكلام على
شجاعة علي
رضي الله عنه

(١) البخارى: قال من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار...

(٢) ن، س: هذا. وسقطت الكلمة من (م). والمثبت من (ب)، البخارى.

(٣) ن، م، س: الدماء. والمثبت من (ب)، البخارى. وقال ابن حجر (فتح البارى ٨/٨): «ومراد أبى سفيان بقوله: يوم الدمار. وهو يكسر المعجمة وتخفيف الميم، أى الهلاك. قال الخطابى: تمنى أبو سفيان أن يكون له يد فيحشى قومه ويدفع عنهم. وقيل: المراد هذا يوم الغضب للحريم والأهل والانتصار لهم لمن قدر عليه. وقيل: المراد هذا يوم يلزمك فيه حفظى وحمايتى من أن ينالنى مكروه».

(٤) س، ب: تعظَّم فيه الكعبة. والمثبت من (ن)، (م)، البخارى.

(٥) فى (ك) ص ١٨٦ (م). (٦) س، ب: غزوة. (٧) ك: متوجها إليهم فى...

فعانهم^(١) أبوبكر، وقال: لن نغلب^(٢) اليوم من كثرة، فانهزموا، ولم يبق مع النبي^(٣) صلى الله عليه وسلم إلا^(٤) تسعة من بنى هاشم، وأيمن بن أم أيمن، وكان أمير المؤمنين [يضرب]^(٥) بين يديه بالسيف، وقتل من المشركين أربعين نفساً فانهزموا^(٦).
والجواب: بعد المطالبة / بصحة النقل، أما قوله: «فعانهم أبوبكر» فكذب^(٧) مفترى، وهذه كتب الحديث والسير والمغازي والتفسير لم يذكر أحد قوله: إن أبابكر عانهم. واللفظ المأثور: لن نغلب اليوم من قلة. فإنه^(٨) قد قيل: إنه قد^(٩) قاله بعض المسلمين.

وكذلك قوله: «لم يبق معه إلا تسعة من بنى هاشم» هو كذب أيضاً. قال ابن إسحاق في «السيرة»^(١٠): «بقى مع النبي صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته. وممن^(١١) ثبت معه من المهاجرين أبوبكر وعمر، ومن أهل بيته علي، والعباس^(١٢)، وأبوسفیان بن الحارث

(١) تحت كلمة «عانهم» في «ك» كتب كلام بالفارسية يدوانه شرح لها. وعانهم: أى أصابهم بالعين وحسداهم.

(٢) ك: لن يغلبوا...

(٣) ن، س، ب: مع رسول الله..

(٤) ك: غير.

(٥) يضرب: زيادة من (ك).

(٦) م: فهو كذب. (٧) فإنه: ليست فى (م).

(٨) قد: ليست فى (م).

(٩) ابن هشام ٨٥/٤-٨٦.

(١٠) ابن هشام: وفيمن..

(١١) ابن هشام: على بن أبى طالب والعباس بن عبدالمطلب.

وابنه، والفضل [بن العباس] وربيعه بن الحارث^(١)، وأسامه بن زيد، وأيمن بن أم أيمن، وبعض الناس يَعُدُّ فيهم^(٢) قُثم بن العباس ولا يَعُدُّ ابن أبي سفيان^(٣) هذا من كلام ابن إسحاق.

وقوله: «إن علياً كان بين يديه [يضرب]^(٤) بالسيف، وإنه قتل أربعين نفساً».

فكل^(٥) هذا كذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث والمغازي والسير، والذي فيها أن النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمين لما وافوا وادي حُنين عند الفجر، وكان القوم رماة فرموهم رمية واحدة فولَّوا، وكان مع النبي صلى الله عليه وسلم عمه العباس وأبو سفيان بن الحارث، وكان شاعراً يهجو النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم فحسن إسلامه، فثبت معه يومئذ.

قال العباس: «لزمت أنا وأبو سفيان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تفارقه»^(٦). قال البراء بن عازب: «وأمر النبي صلى الله عليه وسلم العباس أن ينادي فيهم، وكان العباس جهورى الصوت، فنادى:

(١) ن، م: وأبو سفيان بن الحارث، وابنه الفضل، وربيعه بن الحارث؛ ب: وابنه الفضل

وأبو سفيان بن الحارث وربيعه بن الحارث. والمثبت من «ابن هشام» وهو الصواب.

(٢) ابن هشام ٨٦/٤: وأيمن بن أم أيمن بن عبيد، قُتل يومئذ. قال ابن هشام: اسم ابن

أبي سفيان بن الحارث جعفر، واسم أبي سفيان المغيرة. وبعض الناس يَعُدُّ فيهم.

(٣) ابن هشام: ولا يعد ابن أبي سفيان.

(٤) يضرب: زيادة من (ك). (٥) ب: كل.

(٦) هذه العبارة جزء من حديث العباس رضى الله عنه الذى سوف أتكلّم عليه بعد قليل إن شاء الله (ص ١٦٢ ن ٤).

(٧) ن، م، س: جوهرى، وهو خطأ.

يا أهل الشجرة : يا أهل سورة البقرة : يعنى الشجرة التى بايعوا تحتها ،
 فذكّرهم ببيعته لهم هناك على أن لا يفروا وعلى الموت^(١) ، فتنادوا :
 يا بئيك ، وعطفوا^(٢) عليه عطفة البقر^(٣) على أولادها ، / فقاتلوا حتى انهزم
 المشركون . وكان النبی صلى الله عليه وسلم قد أخذ كفّاً من حصباء
 فرمى بها القوم ، وقال : « انهزموا ورب الكعبة »^(٤) .

وكان على بغلته وهو يقول :

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

وهذا ما رواه أهل الصحيحين^(٥) .

وفى الصحيحين عن البراء ، وسأله رجل قال : أكنتم وليّتم يوم حنين
 يا أبا عمار ؟ فقال : أشهد أن نبى الله صلى الله عليه وسلم ما ولى ،
 ولكنه انطلق أخفاءً من الناس ، وحُسِرَ^(٦) إلى هذا الحى من هوازن ، وهم

(١) م : على أن لا يفروا على الموت .

(٢) س ، ب : فعطفوا .

(٣) س ، ب : البقرة .

(٤) الحديث عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه - مع اختلاف فى الألفاظ - فى مسلم
 ١٣٩٨/٣ - ١٤٠٠ (كتاب الجهاد والسير ، باب فى غزوة حنين) ؛ المسند (ط . المعارف)
 ٢٠٨/٣ - ٢١٠ ؛ المستدرک للحاکم ٣/٣٢٧ - ٣٢٨ . والحديث ليس فى البخارى وإنما
 فى البخارى حديث البراء بن عازب رضى الله عنه .

(٥) تفصيل هذا الحديث يأتى فى الكلام التالى إن شاء الله .

(٦) أى انطلق نفر من الناس خفافاً لا سلاح معهم . قال ابن الأثير فى «النهاية» ٢/٣٠٧ :
 «خفافهم وأخفأؤهم وهما جمع خفيف» وقال : «حُسِرَ : وهم الذين لا متاع معهم ولا
 سلاح» . وقال النووى فى شرحه على مسلم ١٢/١١٨ «الحاسر من لا درع عليه» .

قوم رماة، فرموهم برشق^(١) من نبل، كأنها رجل من جراد^(٢)، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبوسفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل، ودعا، واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبدالمطلب

اللهم أنزل نصرك. قال البراء: وكنا إذا أحمر البأس نتقى به، وكان الشجاع منا الذى يُحاذى به، يعنى النبي صلى الله عليه وسلم^(٣).

وفى حديث سلمة بن الأكوع لما غشوا النبي صلى الله عليه وسلم نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب الأرض، واستقبل بها وجوههم، فقال: «شاهت الوجوه»^(٤) فما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينه ترابا بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم^(٥) الله، وقسم رسول الله

(١) قال النووى ١١٨/١٢: «وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهم التى ترميها الجماعة دفعة واحدة».

(٢) قال النووى ١٢٠/١٢: «يعنى كأنها قطعة من جراد، وكأنها شبهت برجل الحيوان لكونها قطعة منه».

(٣) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى: مسلم ١٤٠٠/٣-١٤٠١ (كتاب الجهاد والسير، باب فى غزوة حنين). وأورد البخارى الحديث مختصرا: ١٥٣/٥ (كتاب المغازى، باب قول الله تعالى: (ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم...))؛ ٣٢/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب بغلة النبي صلى الله عليه وسلم فى البيضاء)، ٤٣/٤ (كتاب الجهاد والسير، باب من صف أصحابه عند الهزيمة). والحديث فى: سنن الترمذى ١١٧/٣ (كتاب الجهاد، باب ما جاء فى الثبات عند القتال) وقال الترمذى: «وفى الباب عن على وابن عمر؛ المسند (ط . الحلبي) ٢٨٩/٤، ٣٠٤

(٤) قال النووى ١٢٢/٦٢: «أى قبحت».

(٥) ن، س، ب: وهزمهم.

صلى الله عليه وسلم غنائمهم بين المسلمين» رواه مسلم^(١).

﴿فصل﴾

قال الرافضى^(٢) : «الخامس : إخباره بالغائب والكائن قبل

كونه ، فأخبر أن طلحة والزبير لما استأذناه فى الخروج إلى العمرة قال^(٣) : لا والله ما تريدان^(٤) العمرة وإنما تريدان^(٥) البصرة^(٦) . وكان كما قال^(٧) .

وأخبر وهو بذى قار جالس لأخذ البيعة يأتىكم من قبل الكوفة ألف رجل لا يزيدون ولا ينقصون ، يبايعوننى^(٨) على الموت ، وكان كذلك ، وكان آخرهم أُوَيْسُ القرنى . وأخبر بقتل ذى الثدية ، وكان كذلك .

وأخبره شخص بعبور القوم فى قصة^(٩) النهروان ، فقال : لن

(١) م ، ب : مسلم رضى الله عنه . والحديث مطولا عن إياس بن سلمة عن أبيه سلمة بن الأكوع رضى الله عنه فى : مسلم ١٤٠٢/٣ (كتاب الجهاد والسير ، باب فى غزوة حنين) . والحديث أيضا فى : سنن الدارمى ٢١٩/٢ - ٢٢٠ (كتاب السير ، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم : شأهت الوجوه) ؛ المسند (ط . الحلبي) ٢٨٦/٥ .

(٢) فى (ك) ص ١٨٦ (م) - ١٨٨ (م) .

(٣) قال : ليست فى (ك) .

(٤) ك : يريدان .

(٥) فى (ك) : البصرة ، وكتب فوق «الغدة» وعليها علامة التصويب .

(٦) ن : وإن كان كما قال ؛ م : وإن كان كما قال ؛ ك : فكان كما قال عليه السلام .

(٧) قبل : ساقطة من (ك) .

(٨) ن ، م ، س ، ك : يبايعوننى ، والمثبت من (ب) . (٩) ك : قضية .

يعبروا، ثم أخبره آخر بذلك، فقال: لم^(١) يعبروا، وإنه - والله -
لمصرعهم، فكان كذلك.

وأخبر بقتل نفسه الشريفة.

وأخبر شهربان بأن اللعين يقطع يديه ورجليه ويصلبه^(٢)،
ففعل به معاوية ذلك.

وأخبر ميثم التمار^(٣) بأنه يُصلب على باب دار عمرو بن

(١) ب (فقط) : لن.

(٢) ن، م، س: وأخبر أن (س: بأن) شهربان اللعين يقطع يديه ورجليه ويصلبه؛ ب: وأخبر
بأن شهربان اللعين يقطع يده ورجلاه ويصلب؛ ك: وأخبر عليه السلام جويرية بن مشهر
بأن اللعين يقطع يديه ورجليه ويصلب. وأرجو أن يكون الصواب ما ذكرته. ووجدت أن
الكشي قد ذكر جويرية بن مسهر العبدى فى «رجال» ص ٩٨، ط. كربلاء، بدون
تاريخ، وقال المعلق السيد أحمد الحسينى: «جويرية بضم الجيم وفتح الواو وسكون
الياء وكسر الراء وفتح الياء الثانى ثم هاء. ومُسهر بضم الميم وسكون السين وكسر الهاء،
والعبدى نسبة إلى بنى العبيد، وبنو العبيد مصغرا بطن من بنى عدى بن خباب بن
قضاة. والراجع أن ابن المطهر يقصد باللعين معاوية رضى الله عنه. وذكره ابن حجر
فى «لسان الميزان» ١٨/٢ وقال: «روى عن على وعنه الحسن بن محبوب وجابر بن
الحر»، كما ذكره الطوسى فى «رجال الطوسى»، ص ٣٧ وقال: «جويرية بن مسهر:
عربى كوفى».

(٣) ن، س: مسمار التمار؛ م: مسمر التمار؛ ب: مسماراً التمار؛ ك: ميثم التمار. وذكره
الكشي فى «الرجال»، ص ٧٤-٨١ وذكر أخباراً عن صلبه، وذكر المعلق فى تعليقه أنه
قتل قبل ورود الحسين إلى العراق بعشرة أيام. وذكره ابن حجر فى «الإصابة» ٤٧٩/٣
وذكر أخباراً عن تسمية الرسول صلى الله عليه وسلم له ولم يذكر درجتها من الصحة، وذكر
أنه أول من ألجم فى الإسلام. ونقل عنه الزركلى فى «الأعلام» ٢٩٤/٨ أكثر ما ذكره
وحدد سنة مقتله ٦٠هـ. وذكره الطوسى فى «رجال الطوسى» ص ٧٩ وقال المعلق: «ميثم
ابن يحيى - أو عبدالله التمار النهروانى، حاله أشهر من أن يذكر، وقتل قبل قدوم الحسين
(ع) إلى العراق بعشرة أيام وصلب بعد أن قطع لسانه».

حريث^(١) عاشر عاشرة، وهو^(٢) أقصرهم خشبة، وأراه النخلة التي يُصلب^(٣) عليها، فوقه كذلك.

وأخبر رُشيد الهجرى^(٤) بقطع يديه ورجليه، وصلبه، وقطع لسانه، فوقه^(٥).

وأخبر كُمَيْل بن زياد^(٦) أن الحجاج يقتله^(٧)، وأن قبراً يذبحه الحجاج فوقه.

(١) م، ك: عمر بن حريث، وهو خطأ. وهو أبو سعيد عمرو بن حريث بن عمرو بن عثمان المخزومي القرشي رضى الله عنه، ولى أمر الكوفة لزياد ثم لابنه عبيد الله ومات بها، له ١٨ حديثاً. ولد قبل الهجرة بستين وتوفى سنة ٨٥هـ. انظر ترجمته فى : الإصابة ٥٢٤/٢؛ الأعلام ٢٤٣/٥ - ٢٤٤.

(٢) ك : هو .

(٣) كلمتا «التي يصلب» غير ظاهرتين فى (ك).

(٤) ن، م : رشد الهجرى؛ س : رشد البحرى؛ ب : راشد البحرى. والصواب ما أثبتته من (ك). وذكره الطوسى فى «رجال الطوسى» ص ٧٣ ولم يذكر عنه شيئاً وذكره الكشى فى «الرجال» ص ٧١-٧٣ وذكر أخبار وصلبه وقطع يديه ورجليه، وذكره الذهبى فى «ميزان الاعتدال» ٥١/٢-٥٢ وقال عنه : «قال الجوزجاني : كَذَابٌ غير ثقة . . . وقال ابن حبان : رُشيد الهجرى كوفى، كان يؤمن بالرجعة» وذكر أن زياداً قطع لسانه وصلبه على باب دار عمرو بن حُريث. وانظر ما ذكره عنه الأستاذ محب الدين الخطيب فى «المستقى» ص ٥٢٠. (٥) ك : فوقه كذلك.

(٦) ب : كهيل بن زياد، وهو خطأ. وهو كُمَيْل بن زياد بن نهيك، تابعى ثقة من أصحاب على بن أبى طالب رضى الله عنه، ولد سنة ١٢ وقتله الحجاج سنة ٨٢. انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب ٤٤٧/٨-٤٤٨؛ شذرات الذهب ٩١/١؛ الأعلام ٩٣/٦. وانظر ما نقله الأستاذ الخطيب عن تاريخ الطبرى من أخبار كميل بن زياد وأنه كان ممن قيل عنه إنه أراد أن يقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه. (٧) ك : بأن الحجاج يقتله فوقه.

وقال للبراء بن عازب: إن ابني الحُسَيْن يقتل ولا تنصره، فكان كما قال، وأخبره^(١) بموضع قتله.

وأخبر بملك بنى العباس، وأخذ الترك الملك منهم، فقال: ملك بنى العباس يسير^(٢) لا عسر فيه، لو اجتمع عليهم الترك والديلم والهند^(٣) والبربر والطيلسان على أن يزيلوا ملكهم ما قدروا أن يزيلوه حتى يشذ عنهم مواليهم وأرباب دولتهم، ويُسلط^(٤) عليهم مَلِكٌ من الترك يأتي عليهم من حيث بدأ^(٥) ملكهم، لا يمر بمدينة إلا فتحها، ولا يُرفع له راية إلا نكسها، الويل ثم^(٦) الويل لمن ناوأه، فلا يزال كذلك حتى يظفر بهم^(٧)، ثم يدفع ظفره إلى رجل من عترتي يقول بالحق ويعمل به^(٨)، ألا وإن الأمر^(٩) كذلك حيث ظهر / هولاء من ناحية^(١٠) خراسان،

ظ ٣٤٦

(١) س، ب: وأخبر.

(٢) ك: يسر.

(٣) ك: والسند والهند.

(٤) ن، س، ب: تشد عليهم؛ م: تشد عنهم، والمثبت من (ك).

(٥) ك: تسلط.

(٦) ك: هذا.

(٧) ثم: ساقطة من (ك).

(٨) بهم: ساقطة من (ك).

(٩) م: ويعتمد به.

(١٠) ك: وكان الأمر...

(١١) م: نحو.

ومنه ابتداء^(١) ملك بنى العباس حتى بايع لهم^(٢) أبو مسلم الخراساني.

الرد عليه

والجواب: أن يقال: أما الإخبار ببعض الأمور الغائبة فمن هو دون عليّ يخبر بمثل ذلك، فعليّ أجلُّ قدرا من ذلك. وفي أتباع أبي بكر وعمر وعثمان من يخبر بأضعاف ذلك، وليسوا ممن يصلح للإمامة، ولا هم أفضل أهل زمانهم، ومثل هذا موجود في زماننا وغير زماننا.

١٧٨/٤

وحذيفة بن اليمان، وأبو هريرة، وغيرهما من الصحابة كانوا يحدثون الناس بأضعاف ذلك. وأبو هريرة يسنده إلى النبي / صلى الله عليه وسلم، وحذيفة تارة يسنده وتارة لا يسنده، وإن كان في حكم المسند. وما أخبر به هو وغيره قد يكون مما سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم، وقد يكون مما كُشف هوبه. وعمر رضى الله عنه قد أخبر بأنواع من ذلك.

والكتب المصنّفة في كرامات الأولياء وأخبارهم، مثل ما في كتاب «الزهد» للإمام أحمد، و«حلية الأولياء» و«صفوة الصفوة» و«كرامات الأولياء» لأبي محمد الخلّال وابن أبي الدنيا واللالكائي فيها من الكرامات عن بعض أتباع أبي بكر وعمر، كالغلاء بن الحضرمي نائب أبي بكر، وأبي مسلم الخولاني بعض أتباعهما، وأبي الصهباء، وعامر ابن عبد قيس، وغير هؤلاء ممن عليّ أعظم منه، وليس في ذلك ما يدل

(١) ن، س، ب : ابتداء.

(٢) م : حتى نازلهم ؛ ك : حيث بايع لهم. (٣) ن، م، س : ثابت، وهو تحريف.

على أنه يكون هو الأفضل من أحدٍ من الصحابة، فضلاً عن الخلفاء .
وهذه الحكايات التي ذكرها عن عليٍّ لم يذكر لشيء منها إسناداً،
"وفيها ما يعرف صحته"، وفيها ما يعرف كذبه، وفيها ما لا يُعرف: هل
هو صدق أم كذب؟

فالخبر الذي ذكره عن مَلِك التَّرك كذبَ عليٍّ عليٍّ؛ فإنه لم يدفع ظفره
إلى رجل من العترة، وهذا مما وضعه متأخروهم^(٢).
والكتب المنسوبة إلى عليٍّ، أو غيره من أهل البيت، في الإخبار
بالمستقبلات كلها كذب، مثل كتاب «الجفر» و«البطاقة» وغير ذلك .
وكذلك ما يُضاف إليه من أنه كان [عنده] "علم من النبي صلى الله
عليه وسلم خصّه به دون غيره من الصحابة .

وفي صحيح البخاري عن أبي حذيفة قال: قلت لعليٍّ: هل عندكم
شيء من الوحي مما ليس في القرآن؟ فقال: لا والذي فلق الحبة وبرأ
النسمة، إلا فهماً يعطيه الله رجلاً في القرآن، وما في هذه الصحيفة .
قلت: وما في هذه الصحيفة؟ قال: العقل، وفكّك الأسير، وأن لا يُقتل
مسلمٌ بكافر^(٣) .

وكذلك ما ينقل عن غير عليٍّ من الصحابة أن النبي صلى الله عليه
وسلم خصّه بشيء من علم الدين الباطن، كل ذلك باطل .

(١-١) : ساقط من (م) . (٢) ن، س، ب: وهذا مما ذكره متأخروهم .

(٣) سبق الكلام على هذه الكتب وغيرها فيما مضى ٤٦٤/٢-٤٦٥ .

(٤) عنده: ساقطة من (ن)، (م)، (س) .

(٥) سبق الكلام على هذا الأثر في هذا الجزء، ص ١٠ .

ولا ينافى ذلك ما فى الصحيحين عن أبى هريرة قال : «حفظت من رسول الله صلى الله عليه وسلم جرابين : أما أحدهما فبثته فيكم ، وأما الآخر فلو أبثه لقطعتم هذا البلعوم» فإن هذا حديث صحيح^(١) ، ليس فيه أن النبى صلى الله عليه وسلم خص أبا هريرة بما فى ذلك الجراب ، بل كان أبو هريرة أحفظ من غيره ، فحفظ ما لم يحفظه غيره .

وكذلك قال حذيفة : «والله إنى لأعلم الناس بكل فتنة^(٢) هى كائنة بينى وبين الناس ، وما بى أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم أسراً إلى فى ذلك شيئاً لم يحدثه غيرى ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه . . الحديث . وقال : إنه لم يبق من الرهط غيره^(٣) .

وفى الصحيحين عن حذيفة رضى الله عنه قال : «قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما ما ترك شيئاً يكون فى مقامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدث به ، حفظه من حفظه ، ونسيه من نسيه»^(٤) .

وحديث أبى زيد عمرو بن أخطب^(٥) فى صحيح مسلم : قال : «صلى

(١) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ٣١/١ (كتاب العلم ، باب حفظ

العلم) وفيه «وعاءين» بدلا من «جرايين» (٢) م ، ب : . . الناس من فتنة . .

(٣) الحديث عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فى : مسلم ٢٢١٦/٤ (كتاب الفتن وأشراط

الساعة ، باب إخبار النبى صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة) .

(٤) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه فى : البخارى

١٢٣/٨ (كتاب القدر ، باب وكان أمر الله قدراً مقدوراً) ؛ مسلم ٢٢١٧/٤ (كتاب الفتن

وأشراط الساعة ، باب إخبار النبى صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة) .

(٥) م ، ب : أبى زيد وعمرو بن أخطب ، وهو خطأ . وترجمة أبى زيد عمرو بن أخطب رضى

بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر، وصعد المنبر، ثم خطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلّى بنا، ثم صعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت العصر، فنزل فصلّى بنا، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبرنا بما كان وبما هو كائن، فأعلمنا أحفظنا^(١). وأبو هريرة أسلم عام خيبر، فلم يصحب النبي صلى الله عليه وسلم إلا أقل من أربع سنين، وذلك الجراب لم يكن فيه شيء من علم الدين: علم الإيمان والأمر والنهي، وإنما كان فيه الإخبار عن الأمور المستقبلية، مثل الفتن التي جرت بين المسلمين: فتنة الجمل، وصفين، وفتنة ابن الزبير، ومقتل الحسين، ونحو ذلك، ولهذا لم يكن أبو هريرة ممن دخل في الفتن.

ولهذا قال ابن عمر: لو حدّثكم أبو هريرة أنكم تقتلون خليفتم، وتفعلون كذا وكذا، لقلتم: كذب أبو هريرة.

وأما الحديث الذي يروى عن حذيفة أنه صاحب السر الذي لا يعلمه غيره، فرواه البخاري عن إبراهيم النخعي، قال: ذهب علقمة إلى الشام، فلما دخل المسجد قال: «اللهم يسّر لي جليساً صالحاً، فجلس إلى أبي الدرداء، فقال أبو الدرداء: ممن أنت؟ / قال: من أهل الكوفة. قال: أليس منكم - أو فيكم - الذي أجاره الله على لسان نبيه - يعني من

١٧٩/٤

الله عنه في: الإصابة ٥١٥/٢؛ أسد الغابة ١٢٨/٦-١٢٩. وهو عمرو بن أخطب بن رفاعة الأنصاري الخزرجي أبو زيد، مشهور بكنتيته، قال ابن الأثير: عاش مائة وعشرين سنة.

(١) الحديث عن أبي زيد عمرو بن أخطب رضى الله عنه في: مسلم ٢٢١٧/٤ (كتاب الفتن وأشراف الساعة، باب إخبار النبي صلى الله عليه وسلم فيما يكون إلى قيام الساعة).

الشيطان: يعنى عمّارا؟ قال: قلت: بلى. قال: أليس منكم - أو فيكم - صاحب السرّ الذى لا / يعلمه غيره؟ قال: قلت: بلى. . . الحديث^(١).

ص ٣٤٧

وذلك السرّ^(٢) كان معرفته بأعيان ناس من المنافقين كانوا فى غزوة تبوك، همّوا بأن يحلّوا حزام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالليل ليسقط، فأعلمه الله بهم، وكان حذيفة قريبا، فعرفه بهم، وكان إذا مات الميت المجهول حاله لا يُصلّى عليه عُمر حتى يصلّى عليه حذيفة، خشية أن يكون من المنافقين.

ومعرفة بعض الصحابة والصالحين ببعض المستقبلات لا توجب أن يكون عالما بها كلها.

والغلاة الذين [كانوا]^(٣) يدّعون علم علىّ بالمستقبلات مطلقا كذب ظاهر، فالعلم ببعضها ليس من خصائصه، والعلم بها كلها لم يحصل له ولا لغيره.

ومما يبين لك^(٤) أن عليّا لم يكن يعرف المستقبلات أنه فى ولايته وحروبه فى زمن خلافته كان يظن أشياء كثيرة فيتبين له الأمر بخلاف ما

(١) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن إبراهيم النخعى عن علقمة فى: البخارى ٢٨/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب مناقب عبدالله بن مسعود رضى الله عنه)، ٦٢/٨ (كتاب الاستئذان، باب من ألقى له وسادة)؛ سنن الترمذى ٣٣٨/٥ - ٣٣٩ (كتاب المناقب، باب مناقب عبدالله بن مسعود رضى الله عنه) عن قتادة عن خيثمة بن أبى سبرة؛ المسند (ط. الحلبي) ٤٤٩/٦، ٤٥٠، ٤٥١.

(٢) ن، م، س: لكن ذكر السرّ. . .

(٣) كانوا: ساقطة من (ن)، (م). (٤) ن، م، س: ذلك.

ظن، ولو ظن أنه إذا قاتل معاوية وأصحابه يجرى ما جرى لم يقاتلهم، فإنه كان لو لم يقاتل أعزّ وانتصر^(١)، وكان أكثر الناس معه، وأكثر البلاد تحت ولايته، فلما قاتلهم ضعف أمره، حتى صار معهم كثير من البلاد التي كانت في^(٢) طاعته، مثل مصر واليمن، وكان الحجاز دولا.

ولو علم أنه إذا حَكَّم الحكمين يحكمان بما حكما لم يحكّهما. ولو علم أن أحدهما يفعل بالآخر ما فعل حتى يعزلاه، لم يولّ من يوافق على عزله، ولا من خذله الحكم الآخر^(٣)، بل قد أشار عليه من أشار أن يقرّ معاوية على إمارته في ابتداء الأمر، حتى يستقيم له الأمر. وكان هذا الرأي أحزم عند الذين ينصحونه ويحبونه.

ومعلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم ولّى أبا سفيان - أبا معاوية - نجران^(٤)، وكان واليا عليها حتى مات النبي صلى الله عليه وسلم. وقد اتفق الناس على أن معاوية كان أحسن إسلاما من أبيه، ولم يتهم أحد من الصحابة والتابعين معاوية بنفاق، واختلفوا في أبيه.

والصديق كان قد ولّى أخاه - يزيد بن أبي سفيان - أحد الأمراء في فتح الشام، لما ولّى خالدا وأبا عبيدة ويزيد بن أبي سفيان لما فتحوا الشام، بقي أميرا إلى أن مات بالشام، وكان من خيار الصحابة، رجلا صالحاً

(١) م : لو لم يقاتل أعز وأنصر؛ س : لو لم يقاتل عز ونصر؛ ب : لو لم يقاتل في عز ونصر.

(٢) م : تحت.

(٣) انظر ما ذكره ابن العربي في كتابه «العواصم من القواصم» عن مسألة التحكيم وصحة ما وقع فيها، وانظر تعليقات أستاذي الأستاذ محب الدين الخطيب رحمه الله، ص ١٧٢.

١٨١.

(٤) ن، م، س : ولّى أبا سفيان نجران، أبا معاوية.

أفضل من أخيه وأبيه، ليس هذا هو يزيد بن معاوية الذى تولّى بعد معاوية الخلافة، فإن ذاك ولد فى خلافة عثمان، لم يكن من الصحابة، ولكن سُمّي^(١) باسم عمّه، "فطائفة من الجهّال يظنون يزيد هذا من الصحابة"، وبعض غلاتهم^(٢) يجعله من الأنبياء، كما أن آخرين يجعلونه كافرا أو مرتدّا، وكل ذلك باطل، بل هو خليفة من بنى أمية^(٣).

والحسين - رضى الله عنه ولعن قاتله - قُتل مظلوما شهيدا فى خلافته بسبب خلافه^(٤)، لكنه هو لم يأمر بقتله، ولم يُظهر الرضا به، ولا انتصر ممن قتله.

ورأس الحسين حُمل إلى قُدّام عبيد الله بن زياد، وهو الذى ضربه بالقضيب على ثناياه، وهو الذى ثبت فى الصحيح^(٥).

(١) م : ولكن كان يسمّى.

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) م : علمائهم.

(٣) ن، س، ب : خليفة بنى أمية وبنى العباس؛ م : خليفة من بنى أمية وبنى العباس. وفى هامش (س)، (ب) إشارة إلى أن عبارة «وبنى العباس» زيادة من النساخ والكلام يستقيم بدونها.

(٤) ن، س، ب : خلافته.

(٥) الأثر عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى : البخارى ٢٦/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب مناقب الحسن والحسين رضى الله عنهما)؛ سنن الترمذى ٣٢٥/٥ (كتاب المناقب، باب مناقب... الحسن... والحسين... رضى الله عنهما)؛ المسند (ط. الحلبي) ٢٦١/٣؛ البداية والنهاية ١٩٠/٨.

وأما حملة إلى عند يزيد^(١) فباطل، وإسناده منقطع^(٢).

وعمه يزيد الرجل الصالح هو من الصحابة، تُوفى في خلافة عمر، فلما مات ولّى معاوية مكان أخيه. وعمر من أعلم الناس بأحوال الرجال، وأحذقهم في السياسة، وأبعد الناس عن الهوى، لم يُؤلّ في خلافته أحداً من أقاربه، وإنما كان يختار للولاية من يراه أصلح لها، فلم يُؤلّ معاوية إلا وهو عنده ممن يصلح للإمارة.

ثم لما تُوفى^(٣) زاد عثمان في ولاية معاوية، حتى جمع له الشام. وكانت الشام في خلافة عمر أربعة أرباع: فلسطين، ودمشق، وحمص، والأردن. ثم بعد ذلك فصلت قنشرين والعواصم من ربع حمص، ثم بعد هذا عُمّرت حلب وخربت قنشرين، وصارت العواصم دولا بين المسلمين وأهل الكتاب.

وأقام معاوية نائبا عن عمر وعثمان عشرين سنة، ثم تولّى عشرين سنة، ورعيته شاكرون لسيرته وإحسانه، راضون به، حتى أطاعوه في مثل قتال عليّ.

ومعلوم أنه خير من أبيه أبي سفيان، وكانت ولايته أحقّ بالجواز من ولاية أبيه، فلا يقال: إنه / لم تكن تحل ولايته. ولو قُدّر أن غيره كان

١٨٠/٤

(١) م : إلى يزيد.

(٢) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١٩٢/٨ : «وقد اختلف العلماء بعدها في رأس الحسين هل سيّره ابن زياد إلى يزيد أم لا، على قولين، والأظهر منهما أنه سيّره إليه، وقد ورد في ذلك آثار كثيرة، فالله أعلم». وانظر «البداية والنهاية» ١٩١/٨ - ١٩٨.

(٣) ن، م : ثم لما تولّى عثمان. وفي (م) شطب على كلمة «عثمان».

أحق بالولاية منه، أو أنه ممن^(١) يحصل به معونة لغيره ممن فيه ظلم،
لكان الشر المدفوع بولايته أعظم من الشر الحاصل بولايته.

وأين أخذ المال، وارتفاع بعض الرجال، من قتل الرجال الذين قُتلوا
بصُفَّين، ولم يكن في ذلك عز ولا ظفر؟!!

فدلّ هذا - وغيره - على أن الذين أشاروا على أمير المؤمنين كانوا
حازمين. وعلى إمام مجتهد، لم يفعل إلا ما رآه مصلحة.

لكن المقصود أنه لو كان يعلم الكوائن كان قد علم أن إقراره على
الولاية أصلح له من حرب صُفَّين، التي لم يحصل بها إلا زيادة الشر
وتضاعفه، لم يحصل بها من المصلحة شيء، وكانت ولايته أكثر خيرا
وأقلّ شراً من محاربته، وكل ما يظن في ولايته من الشر، فقد كان في
محاربته أعظم منه.

وهذا وأمثاله كثير مما يبين جهل من يقول: إنه كان يعلم الأمور
المستقبلية، / بل الراضية تدعى الأمور المتناقضة: يدعون عليه علم
الغيب، مع هذه الأمور المنافية لذلك، ويدعون له من الشجاعة ما
يزعمون معه أنه كان هو الذي ينصر النبي صلى الله عليه وسلم في
مغازيه، وهو الذي قام^(٢) الإسلام بسيفه في أول الأمر مع ضعف
الإسلام.

ثم يذكرون من عجزه عن مقاومة أبي بكر رضي الله عنه - مع ضعفه
عندهم - بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم ما يناقض ذلك؛ فإن

(٢) ب : أقام.

(١) م : فإنه ممن ...

أبا بكر رضى الله عنه لم يكن له بعد موت النبی صلى الله عليه وسلم مألٌ يستعطف به الناس، ولا كان له قبيلة عظيمة ينصرونه ولا موالٍ، ولا دعا الناس إلى بيعته: لا برغبة ولا برهبة. وكان على رضى الله عنه على دفعه أقدر منه على دفع الكفار الذين حاربوا النبی صلى الله عليه وسلم بكثير، فلو كان^(١) هو الذى دفع الكفار، ولو كان^(٢) مريداً لدفع أبى بكر رضى الله عنه، لكان على ذلك أقدر، لكنهم يجمعون بين المتناقضين.

وكذلك فى حربه لمعاوية قد قهر وعسكره أعظم، وتحت طاعته من هم أفضل وأكثر من الذين تحت طاعة معاوية، وهو- رضى الله عنه - لا ريب أنه كان يريد أن يقهر معاوية وعسكره، فلو كان هو الذى نصر النبی صلى الله عليه وسلم، مع كثرة الكفار وضعف المسلمين وقتهم، لكان مع كثرة عسكره على عسكر معاوية أقدر على قهر معاوية وجيشه منه على قهر الكفار الذين قاتلوا النبی صلى الله عليه وسلم، فكيف يجمع بين تلك الشجاعة والقوة وبين هذا العجز والضعف إلا من هو جاهل متناقض؟!

بل هذا يدل على أن النصر كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأن الله أيدته بنصره وبالمؤمنين كلهم، وعلى وغيره من المؤمنين الذين أيدته الله بهم، وكان تأييده بأبى بكر وعمر أعظم من تأييده بغيرهما من وجوه كثيرة.

(١) ن، م، س: فلم كان، وهو تحريف. (٢) ن، س، ب: وكان.

ومما يبين أن علياً لم يكن يعلم المستقبل أنه نَدِمَ على أشياء مما فعلها، وكان يقول:

لقد عجزت عجرة لا أعتذر سوف أكيس بعدها وأستمر

وأجمع الرأى الشتيت المنتشر

وكان يقول ليالى صفين : يا حسن يا حسن، ما ظنَّ أبوك أن الأمر يبلغ هذا! لله درّ مقام قامه سعد بن مالك وعبدالله بن عمر، إن كان براً إن أجره لعظيم، وإن كان إثماً إن خطره ليسير. وهذا رواه المصنفون. وتواتر عنه أنه كان يتضجر ويتململ من اختلاف رعيته عليه، وأنه ما كان يظن أن الأمر يبلغ ما بلغ.

وكان الحسن رأيه ترك القتال. وقد جاء النص الصحيح بتصويب الحسن.

وفى البخارى عن أبى بكر^(١) رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن ابنى هذا سيد، وإن الله يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٢) فمدح الحسن على الإصلاح بين الطائفتين.

وسائر الأحاديث الصحيحة تدلّ على أن القعود عن القتال والإمساك عن الفتنة كان أحب إلى الله ورسوله. وهذا قول أئمة السنة، وأكثر أئمة الإسلام. وهذا ظاهر فى الاعتبار؛ فإن محبة الله ورسوله للعمل بظهور ثمرته، فما / كان أنفع للمسلمين فى دينهم ودنياهم كان أحب إلى الله

١٨١/٤

(١) عبارة «عن أبى بكر»: ساقطة من (س)، (ب).

(٢) سبق الحديث فيما مضى ٥٣٩/١، ٥٤٠.

ورسوله . وقد دل الواقع على أن رأى الحسن كان أنفع للمسلمين لما ظهر من العاقبة فى هذا و[فى] هذا^(١) .

وفى صحيح البخارى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يقول للحسن وأسامه : «اللهم إنى أحبهما فأحبهما، وأحب من يحبهما»^(٢) . وكلاهما كان يكره الدخول فى القتال . أما أسامة فإنه اعتزل القتال، فطلبه علىّ ومعاوية، فلم يقاتل مع واحدٍ من هؤلاء . كما اعتزل أكثر فضلاء الصحابة رضى الله عنهم، مثل سعد بن أبى وقاص، وابن عمر، ومحمد بن مسلمة، وزيد بن ثابت، وأبى هريرة، وعمران بن حصين، وأبى بكره، وغيرهم .

وكان ما فعله الحسن أفضل عند الله مما فعله الحسين ؛ فإنه وأخاه سيدا شباب أهل الجنة، فقتل الحسين شهيدا مظلوما . وصار الناس فى قتله ثلاثة أحزاب :

حزب يرون أنه قُتل بحق، ويحتجون بما فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من جاءكم وأمركم على رجل واحدٍ يريد أن يفرّق بين جماعتكم فاضربوا عنقه بالسيف كائنا من كان»^(٣) . قالوا : وهو جاء والناس على رجلٍ واحدٍ، فأراد أن يفرّق جماعتهم . وحزب يرون أن الذين قاتلوه كفّار، بل يرون أن من لم يعتقد إمامته كافر .

(١) ن، م : وفى هذا وهذا .

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٣٩/٤ .

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٦٤/١ .

والحزب الثالث - وهم أهل السنة والجماعة - يرون أنه قُتل مظلوماً شهيداً، والحديث المذكور لا يتناوله بوجه، فإنه رضى الله عنه لما بعث ابن عمه عَقِيلاً إلى الكوفة فبلغه أنه قُتل بعد أن بايعه طائفة، فطلب^(١) الرجوع إلى بلده، فخرج إليه السرية التي قتلتها، فطلب منهم أن يذهبوا / به إلى يزيد، أو يتركوه يرجع إلى مدينته، أو يتركوه يذهب إلى الثغر للجهاد، فامتنعوا من هذا وهذا، وطلبوا أن يستأسر لهم ليأخذوه أسيراً.

ومعلوم باتفاق المسلمين أن هذا لم يكن واجباً عليه، وأنه كان يجب تمكينه مما طلب، فقاتلوه ظالمين له، ولم يكن حينئذ مريداً لتفريق الجماعة، ولا طالباً للخلافة، ولا قاتل على طلب خلافة، بل قاتل دفعاً عن نفسه لمن صال عليه وطلب أسره.

وظهر بطلان قول الحزب الأول.

وأما الحزب الثانى فبطلان قوله يُعرف من وجوه كثيرة: من أظهرها أن علياً لم يكفر أحداً ممن قاتله، حتى ولا الخوارج، ولا سبى ذرية أحد منهم، ولا غنم ماله، ولا حكم فى أحدٍ ممن قاتله بحكم المرتدين، كما حكم أبوبكر وسائر الصحابة فى بنى حنيفة وأمثالهم من المرتدين، بل على كان يترضى^(٢) عن طلحة والزبير وغيرهما ممن قاتله، ويحكم فيهم وفى أصحاب معاوية ممن قاتله بحكم المسلمين.

وقد ثبت بالنقل الصحيح أن مناديه نادى يوم الجمل: «لا يتبع مدبر،

(١) س، ب: .. طائفة فبلغ فطلب، وهو خطأ.

(٢) س، ب: بل كان يترضى.

ولا يُجهز على جريح ، ولا يُغنم مال^(١) . وهذا مما أنكرته الخوارج عليه ، حتى ناظرهم ابن عباس رضى الله عنه فى ذلك ، كما ذكر ذلك فى موضعه .

واستفاضت الآثار^(٢) عنه أنه كان يقول عن قتلى عسكر معاوية : إنهم جميعا مسلمون ، ليسوا كفارا ولا منافقين ، كما قد ذكر فى غير هذا الموضع . وكذلك عمار وغيره من الصحابة .

وكانت هذه الأحزاب الثلاثة بالعراق ، [وكان بالعراق أيضا]^(٣) طائفة ناصبة من شيعة عثمان تبغض عليا والحسين ، وطائفة^(٤) من شيعة على تبغض عثمان وأقاربه .

وقد ثبت فى صحيح مسلم عن أسماء عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : «سيكون فى ثقيف كذاب ومبير»^(٥) . فكان الكذاب الذى فيها هو المختار بن عبيد ، وكان الحجاج هو المبير ، وكان هذا يتشيع لعثمان ويبغض شيعة على ، وكان الكذاب يتشيع لعلى ، حتى قاتل عبيد الله بن زياد وقتله ، ثم ادعى أن جبريل يأتيه ، فظهر كذبه .

وانقسم الناس بسبب هذا يوم^(٦) عاشوراء - الذى قُتل فيه الحسين - إلى قسمين : فالشيعة اتخذته يوم ماتم وحزن يفعل فيه من المنكرات ما

(١) انظر : البداية والنهاية ٢٤٥/٧ .

(٢) م : الأخبار .

(٣) العبارة بين المعقوفتين ساقطة من جميع النسخ ، وأثبتها ليستقيم الكلام .

(٤) م : وفاطمة ، وهو تحريف .

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٦٩/٢ .

(٦) ب : فى يوم .

لا يفعله إلا من هو من أجهل الناس وأضلّهم، وقوم اتخذوه^(١) بمنزلة العيد، فصاروا يوسّعون فيه^(٢) النفقات والأطعمة واللباس، ورووا فيه أحاديث موضوعة، كقوله: «من وسّع على أهله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر سنته» وهذا الحديث كذب على النبي صلى الله عليه وسلم^(٣). قال حرب الكرماني: سئل أحمد بن حنبل / عن هذا الحديث، فقال: لا أصل له. والمعروف عند أهل الحديث أنه يرويه سفيان بن عيينة عن إبراهيم بن محمد بن المنتشر عن أبيه أنه قال: بلغنا أنه من وسّع على أهله يوم عاشوراء وسّع الله عليه سائر سنته. قال ابن عيينة: جرّبناه من ستين سنة فوجدناه صحيحا.

قلت: ومحمد بن المنتشر هذا من فضلاء الكوفيين، لكن لم يكن يذكر ممن سمعه ولا عمن بلغه^(٤). ولاريب أن هذا أظهره بعض المتعصبين على الحسين، ليتخذ يوم قتله عيداً، فشاع هذا عند الجهال المتتبعين إلى السنة، حتى رُوي في حديث: أن يوم عاشوراء جرى كذا وجرى كذا، حتى جعلوا أكثر حوادث الأنبياء كانت يوم عاشوراء، مثل مجيء قميص يوسف إلى يعقوب ورد بصره، وعافية أيوب، وفداء الذبيح، وأمثال هذا. وهذا الحديث كذب موضوع، وقد ذكره ابن الجوزي في «الموضوعات»^(٥) وإن كان قد رواه هو في كتاب «النور في

(١) س، ب : اتخذته.

(٢) فيه : ساقطة من (س)، (ب).

(٣) سبق الكلام على هذا الحديث فيما سبق ٦٩/٢، ٣٢٩/٤.

(٤) ن، س : ولا ممن بلغه؛ م : وإلى من بلغه.

(٥) انظر: «الموضوعات» ١٩٩/٢ - ٢٠٤.

فضائل الأيام والشهور»^(١) وذكر عن ابن ناصر شيخه أنه قال: حديث صحيح وإسناده على شرط الصحيح، فالصواب ما ذكره في «الموضوعات» وهو آخر الأمرين منه. وابن ناصر راج عليه ظهور حال رجاله، وإلا فالحديث مخالف للشرع والعقل، لم يروه أحد من أهل العلم المعروفين في شيء من الكتب، وإنما دُلّس على بعض الشيوخ المتأخرين.

كما جرى مثل ذلك في أحاديث^(٢) أخرى، حتى في أحاديث نسبت إلى مسند أحمد وليست منه. مثل حديث رواه عبد القادر بن يوسف، عن ابن المذّهب، عن القطيعي، عن عبدالله، عن أبيه، عن عبدالله بن المثنى^(٣)، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «القرآن كلام الله غير مخلوق، منه بدأ، وإليه يعود» وهذا القول صحيح متواتر عن السلف أنهم قالوا ذلك، لكن رواية هذا اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم كذب، وعزوه إلى المسند لأحمد كذب ظاهر^(٤)، فإن مسنده موجود، وليس هذا فيه.

(١) ذكره ابن رجب في «الذيل على طبقات الخنابلة» ٤٢٠/١ وقال عنه: «مجلد».

(٢) م: أكاذيب. (٣) م: عن أبيه ابن المثنى.

(٤) لم أجد هذا الحديث، وهناك أحاديث موضوعة كثيرة مقاربة في اللفظ والمعنى عن عدد من الصحابة ذكر بعضها السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» ٧٤/١ منها. عن أبي الزبير قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من قال القرآن مخلوق فقد كفر، ومنها عن أنس مرفوعاً: كل ما في السماوات والأرض وما بينهما فهو مخلوق غير الله والقرآن، وذلك أنه كلامه منه بدأ وإليه يعود وسيجيء أقوام... الخ. وذكر هذه الأحاديث أيضاً ابن عراق الكنانى في «تنزيه الشريعة» ١٣٤/١-١٣٥، وعلى القارى في «الأسرار المرفوعة» ص

وأحمد إمام أهل السنة في زمن المحنة، وقد جرى له في مسألة القرآن ما اشتهر في الآفاق، وكان يحتج لأن^(١) القرآن كلام الله غير مخلوق بحجج كثيرة معروفة عنه، ولم يذكر هذا الحديث قط، ولا احتج به، فكيف يكون هذا الحديث عنده ولا يحتج به؟! وهذا الحديث إنما عرف عن هذا الشيخ، وكان بعض من قرأ عليه دسّه في جزء فقراه عليه مع غيره، فراج ذلك على من لم يكن له معرفة.

وكذلك حديث عاشوراء، والذي صح في فضله هو صومه، وأنه يكفر سنة، وأن الله نجّى / فيه موسى من الغرق، وقد بسطنا الكلام عليه في موضع آخر، ويبيّن أن كل ما يُفعل فيه سوى الصوم بدعة مكروهة، لم يستحبها^(٢) أحد من الأئمة، مثل الاكتحال والخضاب وطبخ الحبوب وأكل لحم الأضحية والتوسيع في النفقة وغير ذلك، وأصل هذا من ابتداع قتلة الحسين ونحوهم^(٣).

وأقبح من ذلك وأعظم ما تفعله الرافضة من اتخاذها مأتما يُقرأ فيه المصراع، وينشد فيه قصائد النياحة، ويعطّشون فيه أنفسهم، ويلطمون فيه^(٤) الخدود، ويشقون الجيوب، ويدعون فيه بدعوى الجاهلية.

٥٧، ٢٥٩. وانظر قوله (ص ٤٧٩): «قال (الخليلي في كتاب الإرشاد): وهذا مثل إجماع الصحابة والتابعين وجميع أهل السنة على أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، وليس هذا اللفظ حديثه عليه الصلاة والسلام».

(١) م : أن. (٢) م : لم يحجها.

(٣) لابن تيمية رسالة أجاب فيها على سؤال عما يفعله الناس في يوم عاشوراء من البدع نشرت في فتاوى الرياض ج ٢٥ ص ٢٩٩-٣١٧. (٤) فيه : زيادة في (ن).

وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية»^(١). وهذا مع حدثان العهد بالمصيبة، فكيف^(٢) إذا كانت بعد ستمائة ونحو سبعين سنة؟ وقد قتل من هو أفضل من الحسين، ولم يجعل المسلمون ذلك اليوم مأتماً.

وفي مسند أحمد عن^(٣) فاطمة بنت الحسين، وكانت قد شهدت قتله، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من مسلم يصاب بمصيبة، فيذكر مصيبته وإن قدمت، فيحدث لها استرجاعاً إلا أعطاه الله من الأجر مثل أجره يوم أصيب بها»^(٤).

فهذا يبين أن السنة في المصيبة إذا ذكرت، وإن تقادم عهدها، أن يسترجع^(٥)، كما جاء بذلك الكتاب والسنة.

قال تعالى: ﴿وَيُشِيرُ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْتَخُونَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وأقبح من ذلك / نتف النعجة تشبيها لها بعائشة، والطعن في الجبس الذي في جوفه سمن تشبيها له بعمر، وقول القائل: ياثارات أبي لؤلؤة! إلى غير ذلك من منكرات الرافضة، فإنه يطول وصفها.

١٨٣/٤

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٢/١، ٥٣.

(٢) ن، س، ب: فتكون، وهو تحريف.

(٣) ن، م: أن، وهو تحريف.

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٥١/٤.

(٥) ن، س: في المصيبة الاسترجاع إذا ذكرت وإن تقادم عهدها.

والمقصود هنا أن ما أحدثوه من البدع فهو منكر، وما أحدثه من يقابل بالبدعة البدعة، وينسب إلى السنة، هو أيضاً منكر مبتدع. والسنة ما سنّه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهى برية من كل بدعة، فما يفعل يوم عاشوراء من اتخاذه عيداً بدعة أصلها من بدع النواصب، وما يفعل من اتخاذه مأتماً بدعة أشنع منها، وهى من البدع المعروفة فى الروافض، وقد بسطنا هذه الأمور^(١).

﴿فصل﴾

قال الرافضى^(٢) : «السادس : أنه كان مستجاب الدعاء^(٣) .
دعا على بُسر بن أرطاة^(٤) بأن يسلبه الله عز وجل عقله فخُولط
فيه، ودعا على العيزار^(٥) بالعمى فعمى ، ودعا على أنس^(٦) لما
 قول الرافضى
 السادس : إن
 علياً رضى الله
 عنه كان
 مستجاب الدعاء

(١) س، ب : ... الأمور وبالله المستعان.

(٢) فى (ك) ص ١٨٨ (م) - ١٨٩ (م).

(٣) م : الدعوة.

(٤) ن، م، س، ك : بسر بن أرطاه. والمثبت من (ب) وهو الصواب. وهو عمير بن عويمر ابن عمران. ترجمته فى : الإصابة ١٥٢/١ وقال : «بسر بن أرطاة أو ابن أبى أرطاة. قال ابن حبان : من قال : ابن أبى أرطاة فقد وهم»؛ طبقات ابن سعد ٤٠٩/٧؛ تهذيب التهذيب ٤٣٥/١ - ٤٣٦؛ الأعلام ٢٣/٢ (وفاته فيه سنة ٢٣).

(٥) ك : العيزار، وهو تحريف. وهو العيزار بن الأحنس، ذكره الطبرى فى تاريخه ٨٩/٥ ط. المعارف).

(٦) ك : أنس بن مالك.

كتبتم شهادته بالبرص فأصابه، وعلى زيد بن أرقم بالعمى فعمى»^(١).

التعليق عليه

والجواب: أن هذا موجود في الصحابة أكثر منه، وممن بعد الصحابة، مادام في الأرض مؤمن. وكان سعد بن أبي وقاص لا تخطيء له دعوة. وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اللهم سدد رميته وأجب دعوته»^(٢). وفي صحيح مسلم أن عمر لما أرسل إلى الكوفة من يسأل عن سعد، فكان الناس يشنون خيرا، حتى سُئل عنه رجل من بني عبس فقال: أما إذ أنشدتمونا سعدا، فكان لا يخرج في السرية، ولا يعدل في الرعية، ولا يقسم بالسوية. فقال سعد: «اللهم إن كان كاذباً، قام رياء وسمعة، فاطل عمره، وعظم فقره، وعرضه للفتن» فكان يرى وهو شيخ كبير، تدلّى حاجباه من الكبر، يتعرض للجوارى يغمزهن في الطرقات، ويقول: «شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد»^(٣).

(١) ك: - فعمى، ودعا على حسان بن ثابت بعمى قلبه بعدما كان قد عمى، وكان في زقاق مكة بلا عصا، فلما دعا لم يعد (في الأصل: لم يجد) يهتدى طريقا.

(٢) الحديث بهذا اللفظ عن سعد بن أبي وقاص رضى الله عنه في: المستدرک ٥٠٠/٣. وقال الحاكم: «هذا حديث تفرد به يحيى بن هانى بن خالد الشجرى، وهو شيخ ثقة من أهل المدينة». ووافقه الذهبي.

(٣) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن جابر بن سمرة رضى الله عنه في: البخارى ١٤٧/١ (كتاب الأذان، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها..)، مسلم ٣٣٥-٣٣٤/١ (كتاب الصلاة، باب القراءة في الظهر والعصر)، سنن النسائي ١٣٥/٢ (كتاب الافتتاح، باب الركود في الركعتين الأولىين)، المسند (ط. الحلبي) ٢٦٤/٤.

وكذلك سعيد بن زيد، كان مستجاب الدعوة. فروى حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، أن أروى بنت أوس استعدت مروان على سعيد، وقالت: «سرق من أرضي ما أدخله في أرضه» فقال سعيد: «اللهم إن كانت كاذبة فأذهب بصرها، واقتلها في أرضها» فذهب بصرها، وماتت في أرضها^(١).

والبراء بن مالك كان يقسم على الله فيبر قسمه، كما في الصحيح. «إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره، منهم البراء بن مالك»^(٢).

منهاج
٥٨٧/٤

والعلاء بن الحضرمي، نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم نائب أبي بكر رضي الله عنه على البحرين، مشهور بإجابة الدعاء. روى ابن أبي الدنيا بإسناده، قال سهم بن منجاب: غزونا مع العلاء بن الحضرمي دَارَيْن^(٣)، فدعا بثلاث دعوات، فاستجاب الله له فيهن كلهن. قال: سرنا معه، ونزلنا منزلا، وطلبنا الوضوء، فلم نقدر عليه، فقام فصلى ركعتين، ثم دعا الله، فقال: اللهم يا عليم يا حكيم، يا على يا عظيم، إنا عبيدك، وفي سبيلك نقاتل عدوك، فاسقنا غيثا نشرب منه

(١) الحديث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه في: مسلم ١٢٣٠/٣ - ١٢٣١ (كتاب المساقاة، باب تحريم الظلم وغصب الأرض وغيرها). وجاء الحديث مختصرا في المسند (ط. المعارف) الأرقام ١٦٤٠، ١٦٤٩.

(٢) سبق الحديث فيما مضى ٤٨٢/٤.

(٣) قال ياقوت في «معجم البلدان»: «دَارَيْنُ قُرْصَةٌ بالبحرين يجلب إليها المسك من الهند، والنسبة إليها دارى... وفي كتاب «سيف» أن المسلمين اقتحموا إلى دارين البحر مع العلاء الحضرمي فأجازوا ذلك الخليج بإذن الله... وإن ما بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة لسفر البحر في بعض الحالات».

ونتوضاً من الإحداث، وإذا تركناه فلا تجعل فيه نصيباً لأحدٍ غيرنا. قال :
 فما جاوزنا غير بعيد، فإذا نحن ببئرٍ من ماء السماء تتدفق. قال : فنزلنا
 فروينا^(١)، وملأت إداوتى^(٢) ثم تركتها وقلت : لأنظرن هل استجيب له؟
 فسرنا ميلاً أو نحوه، فقلت لأصحابي : إني نسيت إداوتى^(٣)، فجئت إلى
 ذلك المكان، فكأنما لم / يكن فيه ماء قط، فأخذت إداوتى^(٤)، فلما
 أتينا دارين، وبيننا وبينهم البحر، فدعا الله فقال : اللهم يا عليم
 يا حكيم، يا عالى يا عظيم، إنا عبيدك، وفى سبيلك نقاتل عدوك، فاجعل
 لنا سبيلاً إلى عدوك. ثم اقتحم بنا^(٥) البحر، فوالله ما ابتلت سروجنا،
 ثم خرجنا إليهم، فلما رجعنا، اشتكى البطن فمات، فلم نجد ماءً
 نغسله، فلففناه فى ثيابه، فدفناه، فلما سرنا غير بعيد إذا نحن بماءٍ كثير،
 فقال بعضهم لبعض : ارجعوا نستخرجه فنغسله، فرجعنا فخفى علينا
 قبره، فلم نقدر عليه. فقال رجل من القوم : إني سمعته يدعو الله يقول :
 اللهم يا عليم يا حكيم، يا عالى يا عظيم، اخف حفرتى، ولا تطلع على
 عورتى أحداً، فرجعنا، وتركناه^(٦).

وقد كان عمر دعا بدعوات أجيب فيها. من ذلك أنه لما نازعه بلال
 وطائفة معه فى القسمة - قسمة الأرض - / فقال : «اللهم اكفنى بلائاً
 وذوياً» فما حال الحول ومنهم عين تطرف^(٧).

١٨٤/٤

(١) ن، م، س : فتروينا. (٢) م : إداوتنا؛ س، ب : أدواتى، وهو تحريف.

(٣) س، ب : أدواتى. (٤) س، ب : معنا.

(٥) ذكر هذا الخبر ابن الجوزى فى «صفة الصفوة» ٢٩٠/١ (ط . حيدرآباد، ١٣٥٥).

(٦) سبق ذكر هذا الخبر فيما مضى.

وقال : « اللهم قد^(١) كبرت سنّي ، وانتشرت رعيتي ، فاقبضني إليك غير مفتون ولا مضيع^(٢) » فمات من عامه^(٣) .
ومثل هذا كثير جدا . وقد صنّف ابن أبي الدنيا في «مجاوب الدعوة» كتاباً^(٤) ، مع أن هذه القصص المذكورة عن عليّ لم يذكر لها إسنادا ، فتوقف على معرفة الصحة ، مع أن فيها ماهو كذب لا ريب فيه ، كدعائه على أنس بالبرص ، ودعائه على زيد بن أرقم بالعمى .

﴿فصل﴾

قال الرافضى:^(٥) « السابع : أنه لما توجه إلى صفين لحق أصحابه عطش شديد ، فعَدَلَ بهم قليلا ، فلاح لهم دير ، فصاحوا بساكنه ، فسألوه عن الماء ، فقال : بينى وبينه أكثر من فرسخين ، ولولا أنى أوتى ما يكفينى^(٦) كل شهر على التقدير لتلفت عطشا ،

تابع كلام
الرافضى
السابع : أن عليّا
رضى الله عنه
كان مستجاب
الدعوة

- (١) قد : ساقطة من (س) ، (ب) .
- (٢) ذكر هذا الخبر ابن الجوزى فى «تاريخ عمر بن الخطاب» ص ١٨٠ عن سعيد بن المسيب ، وزاد : «وفى رواية : فما انسلخ ذو الحجة حتى طعن فمات» .
- (٣) هو أبوبكر عبدالله بن محمد بن عبيد بن سفيان ، ابن أبى الدنيا القرشى الأموى البغدادى محدث ، له مصنفات كثيرة فى الوعظ والأخلاق والزهد ، ولد سنة ٢٠٨ وتوفى سنة ٢٨١ . انظر ترجمته فى : فوات الوفيات ١/ ٤٩٤-٤٩٥ ؛ تهذيب التهذيب ٦/ ١٢-١٣ ؛ معجم المؤلفين ٦/ ١٣١ ؛ الأعلام ٤/ ٢٦٠ . وتوجد من كتاب «مجاوب الدعوة» نسخة خطية فى مكتبة كوبرىلى بتركيا رقم ١٥٨٤ ، وتوجد منها مصورة فى معهد المخطوطات بالجامعة العربية بالقاهرة (تصوف وآداب شرعية رقم ٤٥٤) .
- (٤) فى (ك) ص ١٨٨ (م) ١٨٩ (م) .
- (٥) م : أوتى بما يكفينى ؛ ك : أوتى بماء يكفينى .

فأشار أمير المؤمنين إلى مكان قريب من الدير، وأمر بكشفه، فوجدوا صخرة عظيمة، فعجزوا عن إزالتها، فقلعها وحده، ثم شربوا الماء، فنزل إليهم^(١) الراهب، فقال^(٢): أنت نبي مرسل أو ملك مقرب؟ فقال^(٣): لا، ولكنى وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأسلم على يده^(٤)، وقال: إن هذا الدير بُنى على طالب هذه^(٥) الصخرة، ومخرج الماء من تحتها، وقد مضى جماعة^(٦) قبلى لم يدركوه. وكان الراهب من جملة من استشهد معه، ونظم القصة^(٧) السيد الحميرى فى قصيدته^(٨).

الرد عليه

والجواب: أن هذا من جنس أمثاله من الأكاذيب التى يظنها^(٩) الجهال من أعظم مناقب على، وليست كذلك. بل الذى وضع هذه كان جاهلا بفضل على، وبما يستحقه من الممدوح؛ فإن الذى فيه من المنقبة أنه أشار إلى صخرة فوجدوا تحتها الماء، وأنه قلعها. ومثل هذا يجرى لخلق كثير، على رضى الله عنه^(١٠) أفضل منهم، بل فى المحييين لأبى بكر

(١) ك : إليه . (٢) م : وقال ؛ ك : فقال له .

(٣) ك : أنت ملك مقرب أو نبي مرسل ؟ قال . .

(٤) م : يديه .

(٥) ك : على طالب قالع هذه . .

(٦) س ، ب : وقد مضى من تحتها جماعة . .

(٧) ن ، س ، ب : القضية .

(٨) ك : . . الحميرى رحمه الله تعالى فى قصيدته المذمبة .

(٩) ن ، م ، س : يطلبها . (١٠) س ، ب : عنهم .

وعمر وعثمان من يجرى لهم أضعاف هذا، وأفضل من هذا وهذا، وإن كان إذا جرى على يد بعض الصالحين كان نعمة من الله وكرامة له، فقد يقع مثل ذلك لمن ليس من الصالحين كثيرا.

وأما سائر ما فيها، مثل قوله: «إن هذا الدير بنى على طالب هذه الصخرة، ومخرج الماء من تحتها».

فليس هذا من دين المسلمين، وإنما بُنى الكنائس والديارات والصوامع على أسماء المقتدية بسير النصارى، فأما المسلمون فلا يبنون معابدهم - وهى المساجد التى أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه - إلا على اسم الله، لا على اسم مخلوق.

وقول^(١) الراهب: «أنت نبى مرسل أو مَلَكٌ مقَرَّبٌ» يدل على جهله، وأنه من أضلّ الخلق؛ فإن الملائكة لا تشرب الماء، ولا تحتاج [إلى]^(٢) أن تستخرجه من تحت صخرة. ومحمد صلى الله عليه وسلم لا نبى بعده، ومعلوم أن هذا الراهب قد سمع بخبر المسلمين الذين فتحوا تلك المواضع، فإن كان يجوز أن يُبعث رسول بعد المسيح، فمحمد هو الرسول، ومعجزاته ظاهرة باطنة، فإن صدّقه فقد علم أنه لا نبى بعده، وإن لم يصدّقه فكيف يعتقد فى غيره أنه نبى مرسل بمجرد دلالة على ماءٍ تحت صخرة، أو لكون الدير بنى على اسمه، وهم يبنون الديارات على أسماء خلق كثير ليسوا من الملائكة ولا الرسل؟!!

وما فيه من قول على: «ولكنى وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم»

(١) س، ب : فقول.

(٢) إلى : ليست فى (ن).

هو مما يبين أنه كذب على عليّ، وأن علياً لم يدع هذا قط لا في خلافة الثلاثة ولا ليالي صفين. وقد كانت له مع منازعيه مناظرات ومقامات ما ادعى هذا قط، ولا ادعاه أحد له. وقد حكّم الحكمين، وأرسل ابن عباس لمناظرة الخوارج، فذكروا فضائله وسوابقه ومناقبه، ولم يذكر أحد منهم قط أنه وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومعلوم أن هذا مما تتوفر الهمم والدواعي على نقله، بدون هذه الأسباب الموجبة لنقله لو كان حقاً، فكيف مع هذه الأسباب؟! فلما رووا فضائله ومناقبه، كقوله عليه السلام: «لأعطين الراية غدا رجلاً يحب الله ورسوله، [ويحبه الله ورسوله]»^(١).

وكقوله عام تبوك: «ألا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى، / إلا أنه لا نبي بعدي»^(٢). ١٨٥/٤

وقوله: «أنت منى وأنا منك»^(٣)، وغير ذلك من فضائله، ولم يرووا هذا مع مسيس الحاجة إلى ذكره [ولا ادعاه على قط مع مسيس الحاجة إلى ذكره]^(٤) - / علم أنه من جملة ما افتراه الكذابون. ٣٤٩ ظ

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(٥): «الثامن: ما رواه الجمهور: أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج إلى بني المصطلق، حيث خرجوا عن

الثامن: كلام
الرافضي على
قتل علي رضي
الله عنه لكفار
الجن

(١) ويحبه الله ورسوله: ساقطة من (ن). وتقدم الحديث من قبل ٢٨٩/٤.

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٠١/١ وأوله هناك: وأنت منى بمنزلة... ٤٢/٥.

(٣) تقدم هذا الحديث ٣٤/٤.

(٤) ما بين المعقوفين في (م) فقط. (٥) في (ك) ص ١٨٩ (م).

الطريق^(١)، وأدركه الليل، بقرب^(٢) وادٍ وعر، فهبط جبريل وأخبره أن^(٣) طائفة من كفّار الجن قد استبطنوا الوادى يريدون كيدَه وإيقاع الشر بأصحابه، فدعا بعليّ وعوّذه، وأمره^(٤) بنزول الوادى، فقتلهم.

الرد عليه

والجواب : أن يقال أولاً : علىّ أجلّ قدرا من هذا، وإهلاك الجن موجود لمن هو دون عليّ، لكن هذا الحديث من الأحاديث المكذوبة على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عليّ عند أهل المعرفة بالحديث، ولم يجر فى غزوة بنى المصطلق شىء من هذا.

وقوله : «إن هذا رواه الجمهور» إن أُريد بذلك أنه مروي بإسناد ثابت، أو فى كتاب يُعتمد على مجرد نقله، أو صححه من يرجع إلى تصحيحه - فليس كذلك.

وإن أراد [أن]^(٥) جمهور العلماء رواه، فهذا كذب. وإن أراد أنه رواه من لا يقوم بروايته حجة، فهذا لا يفيد.

ومن هذا الجنس ما يُروى أنه قاتل الجن فى بئر ذات العلم، وهو حديث موضوع عند أهل المعرفة.

(١) ك : جُنِبَ عن الطريق.

(٢) ك : ... الليل فتزل بقرب ..

(٣) ك : جبرئيل عليه السلام آخر الليل وأخبر النبى صلى الله عليه وآله أن ..

(٤) ن، س : وأمرهم ؛ م : فأمرهم ؛ ك : بأمر.

(٥) أن : ساقطة من (ن)، (م)، (س).

وعلى أجلّ قدرا من أن تثبت الجن لقتاله، ولم يقاتل أحد من الإنس الجن، بل كان [الجن]^(١) المؤمنون يقاتلون الجن الكفار.

وكان من أهل العلم أبو البقاء خالد بن يوسف النابلسي رحمه الله، سأله بعض الشيعة عن قتال على^(٢) الجن، فقال: أنتم معشر الشيعة ليس لكم عقل، أيما أفضل عندكم: عمر أو على؟ فقالوا: بل على. فقال: إذا كان الجمهور يروون عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعمر: «ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك»^(٣) فإذا كان الشيطان يهرب من عمر، فكيف يقاتل عليا؟!

وأيضا فدفع الجن والشياطين وإهلاكهم موجود لكثير من أتباع أبي بكر وعمر وعثمان. وفي ذلك قصص يطول وصفها.

وقد روى ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات» حديثا طويلا في محاربته للجن، وأنه كان في الحج عام الحديبية، وأنه حاربهم بيثر ذات العلم، من طريق أبي بكر محمد بن جعفر بن محمد السامري، حدثنا عبدالله بن أحمد السكوني، حدثنا عمارة بن يزيد، حدثنا إبراهيم بن سعد، عن محمد بن إسحاق، حدثني يحيى بن عبيدالله بن الحارث، عن أبيه، عن ابن عباس، قال: لما توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الحديبية إلى مكة أصاب الناس عطش شديد وحر شديد، فترل

(١) الجن : زيادة في (ب) فقط وإثباتها تستقيم به العبارة.

(٢) على : في (ن) فقط .

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٥/٦ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم* الحُجفة معطشا والناس عطاش، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم*: هل من رجل يمضى في نفر من المسلمين معهم القرب فيردون بثر^(١) ذات العلم، ثم يعود، يضمن له رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة؟».

فذكر حديثاً طويلاً فيه أنه بعث رجلاً من الصحابة ففرع من الجن فرجع، ثم بعث آخر وأنشد شعراً، فدُعر من الجن فرجع، ثم أرسل على بن أبى طالب فتزل البثر وملاً القرب بعد هول شديد، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: الذى هتف بك من الجن هو سماعة بن غراب^(٢) الذى قتل عدو الله مسعراً شيطان الأصنام الذى يكلم قريشاً منها، وفرع من هجائى.

ثم قال الشيخ أبو الفرج: «وهذا الحديث موضوع محال، والفنيد ومحمد بن جعفر والسكونى مجروحون. قال أبو الفتح الأودى: وعمارة يضع الحديث^(٣)».

قلت: وكتب ابن إسحاق التى رواها عنه الناس ليس فيها شيء من هذا.

(*) ما بين النجمتين ساقط من (س)، (ب) ومكانه فيهما: «فقال: هل...»

(١) ن، س: بثر.

(٢) ب: سماعة بن غراب.

(٣) لم أجد هذا الحديث فى كتاب «الموضعات» مع طول بحثى فيه، ولعل نسخة ابن تيمية من الكتاب كانت فيها زيادات ساقطة من النسخ التى بين أيدينا.

﴿فصل﴾

تابع كلام
لرافضى:
التاسع: حديث
رد الشمس لعل
رضى الله عنه

قال الرافضى^(١): «التاسع: رجوع الشمس له مرتين: إحداهما: فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم. والثانية: بعده. أما الأولى فروى جابر وأبو سعيد الخدرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل عليه جبريل^(٢) يوماً يناجيه من عند الله، فلما تغشاه الوحي توسد فخذ أمير / المؤمنين، فلم يرفع رأسه حتى غابت الشمس، فصلّى على العصر^(٣) بالإيماء، فلما استيقظ النبى صلى الله عليه وسلم قال له: سل الله تعالى يرد عليك الشمس لتصلى العصر قائماً، فدعا، فردت الشمس، فصلّى العصر قائماً.

١٨٦/٤

وأما الثانية: فلما أراد أن يعبر الفرات ببابل اشتغل كثير من أصحابه [بتعبير] دوابهم^(٤)، وصلّى لنفسه^(٥) فى طائفة من أصحابه العصر، وفات كثير منهم، فتكلموا فى ذلك، فسأل الله رد الشمس فردت. ونظمه الحميرى^(٦) فقال:

(١) فى (ك) ص ١٨٩ (م) - ١٩٠ (م). (٢) ك: جبرئيل عليه السلام بالوحي ..

(٣) ك (ص ١٩٠م): فصلّى عليه السلام العصر ..

(٤) ن: استعمل كثير من أصحابه دوابهم؛ م: اشتغل كثير من أصحابه دوابهم؛ س، ب: استعمل كثير من أصحابه دوابهم. والمثبت من (ك)، ومعناه: اشتغل كثير من أصحابه بنقل دوابهم عبر النهر.

(٥) ك: بنفسه. (٦) ك: السيد الحميرى .

رُدَّتْ عليه الشمسُ لما فَاتَهُ وقتُ الصلاةِ وقد دنت للمَغْرِبِ
حتى تَبَلَّجَ نورُها في وقتِها للعصرِ ثم هَوَتْ هَوَى الكوكبِ
وعليه قد رُدَّتْ بيابلَ مرةً أخرى وما رُدَّتْ لَخَلَّتِ مُعْرِبٌ^(١)

الرد عليه

والجواب: أن يقال: فضل عليٍّ وولايته لله وعلو منزلته عند الله معلوم^(٢)، ولله الحمد، من طرق ثابتة أفادتنا العلم اليقيني، لا يحتاج معها إلى كذب ولا إلى ما لا يُعلم صدقه. وحديث رد الشمس له قد ذكره طائفة، كالطحاوي والقاضي عياض وغيرهما، وعدُّوا ذلك من معجزات النبي / صلى الله عليه وسلم. لكنَّ المحققون من أهل العلم والمعرفة بالحديث يعلمون أن هذا الحديث كذب موضوع، كما ذكره ابن الجوزي في كتاب «الموضوعات»^(٣) فرواه من كتاب أبي جعفر العقيلي في الضعفاء، من طريق عبيد الله^(٤) بن موسى، عن فضيل بن مرزوق، عن إبراهيم بن الحسن بن الحسن^(٥)، عن فاطمة بنت الحسين، عن أسماء بنت عميس، قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوحى إليه ورأسه في حجر عليٍّ فلم يصل العصر حتى غربت الشمس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صليت يا عليٍّ؟ قال: لا^(٦)، فقال رسول الله

(١) ن، س، ب: مغرب. وفي (ك) بعد هذه الأبيات بيت رابع هو:

إلا ليوشع أوله من بعدها ولردها تأويل أمير مُعْجِب

(٢) س، ب: عند الله معلوم عند الله. (٣) ٣٥٧-٣٥٥/١

(٤) م، «الموضوعات»: عبدالله، وهو خطأ. وسيرد فيما يلي كما أثبتته هنا.

(٥) ن، م: بن الحسن بن حسن؛ الموضوعات: بن الحسن بن الحسين. وسقطت «بن الحسن» الثانية من (ب)

(*) : ما بين النجمتين ساقط من «الموضوعات» وموجود في «تنزيه الشريعة»، «اللائيء المصنوعة»، «الفوائد المجموعة».

صلى الله عليه وسلم : اللهم إنه كان فى طاعتك وطاعة رسولك ، فاردد عليه الشمس . فقالت أسماء : فرأيتها غربت ، ثم رأيتها طلعت بعد ما غربت . قال أبو الفرج^(١) : « هذا حديث^(٢) موضوع بلاشك ، وقد اضطرب الرواة فيه ، فرواه سعيد بن مسعود ، عن عبيد الله بن موسى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار^(٣) ، عن علي بن الحسين^(٤) ، عن فاطمة بنت علي^(٥) ، عن أسماء^(٦) . قال :^(٧) « وفضيل بن مرزوق ضعفه يحيى ، وقال أبو حاتم بن حبان : يروى الموضوعات ، ويخطئ على الثقات . قال أبو الفرج : « وهذا الحديث مداره على عبيد الله بن موسى عنه^(٨) .

قلت : والمعروف أن سعيد بن مسعود رواه عن عبيد الله بن موسى ، عن فضيل بن مرزوق ، عن إبراهيم بن الحسن ، عن فاطمة بنت الحسين ، عن أسماء . ورواه محمد بن مرزوق ، عن حسين الأشقر ، عن علي بن عاصم ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار^(٩) ، عن علي بن

(١) ص ٣٥٦ . (٢) س ، ب : الحديث . والمثبت من (م) ، الموضوعات .

(٣) ن ، س ، ب : عبد الرحمن بن عبيد عن عبد الله بن دينار ، وهو خطأ .

(٤) م : عن علي بن الحسن بن الحسين ، الموضوعات : عن علي بن الحسن .

(٥) : ما بين التجمتين ساقط من (م) .

(٥) ن ، س ، ب : عن فاطمة بنت الحسين ، وهو خطأ . وترجمة فاطمة بنت علي بن أبي

طالب فى تهذيب التهذيب ١٢ / ٤٤٣ ، الأعلام ٥ / ٣٢٨ .

(٦) أى ابن الجوزى بعد ثلاثة أسطر .

(٧-٧) : هذه العبارات ساقطة من «الموضوعات» .

(٨) ب : عبد الرحمن بن عبيد عن عبد الله بن دينار . والمثبت من (ن) ، (س) وهو الصواب .

وترجمة عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار فى : تهذيب التهذيب ٦ / ٢٠٦-٢٠٧ .

الحسين^(١)، عن فاطمة بنت عليّ، عن أسماء^{*}، كما سيأتي ذكره. قال أبو الفرج^(٢): «وقد روى هذا الحديث ابن شاهين، حدثنا^(٣) أحمد بن محمد بن سعيد الهمداني، حدثنا^(٤) أحمد بن يحيى الصوفى، حدثنا^(٥) عبد الرحمن بن شريك، حدثني أبي، عن عروة بن عبد الله بن قشير^(٦) قال: دخلت على فاطمة بنت عليّ بن أبي طالب فحدثتني [أن أسماء بنت عميس حدثتها]^(٧) أن علي بن أبي طالب.. وذكر حديث رجوع الشمس. قال أبو الفرج^(٨): «وهذا حديث باطل. أما عبد الرحمن بن شريك^(٩)، فقال أبو حاتم^(١٠): هو واهي الحديث. قال: وأنا لا أتهم بهذا الحديث إلا ابن عقدة^(١١)، فإنه كان رافضياً يحدث بمثالب الصحابة» قال أبو أحمد بن عدى الحافظ سمعت أبا بكر بن أبي طالب^(١٢) يقول: ابن عقدة لا يتدين بالحديث، كان يحمل شيوخنا^(١٣) بالكوفة على الكذب، يسوّى لهم نسخاً، ويأمرهم أن يرووها، وقد بيّنا ذلك منه في

(١) ن، س: عليّ بن الحسن بن الحسين.

(٢) الموضوعات ٣٥٦/١.

(٣) الموضوعات: قال: حدثنا.

(٤) س، ب: بن قيس.

(٥) ما بين المعقوفتين من «الموضوعات» وسقط من جميع النسخ.

(٦) بعد كلامه السابق مباشرة.

(٧) ن، س، ب: أما حديث عبد الرحمن بن شريك. والمثبت من (م)، الموضوعات.

(٨) الموضوعات: أبو حاتم الرازي.

(٩) الموضوعات: قال المصنف قلت وأما أنا فلا أتهم بهذا إلا ابن عقدة..

(١٠) هذه العبارات في «الموضوعات» ٣٥٧/١ بعد كلامه السابق بسبعة أسطر وفيه: وقال ابن

عدى سمعت أبا بكر بن أبي غالب.

(١١) الموضوعات: لأنه كان يحمل شيوخنا...

غير نسخة^(١)، «وسئل عنه الدارقطني فقال: رجل سوء. قال أبو الفرج: وقد رواه ابن مردويه من حديث داود بن فراهيج عن أبي هريرة، قال: وداود ضعيف ضعفه شعبة»^(٢).

١٨٧/٤

قلت: فليس في هؤلاء من يُحتج به فيما / دون هذا. وأما الثاني ببابل فلا ريب أن هذا كذب^(٣). وإنشاد الحميري لا حجة فيه، لأنه لم يشهد ذلك، والكذب قديم، فقد سمعه فنظمه. وأهل الغلو في المدح والذم ينظمون ما لا تتحقق صحته، لاسيما والحميري معروف بالغلو^(٤).

وقد أخرجنا في الصحيحين عن أبي هريرة قال: «غزاني من الأنبياء فقال لقومه: لا يتبعني رجل قد مَلَك بُضع امرأة يريد أن يبنى بها ولما

(١) الموضوعات: وقد تيقنا ذلك منه في غير شيخ بالكوفة.

(٢) (١) الكلام بين النجمتين في «الموضوعات» ولكن اختلف ترتيبه واختلفت بعض ألفاظه. وهذا الحديث الموضوع في: تنزيه الشريعة ٣٧٨/١-٣٨٢؛ اللآلئ المصنوعة ٣٣٦/١-٣٣٨؛ الفوائد المجموعة، ص ٣٥٠.

(٢) ن، م: أنه كذب.

(٣) أبو هاشم - أو أبو عامر - إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري، شاعر رافضي ولد سنة ١٠٥ وأختلف في وفاته، قيل: إنه توفي سنة ١٧٣ وقيل سنة ١٧٨ وقيل سنة ١٧٩. قال عنه ابن حجر: «كان رافضيا خبيثا». قال الدارقطني: كان يسب السلف في شعره ويمدح عليا رضي الله عنه». وعده الشهرستاني من المختارية الكيسانية أصحاب المختار بن أبي عبيد الثقفي القائلين بإمامة محمد بن الحنفية بعد علي رضي الله عنه. انظر ترجمته ومذهبه في: لسان الميزان ٤٣٦/١-٤٣٨؛ فوات الوفيات ٣٦-٣٢/١؛ البداية والنهاية ١٧٣/١٠-١٧٤؛ روضات الجنات، ص ٢٩-٣١؛ الأعلام ٣٢٠/١-٣٢١؛ الملل والنحل ١٣٣/١-١٣٤.

يبين، ولا رجل قد بنى بيتا ولم يرفع سقفه^(١)، ولا رجل اشترى غنما - أو خلفات - وهو ينتظر^(٢) ولادها. قال: فغزوا، فدنا من القرية، حتى صلى العصر قريبا من ذلك، فقال للشمس: أنت مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علىّ شيئا، فحبست عليه حتى فتح الله عليه^(٣) الحديث.

فإن قيل: فهذه الأمة أفضل من بنى اسرائيل، فإذا كانت قد ردت ليوشع، فما المانع أن ترد لفضلاء هذه الأمة؟

فيقال: يوشع لم ترد له الشمس، ولكن تأخر غروبها: طوّل له النهار، وهذا قد لا يظهر للناس، فإن طول النهار وقصره لا يدرك. ونحن إنما علمنا وقوفها ليوشع بخبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وأیضا لا مانع من طول ذلك^(٤)، لو شاء الله لفعل ذلك. لكن يوشع كان محتاجاً إلى ذلك، لأن القتال كان محرماً عليه بعد غروب الشمس، لأجل ما حرّم الله عليهم من العمل ليلة السبت ويوم السبت. وأما أمة محمد فلا حاجة لهم إلى ذلك، ولا منفعة لهم فيه، فإن الذي فاتته العصر إن كان مفترطاً لم يسقط ذنبه إلا بالتوبة، ومع التوبة لا يحتاج الى

(١) ن، س: سقيفه.

(٢) ن، م: منتظر.

(٣) كلمة «الحديث»: ساقطة من (س)، (ب). والحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي هريرة رضى الله عنه في موضعين في: البخارى ٨٦/٤ (كتاب فرض الخمس، باب حدثنا أبو اليمان...)، ٢١/٧ (كتاب النكاح، باب من أحب البناء قبل الغزو). وجاء في هذا الموضوع مختصراً. والحديث أيضاً في: مسلم ١٣٦٦/٣ - ١٣٦٧ (كتاب الجهاد والسير، باب تحليل الغنائم لهذه الأمة خاصة)؛ المسند (ط. المعارف) ١٠٢/١٦ -

١٠٣.

(٤) ن، م: لمن طول ذلك..

رد، وإن لم يكن مفراً، كالتائم والناسى فلا ملام عليه فى الصلاة بعد الغروب.

وأيضاً فبنفس غروب الشمس خرج الوقت المضروب للصلاة، فالمصلّى بعد ذلك لا يكون مصلّياً فى الوقت الشرعى ولو عادت الشمس.

وقول الله تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [سورة طه: ١٣٠] يتناول الغروب المعروف، فعلى العبد أن يصلى قبل هذا الغروب، وإن طلعت ثم غربت. والأحكام المتعلقة بغروب الشمس حصلت بذلك الغروب، فالصائم يفطر، ولو عادت بعد ذلك لم يبطل صومه، مع أن هذه الصورة لا تقع لأحد، ولا وقعت لأحد، فتقديرها تقدير ما لا وجود له. ولهذا لا يوجد الكلام على حكم مثل هذا فى كلام العلماء المفرعين.

وأيضاً فالنبي صلى الله عليه وسلم فاتته العصر يوم الخندق، فصلّاها / قضاءً، هو وكثير من أصحابه، ولم يسأل الله ردّ الشمس. ٣٥٠ ظ

وفى الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأصحابه بعد ذلك، لما أرسلهم إلى بنى قريظة: «لا يصلين أحد العصر إلا فى بنى قريظة» فلما أدركتهم الصلاة فى الطريق قال بعضهم: لم يرد منا تفويت الصلاة فصلّوا فى الطريق، فقالت طائفة: لا نصلى إلا فى بنى قريظة، فلم يعنف واحدة من الطائفتين^(١).

فهؤلاء الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم صلّوا العصر بعد

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤١١/٣.

غروب الشمس، وليس على بأفضل من النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا صلاها هو وأصحابه معه بعد الغروب، فعلى وأصحابه أولى بذلك.

فإن كانت الصلاة بعد الغروب لا تجزئ أو ناقصة تحتاج إلى رد الشمس، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أولى برد الشمس، وإن كانت كاملة مُجزئة فلا حاجة إلى ردها.

• وأيضا فمثل هذه القضية من الأمور العظام الخارجة عن العادة، التي تتوفر الهمم والدواعي على نقلها، فإذا لم ينقلها إلا الواحد والاثنان علم بيان كذبهم في ذلك.

وانشقاق القمر كان بالليل وقت نوم الناس، ومع هذا فقد رواه الصحابة من غير وجه، وأخرجوه في الصحاح والسنن والمسند^(١) من غير وجه^(٢)، ونزل به القرآن، فكيف برد الشمس التي تكون بالنهار، ولا يشتهر ذلك، ولا ينقله أهل العلم نقل مثله؟!

(١) م : في الصحيح والسنن والمسند.

(٢) جاءت أحاديث عديدة ذكرت انشقاق القمر عن عدد من الصحابة منها في: البخارى ٢٠٦/٤-٢٠٧ (كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية فأراهم انشقاق القمر) وفي هذا الباب عن عبدالله بن مسعود وأنس بن مالك وابن عباس رضي الله عنهم. وتكررت هذه الأحاديث في: البخارى ٤٩/٥ (كتاب مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر) ونص حديث أنس هو: .. أن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم القمر شقيقتين حتى رأوا حراء بينهما. وأما حديث عبدالله بن مسعود فهو: انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم بمعنى فقال: «اشهدوا» وذهبت فرقة نحو الجبل. وأما حديث ابن عباس فهو: أن القمر انشق على زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

= وجاءت أحاديث انشقاق القمر أيضا في: البخارى ١٤٢/٦-١٤٣ (كتاب التفسير، سورة

ولا يعرف قط أن الشمس رجعت بعد غروبها، وإن كان كثير من الفلاسفة والطبيعيين وبعض أهل الكلام ينكر انشقاق القمر، وما يشبه ذلك، فليس الكلام فى هذا المقام. لكن الغرض أن هذا من أعظم خوارق العادات فى الفلك، وكثير من الناس ينكر إمكانه، فلو وقع لكان ظهوره ونقله أعظم من ظهور ما دونه ونقله، فكيف يُقبل / وحديثه ليس ١٨٨/٤

له إسناد مشهور، فإن هذا يوجب العلم اليقيني بأنه كذب لم يقع. وإن كانت الشمس احتجبت بغيم، ثم ارتفع سحبها، فهذا من الأمور المعتادة، ولعلمهم ظنوا أنها غربت، ثم كشف الغمام عنها. وهذا وإن كان قد وقع، ففيه أن الله يبين له بقاء الوقت حتى يصلّى فيه. ومثل هذا يجرى لكثير من الناس.

وهذا الحديث قد صنف فيه مصنف جمعت فيه طرقه، صنفه أبو القاسم عبد الله بن عبد الله^(١) ابن أحمد الحكاني سماه «مسألة فى تصحيح رد الشمس وترغيب النواصب الشمس»^(٢) وقال: هذا حديث روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من طريق أسماء بنت عميس الخثعمية، ومن طريق أمير المؤمنين على بن أبى طالب، ومن طريق أبى هريرة وأبى سعيد. وذكر حديث أسماء من طريق محمد بن أبى فديك.

اقتربت الساعة؛ مسلم ٢١٥٨/٤-٢١٥٩ (كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر؛ سنن الترمذى ٧١/٥-٧٣ (كتاب التفسير، سورة القمر) وفى هذا الباب أيضا عن ابن عمر وجبير بن مطعم وأبى هريرة رضى الله عنهم؛ المسند (ط. المعارف) ٢٠٤/٥، ١٢/٦، ١٣٥، (ط. الحلبي) ١٦٥/٣، ٢٢٠، ٢٧٥، ٨١/٤-٨٢.

(١) عبارة بن عبد الله : ليست فى (م).

(٢) لم أجد فيما بين يدي من مراجع شيئا عن المؤلف أو عن الكتاب.

قال: أخبرني محمد بن موسى - وهو القطري - عن عون بن محمد، عن أمه - أم جعفر - عن جدتها أسماء بنت عميس أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر، ثم أرسل علياً في حاجة، فرجع وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، يعني العصر، فوضع رأسه في حجر عليّ ولم يحركه حتى غابت الشمس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم إن عبدك علياً [في طاعتك وطاعة رسولك] ^(١) احتبس نفسه على نبيه ^(٢)، فرد عليه شرقها. قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال، فقام عليّ فتوضأ وصلى العصر، ثم غابت الشمس.

قال أبو القاسم المصنف: «أم جعفر هذه هي أم محمد بن جعفر بن أبي طالب، والراوى عنها هو ابنها عون بن محمد بن عليّ، المعروف: أبوه محمد بن الحنفية، والراوى عنه هو محمد ^(٣) بن موسى المدينى، المعروف بالقطري: محمود في روايته ثقة. والراوى عنه محمد بن إسماعيل بن أبي فديك المدني: ثقة. وقد رواه عنه جماعة: منهم هذا الذى ذكرت روايته، وهو أحمد بن الوليد الأنطاكى، وقد رواه ^(٤) عنه نفر منهم أحمد بن عمير بن حوصاء، وذكره بإسناده من طريقه، وفيه أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء، ثم أرسل علياً في حاجة، فرجع وقد صلى النبي صلى الله عليه وسلم العصر، فوضع رأسه في حجر عليّ، فلم يحركه حتى غربت الشمس، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

(١) ما بين المعقوفين في (م) فقط.

(٢) م: نبيك.

(٣) ن، م، س: محمود، وسبق الاسم قبل قليل كما ورد هنا.

(٤) س: وقد رواه؛ ب: وقد روى.

وسلم: اللهم إن عبدك علياً احتبس نفسه على نبيه، فرد عليه شرقها.
قالت أسماء: فطلعت الشمس حتى وقعت على الجبال وعلى الأرض،
فقام عليّ وتوضأ وصلى العصر، وذلك في الصهباء في غزوة خيبر.
قال: ومنهم أحمد بن صالح المصري، عن ابن أبي فديك، رواه
أبو جعفر الطحاوي في كتاب «تفسير متشابه الأخبار» من تأليفه من
طريقه.

ومنهم الحسن بن داود عن ابن أبي فديك، وذكره بإسناده، ولفظه:
أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر بالصهباء من أرض خيبر، ثم
أرسل علياً في حاجة، فرجع وقد صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
العصر، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه في حجر عليّ،
فلم يحركه حتى غربت الشمس، فاستيقظ. وقال: يا علي صليت
العصر؟ قال: لا. وذكره. قال: ويرويه عن أسماء فاطمة بنت الحسين
الشهيد.

ورواه من طريق أبي جعفر الحضرمي، حدثنا محمد بن مرزوق،
حدثنا حسين الأشقر، حدثنا فضيل بن مرزوق، عن إبراهيم ابن
الحسن، عن فاطمة، عن أسماء بنت عميس، قالت: نزل جبريل على
النبي صلى الله عليه وسلم بعد ما صلى العصر، فوضع رأسه - أو
خده: / لا أدري أيهما قال - في حجر عليّ، ولم يصل العصر حتى
غابت الشمس» وذكره.

قال المصنف: «ورواه عن فضيل بن مرزوق جماعة، منهم عبيد الله

ابن موسى العباسي . ورواه الطحاوي من طريقه ، ولفظه : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوحى إليه ورأسه في حجر عليّ ، فلم يصل العصر حتى غابت الشمس .

ورواه أيضا من حديث عمار بن مطر ، عن فضيل^(*) بن مرزوق ، من طريق أبي جعفر العقيلي صاحب كتاب «الضعفاء» .

قلت : وهذا اللفظ / يناقض الأول ، ففيه أنه نام في حجره^(*) من صلاة العصر إلى غروب الشمس ، وأن ذلك في غزوة خيبر بالصهباء . وفي الثاني أنه كان مستيقظاً يُوحى إليه جبريل ، ورأسه في حجر عليّ حتى غربت الشمس . وهذا التناقض يدل على أنه غير محفوظ ، لأن هذا صرح^(*) بأنه كان نائماً هذا الوقت ، وهذا قال : كان يقظان يُوحى إليه ، وكلاهما باطل ؛ فإن النوم بعد العصر مكروه منهى عنه ، والنبي صلى الله عليه وسلم تنام عيناه ولا ينام قلبه ، فكيف تفوت علياً صلاة العصر؟ ثم تفويت الصلاة بمثل هذا ، إما أن يكون جائزاً ، وإما أنه لا يجوز^(*) . فإن كان جائزاً لم يكن عليّ عليّ إثم إذا صلى العصر بعد الغروب ، وليس عليّ أفضل من النبي صلى الله عليه وسلم ، والنبي صلى الله عليه وسلم فاتته العصر يوم الخندق حتى غربت الشمس ، ثم صلاها ، ولم ترد عليه الشمس ، وكذلك لم ترد لسليمان لما توارت بالحجاب .

(٥-٥) ما بين التجمتين ساقط من (م) .

(١) م : صريح .

(٢) ن : وإما أن لا يجوز؛ س ، ب : وإما أن لا يكون .

وقد نام النبي صلى الله عليه وسلم ومعه عليّ وسائر الصحابة عن
 الفجر حتى طلعت الشمس، ولم ترجع لهم^(١) إلى الشرق.
 وإن كان التفويت محرماً، فتفويت^(٢) العصر من الكبائر. وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله»^(٣).
 وعليّ كان يعلم أنها الوسطى، وهى صلاة العصر. وهو قد روى عن
 النبي صلى الله عليه وسلم فى الصحيحين لما قال: «شغلونا عن الصلاة
 الوسطى، صلاة العصر، حتى غربت الشمس، ملأ الله أجوافهم
 ويوتهم نارا»^(٤) وهذا كان فى الخندق، وخير بعد الخندق.
 فعلىّ أجل قدرا من أن يفعل [مثل]^(٥) هذه الكبيرة، ويقرّه عليها جبريل
 ورسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن فعل هذا كان من مثالبه لا من
 مناقبه، وقد نزه الله عليّا عن ذلك. ثم إذا فات لم يسقط الإثم عنه بعود
 الشمس.

وأیضا فإذا كانت هذه القصة فى خيبر فى البرية قدام العسكر،
 والمسلمون أكثر من ألف وأربعمائة، كان هذا مما يراه العسكر

(١) ن، م: إليهم.

(٢) ن: فنقول، وهو تحريف.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢١٢/٥، ٢٢٠.

(٤) الحديث عن عليّ رضى الله عنه فى: البخارى ٤٣/٤ - ٤٤ (كتاب الجهاد والسير، باب
 الدعاء على المشركين بالهزيمة...)؛ مسلم ٤٣٦/١ - ٤٣٧ (كتاب المساجد ومواضع
 الصلاة، باب التغليظ فى تفويت صلاة العصر، باب الدليل لمن قال الصلاة الوسطى هى
 صلاة العصر) الأحاديث ٢٠٢ - ٢٠٦؛ سنن الترمذى ٢٨٦/٤ (كتاب التفسير، سورة
 البقرة حديث ٤٠٦٨)؛ المسند (ط. المعارف) ٣١/٢، ٤٦، ١٧٧، ٢١٣.

(٥) مثل: ساقطة من (ن)، (م).

ويشاهدونه . ومثل هذا مما تتوفر الهمم والدواعى على نقله ، فيمتنع أن
ينفرد بنقله الواحد والاثنان ، فلو نقله الصحابة لنقله منهم أهل العلم ،
كما نقلوا أمثاله ، لم ينقله المجهولون الذين لا يُعرف ضبطهم وعدالتهم .
وليس فى جميع أسانيد هذا الحديث إسناده واحد يثبت ، تُعلم عدالة
ناقله وضبطهم ولا يعلم اتصال إسناده .

وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم عام خير: «لأعطين الراية رجلا
يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»^(١) فنقل ذلك غير واحد من
الصحابة ، وأحاديثهم فى الصحاح والسنن والمسند^(٢) .

وهذا الحديث ليس فى شىء من كتب الحديث المعتمدة : لا رواه
أهل الصحيح^(٣) «ولا أهل السنن ولا المساند أصلاً»^(٤) ، بل اتفقوا على
تركه والإعراض عنه ، فكيف يكون مثل هذه الواقعة العظيمة ، التى هى
لو كانت حقاً من أعظم المعجزات المشهورة الظاهرة ، ولم يروها أهل
الصحاح* والمساند ، ولا نقلها أحد من علماء المسلمين وحفاظ
الحديث ، ولا يعرف فى شىء من كتب الحديث المعتمدة!!

والإسناده الأول رواه القطرى ، عن عون ، عن أمه ، عن^(٥) أسماء بنت
عميس . وعون وأمّه ليسا ممن يُعرف حفظهم وعدالتهم ، ولا من

(١) تقدّم هذا الحديث ٢٨٩/٤ .

(٢) م : والمساند .

(٣) ب : أهل الحديث .

(*)- : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(٤) أصلاً : فى (ن) فقط .

(٥) عن : ساقطة من (م) .

المعروفين بنقل العلم، ولا يُحتج^(١) بحديثهم في أهون الأشياء، فكيف في مثل هذا؟ ولا فيه سماع المرأة من^(٢) أسماء بنت عميس، فلعلها سمعت من يحكيه عن أسماء فذكرته.

وهذا المصنف ذكر عن ابن أبي فديك أنه ثقة، وعن القطري أنه ثقة، ولم يمكنه^(٣) أن يذكر عمن بعدهما أنه ثقة، وإنما ذكر أنسابهم. ومجرد المعرفة بنسب الرجل لا تُوجب أن يكون حافظا ثقة.

وأما الإسناد الثاني فمداره على فضيل بن مرزوق، وهو معروف بالخطأ على الثقات، وإن كان لا يتعمد الكذب^(٤). قال فيه ابن حبان: يخطيء على الثقات ويروى عن عطية الموضوعات^(٥). وقال فيه أبوحاتم الرازي^(٦): لا يحتج به. وقال فيه يحيى بن معين مرة: هو ضعيف. وهذا لا يناقضه قول أحمد بن حنبل فيه: لا أعلم إلا خيرا، وقول سفيان: هو ثقة، وقول يحيى^(٧) مرة: هو ثقة؛ فإنه ليس ممن يتعمد الكذب، ولكنه

(١) ن : ولا يحتجوا؛ س، ب : ولا يحتجون.

(٢) س، ب : عن.

(٣) ن، م، س : ولا يمكنه.

(٤) فضيل بن مرزوق الأغر الرقاشي الكوفي. ترجمته في: تهذيب التهذيب ٢٩٨/٧ - ٣٠٠؛

ميزان الاعتدال ٣٦٢/٣ - ٣٦٣. وقال الذهبي عنه: «وثقه سفيان بن عيينه وابن معين،

وقال ابن عدي: أرجو أنه لا بأس، وقال النسائي: ضعيف، وكذا ضعفه عثمان بن سعيد.

قلت: وكان معروفا بالتشيع من غير سب».

(٥) ذكر هذه العبارات نقلا عن ابن حبان ابن حجر في «تهذيب التهذيب» ٢٩٩/٧.

(٦) في كتابه «الجرح والتعديل» ق ٢ م ٣ ص ٧٥ (ط. حيدر آباد ١٣٦١/١٩٤٢).

(٧) س، ب : ويحيى.

(٨) هذه الأقوال كلها جاءت في «الجرح والتعديل».

يخطيء، وإذا روى له / مسلم ما تابعه غيره عليه، لم يلزم أن يروى ما انفرد به، مع أنه لم يُعرف سماعه عن إبراهيم، ولا سماع إبراهيم من فاطمة، ولا سماع فاطمة من أسماء.

ولابد في ثبوت هذا الحديث من أن يعلم أن كلاً من هؤلاء عدل ضابط، وأنه سمع من الآخر. وليس هذا معلوماً، وإبراهيم هذا لم يرو له أهل الكتب المعتمدة - كالصحيح والسنن - ولا له ذكر في هذه الكتب، / بخلاف فاطمة بنت الحسين، فإن لها حديثاً معروفاً، فكيف يُحتج بحديث مثل هذا؟ ولهذا لم يروه أحد من علماء الحديث المعروفين في الكتب المعتمدة.

وكون الرجل أبوه كبير القدر لا يوجب أن يكون هو من العلماء المأمونين على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عنه. وأسماء بنت عميس كانت عند جعفر، ثم خلف عليها أبو بكر، ثم خلف عليها علي، ولها من كل [من]^(١) هؤلاء ولد، وهم يحبون علياً، ولم يرو هذا أحد منهم عن أسماء. ومحمد بن أبي بكر الذي في حجر علي هو ابنها، ومحبه لعلي مشهورة، ولم يرو هذا عنها.

وأيضاً فإسماء كانت زوجة جعفر بن أبي طالب، وكانت معه في الحبشة، وإنما قدمت معه بعد فتح خيبر. وهذه القصة قد ذكر أنها كانت بخيبر. فإن كانت صحيحة كان ذلك بعد فتح خيبر، وقد كان مع النبي صلى الله عليه وسلم ممن شهد خيبر أهل الحديبية: ألف وأربعمائة،

(١) من : زيادة في (م).

وازداد العسكر بجعفر ومن قَدِمَ معه من الحبشة، كأبي موسى الأشعري وأصحابه، والحبشة الذين قدموا مع جعفر في السفينة، وازدادوا أيضا بمن كان معهم من أهل خيبر، فلم يرو هذا أحد من هؤلاء، وهذا مما يوجب القطع بأن هذا من الكذب المختلق.

والطعن في فضيل ومن بعده إذا تيقن بأنهم^(١) روه، وإلا ففي إيصاله إليهم نظر؛ فإن الراوى الأول عن فضيل: الحسين بن الحسن الأشقر الكوفي^(٢). «قال البخارى: عنده مناكير. وقال النسائي وقال الدارقطنى^(٣): ليس بالقوى. وقال الأزدي: ضعيف. وقال السعدى: حسين الأشقر* غالٍ من الشاتمين للخيرة. وقال ابن عدى: روى حديثا منكرا، والبلاء عندي منه، وكان جماعة من ضعفاء الكوفة يحيلون ما يروون عنه من الحديث فيه^(٤)».

وأما الطريق الثالث ففيه عمّار بن مطر، عن فضيل بن مرزوق. قال

(١) م : أنهم.

(٢) في جميع النسخ: حسين بن الحسن الأشقر الكوفي. والصواب ما أثبتته. وترجمته في:

ميزان الاعتدال ٥٣١/١ - ٥٣٢؛ تهذيب التهذيب ٣٣٥/٢ - ٣٣٧. واسمه الكامل

الحسين بن الحسن الأشقر الفزارى الكوفي. قال ابن حجر: «قال البخارى: فيه نظر، وقال

مرة: عنده مناكير».

(٣-٥) ما بين التجمتين ساقط من (م).

(٣) ن، س، ب: وقال النسبى قال الدارقطنى. والتصويب من ميزان الاعتدال ٥٣١/١؛

تهذيب التهذيب ٣٣٧/٢.

(٤) في ميزان الاعتدال ٥٣١/١: «وقال ابن عدى: جماعة من الضعفاء يحيلون بالروايات

على حسين الأشقر، على أن في حديثه بعض ما فيه. وذكر له مناكير، قال في أحدها:

البلاء عندي من الأشقر».

العُقيلي: يحدث عن الثقات بالمناكير. وقال الرازي: كان يكذب،
أحاديثه بواطل. وقال ابن عدي: متروك الحديث^(١).

والطريق الأول من حديث عبيد الله بن موسى العبسي^(٢)، وفي بعض
طرقه عن فضيل، وفي بعضها: «حدثنا»^(٣) فإذا لم يثبت أنه قال:
«حدثنا»^(٤) أمكن أن لا يكون سمعه، فإنه من الدعاة إلى التشيع،
الحراص على جمع أحاديث التشيع، وكان يروى الأحاديث في ذلك عن
الكذابين، وهو من المعروفين بذلك. وإن كانوا قد قالوا فيه: ثقة، وإنه

(١) انظر ترجمة عمار بن مطر ويكنى أبا عثمان الرهاوي في: ميزان الاعتدال ١٦٩/٣ -
١٧٠؛ لسان الميزان ٢٧٥/٤ - ٢٧٦. وقال ابن حجر بعد أن أورد حديث رد الشمس عن
طريقه: «وقد روى ابن هشام عن ابن سيرين عن أبي هريرة رضى الله عنه: أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال: «لم ترد الشمس إلا على يوشع بن نون». وقال الذهبي - ونقل عنه
ابن حجر - عن عمار بن مطر: «هالك وثقه بعضهم، ومنهم من وصفه بالحفظ». وقال
الذهبي: «قال ابن حبان: كان يسرق الحديث، وقال العُقيلي: يحدث عن الثقات
بمناكير».

وذكر أبوحاتم الرازي في «الجرح والتعديل» م ٣ ق ١ ص ٣٩٤ - ونقل كلامه الذهبي وابن
حجر -: «كان يكذب».

(٢) في جميع النسخ: عبدالله بن موسى العنسي (في (م) غير منقوطة)، والصواب ما أثبتته،
وسبق ورود الاسم كذلك قبل صفحات (١٧٥-١٧٦) وهو عبدالله بن موسى بن أبي
المختار، واسمه باذام العبسي. انظر ترجمته في: تهذيب التهذيب ٧/ ٥٠-٥٣ وفيها:
«وقال ابن سعد: مات في ذي القعدة سنة ثلاث عشرة ومائتين... وقال الحاكم: سمعت
قاسم بن قاسم السيارى سمعت أبا مسلم البغدادي الحافظ يقول: عبيد الله بن موسى
من المتروكين، تركه أحمد لتشييعه... وقال ابن قانع: كوفي صالح يتشيع، وقال
الساجي: كان يفرط في التشيع». وقال عنه الذهبي في ميزان الاعتدال ١٦/٣: «...»
وقال أبو داود: كان شيعيا متحرقا».

(٣) ن، م: حديثا، وهو تحريف.

(٤) ن، م: حديثا.

لا يكذب، فאלله أعلم أنه هل كان يتعمد الكذب أم لا؟ لكنه كان يروى عن الكذابين المعروفين بالكذب بلا ريب. والبخارى لا يروى عنه إلا ما عُرف أنه صحيح من غير طريقه، وأحمد بن حنبل لم يرو عنه شيئاً. قال المصنّف: وله روايات عن فاطمة سوى ما قدّمنا^(١).

ثم رواه بطريق مظلمة، يظهر أنها كذب لمن له معرفة منوطة بالحديث، فرواه من حديث أبى حفص الكتّانى^(٢)، حدثنا محمد بن عمر^(٣) القاضي - هو الجعاني - حدثنا محمد بن إبراهيم بن جعفر العسكري من أصل كتابه، حدثنا أحمد بن محمد بن يزيد بن سليم، حدثنا خلف بن سالم، حدثنا عبدالرزاق، حدثنا سفيان الثوري، عن أشعث بن أبى الشعثاء، عن أمه، عن فاطمة، عن أسماء أن النبی صلى الله عليه وسلم دعا لعلّى حتى ردت عليه الشمس.

وهذا مما لا يقبل نقله إلا ممن عُرف عدالته وضبطه، لا من مجهول الحال، فكيف إذا كان مما يعلم أهل الحديث أن الثوري لم يحدث به، ولا حدّث به عبدالرزاق. وأحاديث الثوري وعبدالرزاق يعرفها أهل العلم بالحديث، ولهم أصحاب يعرفونها. ورواه خلف بن سالم. ولو قدّر أنهم روه فأم أشعث مجهولة لا يقوم بروايتها شيء.

وذكر طريقاً ثانياً من طريق محمد / بن مرزوق، حدثنا حسين الأشقر، عن عليّ بن هاشم، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن

١٩١/٤

(١) انظر ما ذكرته عن عبيد الله بن موسى العيسى قبل قليل.

(٢) م: أبى جعفر الكتّانى. ولم أجد الرجل فيما بين يدي من مراجع.

(٣) م: بن عمرو.

علی بن الحسین، عن فاطمة بنت علی، عن أسماء بنت عمیس... الحديث.

قلت^(١): وقد تقدّم كلام العلماء فی حسین الأشقر، فلو كان الإسناد کلهم ثقات، والإسناد متصل، لم یثبت بروایته شیء، فكیف إذا لم یثبت ذلك؟ وعلی بن هاشم بن البرید. قال البخاری: هو وأبوه غالیان فی مذهبهما. وقال ابن حبان: كان غالیاً فی التشیع، یروی المناکیر عن المشاهیر^(٢). وإخراج أهل الحديث^(٣) لما عرفوه من غیر طریقہ لا یوجب أن یثبت ما انفرد به.

ومن العجب أن هذا المصنّف جعل هذا والذي بعده من طریق رواية فاطمة بنت الحسین. وهذه فاطمة بنت علی لا بنت الحسین.

وكذلك^(٤) ذکر الطريق الثالث عنها: من رواية عبدالرحمن بن شریك، حدثنا أبی، عن عروة بن عبدالله، عن فاطمة بنت^(٥) علی، عن أسماء، عن علی بن أبی طالب، رُفِعَ^(٦) إلى النبی صلی الله علیه وسلم، وقد أوحى إليه فجعله بثوبه، فلم یزل كذلك حتی أدبرت الشمس. یقول: غابت أو کادت تغیب، وأن نبی الله صلی الله علیه وسلم سُرّی عنه، فقال: أصليت یا علی؟ قال: لا. قال: اللهم رد علی / علی الشمس، فرجعت الشمس حتی بلغت نصف المسجد.

(١) قلت: ساقطة من (ب).

(٢) انظر هذه الأقوال وغيرها عن علی بن هاشم بن البرید فی: میزان الاعتدال ٣/١٦٠؛ تهذیب التهذیب: ٣٩٢/٧ - ٣٩٣.

(٣) ن، م: الصحيح.

(٤) ما بین النجمتين ساقط من (م). (٥) ن، م: دفع.

فيقتضى أنها رجعت إلى قريب وقت العصر، وأن هذا كان بالمدينة.
وفى ذاك الطريق أنه كان بخير، وأنها إنما^(١) ظهرت على رؤوس الجبال.
وعبدالرحمن بن شريك. قال أبوحاتم الرازي: هو واهى الحديث،
وكذلك قد ضعفه غيره.

ورواه من طريق رابع من حديث محمد بن عمر القاضي - وهو
الجعاني - عن العباس بن الوليد^(٢) "عن عباد"^(٣) وهو الرواجني^(٤) حدثنا
علي بن هاشم، عن صباح بن^(٥) عبدالله بن الحسين أبي جعفر عن^(٦)
حسين المقتول، عن فاطمة، عن أسماء بنت عميس قالت: كان يوم
خير شغل علياً ما كان من قَسَم المغانم^(٧)، حتى غابت الشمس أو
كادت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أما صليت؟ قال: لا.
فدعا الله فارتفعت حتى توسطت السماء، فصلى علي، فلما غابت
الشمس سمعت لها صرياً كصير المنشار في الحديد.

وهذا اللفظ الرابع يناقض الألفاظ الثلاثة المتناقضة، وتبين أن

(١) إنما: ساقطة من (س)، (ب).

(٢) ن، س، ب: الجعاني حدثنا علي بن العباس بن الوليد، وهو خطأ. ولم أجد راوياً بهذا

الاسم ووجدت ثلاثة اسمهم العباس بن الوليد. انظر: ميزان الاعتدال ٢/٣٨٦ - ٣٨٧؛

تهذيب التهذيب ١٣١/٥ - ١٣٤.

(٣-٥) ما بين النجمتين ساقط من (م)

(٣) ن: الوليدي عباد. س، ب: بن الوليد بن عباد، وهو خطأ. وانظر ترجمة عباد

الرواجني بعد صفحات.

(٤) م: عن.

(٥) عبارة «أبي جعفر عن...» ساقطة من (م).

(٦) ن، م: المغم.

الحديث لم يروه صادق ضابط ، بل هو فى نفس الأمر مما اختلقه واحد وعملته يده ، فتشبه به آخر ، فاختلق ما يشبه حديث ذلك . والقصة واحدة . وفى هذا أن علياً إنما اشتغل بقسم المغانم لا برسول الله صلى الله عليه وسلم . وعلى لم يقسم مغانم خبير ، ولا يجوز الاشتغال بقسمتها عن الصلاة ؛ فإن خبير بعد الخندق ، سنة^(١) سبع ، وبعد الحديبية ، سنة ست . وهذا من المتواتر عند أهل العلم .

والخندق كانت قبل ذلك ، إما سنة خمس أو أربع ، وفيها أنزل الله تعالى : ﴿ حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى ﴾ [سورة البقرة : ٢٣٨] ، ونسخ التأخير بها^(٢) يوم الخندق ، مع أنه كان للقتال عند أكثر أهل العلم^(٣) . ومن قال : إنه لم ينسخ ، بل يجوز التأخير للقتال ، كأبى حنيفة وأحمد - فى إحدى الروايتين - فلم يتنازع العلماء أنه لم يجر تفويت الصلاة لأجل قسم الغنائم ، فإن هذا لا يفوت ، والصلاة تفوت .

وفى هذا أنها توسطت المسجد ، وهذا من الكذب الظاهر ، فإن مثل هذا من أعظم غرائب العالم ، التى لو جرت لنقلها الجم الغفير . وفيه أنها لما غابت سُمع لها صرير كصرير المنشار ، وهذا أيضاً من الكذب الظاهر ، فإن هذا لا موجب له أيضاً ، والشمس عند غروبها لا تلاقى من الأجسام ما يوجب هذا الصوت العظيم ، الذى يصل من الفلك الرابع إلى

(١) ن : فى سنة . . .

(٢) ن ، س : ونسخ بها التأخير ؛ م : ونسخ بها المتأخر .

(٣) مع أنه كان للقتال عند أكثر أهل العلم : كذا فى (ب) وهو الصواب . وفى سائر النسخ : مع أنه كان القتال أكثر عند أهل العلم .

الأرض. ثم لو كان هذا حقًا لكان من أعظم عجائب العالم التي تنقلها الصحابة، الذين نقلوا ما هو دون هذا مما كان في خير وغير خير.

وهذا الإسناد لو روى به ما يمكن صدقه لم يثبت به شيء، فإن على ابن هاشم بن البريد كان غالبًا في التشيع، يروى عن كل أحد يحرضه على ما يقوى به هواه^(١)، ويروى عن مثل صباح هذا، وصباح هذا لا يُعرف من هو. ولهم في هذه الطبقة صباح بن سهل الكوفي، يروى / عن حصين بن عبد الرحمن. قال البخاري وأبو زرعة وأبو حاتم: منكر الحديث. وقال الدارقطني: ضعيف. وقال ابن حبان: يروى المناكير عن أقوام مشاهير، لا يجوز الاحتجاج بخبره.

ولهم آخر يُقال له: صباح بن محمد بن أبي حازم البجلي^(٢) *الأحمسي الكوفي يروى عن مرة الهمداني. قال ابن حبان: يروى عن الثقات الموضوعات.

ولهم شخص يُقال له صباح *العبدى^(٣) قال الرازي: هو مجهول. وآخر يُقال له: ابن مجالد، مجهول يروى عنه بقية^(٤). قال ابن عدى: ليس بالمعروف، هو من شيوخ بقية^(٥) المجهولين.

(١) ن: عن كل أحد عرضه على ما يقوى به هواه؛ س: عن كل واحد (كلام مطموس) يقوى به هواه؛ ب: عن كل واحد غرضه ويأتى بما يقوى به هواه.

(٢) م: محمد بن أبي حاتم البجلي.

(٣-٥) ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٣) العبدى: ساقطة من (س)، (ب).

(٤) ن، س: ثقته. والكلمة غير منقوطة في (م).

(٥) ن، س: ثقته. والكلمة منقوطة هنا في (م): بقية.

وحسين المقتول: إن أريد به الحسين بن عليّ، فذلك أجلّ قدرا من أن يروى عن واحد عن أسماء بنت عميس، سواء كانت فاطمة أخته أو ابنته، فإن هذه القصة لو كانت حقاً لكان هو أخبر بها من هؤلاء، وكان قد سمعها من أبيه ومن غيره، ومن أسماء امرأة أبيه، وغيرها، لم يروها عن بنته أو أخته، عن أسماء امرأة أبيه.

ولكن ليس هو الحسين بن عليّ، بل هو غيره، أو هو عبدالله بن الحسن أبو جعفر، ولهما أسوة أمثالهما.

والحديث لا يثبت إلا برواية مَنْ عُلِمَ أنه عدلٌ ضابطٌ ثقة يعرفه أهل الحديث بذلك. ومجرد العلم بنسبته لا يفيد ذلك، ولو كان من كان. وفي أبناء الصحابة والتابعين من لا يُحتج بحديثه، وإن كان أبوه من خيار المسلمين.

هذا إن كان عليّ بن هاشم رواه، وإلا فالراوى عنه عباد بن يعقوب الرواجنى. قال^(١): ابن حبان كان رافضياً* داعية يروى المناكير عن المشاهير فاستحق الترك. وقال ابن عدى: روى أحاديث أنكرت عليه في فضائل* أهل البيت ومثالب غيرهم. والبخارى وغيره روى عنه من الأحاديث ما يعرف صحته، وإلا فحكاية قاسم المطرّز عنه أنه قال: إن عليّاً حفر البحر، وإن الحسن أجرى فيه الماء، مما يقدح فيه قدحاً بيناً^(٢).

(١) ن: الرواجنى؛ م: سقطت كلمتا «الرواجنى قال» منها.

(٢-٥) ما بين النجمتين ساقط من (م)

(٢) ترجمة عباد بن يعقوب الرواجنى الأسدى، أبوسعيد الكوفى فى: ميزان الاعتدال ٣٧٩/٢ - ٣٨٠؛ تهذيب التهذيب ١٠٩/٥ - ١١٠، وفيها هذه الأقوال مفصلة.

قال المصنف : قد رواه عن أسماء سوى هؤلاء، وروى^(١) من طريق أبي العباس بن عقدة، وكان مع حفظه جماعاً لأكاذيب^(٢) الشيعة. قال أبو أحمد بن عدى: رأيت مشايخ بغداد يسيئون^(٣) الثناء عليه، يقولون: لا يتدين بالحديث، ويحمل شيوخا بالكوفة على الكذب، ويسوئ^(٤) لهم نسخا، ويأمرهم بروايتها. وقال الدارقطني: كان ابن عقدة / رجل سوء^(٥). قال ابن عقدة: حدثنا يحيى بن زكريا، أخبرنا يعقوب بن معبد، حدثنا عمرو بن ثابت، قال سألت عبدالله بن حسن بن حسن بن عليّ عن حديث رد الشمس على عليّ: هل ثبت عندكم؟ فقال لي: ما أنزل الله في عليّ في كتابه أعظم من رد الشمس. قلت: صدقت جعلني الله فداك، ولكنني أحب أن أسمعه منك. قال: [حدثني عبدالله]، حدثني أبي الحسن^(٦)، عن أسماء بنت عميس أنها قالت: أقبل عليّ ذات يوم وهو يريد أن يصلّي العصر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوافق

ظ ٣٥٢

(١) ن، م: ورواه.

(٢) م: عالم أكاذيب، وهو تحريف.

(٣) ن، س: يسيئون؛ م: يبنون (غير منقوطة)؛ ب: يسمون. والمثبت من «ميزان الاعتدال»، «لسان الميزان».

(٤) ن، س، ب: ويسوئ. والمثبت من (م) وهو موافق للميزان ولسان الميزان.

(٥) ابن عقدة هو أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة أبو العباس. قال الذهبي: شيعي متوسط، ضغفه غير واحد وقواه آخرون... وقال أبو عمر بن حيويه: كان ابن عقدة يملئ مثالب الصحابة، أو قال: مثالب الشيخين، فترك حديثه... مات سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة عن أربع وثمانين سنة. انظر ترجمته في: ميزان الاعتدال ١/ ١٣٦-١٣٨؛ لسان الميزان ١/ ٢٦٣-٢٦٦.

(٦) ن، م، س، ب: حدثني أبي الحسن. وسيرد فيما يلي ما يبين أن الخبر رواه عبدالله بن الحسن.

رسول الله صلى الله عليه وسلم قد انصرف ونزل^(١) عليه الوحي ، فأسنده إلى صدره ، فلم يزل مسنده إلى صدره حتى أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أصليت العصر يا عليّ ؟ قال : جئت والوحي ينزل عليك ، فلم أزل مسندك إلى صدرى حتى الساعة . فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة وقد غربت الشمس ، فقال : اللهم إن عليّاً كان في طاعتك فارددها عليه . قالت أسماء : فأقبلت الشمس ولها صرير كصرير الرحي حتى ركبت في موضعها وقت العصر ، فقام عليّ متمكناً^(٢) فصلّى العصر ، فلما فرغ رجعت الشمس ولها صرير كصرير الرحي ، فلما غابت الشمس اختلط الظلام ، وبدت النجوم .

قلت : فهذا اللفظ الخامس يناقض تلك الألفاظ المتناقضة ، ويزيد الناظر بياناً في أنها مكذوبة مختلفة ، فإنه ذكر فيها أنها رُدّت إلى موضعها وقت العصر ، وفي الذى قبله : إلى نصف النهار ، وفي الآخر : حتى ظهرت على رؤوس الجبال . وفي هذا أنه كان مسنده إلى صدره ، وفي ذاك أنه كان رأسه في حجره .

وعبدالله بن الحسن لم يحدث بهذا قط ، وهو كان أجلاً قدراً من أن يروى مثل هذا الكذب ، ولا أبوه الحسن روى هذا عن أسماء . وفيه : ما أنزل^(٣) الله في عليّ في كتابه أعظم من رد الشمس^(٤) / شيئاً . "ومعلوم أن الله لم ينزل في عليّ ولا غيره في كتابه في ردّ الشمس شيئاً".

(١) س : أنزل .. (٢) س ، ب : ممكناً .

(٣) ب : أسماء وما أنزل .. ، وهو خطأ .

(٤) س ، ب : في كتابه في رد الشمس ، وهو خطأ .

(٥ - ٥) ساقط من (س) ، (ب) .

وهذا الحديث، إن كان ثابتاً عن عمرو بن ثابت، الذى رواه عن عبدالله^(١)، فهو الذى اختلقه؛ فإنه كان معروفاً بالكذب. قال أبو حاتم بن حبان: يروى الموضوعات عن الأثبات. وقال يحيى بن معين: ليس بشيء. وقال مرة: ليس بثقة ولا مأمون. وقال النسائي: متروك الحديث^(٢).

قال المصنف: وأما رواية أبى هريرة فأنبأنا^(٣) عقيل بن الحسن العسكرى، حدثنا أبو محمد صالح بن أبى الفتح الشناسى^(٤)، حدثنا أحمد بن عمرو بن حوصاء، حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا يحيى بن يزيد بن عبد الملك النوفلى^(٥)، عن أبيه، قال: حدثنا داود بن فراهيج، عن عمارة بن فرو^(٦)، عن أبى هريرة رضى الله عنه، وذكره.. قال المصنف: اختصرته من حديث طويل.

قلت: هذا إسناد مظلم لا يثبت به شيء عند أهل العلم، بل يُعرف

(١) كلام ابن تيمية يدل على أن السند الأخير للحديث يبدأ هكذا: حدثنى عمرو بن ثابت حدثنى عبدالله حدثنى أبى الحسن... الخ.

(٢) هذه الأقوال ذكرها الذهبى فى ترجمة أبى المقدم عمرو بن ثابت بن هرمز الكوفى، يكتفى أبا ثابت. وذكر الذهبى أيضاً: «وقال أبوداود: رافضى». وقال ابن أبى حاتم: «سألت أبى عن عمرو بن ثابت بن أبى المقدم فقال: ضعيف الحديث يكتب حديثه، كان ردى الرأى شديد التشيع». انظر الجرح والتعديل ق ١ ص ٣٣، ميزان الاعتدال ٣/٢٤٩ - ٢٥٠، تهذيب التهذيب ٩/٨ - ١٠.

(٣) س، ب: فأنبأ.

(٤) ن، م: الشاشى.

(٥) ن: النوفلى.

(٦) م: فرد.

كذبه من وجوه؛ فإنه وإن كان داود بن فراهيج مضعفاً، كان شعبة يضعفه، وقال النسائي: ضعيف الحديث لا يثبت الإسناد إليه، فإن فيه يزيد بن عبد الملك النوفلي، وهو الذي رواه عنه وعن عمارة. قال البخاري: أحاديثه شبه لا شيء وضعفه جدا، وقال النسائي: متروك [ضعيف] (١) الحديث. وقال الدارقطني: منكر الحديث جدا. وقال أحمد: عنده مناكير. وقال الدارقطني: ضعيف.

وإن (٢) كان حدث به إبراهيم بن سعيد الجوهري، فالآفة من هذا. وإن كان يُقال: إنه لم يثبت له إلى إبراهيم بن سعيد الجوهري ولا إلى ابن حوصاء (٣)، فإن هذين معروفان، وأحاديثهما معروفة قد رواها عنهما الناس (٤). ولهذا لما روى ابن حوصاء الطريق الأول كان الإسناد إليه معروفاً عنه، رواه بالأسانيد المعروفة، لكن الآفة فيه ممن بعده. وأما هذا فممن قبل ابن حوصاء لا يعرفون (٥). وإن قدر أنه ثابت عنه، فالآفة بعده.

وذكر أبو الفرج بن الجوزي أن ابن مردويه رواه من طريق داود بن فراهيج، وذكر ضعف ابن فراهيج، ومع هذا فالإسناد إليه فيه الكلام أيضاً.

قال المصنف: وأما رواية أبي سعيد الخدري، فأخبرنا محمد بن

(١) ضعيف : زيادة في (م).

(٢) ن، س، ب: ضعيف إن...، وهو خطأ.

(٣) س: لم يثبت إلا إبراهيم بن سعيد الجوهري ولا إلى ابن حوصاء؛ ب: لم يثبت إلا إبراهيم بن سعيد الجوهري ولا إلى ابن حوصاء. (٤) في جميع النسخ: فإن هذين معروفان، وأحاديثهم معروفة، قد رواها عنهم الناس، وهو خطأ.

(٥) ن، م، س: ولا يعرفون.

إسماعيل الجرجاني كتابةً، أن أبا طاهر محمد بن علي الواعظ أخبرهم،
 أنبأنا محمد بن أحمد بن منعم، أنبأنا القاسم بن جعفر بن محمد بن
 عبدالله بن محمد بن عمر، حدثني أبي، عن أبيه محمد، عن أبيه
 عبدالله، عن أبيه محمد^(١)، عن أبيه عمر قال: قال الحسين بن عليّ:
 سمعت أبا سعيد الخدري يقول: دخلت على رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فإذا رأسه في حجر عليّ، وقد غابت الشمس، فانتبه النبي صلى
 الله عليه وسلم، وقال: يا عليّ صليت العصر؟ قال: لا يا رسول الله
 ماصليت، كرهت أن أضع رأسك من حجرى وأنت وجع. فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم: ادع يا عليّ أن تُردّ عليك^(٢) الشمس. "فقال
 عليّ: يا رسول الله ادع أنت أوّمن^(٣)" قال: ياربّ إن عليّاً فى طاعتك
 وطاعة رسولك، فاردد عليه الشمس^(٤). قال أبوسعيد: فوالله لقد سمعت
 للشمس صريراً كصرير البكرة، حتى رجعت بيضاء نقية.

قلت: هذا الإسناد لا يثبت بمثله شيء، وكثير من رجاله لا يُعرفون
 بعدالة ولا ضبط، ولا حمل للعلم^(٥)، ولا لهم ذكر فى كتب العلم، وكثير
 من رجاله^(٦) لو لم يكن فيهم إلا واحد بهذه المنزلة لم يكن ثابتاً، فكيف
 إذا كان كثير منهم - أو أكثرهم - كذلك، ومن هو معروف بالكذب، مثل
 عمرو بن ثابت؟!

(١) عبارة «عن أبيه محمد»: ساقطه من (س)، (ب).

(٢) س: ادع عليك أن يرد عليك... ب: ادع الله أن يرد عليك...

(٣-٥): ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٣) ب (فقط): ادع أنت وأنا أوّمن.

(٤) ن، س، ب: ولا حمل فى العلم. (٥) ب (فقط): العلم ورجاله...

وفيه : أنه كان وَجَعاً، وأنه سمع صوتها^(١) حين طلعت كصرير^(٢) البكرة، وهذا باطل عقلاً، ولم يذكره أولئك. ولو كان مثل هذا الحديث عن أبي سعيد - مع محبته لعلّي وروايته لفضائله - لرواه عنه أصحابه المعروفون، كما رووا غير ذلك من فضائل عليّ، مثل رواية أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر الخوارج، قال: «تقتلهم أولي الطائفتين بالحق»^(٣) ومثل روايته أنه قال لعمّار: «تقتلك الفئة الباغية»^(٤) فمثل هذا الحديث الصحيح عن أبي سعيد بيّن فيه أن عليّاً وأصحابه أولي بالحق من معاوية وأصحابه، فكيف لا يروى عنه مثل هذا لو كان صحيحاً؟!

ولم يحدث بمثل هذا الحسين ولا أخوه عمر ولا عليّ، ولو كان مثل هذا عندهما لحدّث به^(٥) عنهما^(٦) المعروفون^(٧) بالحديث عنهما، / فإن هذا أمر عظيم.

قال المصنف: وأما رواية أمير المؤمنين، فأخبرنا أبو العباس الفرغانى، أخبرنا أبو الفضل الشيبانى، حدثنا رجاء بن يحيى السامانى، حدثنا هارون بن مسلم [بن سعيد]^(٨) بسامراً^(٩) سنة أربعين ومائتين،

(١) م : صوتا. (٢) ب : كصريرة.

(٣) انظر أحاديث الخوارج التي سبقت ٦٧/١ - ٦٨، ٤٦٤/٣، ٤٧/٥، ١٥٠.

(٤) تقدم هذا الحديث ٤١٣/٤ - ٤٢٠.

(٥) به : ساقطة من (س)، (ب).

(٦) ن ، م : عنهم.

(٧) س ، ب : المعروف (٨) بن سعيد : زيادة فى (م).

(٩) س ، ب : بسامرى. وهى مدينة سر من رأى.

حدثنا عبدالله بن عمرو الأشعث، عن داود بن الكميت، عن عمه المستهّل بن زيد، عن أبي زيد بن سهل^(١)، عن جويرية بنت مسهر^(٢)، قالت^(٣): خرجت مع عليّ فقال: يا جويرية إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى إليه ورأسه فى حجرى، وذكره..

قلت: وهذا الإسناد أضعف مما تقدم، وفيه من الرجال المجاهيل الذين لا يُعرف أحدهم بعدالة ولا ضبط. وانفرادهم بمثل هذا الذى لو كان عليّ قاله لرواه عنه المعروفون من أصحابه، وبمثل هذا الإسناد عن هذه المرأة - ولا يُعرف حال هذه المرأة، ولا حال هؤلاء الذين رووا عنها، بل ولا تُعرف أعيانهم، فضلا عن صفاتهم - لا يثبت فيه^(٤) شيء، وفيه ما يناقض الرواية التى هى أرجح منه، مع أن الجميع كذب؛ فإن المسلمين رووا من فضائل عليّ ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم ما هو دون هذا، وهذا لم يروه [أحد]^(٥) من أهل العلم بالحديث.

وقد صنّف جماعة من علماء الحديث فى فضائل عليّ، كما صنّف الإمام أحمد فضائله، وصنّف أبونعيم فى فضائله، وذكر فيها أحاديث

(١) ن: سلهب.

(٢) جويرية بنت مسهر: كذا فى النسخ الأربع، وهو خطأ. وسبقت ترجمته جويرية بنت مسهر

قبل صفحات، وهو جويرية بنت مسهر العبدى.

(٣) م: قال.

(٤) وهى ليست امرأة كما ذكرت، ولا يوجد فى كتب الرجال امرأة اسمها جويرية بنت مسهر،

بل هو جويرية بنت مسهر العبدى، الذى ذكره الكشى وتكلم عليه ونقل كلامه ابن حجر فى «لسان الميزان» كما ذكرت من قبل.

(٥) ب: به.

(٦) أحد: ساقطة من (ن)، (م)، (س).

كثيرة ضعيفة، ولم يذكر هذا، لأن الكذب ظاهر عليه، بخلاف غيره. وكذلك لم يذكره الترمذى، مع أنه جمع فى فضائل علىّ أحاديث، كثير^(١) منها ضعيف. وكذلك النسائى وأبو عمر بن عبد البر. وجمع النسائى مصنفًا فى^(٢) خصائص علىّ.

قال المصنّف: وقد حكى أبو جعفر الطحاوى^(٣) عن علىّ بن عبد الرحمن، عن أحمد بن صالح المصرى، أنه كان يقول^(٤): لا^(٥) ينبغي لمن كان سبيله العلم التخلّف عن حفظ حديث أسماء فى ردّ الشمس، لأنه من علامات النبوة^(٦).

قلت: أحمد بن صالح رواه من الطريق الأول، ولم يجمع طرقه وألفاظه التى تدل من وجوه كثيرة على أنه كذب. وتلك الطريق راويها مجهول عنده، ليس معلوم الكذب عنده، فلم يظهر له كذبه.

والطحاوى ليست عادته نقد الحديث كنقد أهل العلم. ولهذا روى فى «شرح معانى الآثار» الأحاديث المختلفة، وإنما يرجّح ما يرجّحه منها فى الغالب من جهة القياس الذى رآه حجة، ويكون أكثرها مجروحاً من جهة^(٧) الإسناد لا يثبت، ولا يتعرض لذلك؛ فإنه لم تكن معرفته بالإسناد

(١) ن، م، س: كثيرة.

(٢) ن، س، ب: من.

(٣) فى كتابه «مشكل الآثار» ١١/٢، ط. حيدر آباد الدكن، ١٣٣٣.

(٤) مشكل الآثار: وقد حكى علىّ بن عبد الرحمن بن المغيرة، عن أحمد بن صالح أنه كان يقول...

(٥) لا: ساقطة من (ب).

(٦) مشكل الآثار: عن حفظ حديث أسماء الذى روى لنا عنه لأنه من أجل علامات النبوة.

(٧) ن، م: حجة.

كمعرفة أهل العلم به، وإن كان كثير الحديث فقيها عالماً^(١)
قال المصنف: وقال أبو عبدالله البصرى: عود الشمس بعد مغيبها
أكد حالاً فيما يقتضى نقله، لأنه وإن كان فضيلة لأمر المؤمنين، فإنه من
أعلام النبوة، وهو مفارق لغيره من^(٢) فضائله فى كثير من أعلام النبوة.
قلت: وهذا من أظهر الأدلة على أنه كذب؛ فإن أهل العلم بالحديث
رووا فضائل على التى ليست من أعلام النبوة، وذكروها فى الصحاح
والسنن والمسند، رويها عن العلماء الأعلام الثقات المعروفين. فلو
كان هذا مما رواه الثقات، لكانوا أرغب فى روايته، وأحرص الناس على
[بيان]^(٣) صحته، لكنهم لم يجدوا أحداً رواه بإسناد يُعرف أهله بحمل
العلم، ولا يعرفون بالعدالة والضبط، مع ما فيه من الأدلة الكثيرة^(٤) على
تكذيبه.

(١) هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الحجري المصرى الطحاوى،
الفيق الإمام الحافظ، انتهت إليه رئاسة الحنفية بمصر، ولد ونشأ فى طحا من صعيد
مصر. ولد سنة ٢٣٩ وتوفى بالقاهرة سنة ٣٢١. من مصنفاته «شرح معانى الآثار»،
«المختصر فى الفقه» و«مناقب أبى حنيفة» و«مشكل الآثار» انظر ترجمته فى: تذكرة
الحفاظ ٨٠٨/٣ - ٨١٠؛ الجواهر المضية ١٠٢/١ - ١٠٥؛ وفيات الأعيان ١/٥٣ -
٥٥؛ لسان الميزان ١/٢٧٤ - ٢٨٢؛ الأعلام ١/١٩٧. وانظر ما نقله ابن حجر عن
البيهقى فى «لسان الميزان» ١/٢٧٧: «وقال البيهقى فى المعرفة بعد أن ذكر كلاماً
للطحاوى فى حديث مس الذكر فتعقبه قال: أردت أن أبين خطاءه فى هذا، وسكت عن
كثير من أمثال ذلك، فبين فى كلامه أن علم الحديث لم يكن من صناعته، وإنما أخذ
الكلمة بعد الكلمة من أهله ثم لم يحكمها».

(٢) ن، م، س: فى

(٣) بيان: ساقطة من (ن)، (س)، (ب)

(٤) ن: الكبيرة.

قال: وقال أبو العباس بن عقدة، حدثنا جعفر بن محمد بن عمرو^(١)، أنبأنا^(٢) سليمان بن عباد، سمعت بشار بن دراع، قال: لقي أبو حنيفة^(٣) محمد بن النعمان^(٤) فقال: عمَّن رويت حديث ردِّ الشمس؟ فقال: عن غير الذي رويت عنه ياسارية الجبل. قال المصنف: وكل هذه أمارات ثبوت الحديث.

قلت: هذا يدلُّ على أن أئمة أهل العلم لم يكونوا يصدِّقون بهذا الحديث، فإنه لم يروه إمام من أئمة المسلمين. وهذا أبو حنيفة، أحد الأئمة المشاهير، وهو لا يُتهم على عليٍّ، فإنه من أهل الكوفة دار الشيعة، وقد لقي من الشيعة، وسمع من فضائل عليٍّ ما شاء الله، وهو يحبه ويتولاه، ومع هذا أنكر هذا الحديث على محمد بن النعمان^(٥). وأبو حنيفة أعلم وأفقه من الطحاوي وأمثاله، ولم يجبه ابن النعمان بجواب صحيح، بل قال: عن غير من / رويت عنه حديث: ياسارية الجبل.

١٩٥/٤

فيقال له: هب أن ذلك كذب، فأى شيء في كذبه مما يدل على

(١) م: أنا جعفر بن محمد بن عمر.

(٢) س، ب: حدثنا.

(٣) أبو حنيفة النعمان بن ثابت إمام الحنفية، أحد الأئمة الأربعة، أصله من أبناء فارس، ولد بالكوفة سنة ٨٠ وتوفي سنة ١٥٠. انظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٣/٣٢٣ - ٤٢٣؛ الجواهر المضية ١/٢٦ - ٣٢؛ وفيات الأعيان ٥/٣٩ - ٤٧؛ الأعلام ٩/٤ - ٥.

(٤) عرف باسم محمد بن النعمان أكثر من واحد، ولعل المقصود هو: محمد بن النعمان بن بشير الأنصاري. ترجمته في: تهذيب التهذيب ٩/٤٩٢.

(٥) ن، م: علي بن محمد بن النعمان وهو خطأ.

صدق هذا. فإن كان / كذلك^(١)، فأبوحنيفة لا يُنكر أن يكون لعمر وعلى وغيرهما كرامات، بل أنكر هذا الحديث للدلائل الكثيرة على كذبه، ومخالفته للشرع والعقل، وأنه لم يروه أحد من العلماء المعروفين بالحديث، من التابعين وتابعيهم، وهم الذين يروون عن الصحابة، بل لم يروه إلا كذاب أو مجهول لا يُعلم عدله وضبطه، فكيف يُقبل هذا من مثل هؤلاء؟!

وسائر علماء المسلمين يودّون أن يكون مثل هذا صحيحاً، لما فيه من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وفضيلة على، على الذين يحبونه ويتولّونه، ولكنهم لا يستجيزون التصديق بالكذب، فردّوه ديانة^(٢).

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(٣) : «العاشر: ما رواه أهل السير: أن الماء زاد بالكوفة^(٤)، وخافوا الغرق، ففزعوا إلى أمير المؤمنين على بن أبي طالب^(٥)، فركب بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وخرج الناس معه، فنزل على شاطئ الفرات [فصلّى]^(٦)، ثم دعا وضرب صفحة^(٧) الماء بقضيب كان في يده^(٨)، فغاص الماء،

تابع كلام
الرافضي على
كرامات على
رضي الله عنه

(١) ن، س، ب: ذلك.

(٣) في (ك) ص ١٩٠ (م).

(٤) م: أنه لما أراد الكوفة، وهو تحريف؛ ك: أن الماء زاد في الكوفة.

(٥) ك: أمير المؤمنين عليه السلام

(٦) فصلّى: زيادة من (ك). (٧) ن، م، س، ب: صفيحة. والمثبت من (ك)

(٨) م: بقضيب كان بيده؛ ك: بقضيب في يده.

فسلم عليه كثير^(١) من الحيتان، ولم ينطق الجرئ ولا المرماهي^(٢)، فسئل عن ذلك، فقال: أنطق الله ما طهره من السمك، وأسكت ما أنجسه وأبعده^(٣).

والجواب من وجوه: أحدها: [المطالبة] بأن يقال^(٤): أين إسناد هذه الحكاية الذي^(٥) يدل على صحتها وثبوتها؟ وإلا فمجرد الحكايات المرسلة بلا إسناد يقدر عليه كل أحد، لكن لا يفيد شيئاً.

الثاني: أن بغلة النبي صلى الله عليه وسلم لم تكن عنده.

الثالث: أن هذا لم ينقله أحد من أهل الكتب المعتمد عليهم. ومثل هذه القصة لو كانت صحيحة لكانت مما تتوفر الهمم والدواعي على نقلها. وهذا الناقل لم يذكر لها إسناداً فكيف يُقبل ذلك بمجرد حكاية لا إسناد لها؟! لا

الرابع: أن السمك كله مباح، كما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال في البحر: «هو الطهور ماؤه، الحل ميتته»^(٦).

(١) ك: وسلم عليه كثيرة.

(٢) ك: الجرئ والزمار والمارماهي. وسبق الكلام على الجرئ والمارماهي ٢٦/١ (ت ٢). وأما الزمار فلم أعرف ماهو، ولكنني وجدت في «تاج العروس»: «الزمر كسكيت: نوع من السمك له شوك ناتئ وسط ظهره، وله صخب وقت صيد الصياد إياه وقبضه عليه، وأكثر ما يصطاد في الأحوال وأصول الأشجار في المياه العذبة».

(٣) ك: فقال على عليه السلام: أنطق الله لى ما طهر من السمك، وأصمت ما حرّمه وأنجسه وأبعده.

(٤) ن، م: أحدها أن يقال.

(٥) ن، م: التي.

(٦) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٢٦/٣.

وقد قال تعالى : ﴿أَحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعاً لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ﴾
[سورة المائدة : ٩٦].

وقد أجمع [سلف]^(١) الأمة وأئمتها على حل السمك كله . وعلى مع
سائر الصحابة يحلون هذه الأنواع ، فكيف يقولون : إن الله أنجسه ؟ !
ولكن الرافضة جهال يحرمون ما أحل الله بمثل هذه الحكاية
المكذوبة .

الخامس : أن يُقال : نطق السمك ليس مقدوراً له في العادة ، ولكن
هو من خوارق العادات . فالله تعالى هو الذي أنطق ما أنطق منها ،
وأسكت ما أسكته ، إن كان قد وقع ، فأى ذنب لمن أسكته الله ، حتى
يقال : هو نجس ؟ !

ومن جعل للعجماء ذنباً بأن الله لم ينطقها كان ظالماً لها .
وإن قال قائل : بل الله أقدرها على ذلك فامتنعت منه^(٢) .

فيقال : إقداره لها على ذلك - لو وقع - إنما كان كرامة لعلى رضى
الله عنه ، والكرامة إنما تحصل بالنطق بالسلام عليه ، لا بمجرد القدرة
عليه مع الامتناع منه ، فإذا لم يسلم عليه ، لم يكن فى إقدارها - مع
امتناعها - كرامة له ، بل فيه تحريم الطيبات على الناس ، فإن لحمها
طيب^(٣) ، وذلك من باب العقوبات .

كما قال تعالى : ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ
لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيراً﴾ [سورة النساء : ١٦٠] .

(١) سلف : زيادة فى (م) .

(٢) س ، ب : أطيب .

(٣) ن ، م ، س : فامتنعت به .

وقد قيل : إن تحريم ذلك كان من أخلاق اليهود، وما هو من إخوانهم
الرافضة ببعيد .

السادس : أن يُقال : المقصود هنا كان حاصلًا بنضوب الماء، فأما
تسليم السمك فلم يكن إليه حاجة، ولا كان هناك سبب يقتضى خرق
العادة لتقوية الإيمان؛ فإن ذلك يكون حجة وحاجة، ولم يكن هناك
حجة ولا حاجة .

ألا ترى أن انفلاق البحر لموسى كان أعظم من نضوب الماء، ولم
يسلم السمك على موسى . ولما ذهب موسى^(١) إلى الخضر وكان معه
حوت مالح فى مكمل، فأحياه الله حتى انسب ونزل فى الماء، وصار
البحر عليه سرباً، ولم يسلم على موسى ولا على يوشع . والبحر دائماً
يجزر ويمد، ولم يُعرف أن السمك سلم على أحد من الصحابة والتابعين
وغيرهم .

وعلى أجلّ قدرًا من أن يحتاج إلى / إثبات فضائله بمثل هذه
الحكايات، التى تعلم العقلاء أنها من المكذوبات^(٢) .

﴿فصل﴾

قال الرافضى^(٣) : «الحادى عشر: روى جماعة أهل السير أن

(١) موسى : ساقطة من (س)، (ب) .

(٢) س ، ب : المكذوبات، والله سبحانه وتعالى أعلم .

(٣) فى (ك) ص ١٩١ (م) .

عليها كان^(١) يخطب على منبر الكوفة، فظهر ثعبان فرقى المنبر، وخاف الناس^(٢)، وأرادوا قتله، فمنعهم، فخطبه، ثم نزل^(٣). فسأل الناس عنه، فقال: إنه حاكم الجن، التبت عليه قصة^(٤)، فأوضحتها له. وكان أهل الكوفة يسمّون الباب الذي دخل منه [الثعبان]^(٥): «باب الثعبان» فأراد بنو أمية إطفاء هذه الفضيلة، فنصبوا على ذلك الباب قتلى مدة حتى سمي باب القتلى^(٦).

الرد عليه

والجواب: أنه لا ريب أن من دون عليّ بكثير تحتاج الجن إليه وتستفتيه وتسأله، وهذا معلوم قديماً وحديثاً، فإن كان هذا قد وقع، فقدره أجل من ذلك. وهذا من أدنى فضائل من هو دونه. وإن لم يكن وقع، لم ينقص فضله بذلك.

وإنما يحتاج أن يثبت فضيلة عليّ بمثل هذه الأمور من يكون مجدياً^(٧) / منها، فأما من باشر أهل الخير والدين، الذين لهم أعظم من هذه الخوارق، أو رأى في نفسه ما هو أعظم من هذه الخوارق، لم يكن هذا مما يوجب أن يُفضل بها عليّ. ونحن نعلم أن من هو دون عليّ بكثير من الصحابة خير منا بكثير،

ص ٣٥٤

(١) ك: جماعة من أهل السيرة أنه عليه السلام كان...

(٢) ك: فخاف الناس منه. (٣) ك: ثم ذهب.

(٤) ك: فقال عليه السلام: إنه حاكم من حكام الجن، التبت عليه قضية...

(٥) الثعبان: زيادة من (ك).

(٦) ك: الباب قبلاً مدة طويلة حتى سمي بباب الفيل.

(٧) س، ب: محدثاً؛ م: محدباً. والكلمة غير منقوطة في (ن). وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته.

فكيف يمكن مع هذا أن يُجعل مثل هذا حجة على فضيلة على على الواحد منا، فضلا عن أبي بكر وعمر؟!

ولكن الرافضة، لجهلهم وظلمهم وبعدهم عن طريق أولياء الله، ليس لهم من كرامات الأولياء المتقين ما يُعتدّ به، فهم لإفلاسهم منها إذا سمعوا شيئا من خوارق العادات عظموه تعظيم المفلس للقليل من النقد، والجائع للكسرة من الخبز.

ولو ذكرنا ما باشرناه نحن من هذا الجنس، مما هو أعظم من ذلك، مما قد رآه الناس، لذكرنا شيئا كثيرا.

والرافضة - لفرط جهلهم وبعدهم عن ولاية الله وتقواه - ليس لهم نصيب كثير من كرامات الأولياء^(١)، فإذا سمعوا مثل هذا عن على ظنوا أن هذا لا يكون إلا لأفضل الخلق، بل هذه الخوارق المذكورة - وما هو أعظم منها - يكون لخلق كثير من أمة محمد صلى الله عليه وسلم، المعروفين بأن أبابكر وعمر وعثمان وعليًا خير منهم، الذين يتولون الجميع ويحبونهم، ويقدمون من قدم الله ورسوله، لاسيما الذين يعرفون قدر الصديق ويقدمونه، فإنهم أخص هذه الأمة بولاية الله وتقواه.

والليب يعرف ذلك بطرق^(٢). إما أن يطالع الكتب المصنفة في أخبار الصالحين وكرامات الأولياء، مثل كتاب ابن أبي الدنيا، وكتاب الخلل، واللالكائي، وغيرهم، ومثل ما يوجد من ذلك في أخبار الصالحين، مثل «الحلية» لأبي نعيم، و«صفوة الصفوة» وغير ذلك.

(١) الأولياء : ساقطة من (س)، (ب).

(٢) ن : صفة ..

(٢) م : بطريق.

وإما أن يكون قد باشر من رأى ذلك . وإما أن يخبره بذلك من هو عنده صادق .

فما زال الناس فى كل عصر يقع لهم من ذلك شىء كثير، ويحكى ذلك بعضهم لبعض . وهذا كثير^(١) فى كثير من المسلمين .
وإما أن يكون بنفسه وقع له بعض ذلك .

وهذه جيوش أبى بكر وعمر ورعيتهما : لهم من ذلك أعظم من ذلك .
مثل العلاء ابن الحضرمى وعبوره على الماء ، كما تقدّم ذكره ، فإن هذا أعظم من نضوب الماء ، ومثل استسقاؤه . ومثل البقر الذى كَلَمَ سعد بن أبى وقاص فى وقعة القادسية . ومثل نداء عمر : «ياسارية الجبل» وهو بالمدينة ، وسارية بنهاوند . ومثل شرب خالد بن الوليد السم .

ومثل إلقاء أبى مسلم الخولانى فى النار ، فصارت عليه النار برداً وسلاماً ، لما ألقاه فيها الأسود العنسى المتنبىء الكذاب ، وكان قد استولى على اليمن ، فلما امتنع أبو مسلم من الإيمان به ألقاه فى النار ، فجعلها الله عليه برداً وسلاماً ، فخرج منها يمسح جبينه . وغير ذلك مما يطول وصفه .

ومما ينبغى أن يُعلم أن خوارق العادات تكون لأولياء الله بحسب حاجتهم ، فمن كان بين الكفار أو المنافقين أو الفاسقين ، احتاج إليها لتقوية اليقين ، فظهرت عليه كظهور النور فى الظلمة .

فلهذا يوجد بعضها لكثير من المفضلين ، أكثر مما يوجد للفاضلين ، لحاجتهم إلى ذلك .

(١) كثير : ساقطة من (س) ، (ب) .

وهذه الخوارق لا تتراد لنفسها، / بل لأنها وسيلة إلى طاعة الله
ورسوله، فمن جعلها غاية له ويعبد لأجلها، لعبت به الشياطين،
وأظهرت له خوارق من جنس خوارق السحرة والكهّان. فمن كان لا
يتوصل إلى ذلك إلا بها، كان أحوج إليها، فتكثر في حقّه، أعظم مما
تكثر في حق من استغنى عنها. ولهذا كانت في التابعين أكثر منها في
الصحابة.

ونظير هذا في العلم: علم الأسماء واللغات؛ فإن المقصود بمعرفة
النحو واللغة التوصل إلى فهم كتاب الله ورسوله وغير ذلك، وأن ينحو
الرجل بكلامه نحو كلام العرب. والصحابة لما استغنوا عن النحو،
 واحتاج إليه من بعدهم، صار لهم من الكلام في قوانين العربية ما لا
يوجد مثله للصحابة "لنقصهم وكمال الصحابة، وكذلك صار لهم من
الكلام في أسماء الرجال وأخبارهم ما لا يوجد مثله للصحابة"، لأن هذه
وسائل تطلب لغيرها، فكذلك كثير من النظر والبحث احتاج إليه كثير من
المتأخرين، واستغنى عنه الصحابة.

وكذلك ترجمة القرآن لمن لا يفهمه بالعربية، يحتاج إليه من لغته
فارسية وتركية ورومية. والصحابة لما كانوا عرباً استغنوا عن ذلك.
وكذلك كثير من التفسير والغريب يحتاج إليه كثير من الناس،
والصحابة استغنوا عنه.

فمن جعل النحو ومعرفة الرجال، والاصطلاحات النظرية والجدلية
المعينة على النظر والمناظرة، مقصودة لنفسها، رأى أصحابها أعلم من

(١-١) : ساقط من (س)، (ب).

الصحابة، كما يظنه كثير ممن أعمى الله بصيرته. ومن علم أنها مقصودة لغيرها، علم أن الصحابة الذين علموا المقصود بهذه، أفضل ممن لم تكن معرفتهم مثلهم في معرفة المقصود، وإن كان بارعاً في الوسائل. وكذلك الخوارق: كثير من المتأخرين صارت عنده مقصودة لنفسها، فيكثر العبادة والجوع والسهر والخلوة، ليحصل له نوع من المكاشفات والتأثيرات، كما يسعى الرجل ليحصل له من السلطان والمال. وكثير من الناس إنما يعظم الشيوخ لأجل ذلك، كما تُعظم الملوك والأغنياء لأجل مُلكهم وملِكهم.

٣٥٤ خ

وهذا الضرب قد يرى / أن هؤلاء أفضل من الصحابة، ولهذا يكثر في هذا الضرب المنكوس الخروج عن الرسالة، وعن أمر الله ورسوله، ويقفون مع أذواقهم وإراداتهم^(١)، لا عند طاعة الله ورسوله، ويبتلون بسلب الأحوال، ثم الأعمال، ثم أداء الفرائض، ثم الإيمان. كما أن [من]^(٢) أعطى مُلكاً ومالاً، فخرج فيه عن الشريعة وطاعة الله ورسوله، وأتبع فيه هواه، وظلم الناس - عوقب على ذلك: إما بالعزل، وإما بالخوف والعدو، وإما بالحاجة والفقر، وإما بغير ذلك. والمقصود لنفسه في الدنيا هو الاستقامة على ما يرضاه الله ويحبه باطنًا وظاهرًا. فكلما كان الرجل أتبع لما يرضاه الله ورسوله، وأتبع لطاعة الله ورسوله، كان أفضل. ومن حصل له المقصود من الإيمان واليقين والطاعة بلا خارق، لم يحتج إلى خارق.

(١) م، س، ب: وإرادتهم.

(٢) من: ساقطة من (ن)، (س).

كما أن صديق الأمة أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً وطلحة والزبير وأمثالهم من السابقين الأولين، لما تبين لهم أن محمداً صلى الله عليه وسلم رسول الله آمنوا به^(١)، ولم يحتاجوا مع ذلك من الخوارق إلى ما احتاج إليه من لم يعرف كمعرفتهم.

ومعرفة الحق له أسباب متعددة، وقد نبهنا على ذلك في غير هذا الموضع، في تقرير الرسالة وأعلام النبوة، وبيّنا أن الطريق إلى معرفة صدق الرسول كثيرة جداً، وأن طريق المعجزات طريق من الطرق، وأن من قال من النظّار: إن «تصديق الرسول لا يمكن إلا بالمعجزة، كان كمن قال: إن معرفة الصانع لا تحصل إلا بالمعرفة بحدوث العالم»^(٢).

وهذا وأمثاله مما يقوله كثير من النظّار^(٣) الذين يحصرون نوعاً من العلم بدليل معيّن يدّعون أنه لا يحصل إلا بذلك، مما أوجب تفرّق الناس، فطائفة توافقهم على ذلك، فيوجبون على كل أحد مالم يوجبه الله ورسوله، لاسيما إن كان ذلك الطريق الذي استدّلوا به مقدوحاً في بعض مقدماته، كأدلتهم على حدوث العالم بحدوث الأجسام.

وطائفة تقدح في الطرق^(٤) النظرية جملة، وتسد باب النظر والمناظرة، وتدّعي تحريم ذلك مطلقاً، واستغناء الناس عنه، فتقع الفتنة بين هؤلاء وهؤلاء^(٥).

(١) به: ساقطة من (س)، (ب).

(٥-٥) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) انظر في ذلك القاعدة الكلية التي ذكرها ابن تيمية بعنوان «قاعدة أولية: أصل العلم الإلهي ومبدؤه ودليله الأول... الخ في «مجموع فتاوى الرياض» ١/٢-٩٧.

(٣) م: الطريق. (٤) س، ب: بين هؤلاء وبين هؤلاء وهؤلاء.

وحقيقة الأمر أن طرق العلم متعددة، وقد يغنى الله كثيراً من الناس عن تلك / الطرق المعينة، بل عن النظر بعلوم ضرورية تحصل لهم، وإن كانت العبادة قد تُعَدُّ النفس لتلك العلوم الضرورية حتى تحصل إلهاما. وطائفة من الناس يحتاجون إلى النظر، أو إلى تلك الطرق: إما لعدم ما يحصل لغيرهم، وإما لشبه عرضت لهم لا^(١) تزول إلا بالنظر. وكذلك [كثير]^(٢) من الأحوال التي تعرض لبعض السالكين^(٣): من^(٤) الصعق والغشى والاضطراب عند الذكر وسماع القرآن وغيره، ومن الفناء عن شهود المخلوقات، بحيث يصطلم^(٥) ويبقى لا يشهد قلبه إلا الله، حتى يغيب بمشهوده عن نفسه. فمن الناس من يجعل هذا لازماً لا بد لكل من سلك^(٦) منه، ومنهم من يجعله هو الغاية ولا مقام وراءه، ومنهم من يقدح في هذا ويجعله من البدع التي لم تنقل عن الصحابة. والتحقيق أن هذا أمر [يقع]^(٧) لبعض السالكين بحسب قوة الوارد

(١) م : ولا ..

(٢) كثير: ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

(٣) ن، م: المساكين؛ س: المشاكين.

(٤) ن، م، س: في.

(٥) قال ابن عربي في «اصطلاحات الصوفية» الواردة في الفتوحات الملكية (ط. مع

التعريفات للجرجاني): «الاصطلام: نوع وَلِه يَرُدُّ على القلب فيسكن تحت سلطانه».

وقال القاشاني في كتابه «اصطلاحات الصوفية» ص ٣٠ (ط. الهيئة العامة للكتاب،

تحقيق الدكتور محمد كمال جعفر، القاهرة، ١٩٨١): «الاصطلام هو الوله الغالب على

القلب، وهو قريب من الهيمان».

(٦) ن، م، س: سال، وهو تحريف.

(٧) يقع: ساقطة من (ن)، (م).

عليه، وضعف القلب عن التمكين بحبه. فمن لم يجد ذلك: قد يكون
لكمال قوته وكمال إيمانه، وقد يكون لضعف إيمانه، مثل كثير من
البطالين والفساق وأهل البدع. وليس هذا من لوازم الطرق، بل قد
يستغنى عنه كثير من السالكين، وليس هو الغاية، بل كمال الشهود،
بحيث يميّز بين المخلوق والخالق، ويشهد معاني أسماء الله وصفاته،
ولا يشغله هذا عن^(١) هذا - هو أكمل في الشهود، وأقوى في الإيمان.
ولكن من عرض له تلك الحال [التي تعرض]^(٢) احتاج إلى ما يناسبها.
وهذه الأمور مبسطة في غير هذا الموضع.

لكن المقصود أن تُعرف مرتبة الخوارق، وأنها عند أولياء الله الذين
يريدون وجهه، ويحبون ما أحبه الله ورسوله: في مرتبة الوسائل التي
يُستعان بها، كما يُستعان بغير الخوارق، فإن لم يحتاجوا إليها استغناءً
بالمعتادات لم يلتفتوا إليها. وأما عند كثير ممن يتبع هواه ويحب
الرياسة، عند الجهال ونحو ذلك، فهي عندهم أعلى المقاصد.

كما أن كثيراً من طلبة العلم ليس مقصودهم به إلا تحصيل رياسة أو
مال، ولكل امرئ ما نوى. وأما أهل العلم والدين الذين هم أهلهم،
فهو^(٣) مقصود عندهم لمنفعته^(٤) لهم، وحاجتهم إليه في الدنيا والآخرة.
كما قال معاذ بن جبل في صفة العلم: إن^(٥) طلبه لله عبادة، ومذكراته

(١) ب: عنه، وهو تحريف.

(٢) التي تعرض: زيادة في (م).

(٣) ن، م، س: وهو، وهو تحريف.

(٤) ن، م، س: لمنفعة، وهو تحريف.

(٥) ن، س: بأن؛ م: بانه.

تسييح ، والبحث عنه جهاد، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة، به يُعرف الله ويعبدونه، ويمجد الله ويوحّد^(١).

ولهذا تجد أهل الانتفاع به يزكّون به نفوسهم، ويقصدون فيه اتباع الحق لا اتباع الهوى، ويسلكون فيه سبيل العدل والإنصاف، ويحبّونه ويلتذون به، ويحبون كثرتهم وكثرة أهله، وتنبعث هممهم على العمل به ويموجه ومقتضاه^(٢)، بخلاف من لم يذق حلاوته وليس مقصوده إلا مالا أو رياسة، فإن ذلك لو حصل له بطريق آخر سلكه، وربما رجّحه إذا كان أسهل عليه.

ومن عرف هذا تبين له أن المقاصد التي يحبها الله ويرضاها التي حصلت لأبي بكر، أكمل مما حصل لعمر، والتي حصلت لعمر أكمل مما حصل لعثمان، والتي حصلت لعثمان أكمل مما حصل لعليّ، وأن الصحابة كانوا أعلم الخلق بالحق، وأتبعهم له، وأحقهم بالعدل وإيتاء كل ذي حق حقه، وأنه لم / يقدح فيهم إلا مفرط في الجهل بالحقائق التي بها^(٣) يُستحق المدح والتفضيل، وبما آتاهم الله من الهدى إلى سواء السبيل.

ص ٣٥٥

ولهذا من لم يسلك في عبادته الطريق الشرعية التي أمر الله بها

(١) عبارة «ويمجد الله ويوحّد». ساقطة من (س)، (ب) ولعل الصواب: به يعرف الله ويعبد، وبه يمجّد الله ويوحّد. وأورد ابن عبد البر هذا الأثر مرفوعا وموقوفا على معاذ رضى الله عنه في كتابه «جامع بيان العلم» ١/٥٤-٥٥ ورجّح وقفه، وليس فيه عبارة: «به يعرف الله... الخ».

(٢) س، ب: ويمقتضاه.

(٣) بها: ساقطة من (س)، (ب).

ورسوله، وتعلقت همته بالخوارق، فإنه قد يقترن به من الجن والشياطين^(١) من يحصل له به نوع من الخبر عن بعض الكائنات، أو يطير به في الهواء، أو يمشى به على الماء، فيظن ذلك من كرامات الأولياء، وأنه وليّ لله، ويكون سبب شركه أو كفره، أو بدعته أو فسقه

فإن هذا الجنس قد يحصل لبعض الكفار وأهل الكتاب وغيرهم، وقد يحصل لبعض الملحدين المنتسبين إلى المسلمين، مثل من لا يرى الصلوات واجبة، بل ولا يقرّ بأن محمداً رسول الله، بل يبغضه ويبغض القرآن، ونحو ذلك من الأمور التي توجب كفره، ومع هذا تغويه الشياطين ببعض الخوارق، كما تغوى المشركين، كما كانت تقترن بالكهّان والأوثان، وهى اليوم كذلك فى المشركين من أهل الهند والترك / والحبشة، وفى كثير من المشهورين فى البلاد التى فيها الإسلام، ممن هو كافر أوفاسق أو جاهل مبتدع، كما قد بسط فى موضع آخر.

﴿فصل﴾

قال الرافضى^(٢): «الثانى عشر: الفضائل: إما نفسانية، أو بدنية، أو خارجية. وعلى التقديرين الأوّلين: فإما أن تكون متعلقة بالشخص نفسه، أو بغيره. وأمير المؤمنين علىّ جمع^(٣)

(١) من الجن من الشياطين؛ ب: من الجن ومن الشياطين.

(٢) فى (ك) ص ١٩١ (م) - ١٩٢ (م).

(٣) ك: وأمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام جمع..

الكل . أما فضائله^(١) النفسانية المتعلقة به - كعلمه وزهده وكرمه وحلمه - فأشهر من أن تحصى^(٢) ، والمتعلقة بغيره كذلك ، كظهور^(٣) العلوم^(٤) عنه ، واستيفاء^(٥) غيره منه . وكذا فضائله^(٦) البدنية كالعبادة والشجاعة والصدقة . وأما الخارجية كالنسب فلم يلحقه فيه أحد لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم^(٧) ، وتزويجه إياه بابتته^(٨) سيدة نساء العالمين .

وقد روى أخطب^(٩) خوارزم من كتاب « السنة »^(١٠) بإسناده عن جابر قال : لما تزوج عليّ فاطمة زوجها الله إياه^(١١) من فوق سبع سماوات ، وكان الخاطب جبريل^(١٢) ، وكان ميكائيل وإسرافيل في

(١) ك : أما فضل ؛ م : أما فضيلة .

(٢) ك : فهي أشهر من أن تحفى .

(٣) ك : لظهور .

(٤) س ، ب : العلم .

(٥) ن ، م : واستفاد ؛ ك : واستفاد .

(٦) ك : فضائل .

(٧) ك : فكان نسب ولم يلحقه أحد فيه لقربه من رسول الله صلى الله عليه وآله .

(٨) ن ، س : بابت ، وهو تحريف ؛ ك : بته . وفي هامش (س) كتب أمام هذا الموضوع

كتب مايلي : « قد زوّج عثمان بابتيه ، وقال له : لو كان عندنا ثلاثة لزوّجناها لك . فعلى

هذا يكون عثمان أفضل . اهـ في هامش الأصل . »

(٩) م : خطيب .

(١٠) ك : وهو من كبار أهل السنة .

(١١) ك : . . فاطمة عليها السلام زوّجه الله تعالى إياها . . .

(١٢) ك (ص ١٩٢م) : جبرئيل .

سبعين ألفا من الملائكة شهودا، فأوحى الله إلى شجرة طوبى
انثرى ما فيك من الدر والجوهر^(١)، ففعلت، فأوحى الله إلى
الحدور العين أن القطن، فلقطن منهم إلى يوم القيامة^(٢)، وأورد
أخباراً كثيرة في ذلك .

وكان أولاده رضى الله عنه أشرف الناس بعد رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبعد أبيهم^(٣) . وعن حذيفة بن اليمان^(٤) قال :
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم أخذ^(٥) بيد الحسين بن عليّ ،
فقال : أيها الناس^(٦) هذا الحسين^(٧) ، ألا فاعرفوه وفضّلوه ، فوالله
لجدّه أكرم على الله من جد يوسف بن يعقوب^(٨) ، هذا الحسين
جدّه^(٩) في الجنة ، وجدته في الجنة ، وأمّه في الجنة ، وأبوه في
الجنة ، وخاله في الجنة ، وخالته في الجنة ، وعمه في الجنة ،

(١) ك : أن انثرى ما فيك من الدرر والجواهر . .

(٢) ك : فلقطن ، فمن يتهادين بينهم إلى يوم القيامة .

(٣) ك : وكان أولاده عليهم السلام أشرف الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وبعد أبيهم
عليهم السلام .

(٤) س ، ب : وعن حذيفة اليماني ؛ ك : وعن حذيفة بن اليماني .

(٥) ن : أخذاً .

(٦) ك : الحسين عليه السلام ، وقال : يا أيها الناس . .

(٧) ك : الحسين بن عليّ عليه السلام .

(٨) ك : من يوسف بن يعقوب .

(٩) ك : هذا الحسين بن عليّ عليه السلام جدّه . .

(٥-٥) ما بين النجمتين ساقط من (م) .

وعمته فى الجنة^(١)، وأخوه فى الجنة^(٢)، وهو فى الجنة، ومحبوه^(٣) فى الجنة، ومحبو محبيهم فى الجنة.

وعن حذيفة^(٤) قال: بَتَّ عند النبی صلی الله علیه وسلم ذات ليلة، فرأيت عنده^(٥) شخصا، فقال لى: هل رأيت^(٦)؟ قلت: نعم. قال: هذا^(٧) مَلَكٌ لم ينزل إلّی منذ بعثت، أتانى من الله، فبشّرني أن الحسن والحسين سيذا شباب أهل الجنة.

والأخبار فى ذلك كثيرة، وكان محمد بن الحنفية فاضلا عالما، حتى ادعى قوم فيه الإمامة.

والجواب: أما الأمور الخارجية^(٨) عن نفس الإيمان والتقوى، فلا يحصل بها فضيلة عند الله تعالى، وإنما يحصل بها الفضيلة عند الله إذا كانت مُعِينَةً على ذلك؛ فإنها من باب الوسائل لا المقاصد، كالمال والسلطان والقوة والصحة ونحو ذلك، فإن هذه الأمور لا يَفْضَلُ بها الرجل عند الله إلا إذا أعانته على طاعة الله بحسب ما يعينه.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ

(١) ك: وجدته فى الجنة، وأبوه فى الجنة، وأمه فى الجنة، وعمه فى الجنة، وعمته فى الجنة، وخاله فى الجنة، وخالته فى الجنة..

(٢) ك: ومحبوهم.

(٣) ك: وعن حذيفة بن اليمان..

(٤) عنده: ساقطة من (س)، (ب).

(٥) ك: هل: رأيته؟

(٦) ك: قلت: نعم يارسول الله، فقال صلى الله عليه وآله: هذا..

(٧) ب: الخارجة.

شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴿[سورة الحجرات: ١٣].

وفى الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه سئل: أتى الناس أكرم؟ فقال: «أتقاهم لله». قيل: ليس عن هذا نسألك^(١). قال: «يوسف نبي الله بن يعقوب نبي الله بن إسحاق نبي الله بن إبراهيم خليل الله». قيل: ليس عن هذا نسألك^(٢). قال: «أفعن^(٣) معادن العرب تسألوني؟ خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا»^(٤).

بيّن لهم أولا: أن أكرم الخلق عند الله أتقاهم، وإن لم يكن ابن نبي ولا أبا نبي، فإبراهيم صلى الله عليه وسلم أكرم على الله من يوسف، وإن كان أبوه آزر، وهذا أبوه يعقوب. وكذلك نوح أكرم على الله من إسرائيل، وإن كان هذا أولاده أنبياء، وهذا أولاده ليسوا بأنبياء.

فلما ذكروا أنه ليس مقصودهم إلا الأنساب. قال لهم: فأكرم أهل الأنساب من انتسب إلى الأنبياء، وليس فى ولد آدم مثل يوسف؛ فإنه نبي ابن نبي ابن نبي.

فلما أشاروا إلى أنه ليس مقصودهم إلا ما يتعلق بهم. قال: «أفعن معادن العرب تسألوني؟ الناس معادن كمعادن الذهب والفضة خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا» بيّن أن الأنساب كالمعادن، فإن الرجل يتولد منه كما يتولد من المعدن الذهب / والفضة / .

٢٠٠/٤
ظ ٣٥٥

(١) ن: نسلك.

(٢) م: فعن.

(٣) ن: تسألوني.

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٦٠١/٤.

ولا ريب أن الأرض التي تُنبت الذهب أفضل من الأرض التي تنبت الفضة. فهكذا من عُرف أنه يلد الأفاضل، كان أولاده أفضل ممن عُرف أنه يلد المفضول. لكن هذا سبب ومظنة، وليس هو لازماً، فربما تعطلت أرض الذهب، وربما قلّ نبتها، فحيثُ تكون أرض الفضة أحبّ إلى الإنسان من أرضٍ معطلة. والفضة الكثيرة أحبّ إليهم من ذهب قليل لا يماثلها في القدر.

فلهذا كانت أهل الأنساب^(١) الفاضلة يُظنّ بهم الخير، ويكرمون لأجل ذلك. فإذا تحقق من أحدهم^(٢) خلاف ذلك، كانت الحقيقة مقدّمة على المظنة. وأما [ما]^(٣) عند الله فلا يثبت على المظان ولا على الدلائل، إنما يثبت على ما يعلمه هو من الأعمال الصالحة، فلا يحتاج إلى دليل، ولا يجتزىء بالمظنة.

فلهذا كان أكرم الخلق عنده أتقاهم^(٤). فإذا قُدِّر^(٥) تماثل اثنين عنده في التقوى تماثلاً في الدرجة، وإن كان أبو أحدهما أو ابنه أفضل من أبي الآخر أو ابنه، لكن إن حصل له بسبب نسبه زيادة في التقوى كان أفضل لزيادة تقواه.

ولهذا حصل لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم - إذا قُتِنَ لله ورسوله وعملن صالحاً - لا لمجرد المصاهرة، بل لكمال الطاعة. كما أنهن لو أتين بفاحشة مبيّنة لضوعف لهن العذاب ضعفين، لقبح المعصية.

(١) ن، س، ب: الأسباب، وهو تحريف.

(٢) س، ب: من أحد. (٣) ما: ساقطة من (ن)، (م)، (س).

(٤) م: أزكاهم. (٥) قدر: ساقطة من (م).

فإن ذا الشرف إذا ألزم نفسه التقوى، كان تقواه أكمل من تقوى غيره.
كما أن المَلِك إذا عدَلَ، كان عدله أعظم من عدل الرجل في أهله.
ثم إن الرجل إذا قصد الخير قصداً جازماً^(١)، وعمل منه ما يقدر عليه،
كان له أجر كامل^(٢).

كما قال النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «إن
بالمدينة رجالاً^(٣) ما سرتهم مسيراً ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم». قالوا:
وهم في المدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر»^(٤).

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في الصحيح: «من دعا إلى
هدى كان له من الأجر مثل أجور من اتبعه من غير أن ينقص من أجورهم
شيئاً، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل أوزار من اتبعه من غير
أن ينقص من أوزارهم شيئاً»^(٥). وهذا مبسوط في موضع آخر.

(١) ن، م: حازماً. (٢) ن، م، س: أجر عامل.

(٣) ن، س: إن بالمدينة لرجالاً؛ م: إن بالمدينة لرجال.

(٤) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه في: البخارى ٢٦/٤ (كتاب الجهاد، باب من

حبسه العذر عن الغزو)؛ سنن أبى داود ١٧/٣ - ١٨ (كتاب الجهاد، باب فى الرخصة

فى القعود من العذر)؛ سنن ابن ماجة ٩٢٣/٢ (كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن

الجهاد)؛ المسند (ط. الحلبي) ١٠٣/٣، ١٦٠، ٣٠٠، ٣٤١. وجاء حديث آخر

بألفاظ مقاربة عن جابر بن عبد الله رضى الله عنه فى: مسلم ١٥١٨/٣ (كتاب الإمارة،

باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر)؛ سنن ابن ماجة (فى الموضع السابق).

(٥) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى: مسلم ٢٠٦٠/٤ (كتاب العلم، باب من سنَّ

سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة)؛ سنن أبى داود ٢٨١/٤ - ٢٨٢ (كتاب

السنة، باب لزوم السنة)؛ سنن الترمذى (ط. المدينة) ١٤٩/٥ (كتاب العلم، باب فى من

دعا إلى هدى فاتبع أو إلى ضلالة)؛ سنن ابن ماجة ٧٥/١ (المقدمة، باب من سنَّ سنة

حسنة أو سيئة)، المسند (ط. المعارف) ٣/١٨.

ولهذا لم يُثن الله على أحدٍ في القرآن بنسبه أصلاً: لا على ولد نبي، ولا على أبي نبي، وإنما أثنى على الناس بإيمانهم وأعمالهم. وإذا ذكر صنفًا وأثنى عليهم، فلما فيهم من الإيمان والعمل، لا لمجرد النسب. ولما ذكر الأنبياء - ذكرهم في الأنعام - وهم ثمانية عشر، قال: ﴿وَمِنْ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الأنعام: ٨٧]. فبهذا حصلت الفضيلة باجتباؤه سبحانه وتعالى وهدايته إياهم إلى صراط مستقيم، لا بنفس القرابة.

وقد يُوجب النسب حقوقاً، ويوجب لأجله حقوقاً، ويعلق فيه أحكاماً من الإيجاب والتحريم والإباحة، لكن الثواب والعقاب والوعد والوعيد على الأعمال لا على الأنساب.

ولما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [سورة آل عمران: ٣٣]، وقال: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾ [سورة النساء: ٥٤]، كان هذا مدحاً لهذا المعدن الشريف، لما فيهم من الإيمان والعمل الصالح.

ومن لم يتصف بذلك منهم لم يدخل في المدح^(١)، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [سورة الحديد: ٢٦]، وقال تعالى: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [سورة الصافات: ١١٣].

(١) عبارة «لم يدخل في المدح»: ساقطة من (س)، (ب).

وفى القرآن الثناء والمدح للصحابة بإيمانهم وأعمالهم فى غير آية،
كقوله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [سورة التوبة: ١٠٠].

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتِلْ أُولَئِكَ أَكْثَرُ
دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتِلُوا وَكَلَّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [سورة
الحديد: ١٠].

وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ
مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [سورة الفتح: ١٨].

وقوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا
مَّعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [سورة الفتح: ٤].

وقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالُهُمْ
يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ
وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ
بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [سورة الحشر: ٩-٨]. وقوله: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ
مَعَهُ﴾ [سورة الفتح: ٢٩] الآية.

وهكذا فى القرآن الثناء على المؤمنين من الأمة: أولها وآخرها، على
المتقين، والمحسنين، والمقسطين، والصالحين، وأمثال هذه الأنواع.
وأما النسب ففى القرآن إثبات حق / لذوى القربى كما ذكروا هم فى

آية الخمس والفيء . وفى القرآن أمر لهم^(١) بما يذهب عنهم الرجس
ويطهرهم تطهيراً . وفى القرآن الأمر بالصلاة على النبى صلى الله عليه
وسلم ، وقد فُسِّر ذلك بأن يُصَلَّى عليه وعلى آله . وفى القرآن الأمر بمحبة
الله ومحبة رسوله ، ومحبة أهله من تمام محبته . وفى القرآن أن أزواجه
أمهات المؤمنين .

وليس فى القرآن مدح أحدٍ لمجرد كونه من ذوى القربى وأهل البيت ،
ولا الثناء عليهم بذلك ، ولا ذكر استحقاقه الفضيلة عند الله بذلك ، ولا
تفضيله على من يساويه فى التقوى بذلك .

وإن كان قد ذُكر ما ذكره من اصطفاء آل إبراهيم واصطفاء بنى
إسرائيل ، فذاك أمر ماضٍ ، فأخبرنا به فى^(٢) جعله عبرة لنا ، فيبين مع
ذلك أن الجزاء والمدح بالأعمال .

ولهذا ذُكر ما ذكره من اصطفاء بنى إسرائيل ، وذُكر ما ذكره من كفر من
كفر منهم وذنوبهم وعقوبتهم ، فذكر فيهم النوعين : الثواب والعقاب .
وهذا من تمام تحقيق أن النسب الشريف قد يقترن به المدح تارة ،
إن كان صاحبه من أهل الإيمان والتقوى ، وإلا فإن ذم صاحبه أكثر ، كما
كان الذم لمن ذم من بنى إسرائيل وذرية إبراهيم ، وكذلك المصاهرة .

قال تعالى : ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأةَ نُوحٍ وَامْرَأةَ لُوطٍ كَانَتَا
تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا

(١) ن ، س ، ب : للذوى القربى كما ذكروهم ، وفى القرآن آية الخمس والفيء ، وفى (ب) :

وفيه) أمر لهم . . . والمثبت : وهو الصواب من (م) .

(٢) ن ، س : فأخبر بأنه فى . . . ب : فأخبر بأن فى . . .

وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ * وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةً فِرْعَوْنَ
إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ
وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠-١١﴾ [سورة النحر]

وإذا تبين هذا فيقال: إذا كان الرجل أعجمياً، والآخر من العرب،
فنحن وإن كنا نقول مجملًا: إن العرب أفضل جملة، فقد قال النبي
صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو داود وغيره: «لا فضل لعربي على
عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأبيض على أسود، ولا لأسود على
أبيض إلا بالتقوى. الناس من آدم وآدم من تراب»^(١).

وقال: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء. الناس
رجلان: مؤمن تقى، وفاجر شقى»^(٢).

ولذلك إذا كان الرجل من أفناء العرب [والعجم]^(٣)، وآخر من قريش،
فهما^(٤) عند الله بحسب تقواهما: إن تماثلا فيها تماثلا في الدرجة عند
الله، وإن تفاضلا فيها تفاضلا في الدرجة. وكذلك إذا كان رجل من بني
هاشم، ورجل من الناس أو العرب^(٥) أو العجم، فأفضلهما عند الله
أتقاهما، فإن تماثلا في التقوى تماثلا في الدرجة، ولا يفضل أحدهما
عند الله لا^(٦) بأبيه، ولا ابنه، ولا بزوجه، ولا بعمه، ولا بأخيه.

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٦٠٦/٤.

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٢١/١.

(٣) والعجم: زيادة في (م).

(٤) ن، م، س: فهم.

(٥) ن، س، ب: ورجل من أفناء قريش أو العرب، وهو خطأ.

(٦) لا: ساقطة من (س)، (ب).

كما أن الرجلين إذا كانا عالِمَيْن بالطب أو الحساب أو الفقه أو النحو أو غير ذلك، فأكملهما بالعلم بذلك أعلمهما به، ^(١) فإن تساويا في ذلك تساويا في العلم، ولا يكون أحدهما أعلم بكون أبيه أو ابنه ^(٢) أعلم من الآخر. وهكذا في الشجاعة والكرم والزهد والدين.

إذا تبين ذلك فالفضائل الخارجية لا عبرة بها عند الله تعالى ^(٣)، إلا أن تكون سبباً في زيادة الفضائل الداخلية ^(٤). وحيثُذ فتكون الفضيلة بالفضائل الداخلية ^(٥)، وأما الفضائل البدنية فلا اعتبار بها إن لم تكن صادرة عن الفضيلة النفسانية.

ولا فمن صلّى، وصام، وقاتل، وتصدّق بغير نيّة خالصة، لم يفضل بذلك، فالاعتبار بالقلب.

كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسدت لها سائر الجسد، ألا وهي القلب» ^(٦).

(٥-٥): ما بين النجمتين ساقط من (م).

(١) ن: يكون ابنه أو أبيه. (٢) ن، س، ب: الداخلة.

(٣) الحديث عن النعمان بن بشير رضى الله عنه في: البخارى ١٦/١ (كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه) ونصه: «الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراخ يرمى حول الحمى يوشك أن يواقع، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسدت الجسد كله، ألا وهي القلب». والحديث مع اختلاف في الألفاظ - في: مسلم ١٢١٩/٣ - ١٢٢٠ (كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات)؛ سنن ابن ماجة ١٣١٨/٢ - ١٣١٩ (كتاب الفتن، باب الوقوف عند الشبهات)؛ المسند (ط. الحلبي) ٢٧٠/٤، ٢٧٤.

وحيثُذ فمن كان أكمل^(١) فى الفضائل / النفسانية فهو أفضل مطلقا .
وأهل السنة لا ينازعون^(٢) فى كمال على؁ وأنه فى الدرجة العليا من
الكمال؁ وإنما النزاع فى كونه أكمل من الثلاثة^(٣)؁ وأحق بالإمامة منهم؁
وليس فيما ذكره ما يدل على ذلك .

وهذا الباب للناس فيه طريقان :

منهم من يقول : إن تفضيل بعض الأشخاص على بعض عند الله لا
يُعلم إلا بالتوقيف^(٤) ؛ فإن حقائق ما فى القلوب ومراتبها عند الله مما
استأثر الله به؁ فلا يُعلم ذلك إلا بالخبر^(٥) الصادق الذى يخبر عن الله .

ومنهم من يقول : قد يُعلم ذلك بالاستدلال .

وأهل السنة يقولون : إن كلا من الطريقين إذا أُعطى حقه من السلوك
دل على أن كلا من الثلاثة أكمل من على؁ ويقولون : نحن نقرر ذلك
فى عثمان؁ فإذا ثبت ذلك فى عثمان؁ كان فى أبى بكر وعمر بطريق
الأولى ؛ فإن تفضيل أبى بكر وعمر على عثمان لم يَنَازع فيه أحد؁ بل^(٦)
وتفضيلهما على عثمان وعلى لم يَتَنَازع^(٧) فيه من له عند الأمة قدر : لا
من الصحابة؁ ولا التابعين؁ ولا أئمة السنة؁ بل إجماع المسلمين [على

(١) ن؁ س؁ ب : أعظم .

(٢) م : لا يتنازعون .

(٣) م : أكمل الثلاثة .

(٤) ن؁ س : إلا بالتوقف .

(٥) ب : بخبر .

(٦) بل : ساقطة من (س)؁ (ب) .

(٧) م : لم يَنَازع .

ذلك^(١) قرنا بعد قرن، أعظم من إجماعهم على إثبات شفاعة نبينا في أهل الكبائر وخروجهم من النار، وعلى إثبات الحَوْض والميزان، وعلى قتال الخوارج ومانعي الزكاة، وعلى صحة إجارة العقار، وتحريم نكاح المرأة على عمتها وخالتها.

بل إيمان^(٢) أبي بكر وعمر وعدالتهما مما^(٣) وافقت عليه الخوارج - مع تعنتهم - وهم ينازعون في إيمان عليّ وعثمان. وافقت الخوارج على تكفير عليّ، وقدحهم فيه أكثر^(٤) من قدحهم في عثمان، والزيدية بالعكس. والمعتزلة كان قدماؤهم يميلون إلى الخوارج، ومتأخروهم يميلون إلى الزيدية. كما أن الرافضة^(٥) قدماؤهم يصرّحون بالتجسيم، ومتأخروهم على قول الجهمية والمعتزلة. وكانت الشيعة الأولى لا يشكّون في تقديم أبي بكر وعمر. وأما عثمان فكثير من الناس يفضل عليه / عليّا. وهذا قول كثير من الكوفيين وغيرهم، وهو القول الأول للثوري، ثم رجع عنه. وطائفة أخرى لا تفضل أحدهما على صاحبه. وهو الذي حكاه ابن القاسم^(٦) عن مالك عمّن أدركه من المدنيين، لكن قال: ما أدركت أحدا ممن يُقتدى به يفضل أحدهما على صاحبه. وهذا يحتمل السكوت عن الكلام في ذلك، فلا يكون قولاً، وهو الأظهر، ويحتمل التسوية بينهما. وذكر ابن القاسم^(٦) عنه أنه لم يدرك

ظ ٣٥٦

(١) على ذلك: زيادة في (ب).

(٢) ن، م، س: بل على إيمان..

(٣) س: بما.

(٤) م: أعظم.

(٥) ن، م: الروافض. (٦) م: أبو القاسم.

أحداً ممن يُقتدى به يشكّ في تقديم أبي بكر وعمر على عثمان وعلى .
وأما جمهور الناس ففضلوا عثمان، وعليه استقر أمر^(١) أهل السنة،
وهو مذهب أهل الحديث، ومشايخ الزهد والتصوف، وأئمة الفقهاء:
كالشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وأبي حنيفة وأصحابه، وإحدى
الروایتين عن مالك وعليها أصحابه^(٢) .

قال مالك: لا أجعل من خاض في الدماء كمن لم يخض فيها . وقال
الشافعي وغيره: إنه بهذا قصد وإلى المدينة الهاشمي، ضرب مالك،
وجعل طلاق المكره سبباً ظاهراً .

وهو أيضاً مذهب جماهير أهل الكلام: الكرامية والكلاّبية والأشعرية
والمعتزلة .

وقال أيوب السخيتاني: من لم يقمّ عثمان علىّ فقد أزرى
بالمهاجرين والأنصار . وهكذا قال أحمد والدارقطني وغيرهما: أنهم
اتفقوا على تقديم عثمان . ولهذا تنازعوا فيمن لم يقمّ عثمان: هل يعد
مبتدعاً؟ على قولين، هما روايتان عن أحمد .

فإذا قام الدليل على تقديم عثمان كان ما سواه أوكد .

وأما الطريق التوقيفي^(٣) فالنص والاجماع . أما النص ففي الصحيحين
عن ابن عمر قال: كنا نقول ورسول الله صلى الله عليه وسلم حيّ:
أفضل أمة النبي صلى الله عليه وسلم بعده أبو بكر ثم عمر ثم عثمان^(٤) .

(١) م: وعليه استقرار .

(٢) س، ب: عن مالك وأصحابه .

(٣) ن، م: التوقيفي، وهو تحريف .

(٤) سبق هذا الأثر بمعناه من قبل وأوله هناك: كنا نفاضل . . الخ .

وأما الإجماع فالنقل الصحيح قد أثبت أن عمر قد جعل الأمر شورى في ستة، وأن ثلاثة تركوه لثلاثة: عثمان وعليّ وعبدالرحمن، وأن الثلاثة اتفقوا على أن عبدالرحمن يختار واحداً منهما، وبقي عبدالرحمن ثلاثة أيام: حَلَفَ أنه لم ينم فيها كبير نوم^(١) يشاور المسلمین.

وقد اجتمع^(٢) بالمدينة أهل الحل والعقد، حتى أمراء الأنصار، وبعد ذلك اتفقوا على مبايعة عثمان بغير رغبة / ولا رهبة، فيلزم أن يكون عثمان هو الأحق، ومن كان هو الأحق كان هو الأفضل؛ فإن أفضل الخلق من كان أحق أن يقوم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر.

ولإنما قلنا: يلزم أن يكون هو الأحق، لأنه لو لم يكن ذلك للزم: إما جهلهم، وإما ظلمهم. فإنه إذا لم يكن أحق، وكان غيره أحق، فإن لم يعلموا ذلك كانوا جهالاً، وإن علموه، وعدلوا عن الأحق^(٣) إلى غيره، كانوا ظلمة. فتبين أن عثمان إن لم يكن أحق، لزم: إما جهلهم وإما ظلمهم، وكلاهما منتف، لأنهم أعلم بعثمان وعليّ منا، وأعلم بما قاله الرسول فيهما منا، وأعلم بما دلّ عليه القرآن في ذلك منا، ولأنهم خير القرون، فيمتنع أن نكون نحن أعلم منهم بمثل هذه المسائل، مع أنهم أخرج إلى علمها منا فإنهم لو جهلوا مسائل أصول دينهم وعلمناها نحن لكننا أفضل منهم، وذلك ممتنع.

(١) ن، س: كثيرا يوم، وهو تحريف، ب: كثيرا.

(٢) ن، س، ب: أجمع، وهو تحريف.

(٣) م: الأحوال، وهو تحريف؛ س، ب: الحق.

وكونهم علموا الحق وعدلوا عنه أعظم وأعظم؛ فإن ذلك قدح في عدالتهم، وذلك يمنع أن يكونوا خير القرون بالضرورة. ولأن القرآن أثنى عليهم ثناء^(١) يقتضى غاية المدح، فيمتنع^(٢) إجماعهم وإصرارهم على الظلم الذى هو ضرر في حق الأمة كلها؛ فإن هذا ليس ظلماً للممنوع من الولاية فقط، بل هو ظلم لكل من منع نفعه من ولاية الأحق بالولاية، فإنه إذا كان راعيان: أحدهما هو الذى يصلح للرعاية ويكون أحق بها، كان منعه من رعايتها يعود بنقص الغنم حقها من نفعه.

ولأن القرآن والسنة دلّا على أن هذه الأمة خير الأمم، وأن خيرها أولها، فإن كانوا مصرّين على ذلك، [لزم]^(٣) أن تكون هذه الأمة شر الأمم، وأن لا يكون أولها خيرها.

ولأننا^(٤) نحن نعلم أن المتأخرين ليسوا مثل الصحابة، فإن كان أولئك ظالمين مصرّين على الظلم، فالأمة كلها ظالمة، فليست خير الأمم.

وقد قيل لابن مسعود لما ذهب إلى الكوفة: من وليتم؟ قال: «وليّنا أعلانا ذا فوق ولم نأل». وذو الفوق هو السهم^(٥)، يعنى: أعلانا سهماً في الإسلام.

فإن قيل: قد يكون أحق بالإمامة، وعلى أفضل منه.

(١) م: بشاء.

(٢) ن، ش، ب: فيمنع.

(٣) لزم: ساقطة من (ن).

(٤) م: فإنا..

(٥) في «لسان العرب»: «والفوق: مشتق رأس السهم حيث يقع الوتر».

قيل : أولاً : هذا السؤال لا يمكن أن يورده أحد من الإمامية ، لأن
الأفضل عندهم أحق بالإمامة ، وهذا قول الجمهور من أهل السنة .
وهنا مقامان : إما أن يُقال : الأفضل أحق بالإمامة ، لكن يجوز تولية
المفضول : إما مطلقاً ، وإما للحاجة . وإما أن يُقال : ليس كل من كان
أفضل عند الله يكون أحق بالإمامة .

وكلاهما متنفه هنا . أما الأول ، فلأن الحاجة إلى تولية المفضول
في الاستحقاق كانت متنفية ؛ فإن القوم كانوا قادرين على تولية عليّ ،
وليس هناك من ينازع أصلاً ، ولا يحتاجون إلى رغبة ولا رهبة ، ولم يكن
هناك لعثمان شوكة تخاف ، بل التمكن من تولية هذا كان كالتمكن من
تولية هذا . فامتنع أن يُقال : ما كان يمكن إلا تولية المفضول .

وإذا كانوا قادرين ، وهم يتصرفون للأمة^(١) لا لأنفسهم ، لم يجز لهم^(٢)
تفويت مصلحة الأمة من ولاية الفاضل ؛ فإن الوكيل والولي المتصرف
لغيره ، ليس له أن يعدل عما هو أصلح لمن ائتمنه ، مع كونه قادراً على
تحصيل المصلحة ، فكيف إذا كانت قدرته على الأمرين / سواء .

ص ٣٥٧

وأما الثاني ، فلأن النبي صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق ، وكل من
كان به أشبه فهو أفضل ممن لم يكن كذلك . والخلافة كانت خلافة نبوة ،
لم تكن ملكاً ، فمن خلف النبي وقام مقامه كان أشبه به ، ومن كان أشبه
به كان أفضل ، فالذي يخلفه أشبه به من غيره ، والأشبه به أفضل ، فالذي
يخلفه أفضل .

(١) ن ، م ، س : للإمامة ، والمثبت من (ب) .

(٢) لهم : ساقطة من (س) ، (ب) .

وأما الطريق النظرية فقد ذكر ذلك من ذكره من العلماء، فقالوا: عثمان كان أعلم بالقرآن، وعلى أعلم بالسنة، وعثمان أعظم جهاداً بماله، وعلى أعظم جهاداً بنفسه، وعثمان أزهد فى الرياسة، وعلى أزهد فى المال، وعثمان أورع عن الدماء^(١)، وعلى أورع عن الأموال، وعثمان حصل له من جهاد نفسه^(٢) حيث صبر عن القتال ولم يقاتل مالم يحصل مثله لعلّى.

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «المجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله»^(٣).

وسيرة^(٤) عثمان فى الولاية كانت^(٥) أكمل من سيرة على، فقالوا: ثبت أن عثمان أفضل، لأن علم القرآن أعظم / من علم السنة.

٢٠٤/٤

وفى صحيح مسلم - وغيره - أنه قال: «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله، فإن كانوا فى القراءة سواء فأعلمهم بالسنة»^(٦).

وعثمان جمع القرآن كله بلاريب، وكان أحياناً يقرؤه فى ركعة. وعلى قد اختلف فيه: هل حفظ القرآن كله أم لا؟

(١) م: أورع فى الدنيا.

(٢) م: من جهاده نفسه.

(٣) الحديث - مع اختلاف فى الالفاظ - عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه فى: سنن الترمذى

٨٩/٣ (كتاب فضائل الجهاد، باب ما جاء فى فضل من مات مرابطاً). وقال الترمذى:

«وفى الباب عن عقبة بن عامر وجابر. حديث فضالة بن عبيد حديث حسن صحيح».

والحديث أيضاً فى: المسند (ط. الحلبي) ٢٠/٦، ٢١، ٢٢.

(٤) ن، س: وسيماء؛ ب: وسير.

(٥) ن، س، ب: كان. ولعل الصواب ما أثبتته.

(٦) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٨٠/٤.

والجهاد بالمال مقدّم على الجهاد بالنفس، كما فى قوله تعالى : ﴿وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [سورة التوبة: ٤١] الآية، وقوله : ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٢٠] الآية، وقوله : ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ [سورة الأنفال: ٧٢] (١).

وذلك لأن الناس يقاتلون دون أموالهم ؛ فإن المجاهد بالمال قد أخرج ماله حقيقة لله ، والمجاهد بنفسه لله يرجو النجاة ، لا يوافق أنه يقتل فى الجهاد . ولهذا أكثر القادرين على القتال يهون على أحدهم أن يُقاتل ، ولا يهون عليه إخراج ماله ، ومعلوم أنهم كلهم جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، لكن منهم من كان جهاده بالمال أعظم ، ومنهم من كان جهاده بالنفس أعظم .

وأيضاً فعثمان له من الجهاد بنفسه بالتدبير فى الفتوح ما لم يحصل مثله لعلّى ، وله من الهجرة إلى أرض الحبشة ما لم يحصل مثله لعلّى ، وله من الذهاب إلى مكة يوم صلح الحديبية ما لم يحصل مثله لعلّى ، وإنما بايع النبى صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان لما بلغه أن المشركين قتلوا عثمان ، وبايع بإحدى يديه عن عثمان ، وهذا من أعظم الفضل ، حيث بايع عنه النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) ن ، م ، س : والذين آووا ونصروا أولئك هم المؤمنون حقاً . وهو خطأ ، والصواب ما أثبتته من (ب) .

وأما الزهد والورع فى الرياسة والمال، فلاريب أن عثمان تولّى ثنتى عشرة سنة، ثم قصد الخارجون عليه قتله، وحصلوه وهو خليفة الأرض، والمسلمون كلهم رعيته، وهو مع هذا لم يقتل مسلماً، ولا دفع عن نفسه بقتال، بل صبر حتى قُتل.

لكنه فى الأموال كان يعطى لأقاربه من العطاء ما لا يعطيه لغيرهم، وحصل منه نوع توسّع فى الأموال، وهو رضى الله عنه ما فعله إلا متأولاً فيه^(١)، له اجتهاد وافقه عليه جماعة^(٢) من الفقهاء، منهم من يقول: إن ما أعطاه الله للنبي من الخمس والفقير هو لمن يتولّى الأمر بعده، كما هو قول أبى ثور وغيره. ومنهم من يقول: ذوو القربى المذكورون فى القرآن هم ذوو قربى الإمام. ومنهم من يقول: الإمام العامل على الصدقات يأخذ منها مع الغنى. وهذه كانت مأخذ^(٣) عثمان رضى الله عنه، كما هو منقول عنه. فما فعله هو نوع تأويل يراه طائفة من العلماء.

وعلى رضى الله عنه لم يخصص أحداً من أقاربه بعطاء، لكن ابتدأ بالقتال لمن لم يكن متبديناً له بالقتال^(٤)، حتى قُتل بينهم ألوف مؤلفة من المسلمين، وإن كان ما فعله هو متأول فيه تأويلاً وافقه عليه طائفة من العلماء. وقالوا: إن هؤلاء بغاة، والله تعالى أمر بقتال البغاة بقوله: ﴿فَقَاتِلُوا آلَ ابْنِ مَرْثَدَةَ﴾ [سورة الحجرات: ٩].

(١) ن، م، س: .. ما فعله متأول فيه.

(٢) م: طائفة.

(٣) ن: مأخذ. ومعنى الميثب: أن هذه هى الطريقة التى أخذ بها عثمان رضى الله عنه.

(٤) بالقتال: ساقطة من (س)، (ب).

لكن نازعه أكثر العلماء، كما نازع عثمان أكثرهم، وقالوا إن الله تعالى قال: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْضَلُّهُمَا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأْضَلُّهُمَا بِالْعَدْلِ﴾ الآية [سورة الحجرات: ٩].

قالوا: فلم يأمر الله بقتال البغاة ابتداءً، بل إذا وقع قتال بين طائفتين من المؤمنين فقد أمر الله بالإصلاح بينهما، فإن بغت إحداهما على الأخرى قُوتلت. ولم يقع الأمر كذلك.

ولهذا قالت عائشة رضى الله عنها: «ترك الناس العمل بهذه الآية»، رواه مالك بإسناده المعروف عنها^(١).

ومذهب أكثر العلماء أن قتال البغاة لا يجوز [إلا] أن يبتدؤوا^(٢) الإمام بالقتال، كما فعلت الخوارج مع علي، فإن قتاله الخوارج متفق عليه بين العلماء، ثابت بالأحاديث الصحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم، بخلاف قتال صفين، فإن أولئك لم يبتدؤوا بقتال، بل امتنعوا عن مبايعته.

(١) لم أجد هذا الأثر مروياً عن مالك، ولكن جاء في سنن البيهقي ١٧٢/٨ (ط. حيدرآباد، ١٣٥٤) عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: ما رأيت مثل ما رغبت عنه هذه الأمة من هذه الآية: (وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأْضَلُّهُمَا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ). وذكر هذا الأثر السيوطي في «الدر المنثور» ٩١/٦ وقال: أخرجه ابن مردويه والبيهقي في سننه.

(٢) ن، س: لا يجوز أن يبتدؤا. ٤٠ م: لا يجوز أن يبتدأ... وهو خطأ، والصواب ما أثبتته من (ب).

ولهذا كان أئمة السنة، كمالك وأحمد وغيرهما، يقولون: إن قتاله للخوارج مأمور به، وأما قتال الجمل وصفين فهو قتال فتنة.

فلو قال قوم: نحن نقيم الصلاة ونؤتي الزكاة، ولا ندفع زكاتنا إلى الإمام، ونقوم بواجبات الإسلام^(١)، لم يجوز / للإمام قتلهم عند أكثر العلماء، كأبي حنيفة وأحمد.

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه إنما قاتل مانعي الزكاة لأنهم امتنعوا عن أدائها مطلقاً، وإلا فلو قالوا: نحن نؤديها بأيدينا ولا ندفعها إلى أبي بكر، لم يجوز قتلهم عند الأكثرين، كأبي حنيفة وأحمد وغيرهما.

ولهذا كان علماء الأمصار على أن القتال / كان قتال فتنة، وكان من قعد عنه أفضل ممن قاتل فيه. وهذا مذهب مالك وأحمد وأبي حنيفة والأوزاعي، بل والثوري ومن لا يحصى عدده، مع أن أبا حنيفة ونحوه من فقهاء الكوفيين - فيما نقله القدوري وغيره - عندهم لا يجوز قتال البغاة، إلا إذا ابتدؤوا الإمام بالقتال، وأما إذا أدوا الواجب من الزكاة وامتنعوا عن دفعها إليه، لم يجوز قتلهم.

وكذلك مذهب أحمد وغيره، وهكذا جمهور الفقهاء، على أن ذوى القربى هم قربى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه ليس للإمام ما كان للنبي صلى الله عليه وسلم^(٢).

والمقصود أن كليهما - رضي الله عنه - وإن كان ما فعله فيه هو متأول

(١) م: إلى إمام يقوم بواجبات الإسلام، وهو تحريف.

(٢) في هامش (م) أمام هذا الموضع كتب ما يلى: «قف على بيان الوجوه التى يرجع بها عثمان على علي رضي الله تعالى عنهما، ويرجع بها شيعة عثمان على شيعة علي».

مجتهد، يوافقه عليه طائفة من العلماء المجتهدين، الذين يقولون بموجب العلم والدليل، ليس لهما عمل يهتمون فيه^(١)، لكن اجتهد عثمان كان أقرب إلى المصلحة وأبعد عن المفسدة؛ فإن الدماء خطرها أعظم من الأموال.

ولهذا كانت خلافة عثمان هادية مهدية ساكنة، والأمة فيها متفقة، وكانت ست سنين لا يُنكر الناس عليه شيئاً، ثم أنكروا أشياء في الست الباقية، وهى دون ما أنكروه على على من حين تولّى، والذين خرجوا على عثمان طائفة من أوباش الناس، وأما على فكثر من السابقين الأوّلين لم يتبعوه ولم يبايعوه، وكثير من الصحابة والتابعين قاتلوه، وعثمان فى خلافته فُتحت الأمصار وقوتلت^(٢) الكفّار، وعلى فى خلافته لم يُقتل كافر ولم تُفتح مدينة.

فإن كان ما صدر عن الرأى، فرأى عثمان أكمل، وإن كان عن القصد، فقصده أتم.

قالوا: وإن كان على تزوج بفاطمة رضى الله عنهما، فعثمان قد زوجه النبى صلى الله عليه وسلم ابنتين من بناته، وقال: «لو كان عندنا ثالثة لزوجناها عثمان»^(٣)، وسُمى ذو النورين^(٤) بذلك، إذ لم يعرف أحد جمع بين بنتى نبى غيره.

(١) ن، م، س، ب: ليس لهم عمل يهتمون فيه، وهو كلام غير مستقيم ولعل ما أثبتته هو الصواب. (٢) م: وقاتل.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٤٦/٤.

(٤) س، ب: ذا النورين؛ ن، م: ذى النورين، والصواب ما أثبتته.

وقد صاهر النبي صلى الله عليه وسلم من بنى أمية من هو دون عثمان: أبو العاص بن الربيع، فزوجه زينب أكبر بناته، وشكر مصاهرته محتجاً به على علي، لما أراد أن يتزوج بنت أبي جهل، فإنه قال: «إن بنى المغيرة استأذنوني في أن ينكحوا فئاتهم علي بن أبي طالب، وإنى لا آذن، ثم لا آذن، ثم لا آذن، إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي ويتزوج ابنتهم. والله لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل أبداً، إنما فاطمة بضعة مني يريني ما أرابها^(١)، ويؤذيني ما آذاها» ثم ذكر صهرأ له من بنى عبد شمس فأنى عليه وقال: «حدثنى فصدقني، ووعدني فوفى لي^(٢)».

وهكذا مصاهرة عثمان له، لم يزل فيها حميداً، لم يقع منه^(٣) ما يعتب عليه فيها، حتى قال: «لو كان^(٤) عندنا ثلاثة لزوجناها عثمان».

وهذا يدل على أن مصاهرته للنبي صلى الله عليه وسلم أكمل من مصاهرة علي له^(٥). وفاطمة كانت أصغر بناته، وعاشت بعده، وأصيبت به، فصار لها من الفضل ما ليس لغيرها. ومعلوم أن كبيرة البنات في العادة تزوج قبل الصغيرة، فأبو العاص تزوج أولاً زينب بمكة، ثم عثمان تزوج برقية وأم كلثوم: واحدة بعد واحدة.

(١) ن، م: ما رابها.

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٤٥/٤.

(٣) ن، م، س: منها.

(٤) ن، م: كانت.

(٥) في جميع النسخ: أكمل من مصاهرته لعل. ولعل ما أثبتته يستقيم به الكلام.

قالوا: وشيعة عثمان المختصون به كانوا أفضل من شيعة عليّ المختصين به، وأكثر خيرا، وأقلّ شرا. فإن شيعة عثمان أكثر ما نُقم عليهم من البدع انحرافهم عن عليّ، وسبّهم له على المنابر^(١)، لما جرى بينهم وبينه من القتال ما جرى، لكن مع ذلك لم يكفّروه ولا كفّروا من يحبه.

وأما شيعة عليّ ففيهم من يكفر الصحابة والأمة ويلعن^(٢) أكابر الصحابة ما هو أعظم^(٣) من ذاك بأضعاف مضاعفة.

وشيعة عثمان تقاتل الكفار، والرافضة لا تقاتل الكفار، وشيعة عثمان لم يكن فيهم زنديق ولا مرتد، وقد دخل في شيعة عليّ من الزنادقة والمرتدين / ما لا يحصى عدده إلا الله تعالى.

٢٠٦/٤

وشيعة عثمان لم توال الكفار، والرافضة يوالون اليهود والنصارى والمشركين على قتال المسلمين، كما عُرف منهم وقائع^(٤).

وشيعة عثمان ليس فيهم من يدّعي فيه الإلهية ولا النبوة، وكثير من الداخلين في شيعة عليّ من يدّعي نبوته أو إلهيته.

وشيعة عثمان ليس فيهم من قال: إن عثمان إمام معصوم ولا منصوب عليه، والرافضة تزعم أن عليّا منصوب عليه معصوم.

(١) م: وسبّ على المنابر.

(٢) ن، س، ب: ولعنه..

(٣) ن: أكبر؛ س، ب: أكثر.

(٤) ب: كما قد عرف عنهم في وقائع.

وشيعه عثمان متفقة على تقديم أبى بكر وعمر وتفضيلهما على عثمان، وشيعه على المتأخرون أكثرهم يذمّونهما ويسبّونهما، وأما الرافضة فمتفقة على بغضهما وذمهما، وكثير منهم يكفرونهما، وأما الزيدية فكثير منهم أيضا يذمّهما ويسبّهما، بل ويلعنهما، وخيار الزيدية الذين يفضّلونه^(١) عليهما، ويذمّون عثمان أو يقعون فيه .

وقد كان أيضا فى شيعه عثمان من يؤخّر الصلاة عن وقتها : يؤخّر الظهر أو العصر . ولهذا لما تولّى بنو العباس كانوا أحسن مراعاة للوقت من بنى أمية، لكن شيعه على المختصون به، الذين لا يقرّون بإمامة أحد من الأئمة الثلاثة وغيرهم، أعظم تعطّيلا للصلاة، بل ولغيرها من الشرائع، وأنهم لا يصلّون جمعة ولا جماعة، فيعطّلون المساجد، ولهم فى / ص ٣٥٨ تقديم العصر والعشاء وتأخير المغرب ما هم أشد انحرافاً فيه من أولئك^(٢)، وهم مع هذا يعظّمون المشاهد مع تعطيل المساجد مضاهاة للمشرّكين وأهل الكتاب، الذين كانوا إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً، فأين هذا من هذا ؟!

فالشر والفساد الذى فى شيعه على أضعاف أضعاف الشر والفساد الذى فى شيعه عثمان، والخير والصلاح الذى فى شيعه عثمان، أضعاف أضعاف الخير الذى فى شيعه على . وبنو أمية كانوا شيعه

(١) ن، م، من: الذين يفضّلون..

(٢) ن، م: أشد انحرافاً فيه من الشيعة من أولئك؛ م: أشد انحرافاً فيه عن الشيعة من أولئك. والصواب ما أثبتته من (ب).

(هـ) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

عثمان^(١)، فكان الإسلام وشرائعه فى زمنهم أظهر وأوسع مما كان بعدهم.

وفى الصحيحين عن جابر بن سَمُرَةَ أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزال هذا الأمر عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش». ولفظ البخارى: «اثنى عشر أميراً». وفى لفظ: «لا يزال أمر الناس ماضياً ولهم اثنا عشر رجلاً». وفى لفظ: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثنى عشر خليفة كلهم من قريش»^(٢).

وهكذا كان، فكان الخلفاء: أبوبكر وعمر، وعثمان، وعلى، ثم تولّى من اجتمع الناس عليه وصار له عزّ ومنعة: معاوية، وابنه يزيد، ثم عبد الملك وأولاده الأربعة، وبينهم عمر بن عبد العزيز. وبعد ذلك حصل فى دولة الإسلام من النقص ما هو باقٍ إلى الآن؛ فإن بنى أمية تولّوا على جميع أرض الإسلام، وكانت الدولة فى زمنهم عزيزة^(٣)، والخليفة يُدعى باسمه: عبد الملك، وسليمان، لا يعرفون عضد الدولة، ولا عزّ الدين، وبهاء الدين^(٤)، وفلان الدين، وكان أحدهم هو الذى يصلّى بالناس الصلوات^(٥) الخمس، وفى المسجد يعقد الرايات، ويؤمّر الأمراء، وإنما يسكن داره، لا يسكنون الحصون، ولا يحتجبون عن^(٦) الرعية.

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٣٣/٣ - ٥٣٤.

(٢) ن، س، ب: عربية، وهو تحريف.

(٣) م: ولا عز الدولة وبهاء الدولة.

(٤) س، ب: يصلّى بالصلوات..

(٥) ن، س، ب: على..

وكان من أسباب ذلك أنهم كانوا فى صدر الإسلام فى القرون
المفضّلة: قرن الصحابة، والتابعين، وتابعيهم. وأعظم ما نغمه الناس
على بنى أمية شيثان: أحدهما: تكلمهم فى على. والثانى تأخير الصلاة
عن وقتها.

ولهذا روى عمر بن مرّة الجملى بعد موته، ف قيل له: ما فعل الله بك؟
قال: غفر لى بمحافظتى على الصلوات فى مواقيتها، وحبّى^(١) على بن
أبى طالب. فهذا حافظ على هاتين السنتين^(٢) حين ظهر خلافهما، فغفر
الله له بذلك. وهكذا شأن من تمسك^(٣) بالسنة إذا ظهرت بدعة، مثل من
تمسك^(٤) بحب الخلفاء الثلاثة حيث يظهر خلاف ذلك وما أشبهه.

ثم كان من نعم الله سبحانه ورحمته بالإسلام أن الدولة لما انتقلت
إلى بنى هاشم صارت فى بنى العباس؛ فإن الدولة الهاشمية أول ما
ظهرت^(٥) كانت الدعوة إلى الرضا من آل محمد، وكانت شيعة الدولة^(٦)
محبّين لبنى هاشم، وكان الذى تولّى الخلافة من بنى هاشم يعرف قدر
الخلفاء الراشدين والسابقين الأولين من المهاجرين والأنصار، فلم يظهر
فى دولتهم إلا تعظيم الخلفاء الراشدين، وذكرهم على المنابر، / والثناء
عليهم^(٧)، وتعظيم الصحابة، وإلا فلو تولّى - والعياذ بالله - رافضى يسبّ
الخلفاء والسابقين الأولين لقلب الإسلام.

٢٠٧/٤

-
- (١) م: .. محافظتى على الصلوات وحبّى ..
(هـ): ما بين النجمتين ساقط من (س)، (ب).
(٢) م: على هذين الشيئين.
(٣) م: .. الهاشمية لما ظهرت ..
(٤) م: فكانت الدولة ..
(٥) م: وذكرهم على بالبر والثناء خلفهم.

ولكن دخل فى غمار الدولة من كانوا لا يرضون باطنه، ومن كان لا يمكنهم دفعه، كما لم يمكن علياً قمع الأمراء الذين هم أكابر عسكره، كالأشعث بن قيس، والأشتر النخعى، وهاشم المرقال وأمثالهم. ودخل من أبناء المجوس، ومن فى قلبه غِلٌّ على الإسلام من أهل البدع والزنادقة، وتَّبِعَهُم المهدى بقتلهم^(١)، حتى اندفع بذلك شرٌّ كبير^(٢)، وكان من خيار خلفاء بنى العباس.

وكذلك الرشيد^(٣) كان فيه من تعظيم العلم والجهاد والدين، ما كانت به دولته من خيار دول بنى العباس، وكأنها كانت تمام سعادتهم، فلم ينتظم بعدها الأمر لهم، مع أن أحداً من العباسيين لم يستولوا على الأندلس، ولا على أكثر المغرب، وإنما غلب بعضهم على إفريقية مدة، ثم أخذت منهم.

بخلاف أولئك، فإنهم استولوا على جميع المملكة الإسلامية، وقهروا جميع أعداء الدين، وكانت جيوشهم جيشاً بالأندلس يفتحه، وجيشاً ببلاد الترك يقاتل القان الكبير^(٤)، وجيشاً ببلاد العبيد^(٥)، وجيشاً بأرض الروم، وكان الإسلام فى زيادة وقوة، عزيزاً فى جميع الأرض. وهذا تصديق ما أخبر به النبى صلى الله عليه وسلم حيث قال: «لا

(١) ن: يقتلهم.

(٢) م: كثير.

(٣) الرشيد: ساقطة من (س)، (ب).

(٤) م: الكثير.

(٥) م: العبد.

يزال هذا الدين عزيزاً ما تولى اثنا عشر خليفة كلهم من قریش^(١).
وهؤلاء الاثنا عشر خليفة هم المذكورون فى التوراة، حيث قال فى
بشارته بإسماعيل : «وسيلد اثنى عشر عظيماً».

ومن ظن أن هؤلاء الاثنى عشر هم الذين تعتقد الرافضة إمامتهم فهو
فى غاية الجهل ؛ فإن هؤلاء ليس فيهم من كان له سيف إلا على بن أبى
طالب^(٢)، ومع هذا فلم يتمكن فى خلافته من غزو الكفار، ولا فتح
مدينة، ولا قتل كافراً، بل كان المسلمون قد اشتغل بعضهم بقتال
بعض، حتى طمع فيهم الكفار بالشرق والشام، من المشركين وأهل
الكتاب، حتى يقال إنهم أخذوا بعض بلاد المسلمين^(٣)، وإن بعض
الكفار كان يُحمل إليه كلامٌ حتى يكفّ عن المسلمين، فأى عز للإسلام
فى هذا، والسيف يعمل فى المسلمين، وعدوهم قد طمع فيهم ونال
منهم !؟

وأما سائر الأئمة غير على، فلم يكن لأحدٍ منهم سيف، لا سيما
المنتظر، بل هو عند من يقول بإمامته : / إما خائف عاجز، وإما هارب^(٤)
مخففٍ من أكثر من أربعمئة سنة، وهو لم يهد ضالاً، ولا أمر بمعروف،
ولا نهى عن منكر، ولا نصر مظلوماً، ولا أفتى أحداً فى مسألة، ولا حكم

(١) سبق هذا الحديث قبل صفحات، وسبق فيها مضى ٥٣٣ / ٣.

(٢) المقصود هنا أن على بن أبى طالب رضي الله عنه كان هو الوحيد من الأئمة الاثنى عشر الذي

تولى الخلافة وكانت له رئاسة الدولة، والسلطة على جيوش المسلمين.

(٣) ن، م : الإسلام. (٤) م : أو هارب ..

فى قضية، ولا يُعرف له وجود، فأى فائدة حصلت من هذا لو كان موجودا، فضلا عن أن يكون الإسلام به عزيزا ؟!

ثم إن النبى صلى الله عليه وسلم أخبر أن الإسلام لا يزال عزيزا*، ولا يزال أمر هذه الأمة مستقيما^(١) حتى يتولى اثنا عشر خليفة، [فلو كان المراد بهم هؤلاء الاثنا عشر]^(٢) وآخرهم المنتظر، وهو موجود الآن إلى أن يظهر عندهم، كان^(٣) الإسلام لم يزل عزيزاً فى الدولتين الأموية والعباسية، وكان عزيزا وقد خرج الكفار بالشرق والمغرب، وفعلوا بالمسلمين ما يطول وصفه، وكان الإسلام لا يزال عزيزا إلى اليوم - وهذا خلاف ما دلّ عليه الحديث.

وأيضاً فالإسلام عند الإمامية هو ما هم عليه، وهم أذلّ فرق الأمة، فليس فى أهل الأهواء أذلّ من الرافضة، ولا أكتّم لقوله منهم، ولا أكثر استعمالاً للتقية^(٤) منهم، وهم - على زعمهم - شيعة الاثنى عشر، وهم فى غاية الذل، فأى عز للإسلام بهؤلاء الاثنى عشر على زعمهم ؟!

وكثير من اليهود إذا أسلم يتشيع، لأنه رأى فى التوراة ذكر الاثنى عشر، *فظن أن هؤلاء هم أولئك، وليس الأمر كذلك، بل الاثنا عشر هم* الذين وُلّوا على الأمة من قريش ولاية عامة، فكان الإسلام فى زمنهم عزيزا، وهذا معروف.

(هـ) : ما بين النجمتين ساقط من (ن)، (س)، (ب).

(١) مستقيماً: ساقطة من (س)، (ب). (٢) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن)، (س)، (ب).

(٣) م: أن؛ ب: أكان (٤) س: للنفقة، وهو تحريف؛ ب: للنفاق.

(هـ) : ما بين النجمتين ساقط من (س)، (ب).

وقد تأوّل ابن هبيرة^(١) الحديث على أن المراد أن قوانين المملكة باثني عشر، مثل الوزير والقاضي ونحو ذلك. وهذا ليس بشيء، بل الحديث على ظاهره لا يحتاج إلى تكلف.

وآخرون قالوا فيه مقالة ضعيفة، كأبي الفرج بن الجوزي وغيره. ومنهم من قال: لا أفهم معناه كأبي بكر بن العربي.

وأما مروان وابن الزبير فلم يكن لواحد^(٢) منهما ولاية عامة، بل كان زمنه زمن فتنة، لم يحصل فيها من عز الإسلام وجهاد أعدائه ما يتناوله الحديث.

ولهذا جعل طائفة / من الناس خلافة عليّ من هذا الباب. وقالوا: ٢٠٨/٤ لم تثبت بنص ولا إجماع. وقد أنكر الإمام أحمد وغيره على هؤلاء، وقالوا: «من لم يرتع بعليّ في الخلافة فهو أضل من حمار أهله». واستدلّ على ثبوت خلافته بحديث سفينة عن النبي صلى الله عليه وسلم. قال: «تكون خلافة النبوة ثلاثين سنة ثم تكون ملكا». فقل للراوى: إن بنى أمية يقولون: إن علياً لم يكن خليفة. فقال: كذبت أستاذه بنى الزرقاء^(٣) والكلام على هذه المسألة لبسطه موضع آخر.

(١) سمي بابن هبيرة عدة أشخاص، ولكنى أرجح أن الذي يقصده ابن تيمية هو ابن هبيرة الوزير وهو يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيباني، أبو المظفر، عون الدين، من كبار الوزراء في الدولة العباسية، عالم بالفقه والأدب، ولد سنة ٤٩٩ وتوفي سنة ٥٦٠، كان ابن الجوزي من تلاميذه وجمع ما استفاده منه في كتاب. انظر ترجمته في: وفيات الأعيان ٢٧٤/٥ - ٢٨٧؛ شذرات الذهب ١٩١/٤ - ١٩٧؛ الأعلام ٢٢٢/٩.

(٢) س، ب: لأحد..

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥١٥/١، ٥٣٧.

والمقصود هنا أن الحديث الذي فيه ذكر الاثنى عشر خليفة، سواء قُدِّرَ أن علياً دخل فيه، أو قُدِّرَ أنه لم يدخل، فالمراد بهم من تقدّم من الخلفاء من قریش، وعلى أحق الناس بالخلافة في زمنه بلا ريب عند أحد من العلماء.

فصل

إذ تبين هذا، فما ذكره من فضائله، التي هي عند الله فضائل، فهي حق. لكن للثلاثة ما هو أكمل منها.

وأما ما ذكره من الفضيلة بالقرابة، فعنه أجوبة:

ما ذكره من
الفضيلة بالقرابة
عنه أجوبة
الأول

أحدها: أن هذا ليس هو عند الله فضيلة، فلا عبرة به؛ فإن العباس أقرب منه نسباً، وحمزة من السابقين الأولين من المهاجرين، وقد روى أنه «سيد الشهداء»^(١)، وهو أقرب نسباً منه.

وللنبي صلى الله عليه وسلم من بنى العمّ عدد كثير، كجعفر، وعقيل، وعبد الله^(٢)، وعبيد الله، والفضل، وغيرهم من بنى العباس. وكربيعه، وأبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب.

(١) ذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٦٨/٩ عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب». قال الهيثمي: «رواه الطبراني وفيه علي بن الحزور وهو متروك». ثم قال الهيثمي: «وعن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر ونهاه فقتله». قال الهيثمي: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه ضعف».

(٢) ن، م: وكعبد الله.

وليس هؤلاء أفضل من أهل بدر، ولا من أهل بيعة الرضوان، ولا من السابقين الأولين، إلا من تقدّم بسابقته، كحمزة وجعفر؛ فإن هذين - رضى الله عنهما - من السابقين الأولين. وكذلك عبيدة بن الحارث الذى استشهد يوم بدر.

وحينئذ فما ذكره من فضائل فاطمة والحسن والحسين لا حجة فيه، مع أن هؤلاء لهم من الفضائل الصحيحة ما لم يذكره هذا المصنّف، ولكن ذكر ما هو كذب، كالحديث الذى رواه أخطب^(١) خوارزم: أنه لما تزوج علىّ بفاطمة زوجة الله إياها من فوق سبع سموات، وكان الخاطب جبريل، وكان إسرافيل وميكائيل فى سبعين ألفا من الملائكة شهوداً. وهذا الحديث كذب موضوع باتفاق أهل المعرفة بالحديث. وكذلك الحديث الذى ذكره عن حذيفة.

الثانى: أن يُقال: إن كان إيمان الأقارب فضيلة، فأبو بكر متقدّم فى هذه الفضيلة. فإن أباه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم باتفاق الناس، وأبوطالب لم يؤمن. وكذلك أمّه آمنت بالنبي صلى الله عليه وسلم، وأولاده، وأولاد أولاده. وليس هذا لأحد من الصحابة غيره. فليس فى أقارب أبى بكر - ذرية أبى قحافة - لا من الرجال ولا من النساء إلا من قد آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وقد تزوّج النبي صلى الله عليه وسلم بنته، وكانت أحبّ أزواجه إليه. وهذا أمر لم يشركه فيه أحد من الصحابة إلا عمر، ولكن لم تكن حفصة

(١) م: خطيب.

ابنته بمنزلة عائشة، بل حفصة طلقها ثم راجعها، وعائشة كان يقسم لها
ليلتين، لما وهبتها سودة / ليلتها. ص ٣٥٩

ومصاهرة أبي بكر للنبي صلى الله عليه وسلم كانت على وجه لا
يشاركه فيه أحد، وأما مصاهرة عليّ فقد شاركه فيها عثمان، وزوجه النبي
صلى الله عليه وسلم بنتاً بعد بنت، وقال: «لو كان عندنا ثلاثة لزوجناها
عثمان» ولهذا سُمّي ذو النورين، لأنه تزوّج بنتي نبيّ. وقد شاركه في ذلك
أبو العاص بن الربيع: زوجه النبي صلى الله عليه وسلم أكبر بناته زينب،
وحمد مصاهرته، وأراد أن يتشبه به عليّ في حكم المصاهرة، لما أراد
عليّ أن يتزوج بنت أبي جهل، فذكر «صهره هذا. قال: «حدّثني
فصدقني، ووعدني فوفى لي»^(١).

وأسلمت زينب قبل إسلامه بمدة، وتأيّمت عليه، حتى أعادها إليه
النبي صلى الله عليه وسلم. قيل: أعادها بالنكاح الأول. وقيل: بل جدّد
لها نكاحاً. والصحيح أنه أعادها بالنكاح الأول. هذا الذي ثبتته أئمة
الحديث، كأحمد وغيره.

وقد تنازع الناس في مثل هذه المسألة: إذا أسلمت الزوجة^(٢) قبل
زوجها، على أقوال مذكورة في غير هذا الموضع^(٣).

(١) س، ب: فذكره، وهو خطأ.

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٦٧/٤.

(٣) م: المرأة.

(٤) س، ب: الموضع، والله أعلم.

/ باب

٢٠٩ / ٤

الفصل الرابع
من : منهج
الكرامة في إمامة
باقي الأئمة
الاثنى عشر قال
الرافضي : لنا في
ذلك طرق :
أحدها : النص

قال^(١) الرافضي^(٢) : «الفصل الرابع في إمامة باقي الأئمة الاثنى عشر^(٣). لنا في ذلك طرق : أحدها : النص. وقد توارثته الشيعة^(٤) في البلاد المتباعدة، خلفاً عن سلف، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للحسين^(٥) : «هذا إمام^(٦) ابن إمام أخو إمام، أبو أئمة تسعة، تاسعهم قائمهم، اسمه كاسمي^(٧)، وكنيته كنيتي، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً، كما ملئت جوراً وظلماً».

الجواب من
وجه
الوجه الأول

والجواب من وجوه: أحدها : أن يقال : أولاً : هذا كذب على الشيعة؛ فإن هذا لا ينقله إلا طائفة^(٨) من طوائف الشيعة، وسائر طوائف الشيعة تكذب هذا. والزيدية بأسرها تكذب هذا^(٩)، وهم أعقل الشيعة وأعلمهم وخيارهم. والإسماعيلية كلهم يكذبون بهذا، وسائر فرق الشيعة تكذب بهذا، إلا الاثنى عشرية، وهم فرقة من نحو سبعين فرقة من طوائف الشيعة.

(١) م : قول.

(٢) في هامش (م) أمام هذا الموضع كتب : «قف : في الرد على الشيعة في دعواهم الاثنى عشر الأئمة». والكلام التالي في (ك) ص ١٩٣ (م).

(٣) ك : الاثنى عشر عليهم السلام.

(٤) ك : وقد توارثت به الشيعة.

(٥) ك : عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال للحسين عليه السلام.

(٦) ك : هذا ابني إمام...

(٧) ك : اسمه اسمي.

(٨) م : بهذا.

(٩) س، ب : طوائف.

وبالجملة فالشيعة فرق متعددة جداً، وفرقهم الكبار أكثر من عشرين
فرقة، كلهم تكذب هذا^(١) إلا فرقة واحدة، فأين تواتر الشيعة ؟
الثاني : أن يقال : هذا معارض بما نقله غير الاثنى عشرية من الشيعة
من نص آخر يناقض هذا، كالقائلين بإمامة غير الاثنى عشر، وبما نقله
الراوندية أيضاً؛ فإن كلا من هؤلاء يدعى من النص [غير]^(٢) ما تدعيه
الاثنى عشرية.

الوجه الثاني

الثالث : أن يقال : علماء الشيعة المتقدمون ليس فيهم من نقل هذا
النص، ولا ذكره في كتاب، ولا احتج به في خطاب. وأخبارهم مشهورة
متواترة، فعلم أن هذا من اختلاق المتأخرين، وإنما اختلق^(٣) هذا لما
مات الحسن بن عليّ العسكري، وقيل : إن ابنه محمداً غائب، فحينئذ
ظهر هذا النص، بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم بأكثر من مائتين
 وخمسين سنة.

الوجه الثالث

الرابع : أن يقال : أهل السنة وعلمائهم أضعاف أضعاف الشيعة،
كلهم يعلمون أن هذا كذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم علماً
يقينياً لا يخالطه الريب، ويباهلون الشيعة على ذلك، كعوام الشيعة مع
عليّ. فإن ادّعى علماء الشيعة أنهم يعلمون تواتر هذا، لم يكن هذا
أقرب من دعوى علماء السنة بكذب هذا.

الوجه الرابع

(١) م : بهذا.

(٢) غير : ساقطة من (ن)، (م)، (س).

(٣) م : اختلقوا.

الوجه الخامس

الخامس : أن يقال : إن من شرط التواتر حصول من يقع به العلم من الطرفين والوسط . وقبل موت الحسن بن عليّ العسكري لم يكن أحد يقول بإمامة هذا المنتظر ، ولا عُرف من زمن عليّ ودولة بني أمية أحد ادّعى إمامة^(١) الاثني عشر وهذا القائم . وإنما كان المدّعون يدّعون النصّ عليّ عليّ ، أو عليّ ناسٍ بعده . وأما دعوى النصّ على الاثني عشر وهذا القائم فلا يُعرف أحد قاله متقدماً ، فضلاً عن أن يكون نقله متقدماً .

الوجه السادس

السادس : أن الصحابة لم يكن فيهم أحد رافضيّ أصلاً ، وإن ادّعى مدّعٍ عليّ عدد قليل منهم أنهم كانوا رافضة فقد كذب عليهم . ومع هذا فأولئك لا يثبت بهم التواتر ، لأن العدد القليل المتفقين على مذهب يمكن عليهم التواطؤ على الكذب . والرافضة تجوّز الكذب على جمهور الصحابة^(٢) فكيف لا يجوز عليّ من نقل هذا النصّ - مع قلتهم - إن كان نقله أحد منهم ؟ وإذا لم يكن في الصحابة من تواتر به هذا النقل انقطع التواتر من أوله .

الوجه السابع

السابع : أن الرافضة يقولون : إن الصحابة ارتدّوا عن الإسلام بجحد النصّ إلا عدداً قليلاً^(٣) نحو العشرة ، أو أقل أو أكثر ، مثل عمّار ، وسلمان ، وأبي ذر ، والمقداد . ومعلوم أن أولئك الجمهور لم ينقلوا هذا النصّ ، فإنهم قد كتموه - عندهم - فلا يمكنهم أن يضيفوا نقله إلى هذه

(١) ن ، م ، س : أئمة . والصواب هو المثبت من (ب) .

(٢) م : على الجمهور والصحابة .

(٣) ن ، س ، ب : على عدد قليل . وفي (م) : إلا عدد قليل ، وهو خطأ .

الطائفة . وهؤلاء كانوا - عندهم - مجتمعين على موالاة عليّ ، متواطئين على ذلك .

وحينئذ فالطائفة القليلة التي يمكن تواطؤها على النقل لا يحصل بنقلها^(١) تواتر ، لجواز اجتماعهم على الكذب . فإذا كانت الرافضة تجوز على جماهير الصحابة - مع كثرتهم - الارتداد عن الإسلام ، وكتمان ما يتعذر في العادة التواطؤ على كتمانها ، فلأن يجوز على قليل منهم تعمّد الكذب^(٢) / بطريق الأولى والأحرى . ٢١٠ / ٤

وهم يصّرّون بكذب الصحابة إذا نقلوا ما يخالف هواهم^(٣) ، فكيف يمكنهم مع ذلك تصديقهم / في مثل هذا ، إذا كان الناقلون [له]^(٤) ممن له هوى ؟ ٣٥٩ ظ

ومعلوم أن شيعة عليّ لهم هوى في نصره ، فكيف يصدّقون في نقل النصّ عليه ، هذا مع أن العقلاء وأهل العلم بالنقل يعلمون أنه ليس في فرق المسلمين أكثر تعمداً للكذب وتكديباً للحق من الشيعة ؟ بخلاف غيرهم ؛ فإن الخوارج^(٥) - وإن كانوا مارقين - فهم يصدقون ، لا يتعمّدون الكذب ، وكذلك المعتزلة يتدينون بالصدق . وأما الشيعة فالكذب عليهم غالب من حين ظهوروا .

(١) س ، ب : لا يحصل بها . . .

(٢) ن : تعمداً للكذب .

(٣) عبارة «إذا نقلوا ما يخالف هواهم» : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٤) له : ساقطة من (ن) ، (م) .

(٥) س ، ب : بخلاف غيرهم من الخوارج . . .

الوجه الثامن

الوجه الثامن : أن يقال : قد علم أهل العلم أن أول ما ظهرت الشيعة الإمامية المدّعية للنص في أواخر أيام الخلفاء الراشدين . وافترى ذلك عبد الله بن سبأ وطائفته الكذّابون ، فلم يكونوا موجودين قبل ذلك . فأى تواتر لهم ؟!

الوجه التاسع

التاسع : أن الأحاديث التي نقلها الصحابة في فضائل أبي بكر وعمر وعثمان أعظم تواتراً عند العامة والخاصة من نقل هذا النص . فإن جاز أن يُقدح في نقل جماهير الصحابة لتلك الفضائل ، فالقدح في هذا أولى . وإن كان القدح في هذا متعذراً ففى تلك أولى . وإذا ثبتت فضائل الصحابة التي دلّت عليها تلك النصوص الكثيرة المتواترة ، امتنع اتفاقهم على مخالفة هذا النص ، فإن مخالفته - لو كان حقاً - من أعظم الإثم والعدوان .

الوجه العاشر

العاشر : أنه ليس أحد من الإمامية ينقل هذا النص بإسناد متصل ، فضلاً عن أن يكون متواتراً . وهذه الألفاظ (*) تحتاج إلى تكرير ، فإن لم يدرس ناقلوها عليها لم يحفظوها ، وأين العدد الكبير^(١) الذين حفظوا هذه الألفاظ* كمحفظ ألفاظ القرآن ، وحفظ التشهد والأذان ، جيلاً بعد جيل إلى الرسول ؟

ونحن إذا أدعينا التواتر في فضائل الصحابة : ندعى تارة التواتر من جهة المعنى ، كتواتر خلافة الخلفاء الأربعة ، ووقعة الجمل وصفين ،

(٥٥) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(١) س ، ب : الكثير .

وتزوّج النبي صلى الله عليه وسلم بعائشة وعلى بفاطمة، ونحو ذلك مما لا يحتاج فيه إلى نقل لفظ معين يحتاج إلى درس، وكتواتر ما للصحابة من السابقة والأعمال وغير ذلك. وتارة التواتر في نقل ألفاظ حفظها من يحصل العلم بنقله.

الوجه الحادى عشر أن المنقول بالنقل المتواتر عن أهل البيت^(١) يكذب مثل هذا النقل، وأنهم لم يكونوا يدعون أنهم^(٢) منصوص عليهم، بل يكذبون من يقول ذلك، فضلا عن أن يثبتوا النص على اثنى عشر.

الوجه الثانى عشر أن الذى ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم فى عدد الاثنى عشر مما أخرجاه فى الصحيحين عن جابر بن سمرة، قال: «دخلت مع أبى على النبي صلى الله عليه وسلم فسمعتة يقول: «لا يزال أمر الناس ماضيا ولهم اثنا عشر رجلا»، ثم تكلم النبي صلى الله عليه وسلم بكلمة خفيت عني، فسألت أبى: ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: قال: «كلهم من قريش» وفى لفظ: «لا يزال الإسلام»^(٣) عزيزا إلى اثنى عشر خليفة» ثم قال كلمة لم أفهمها، قلت لأبى: ما قال؟ قال: كلهم من قريش». وفى لفظ: «لا يزال هذا الأمر عزيزا إلى اثنى عشر خليفة»^(٤).

(١) م: أهل السنة.

(٢) ن، س، ب: أنه.

(٣) س، ب: لا يزال هذا الأمر.

(٤) سبق هذا الحديث بروايته فيها مضى ٥٣٣/٣ ت ٤.

والذى فى التوراة يصدق هذا. وهذا النص لا يجوز أن يراد به هؤلاء الاثنا عشر، لأنه قال: «لا يزال الإسلام عزيزاً»، و«لا يزال هذا الأمر عزيزاً»، و«لا يزال أمر الناس ماضياً» وهذا يدل على أنه يكون أمر الإسلام قائماً فى زمن ولايتهم، ولا يكون قائماً إذا انقضت ولايتهم. وعند [هؤلاء]^(١) الاثنى عشرية لم يقيم أمر الأمة فى مدة أحد من هؤلاء الاثنى عشر، بل ما زال أمر الأمة فاسداً منتقضا^(٢) يتولى عليهم الظالمون المعتدون، بل المنافقون الكافرون، وأهل الحق أذل من اليهود.

وأيضاً فإن عندهم ولاية المنتظر دائمة إلى آخر الدهر، وحينئذ فلا يبقى زمان يخلو عندهم من الاثنى عشر. وإذا كان كذلك لم يبق الزمان نوعين: نوع يقوم فيه أمر الأمة^(٣)، ونوع لا يقوم، بل هو قائم فى الأزمان كلها، وهو خلاف الحديث الصحيح.

وأيضاً فالأمر الذى لا يقوم بعد ذلك إلا إذا قام المهدي: إما المهدي الذى يقرب به أهل السنة، وإما مهدي الرافضة، ومدته قليلة لا ينتظم فيها أمر الأمة^(٤).

وأيضاً فإنه قال / فى الحديث: «كلهم من قريش» ولو كانوا مختصين ٢١١/٤ بعلى وأولاده لذكر ما يُمَيِّزون به. ألا ترى أنه لم يقل: كلهم من ولد

(١) هؤلاء: زيادة فى (م).

(٢) ن: منتقضا.

(٣) ن، م، س: يقوم فيه من الأمة. وهو تحريف، ويبين صواب ما أثبتته من (ب) العبارات التالية بعد قليل.

(٤) ن، م، س: لا ينتظم زمان الأمة.

إسماعيل، ولا من العرب، وإن كانوا كذلك، لأنه قصد القبيلة التي يمتازون بها ؟ فلو امتازوا بكونهم من بنى هاشم، أو من قبيل عليّ مع عليّ لذكروا بذلك، فلما جعلهم من قريش مطلقاً، عُلِمَ أنهم من قريش، بل لا يختصون بقبيلة، بل بنو تيم^(١)، وبنو عدي، وبنو عبد شمس، وبنو هاشم، فإن الخلفاء الراشدين كانوا من هذه القبائل.

فصل

وأما الحديث الذي رواه^(٢): عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم^(٣): «يخرج في آخر الزمان رجلٌ من ولدي اسمه كاسمى^(٤)»، وكنيته كنيته، يملأ الأرض / عدلاً^(٥) كما ملئت جوراً، وذلك^(٦) هو المهدي^(٧).

حديث المهدي
كما يرويه
الرافضي

فالجواب: أن الأحاديث التي يحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة، رواها أبوداود والترمذي وأحمد وغيرهم، من حديث ابن مسعود وغيره.

الجواب من
وجوه
الوجه الأول

(١) م: بنو تميم، وهو تحريف.

(٢) أي ابن المطهر في (ك) ص ١٩٣ والكلام التالي فيه بعض اختلاف عن (ك) كما سنذكر إن شاء الله.

(٣) ك: وقد روى ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله..

(٤) ك: اسمه اسمي. (٥) ك: قسطاً وعدلاً.

(٦) ن، م، س: وكذلك، وهو تحريف؛ ك: فذلك.

(٧) ك: المهدي عليه الصلاة والسلام. ورواه ابن الجوزي الحنبلي عن أبي داود وصحيح الترمذي..

كقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي رواه ابن مسعود: « [لو]^(١) لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول الله ذلك اليوم، حتى يخرج فيه رجل مني، أو من أهل بيتي، يواطىء اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً». ورواه الترمذى وأبو داود من رواية أم سلمة^(٢).

وأيضاً فيه: «المهدى من عترتي من ولد فاطمة»^(٣). ورواه أبو داود من طريق أبي سعيد، وفيه: «يملك الأرض سبع سنين»^(٤).

ورواه عن علي رضي الله عنه أنه نظر إلى الحسن وقال: «إن ابني هذا سيد، كما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسيخرج من صلبه رجل يُسمّى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق، يملأ الأرض قسطاً»^(٥).

-
- (١) لو: ساقطة من (ن). (٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٩٥/٤.
- (٣) الحديث عن أم سلمة رضي الله عنها في: سنن أبي داود ١٥١/٤ (كتاب المهدي، الباب الأول) الحديث رقم ٤٢٨٤. ورواه ابن ماجة مختصراً بلفظ: «المهدي من ولد فاطمة» في سننه: ١٣٦٨/٢ (كتاب الفتن، باب خروج المهدي). وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» ١٠٨/١ وقال إن الحاكم أخرجه ٥٥٧/٤... الخ.
- (٤) الحديث عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في: سنن أبي داود ١٥٢/٤ (كتاب المهدي، الباب الأول) ونصه فيه: «المهدي مني أجل الجبهة، أفنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً وظلماً، ويملك سبع سنين». وحسن الألباني الحديث في «صحيح الجامع الصغير» ٢٢/٦-٢٣، وفي «مشكاة المصابيح» للتبريزي ٢٤/٣ (ت ١٠).
- (٥) الحديث - مع اختلاف يسير في الألفاظ - عن شعيب بن خالد عن أبي إسحاق في: سنن أبي داود ١٥٣/٤ (الموضع السابق). وقال المحقق رحمه الله: «هذا الحديث منقطع. أبو إسحاق السبيعي رأى علياً رضي الله عنه رؤية، ولم تثبت له رواية عنه».

وهذه الأحاديث غلط فيها طوائف: طائفة أنكروها، واحتجوا^(١) بحديث ابن ماجه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا مهدي إلا عيسى بن مريم» وهذا الحديث ضعيف، وقد اعتمد أبو محمد بن الوليد البيهقي وغيره عليه وليس مما يعتمد عليه، ورواه ابن ماجه عن يونس عن الشافعي، والشافعي رواه عن رجل من أهل اليمن، يُقال له: محمد بن خالد الجندی، وهو ممن لا يحتج به^(٢). وليس هذا في مسند الشافعي، وقد قيل: إن الشافعي لم يسمعه من الجندی، وأن يونس لم يسمعه من الشافعي.

الثاني: أن الاثنى عشرية الذين ادّعوا أن هذا هو مهديهم، مهديهم اسمه محمد بن الحسن. والمهدي المنعوت^(٣) الذي وصفه النبي صلى

الوجه الثاني

(١) ن، م، س: واحتجت.

(٢) الحديث في: سنن ابن ماجه ١٣٤٠/٢ - ١٣٤١ (كتاب الفتن، باب شدة الزمان) ونصه فيه: حدثنا يونس بن عبد الأعلى. حدثنا محمد بن إدريس الشافعي. حدثني محمد بن خالد الجندی عن أبان بن صالح، عن الحسن، عن أنس بن مالك؛ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يزداد الأمر إلا شدة، ولا الدنيا إلا إدباراً، ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس، ولا المهدي إلا عيسى بن مريم». وتكلم المحقق رحمه الله على الحديث بما يفيد تصحيحه، وخالفه الألباني في «سلسلة الأحاديث الضعيفة» (رقم ٧٧) ١٠٣/١ - ١٠٥ وقال إنه حديث منكر وإن الحاكم أخرجه ٤٤١/٤ وابن عبد البر في «جامع بيان العلم» ١٥٥/١، وذكر أن محمد بن خالد الجندی مجهول كما قال الحافظ (ابن حجر) في «التقريب» وأن الذهبي قال في «الميزان» إنه خبر منكر ثم قال: «وقال الصغاني: موضوع كما في «الأحاديث الموضوعة» للشوكاني (ص ١٩٥) ونقل السيوطي في «العرف الوردی» في أخبار المهدي ٢٧٤/٢ من الحاوي عن القرطبي أنه قال في «التذكرة»: إسناد ضعيف.... وقد أشار الحافظ في «الفتح»... إلى رد هذا الحديث لمخالفته لأحاديث المهدي».

(٣) ن، م، س: المبعوث، وهو تحريف.

الله عليه وسلم اسمه محمد بن عبدالله . ولهذا حذفت طائفة ذكر الأب من لفظ الرسول^(١) حتى لا يناقض ما كذبت . وطائفة حرّفته ، فقالت : جده الحسين ، وكنيته أبو عبدالله ، فمعناه محمد بن أبي عبدالله ، وجعلت الكنية اسماً .

وممن سلك هذا ابن طلحة في كتابه الذي سمّاه «غاية السؤل في مناقب الرسول»^(٢) ، ومن له أدنى نظر يعرف أن هذا تحريف صريح^(٣) وكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهل يفهم أحد من قوله : «يواطىء اسمه اسمى واسم أبيه اسم أبى» إلا أن اسم أبيه عبدالله ؟ وهل يدل هذا اللفظ على أن جدّه كنيته أبو عبدالله ؟

ثم أى تمييز يحصل له بهذا ؟ فكم من ولد الحسين من اسمه محمد ، وكل هؤلاء يُقال في أجدادهم : محمد بن أبى عبدالله كما قيل فى هذا ؟ وكيف يعدل من يريد البيان إلى من اسمه محمد بن الحسن ، فيقول : اسمه محمد بن عبدالله ويعنى بذلك أن جده أبو عبدالله ؟ وهذا كان تعريفه^(٤) بأنه محمد بن الحسن ، أو ابن أبى الحسن ، لأن

(١) س : حذفت طائفة ذكر الأب من لفظ الأب ؛ ب : حذفت طائفة لفظ الأب .

(٢) هو أبو سالم محمد بن طلحة بن محمد بن الحسن ، القرشى النصيبى (من قرى نصيبين) العسوى الشافعى ، ولد سنة ٥٨٢ وتوفى سنة ٦٥٢ ، وزير من الأدباء الكتاب ، ولى الوزارة بدمشق ثم تركها وتزهد . انظر ترجمته في : شذرات الذهب ٢٥٩/٥ - ٢٦٠ ؛ طبقات الشافعية ٦٣/٨ ؛ الأعلام ٤٥/٧ (وذكر الزركلى الكتاب واسمه : مطالب السؤل في مناقب آل الرسول ، وقال إنه مخطوط) .

(٣) س ، ب : صحيح ، وهو تحريف .

(٤) م : يعرفه .

جده علي كنيته أبو الحسن - أحسن من هذا، وأبين لمن يريد الهدى والبيان.

وأيضاً فإن المهدي المنعوت^(١) من ولد الحسن بن علي، لا من ولد الحسين، كما تقدّم لفظ حديث علي.

الوجه الثالث

الثالث: أن طوائف ادّعى^(٢) كل منهم أن المهدي المبشر به مثل مهدي القرامطة الباطنية، الذي أقام دعوتهم بالمغرب، وهم من ولد ميمون القدّاح، وادّعوا أن ميمونا هذا هو^(٣) من ولد محمد بن إسماعيل، وإلى ذلك انتسب الإسماعيلية، وهم ملاحدة في الباطن، خارجون عن جميع الملل، أكفر من / الغالية كالنصيرية، ومذهبهم مركّب من مذهب المجوس والصابئة والفلاسفة، مع إظهار التشيع، وجدهم رجل يهودي كان ريبياً لرجل مجوسي، وقد كانت لهم دولة وأتباع.

٢١٢/٤

وقد صنّف العلماء كتباً في كشف أسرارهم وهتك أستارهم، مثل كتاب القاضي أبي بكر الباقلاني، والقاضي عبد الجبار الهمداني، وكتاب الغزالي، ونحوهم.

وممن ادّعى أنه المهدي ابن التومرت، الذي خرج أيضاً بالمغرب، وسمّى أصحابه الموحّدين، وكان يقال له في خطبهم: «الإمام المعصوم». و«المهدي المعلوم» الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، كما ملئت جوراً

(١) ن، م، س: المبعوث، وهو تحريف.

(٢) م: ادعت.

(٣) هو: ساقطة من (س)، (ب).

وظلما. وهذا ادّعى أنه من ولد الحسن دون الحسين؛ فإنه لم يكن رافضيا، وكان له من الخبرة بالحديث ما ادّعى به دعوى تطابق الحديث. وقد عُلم بالاضطرار أنه ليس هو الذى ذكره النبى صلى الله عليه وسلم. ومثل عدّة آخرين ادّعوا ذلك: منهم من قُتل^(١)، ومنهم من ادّعى ذلك فيه أصحابه، وهؤلاء كثيرون لا يحصى عددهم إلا الله، وربما حصل بأحدهم نفع لقوم، وإن حصل به ضرر لآخرين، كما حصل بمهدى المغرب: انتفع به طوائف، وتضرّر به طوائف^(٢)، وكان فيه ما يُحمد وإن كان^(٣) فيه ما يذم.

وبكل حال فهو وأمثاله خير من مهدى الرافضة، الذى ليس له عين ولا أثر، ولا يُعرف له حسٌّ ولا خبر، لم ينتفع به أحدٌ لا فى الدنيا ولا فى الدين، بل حصل باعتقاد وجوده من الشرّ والفساد، ما لا يحصيه إلا رب العباد.

وأعرف فى زماننا غير واحد من المشايخ، الذين فيهم زهد وعبادة، يظن كلُّ منهم أنه المهدى، وربما يخاطب أحدهم بذلك مرات متعددة، ويكون المخاطب له بذلك الشيطان، وهو يظن أنه خطاب من قِبَل الله. ويكون أحدهم اسمه أحمد بن إبراهيم، فيقال له: محمد وأحمد سواء،

(١) ن، س، ب: منهم من قبل. والكلمة غير منقوطة فى (م). ورجحت أن يكون الصواب ما أثبتته.

(٢) س: وانتصر به طوائف؛ ب: وانتصر به طوائف. والمثبت من (ن). وسقطت العبارة من (م).

(٣) ب: وكان.

وإبراهيم الخليل هو جد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبوك إبراهيم،
فقد واطاً اسمك اسمه، واسم أبيك اسم أبيه.

ومع هذا فهؤلاء، مع ما وقع لهم من الجهل والغلط، كانوا خيراً من
منتظر الرفض، ويحصل بهم^(١) من النفع ما لا يحصل بمنتظر /
الرفض، ولم يحصل بهم من الضرر ما حصل بمنتظر الرفض، بل ما
حصل بمنتظر الرفض من الضرر أكثر منه^(٢).

ظ ٣٦٠

فصل

قال الرفض^(٣) : «الثاني : أنا» قد بينا أنه يجب في كل زمان إمام
معصوم، ولا معصوم غير هؤلاء إجماعاً^(٤).
والجواب من وجوه أحدها : منع^(٥) المقدمة الأولى كما تقدم.
والثاني : منع طوائف لهم المقدمة الثانية^(٦).

كلام الرفض
على الطريق
الثاني في إثبات
إمامة الأئمة
الأثنى عشر

الرد عليه من
وجوه
الوجه الأول
الوجه الثاني

(١) ن، م، س : به، وهو خطأ.

(٢) ن : ولم يحصل بهم من الضرر إلا ما حصل بمنتظر الرفض أكثر منه ؛ م : لم يحصل لهم من
الضرر إلا ما حصل بمنتظر الرفض أكثر منه ؛ س : ولم يحصل بهم من الضرر إلا ما حصل
بمنتظر الرفض، بل ما حصل بمنتظر الرفض من الضرر أكثر منه . والصواب ما أثبتته من
(ب).

(٣) في (ك) ص ١٩٣ (م).

(٤) ك : أنه.

(٥) ك : هؤلاء عليهم السلام إجماعاً. (٦) ن، س : نمنع ؛ ب : نمنع.

(٧) المعنى هنا أن طوائف من الشيعة تنكر قول الاثنى عشرية ويقول إن هناك أئمة معصومين
غير الأئمة الاثنى عشر.

الثالث^(١): أن هذا المعصوم الذى يدعونه فى وقتٍ ما له مذوُلد عندهم أكثر من^(٢) أربعمئة وخمسين سنة؛ فإنه دخل السرداب عندهم سنة ستين ومائتين، وله خمس سنين عند بعضهم، وأقل من ذلك عند آخرين^(٣)، ولم يظهر عنه شيء مما يفعله أقل الناس تأثيراً^(٤)، مما يفعله آحاد الولاة والقضاة والعلماء، فضلاً عما يفعله الإمام المعصوم. فأى منفعة للوجود^(٥) فى مثل هذا لو كان موجوداً؟ فكيف إذا كان معدوماً؟! والذين آمنوا بهذا المعصوم. أى لطف وأى منفعة^(٦) حصلت لهم به نفسه فى دينهم أو دنياهم؟!؟

وهل هذا إلا أفسد مما يدعيه كثير من العامة فى القطب والغوث ونحو ذلك من أسماء يعظمون مسماها، ويدعون فى مسماها^(٧) ما هو أعظم من رتبة^(٨) النبوة، من غير تعيين لشخص معين يمكن أن يُنتفع به الانتفاع المذكور فى مسمى هذه الأسماء.

(١) فى جميع النسخ: الثانى القول بالموجب، الثالث... إلخ. وسبق الوجه الثانى، وماذكر فى النسخ لا معنى له، ولعل فى الكلام نقصاً أو تحريفاً، ورأيت أن حذفه أولى.

(٢) ن، س: له قد ولد عندهم أكثر من، وهو تحريف؛ ب: قد ولد عندهم لأكثر من. والمثبت من (م) وهو الصواب.

(٣) ن، م، س: وعند بعضهم أقل من ذلك عند آخرين. والصواب ما أثبتته من (ب).

(٤) ن: تأييراً؛ س، ب: تأميراً.

(٥) للوجود: ساقطة من (م).

(٦) م: مصلحة.

(٧) عبارة: «ويدعون فى مسماها»: ساقطة من (س)، (ب).

(٨) ن: رتبة، وهو تحريف.

وكما يدعى كثير منهم حياة الخضر، مع أنهم لم يستفيدوا بهذه الدعوى منفعة: لا فى دينهم ولا فى دنياهم.

وإنما غاية من يدعى ذلك أنه يدعى جريان بعض ما يُقدَّرُه^(١) الله على يدئ^(٢) مثل هؤلاء. وهذا مع أنه^(٣) لا حاجة لهم^(٤) به، فلا حاجة بهم^(٥) إلى معرفته، ولم ينتفعوا بذلك لو كان حقاً، فكيف إذا كان ما يدعونه باطلاً؟! ومن هؤلاء من يتمثل له الجنى فى صورة، ويقول: أنا الخضر، ويكون كاذباً. وكذلك الذين يذكرون رجال الغيب / ورؤيتهم إنما رأوا الجن، وهم رجال غائبون، وقد يظنون أنهم إنس. وهذا قد بيناه فى مواضع تطول حكايتها مما تواتر عندنا.

٢١٣/٤

وهذا الذى تدعيه الرافضة إما مفقود عندهم، وإما معدوم عند العقلاء. وعلى التقديرين فلا منفعة لأحد به، لا فى دين ولا [فى] دنيا^(٦). فمن علق دينه بالمجهولات التى لا يُعلم ثبوتها^(٧) كان ضالاً فى دينه، لأن ما علق به دينه لم يُعلم صحته، ولم يحصل له به منفعة، فهل يفعل مثل هذا إلا جاهل!؟

لكن الذين يعتقدون حياة الخضر لا يقولون: إنه يجب على الناس طاعته، مع أن الخضر كان حياً موجوداً.

(١) ن، س، ب: ما يقدر. (٢) م: على يد.

(٣) س، ب: أنهم.

(٤-٤) : ساقط من (س)، (ب).

(٥) ن: ولا دنيا.

(٦) س، ب: موتها، وهو تحريف؛ ن، م: الكلمة غير منقوطة. وأحسب أن الصواب ما أثبت.

فصل

قال الرافضى^(١) : «الثالث : الفضائل التى اشتمل كل واحد منهم عليها الموجبة لكونه إماما» .

والجواب من وجوه : أحدها : أن تلك الفضائل غايتها أن يكون صاحبها أهلاً أن تُعقد^(٢) له الإمامة ، لكنه لا يصير إماما بمجرد كونه أهلاً ، كما أنه لا يصير الرجل قاضيا بمجرد كونه أهلاً لذلك .

الثانى : أن أهلية الإمامة ثابتة لآخرين من قريش كشبوتها لهؤلاء ، وهم أهل أن يتولوا الإمامة ، فلا موجب للتخصيص ، ولم يصيروا بذلك أئمة .

الثالث : أن الثانى عشر منهم معدوم عند جمهور العقلاء ، فامتنع أن يكون إماما .

الرابع : أن العسكريين ونحوهما من طبقة أمثالهما لم يُعلم لهما تبريز فى علم أو دين ، كما عرف لعلّى بن الحسين ، وأبى جعفر ، وجعفر بن محمد .

(١) فى (ك) ص ١٩٣ (م) .

(٢) م : أن تعتقد .

باب

قال الرافض^(١) : «الفصل الخامس : أن^(٢) من تقدّمه لم يكن إماماً . ويدل عليه وجوه^(٣)» .

الفصل الخامس
من كلام
الرافض : في أن
من تقدّمه لم يكن
إماماً
الرد عليه

قلت: والجواب: أنه إن أريد بذلك أنهم لم يتولّوا على المسلمين ، ولم يبايعهم المسلمون ، ولم يكن لهم سلطان يقيمون به الحدود^(٤) ، ويوفون به الحقوق ، ويجاهدون به العدو ، ويصلّون بالمسلمين الجمع والأعياد ، وغير ذلك مما هو داخل في معنى الإمامة - فهذا بُهت ومكابرة . فإن هذا أمر معلوم بالتواتر ، والرافضة وغيرهم يعلمون ذلك ، ولو لم يتولوا الإمامة لم تقدح فيهم الرافضة .

لكن هم يطلقون ثبوت الإمامة وانتفاءها ولا يفصلون^(٥) : هل المراد ثبوت نفس الإمامة ومباشرتها ؟ أو نفس استحقاق ولاية الإمامة ؟ ويطلقون لفظ «الإمام» على الثاني ، ويوهمون أنه يتناول النوعين .

(١) في (ك) ص ١٩٤ (م) . وفي هامش (ك) أمام هذا الموضع كتب ما يلي : «في بطلان إمامة الثلاثة» .

(٢) ك : في أن .

(٣) ك : ويدل عليه من وجوه .

(٤) م : الحد .

(٥) ن : ولا يفضلون ، وهو تحريف .

وإن أُريد بذلك أنهم لم يكونوا يصلحون للإمامة، وأن علياً كان يصلح لها دونهم، أو أنه كان أصلح لها منهم - فهذا كذب، وهو مورد النزاع.

ونحن نجيب في ذلك جواباً عاماً كلياً، ثم نجيب بالتفصيل. أما الجواب العام الكلّي، فنقول: نحن عالمون بكونهم أئمة صالحين للإمامة علماً يقينياً قطعياً، وهذا لا يتنازع فيه اثنان من طوائف المسلمين غير الرافضة، بل أئمة الأمة وجمهورها يقولون: إننا نعلم أنهم كانوا أحق بالإمامة، بل يقولون: إننا نعلم أنهم كانوا أفضل الأمة. وهذا الذي نعلمه ونقطع به ونجزم به لا يمكن أن يُعارض بدليل قطعي ولا ظني. أما القطعي: فلأن القطعيات لا يتناقض موجبها ومقتضاها. وأما الظنّيات: فلأن الظنّي لا يُعارض القطعي.

وجملة ذلك / أن كل ما يورده القادح فلا يخلو عن أمرين: إما نقل^{٣٦١} لا نعلم صحته، أو لا نعلم دلالة على بطلان إمامتهم، وأى المقدمتين لم يكن معلوماً لم يصلح لمعارضته ما علم قطعاً. وإذا قام الدليل القطعي على ثبوت إمامتهم، لم يكن علينا أن نجيب عن الشبهة^(١) المفضلة، كما أن ما علمناه قطعاً لم يكن علينا أن نجيب عما يعارضه من شبهة السوفسطائية.

وليس لأحد أن يدفع ما علم يقيناً بالظن، سواء كان ناظراً أو مناظراً. بل إن تبين له وجه فساد الشبهة وبيّنه لغيره، كان ذلك زيادة علم ومعرفة

(١) ن، م، س: الستة، وهو تحريف.

وتأييد للحق^(١) فى النظر والمناظرة، وإن لم يتبين ذلك لم يكن له أن يدفع اليقين بالشك. وسنيين إن شاء الله تعالى الأدلة الكثيرة على استحقاقهم للإمامة، وأنهم كانوا أحقُّ بها من غيرهم^(٢).

/ فصل

٢١٤/٤

قال السرافضى
الأول قول أبى
بكر إن لى
شيطاناً
يعترينى...
الخ
الرد عليه من
وجوه
الوجه الأول

قال الرافضى^(٣) : الأول : «قول أبى بكر: إن لى شيطاناً يعترينى، فإن استقممت فأعينونى، وإن زغت فقومونى. ومن شأن الإمام تكميل الرعية، فكيف يُطلب منهم الكمال». **والجواب من وجوه:** أحدها: أن المأثور عنه أنه قال: «إن لى شيطاناً يعترينى» يعنى [عند]^(٤) الغضب «إذا عترانى فاجتنبونى لا أؤثر فى أشارككم^(٥)». وقال: «أطيعونى ما أطعت الله، فإذا عصيت الله فلا طاعة لى عليكم». وهذا الذى قاله أبو بكر رضى الله عنه من أعظم ما يُمدح به، كما سنيته إن شاء الله تعالى.

(١) ن، س، ب: فى الحق.

(٢) ن، م: من غيرها.

(٣) فى (ك) ص ١٩٤ (م).

(٤) عند: ساقطة من جمع النسخ. وإثباتها يقتضيه سياق الكلام.

(٥) ن، س: أؤثر فى إيتارككم؛ م، ب: أؤثر فى إيتارككم. ووجدت هذا النص فى كتاب «أبو بكر الصديق» للاستاذ على الطنطاوى (ط. المطبعة السلفية، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٧٢) نقلاً عن مختصر الموافقة للزخشرى، ونصه فيه: «... واعلموا أننا أنا بشر ومعنى شيطان يعترينى، فإذا رأيتمونى غضبت فقوموا عنى، لا أؤثر فى أشعاركم وأبشاركم»، فلعل الصواب ما أثبتته.

الثاني: أن الشيطان الذي يعتريه قد فُسر بأنه يعرض لابن آدم عند الغضب، فخاف عند الغضب أن يعتدي على أحد من الرعية، فأمرهم بمجانبته عند الغضب.

كما ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يقضى القاضى بين اثنين وهو غضبان»^(١) فنهى عن الحكم عند الغضب، وهذا هو الذى أرادته^(٢) أبو بكر: أراد أن لا يحكم وقت الغضب، وأمرهم^(٣) أن لا يطلبوا منه حكماً، أو يحملوه^(٤) على حكم في هذه الحال. وهذا من طاعته لله ورسوله.

الثالث: أن يقال: الغضب يعتري بنى آدم كلهم، حتى قال سيد ولد آدم: «اللهم إنما أنا بشر أغضب كما يغضب البشر، وإنى اتخذت عندك عهداً لن تخلفنيه»^(٥): أيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة

(١) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن عبد الرحمن بن أبي بكر عن أبيه أبي بكر رضي الله عنه في: البخاري ٦٥/٩ (كتاب الأحكام، باب هل يقضى الحاكم أو يفتى وهو غضبان) ولفظه: «لا يقضى حكم بين اثنين وهو غضبان». والحديث في: مسلم ١٣٤٢/٣-١٣٤٣ (كتاب الأقضية، باب كراهة قضاء القاضي وهو غضبان). والحديث في: سنن أبي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه ومسنده أحمد.

(٢) ب: في.

(٣) س، ب: أراد.

(٤) م: فلهم.

(٥) ن، م، س: أو يحملونه.

(٦) ن، م، س: لن تخلفه.

وقربة تقرّبه بها إليك يوم القيامة» أخرجاه في الصحيحين عن أبي هريرة^(١).

وأخرجه مسلم عن عائشة قال: دخل رجلان على النبي صلى الله عليه وسلم فأغضباه فسبّهما ولعنّهما، فلما خرجا قلت: يا رسول الله من^(٢) أصاب من الخير ما أصاب هذان [الرجلان]^(٣). قال: «وما ذاك؟» قلت: لعنتهما وسببتهما. قال: «أو ما علمت ما شارطت عليه ربّي؟» قلت: إنما أنا بشر فأى المسلمين سبّيته أو لعنته^(٤) فاجعله له زكاةً وأجرًا^(٥) وفي رواية أنس: «إنني اشترطت على ربّي، فقلت: إنما أنا بشر أرضى كما يرضى البشر، وأغضب كما يغضب البشر، فأَيُّما أحد دعوت عليه من

(١) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي هريرة رضي الله عنه في: البخاري ٧٧/٨ (كتاب الدعوات، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: من آذيته فاجعله له زكاة ورحمة)؛ مسلم ٢٠٠٨/٤ - ٢٠٠٩ (كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم أو سبه أو دعا عليه... إلخ). وجاء حديث مقارب في معناه ولفظه لحديث أبي هريرة عن سليمان رضي الله عنهما في: سنن أبي داود ٢٩٨/٤ (كتاب السنة، باب في النهي عن سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم). وجاء حديث أبي هريرة مختصراً في المسند (ط). المعارف الأرقام: ٧٣٠٩، ٨١٨٤، كما جاء حديث سليمان في المسند (ط. الحلبي) ٤٣٧/٥.

(٢) ن: لمن؛ م: لمن.

(٣) الرجلان: ساقطة من (ن)، (م).

(٤) ن، م: لعنته أو سبّيته.

(٥) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في: مسلم ٢٠٠٧/٤ (كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي صلى الله عليه وسلم... إلخ). وجاء حديث آخر عن عائشة مقارب في المعنى واللفظ في: المسند (ط. الحلبي) ٥٢/٦.

أمتى بدعوة ليس^(١) لها بأهل أن يجعلها له طهوراً وزكاة وقربة^(٢).
وأيضاً فموسى رسول كريم، وقد أخبر الله عن^(٣) غضبه بما ذكره فى كتابه^(٤).

فإذا كان مثل هذا لا يقدح فى الرسالة، فكيف يقدح فى الإمامة؟
مع أن النبى صلى الله عليه وسلم شبه أبا بكر بإبراهيم وعيسى فى لينة وحلمه، وشبه عمر بنوح وموسى فى شدته فى الله. فإذا كانت هذه الشدة لا تنافى الإمامة، فكيف تنافىها شدة أبى بكر؟!

الوجه الرابع

الرابع: أن يُقال: أبو بكر رضى الله عنه قصد بذلك الاحتراز^(٥) أن يؤذى أحداً منهم، فأَيُّما^(٦) أكمل: هذا أو غيره ممن غضب على من عصاه، وقتلهم وقتلوه بالسيف، وسفك دماءهم؟
فإن قيل: كانوا يستحقون القتال بمعصية الإمام وإغضابه.

قيل: ومن عصى أبا بكر وأغضبه كان أحقّ بذلك، لكن أبو بكر ترك ما يستحقه، إن كان على يستحق ذلك، وإلا فيمتنع أن يُقال: من عصى

(١) م: وليس.

(٢) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى: مسلم ٢٠٠٩/٤ - ٢٠١٠ (كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبى صلى الله عليه وسلم... إلخ).

(٣) ن، م، س: من.

(٤) ذكر الله تبارك وتعالى غضب موسى عليه الصلاة والسلام فى أكثر من موضع، مثل قوله تعالى: (ولما سكّت عن موسى الغضب أخذ الألواح...) الآية [سورة الأعراف: ١٥٤]، وقوله: (فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا...) [سورة طه: ٨٦].

(٥) ب: احتراز.

(٦) ن، م: فإنها، وهو تحريف.

عليًا وأغضبه جاز له أنه يقاتله ، ومن عصى أبا بكر لم يجز له تأديبه . فدلّ على أن ما فعله أبو بكر أكمل^(١) من الذي فعله عليّ .

وفي المسند وغيره عن أبي برزة أن رجلاً أغضب أبا بكر . قال^(٢) : فقلت له ؟ أتأذن لي أن أضرب عنقه يا خليفة رسول الله ؟ قال : فأذهبت كلمتي غضبه ، ثم قال : ما كانت لأحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣) . فلم يستحل أن يقتل مسلماً بمجرد مخالفة أمره .

والعلماء في حديث أبي برزة على قولين : منهم من يقول : مراده أنه لم يكن لأحد أن يقتل أحداً سبّه إلا الرسول صلى الله عليه وسلم . ومنهم من يقول : ما كان لأحد أن يحكم بعلمه في الدماء إلا الرسول .

وقد تخلف عن بيعته سعد بن عباد ، فما آذاه بكلمة ، فضلاً عن فعل . وقد قيل : إن عليًا وغيره امتنعوا عن بيعته ستة أشهر ، فما أزعجهم ، ولا^(٤) ألزمهم بيعته . فهل هذا كله إلا من كمال ورعه عن أذى الأمة ، وكمال عدله وتقواه ؟

وهكذا قوله : فإذا اعتراني فاجتنبوني .

الخامس : أن في الصحيح عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه

الوجه الخامس

(١) م ، ب : أكبر .

(٢) قال : ساقطة من (م) .

(٣) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه في : سنن النسائي ١٠٠/٧ - ١٠٢ (كتاب تحريم الدم ، باب الحكم فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم ، باب ذكر الاختلاف على الأعمش ...) .

(٤) م ، ب : وما .

وسلم / أنه قال: «ما منكم من أحد إلا وكل به قرينه من الجن». / ظ ٣٦١
 قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «وإيائي، ولكن ربّي أعانني عليه»^(١)
 فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير»^(٢).

وفى الصحيح عن عائشة قالت: يا رسول الله أو معي^(٣) شيطان؟
 قال: «نعم». قالت: ومع كل إنسان؟ قال: «نعم» قالت: «ومعك
 يا رسول الله؟». قال: «نعم، ولكن ربّي أعانني عليه حتى أسلم»^(٤)
 والمراد في أصح القولين: استسلم وانقاد لى. ومن قال: حتى أسلم أنا،
 فقد حرّف معناه. ومن قال: الشيطان صار مؤمنا^(٥)، فقد حرّف لفظه.

وقد قال موسى لما قتل القبطى: ﴿هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ
 مُضِلٌّ مُبِينٌ﴾ [سورة القصص: ١٥]، وقال فتى موسى: ﴿وَمَا أُنْسَانِيهِ إِلَّا
 الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾ [سورة الكهف: ٦٣]. وذكر الله فى قصة آدم وحواء:
 ﴿فَازْلَهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ [سورة البقرة: ٣٦]، وقوله:

(١) م: إلا أن الله عز وجل أعاننى عليه.

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى.

(٣) م: ومعى..

(٤) هذا جزء من حديث عن عائشة رضي الله عنها فى: مسلم ٢١٦٨/٤ (كتاب صفات
 المنافقين، باب تحريش الشيطان...) ونصه.. أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج
 من عندها ليلا. قالت: فغرت عليه، فجاء فرأى ما أ صنع فقال: «مالك يا عائشة أغرت؟»
 فقلت: «ومالى لا يغار مثلى على مثلك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أقد جاءك
 شيطانك؟» قالت: يا رسول الله أو معى شيطان؟.. الحديث، وهو فى: المسند (ط.
 الحلبي) ١١٥/٦.

(٥) س، ب: مأمونا.

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءَاتِهِمَا﴾ [سورة
الأعراف: ٢٠].

فإذا كان عرض^(١) الشيطان لا يقدر في نبوة الأنبياء عليهم السلام،
فكيف يقدر في إمامة الخلفاء؟!
وإن ادعى مدّع أن هذه النصوص مؤولة.

قيل له: فيجوز لغيرك أن يتأول قول الصديق، لما ثبت بالدلائل
الكثيرة من إيمانه وعلمه، وتقواه وورعه. فإذا ورد لفظ مجمل يعارض ما
عُلم^(٢) وجب تأويله.

وأما قوله: «فإن استقمت فأعينوني، وإن زغت فقوموني» فهذا من
كمال عدله وتقواه، وواجب على كل إمام أن يقتدى به في ذلك، وواجب
على الرعية أن تعامل الأئمة بذلك، فإن استقام الإمام^(٣) أعانوه على طاعة
الله تعالى، وإن زاغ وأخطأ بينوا له الصواب ودلّوه عليه، وإن تعمّد ظلماً
منعوه منه بحسب الإمكان، فإذا كان منقاداً للحق، كأبي بكر فلا عذر
لهم في ترك ذلك^(٤)، وإن كان لا يمكن دفع الظلم إلا بما هو أعظم فساداً
منه، لم يدفعوا الشر القليل بالشر الكثير.

(١) ن، س: عرض.

(٢) ن، س، ب: ما ورد.

(٣) الإمام: ساقطة من (س)، (ب).

(٤) م: فلا عذر لهم في ذلك.

قول الرافضى
ومن شأن الامام
تكميل الرعية.

الخ

الوجه الاول

وأما قول الرافضى: «ومن شأن الإمام تكميل الرعية، فكيف يطلب منهم التكميل؟».

عنه أجوبة: أحدها: أنا^(١) لا نسلّم أن الإمام يكملهم وهم لا يكملونه أيضاً^(٢)، بل الإمام والرعية يتعاونون على البر والتقوى، لا على الإثم والعدوان، بمنزلة أمير الجيش والقافلة والصلاة والحج، والدين قد عرف بالرسول، فلم يبق عند الإمام دين يفرد به، ولكن لابد من الاجتهاد فى الجزئيات، فإن كان الحق فيها بيّناً أمر به، وإن كان متبيّناً للإمام دونهم بيّنه لهم، وكان عليهم أن يطيعوه، وإن كان مشتبها عليهم اشتوروا فيه حتى يتبين لهم، وإن تبين لأحد من الرعية دون الإمام بيّنه له، وإن اختلف الاجتهاد فالإمام هو المتَّبِع فى اجتهاده، إذ لابد من الترجيح، والعكس ممتنع.

وهذا كما تقوله الرافضة الإمامية فى نواب المعصوم؛ فإنه وإن تبين لهم الكليات فلا بد فى تبين الجزئيات من الاجتهاد، وحيثُذ فكل إمام هو نائب رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذى لا ريب فى عصمته، ونوابه أحق بالاتباع من نواب غيره، والمراد بكونهم نوابه أن عليهم أن يقوموا بما قام به، ليس المراد استخلافهم، فإن طاعة الرسول واجبة على كل متولٍّ، سواء ولّاه^(٣) الرسول أو غيره، وطاعته بعد موته كطاعته فى

(١) ن، م، س: أن.

(٢) م: وأيضاً.

(٣) س، ب: ولّاه.

حياته، ولو وُلِّي هو رجلاً لوجب عليه وعلى غيره ما يجب على غيره من الولاية.

الوجه الثاني

الوجه الثاني: أن كلاً من المخلوقين قد استكمل بالآخر كالمتناظرين في العلم، والمتشاورين في الرأي، والمتعاونين المتشاركين في مصلحة دينهما ودنياهما. وإنما يمتنع هذا في الخالق سبحانه، لأنه لا بد أن يكون للممكنات المحدثات فاعلٌ مستغنٌ بنفسه، غير محتاج إلى أحد، لئلا يفضى إلى الدُّور في المؤثرات والتسلسل فيها. وأما المخلوقان فكلاهما يستفيد حوله وقوته من الله تعالى لا من نفسه ولا من الآخر، فلا دور في ذلك.

الوجه الثالث

الوجه الثالث: أنه ما زال المتعلمون ينبّهون معلّمهم على أشياء، ويستفيدوا المعلم منهم، مع أن عامة ما عند المتعلّم من الأصول تلقاها من معلّمه. وكذلك في الصنّاع وغيرهم.

الوجه الرابع

الوجه الرابع: أن موسى صلى الله عليه وسلم قد استفاد من الخضر ثلاث مسائل، وهو أفضل منه. وقد قال الهدهد لسليمان: ﴿أَخَطْتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ﴾ [سورة النمل: ٢٢] وليس الهدهد قريباً من سليمان.

ونبينا صلى الله عليه وسلم / كان يشاور أصحابه، وكان أحياناً يرجع إليهم في الرأي. كما^(١) قال له الحباب يوم بدر: يا رسول الله أرأيت هذا المنزل: أهو منزل أنزلك الله تعالى فليس لنا أن نتعدّاه، أم هو الحرب

٢١٦/٤

(١) كما: ساقطة من (ن)، (ب).

والرأى والمكيدة ؟ فقال : «بل^(١) هو الحرب والرأى والمكيدة» فقال : ليس هذا بمنزل قتال . [قال :]^(٢) فرجع إلى رأى الحباب^(٣) .

وكذلك يوم الخندق كان قد رأى أن يصلح غطفان على نصف تمر المدينة ، وينصرف عن القتال . فجاءه سعد^(٤) ، فقال : يا رسول الله ، إن كان الله أمرك بهذا فسمعاً وطاعة ، أو كما قال ، وإن كنت أنت إنما فعلت هذا لمصلحتنا ، فلقد كانوا فى الجاهلية وما ينالون منها ثمرة^(٥) إلا بشراء أو قراء ، فلما أعزنا الله بالإسلام نعطيهم تمرنا^(٦) ، ما نعطيهم إلا السيف ، / أو كما قال . فقبل منه النبى صلى الله عليه وسلم ذلك^(٧) .

ص ٣٦٢

وعمر أشار عليه لما أذن لهم فى غزوة تبوك فى نحر الركاب أن يجمع أزوادهم ويدعو فيها بالبركة ، فقبل منه^(٨) .

وأشار عليه بأن يرد أبا هريرة لما أرسله بنعليه يبشر من لقيه وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله بالجنة ، لما خاف أن يتكلموا ، فقبل منه^(٩) .

-
- (١) بل : ساقطة من (س) ، (ب) .
 - (٢) قال : زيادة فى (م) .
 - (٣) انظر هذا الخبر فى : سيرة ابن هشام ٢/٢٧٢ ؛ السيرة النبوية لابن كثير ٢/٤٠٢ ؛ إمتاع الأسماع ، ص ٧٧-٧٨ .
 - (٤) فى جميع النسخ : سعيد . والصواب ما أثبتته وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه .
 - (٥) م : ثمرة .
 - (٦) ن ، م : تمرنا .
 - (٧) انظر هذا الخبر فى : سيرة ابن هشام ٣/٢٣٤ ؛ السيرة النبوية لابن كثير ٣/٢٠١-٢٠٢ ؛ إمتاع الأسماع ، ص ٢٣٥-٢٣٦ .
 - (٨) سبق هذا الحديث فيما مضى .
 - (٩) سبق هذا الحديث فيما مضى .

وأبو بكر لم يكن يرجع إليهم فيما ليس فيه^(١) نصّ من الله ورسوله، بل كان إذا تبين له ذلك لم يبال بمن خالفه. ألا ترى أنه لما نازعه [عمر]^(٢) في قتال أهل الردة لأجل الخوف على المسلمين، ونازعوه في قتال مانعي الزكاة، ونازعوه في إرسال جيش أسامة - لم يرجع إليهم، بل بين لهم دلالة النصّ على ما فعله.

وأما في الأمور الجزئية التي لا يجب أن تكون منصوبة، بل يقصد بها المصلحة، فهذه ليس هو فيها بأعظم من الأنبياء.

الوجه الخامس

الخامس: أن هذا الكلام من أبي بكر ما زاده عند الأمة إلا شرفاً وتعظيماً، ولم تعظم الأمة أحداً بعد نبينا كما عظمت الصديق، ولا أطاعت أحداً كما أطاعته، من غير رغبة أعطاهم إياها، ولا رهبة أخافهم بها، بل الذين بايعوا الرسول تحت الشجرة بايعوه طوعاً، مقرّين بفضيلته واستحقاقه. ثم مع هذا لم نعلم أنهم اختلفوا في عهده في مسألة واحدة في دينهم [إلا]^(٣) وأزال الاختلاف ببيانه لهم، ومراجعتهم له. وهذا أمر لا يشركه فيه غيره.

وكان عمر أقرب إليه في ذلك، ثم عثمان.

وأما على فقاتلهم وقاتلوه^(٤)، فلا قومهم ولا قوموه، فأى الإمامين حصل به مقصود الإمامة أكثر؟ وأى الإمامين أقام الدين، ورد المرتدين،

(١) م: فيما لم يكن فيه.

(٢) عمر: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) إلا: زيادة في (ب) فقط.

(٤) س، ب: فقاتلوه.

وقاتل الكافرين، واتفقت عليه الكلمة: ^(١) كلمة المؤمنين ؟ هل يشبه هذا بهذا إلا من هو في غاية النقص من العقل والدين !؟

فصل

قال الرافضى
الثانى قول عمر
كانت بيعة أبى
بكر فلتة...
الخ

قال الرافضى^(٢) : «الثانى : قول عمر: كانت بيعة أبى بكر فلتة، وقى الله المسلمين شرّها، فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه. وكونها فلتة يدلّ على أنها لم تقع عن رأى صحيح، ثم سأل وقاية شرّها، ثم أمر بقتل من يعود إلى مثلها، وكان ذلك^(٣) يوجب الطعن فيه».

والجواب: أن لفظ عمر ما ثبت فى الصحيحين عن ابن عباس، من خطبة عمر التى قال فيها: «ثم إنه قد بلغنى أن قاتلا منكم يقول: «والله لو مات عمر بايعت فلانا» فلا يغترنّ امرؤ أن يقول: إنما كانت بيعة أبى بكر فلتة، ألا وإنها قد كانت كذلك، ولكن قد وقى الله شرّها، وليس فيكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبى بكر، من بايع رجلا من غير مشورة من المسلمين، فلا يبايع هو ولا الذى بايعه تغرّة أن يقتلا، وإنه كان من خيرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم، وذكر الحديث وفيه: أن الصديق قال: «وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين، فبايعوا أيهما

(١) الكلمة: ساقطة من (ب) فقط.

(٢) في (م) ص ١٩٤ (م).

(٣) ك: وكل ذلك.

شتم . فأخذ يبدى ويبد^(١) أبى عبدة وهو جالس بيننا ، فلم أكره مما قال غيرها ، كان - والله - أن أقدم فيضرب عنقى لا يقربنى [ذلك]^(٢) من إثم أحب إلى [من]^(٣) أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر ، اللهم إلا أن تسول لى نفسى شيئاً عند الموت^(٤) لا أجده الآن ، وقد تقدّم الحديث بكماله^(٥) . ومعنى ذلك أنها وقعت فجأة لم تكن قد استعدنا لها ولا تهيأنا ، لأن أبا بكر كان متعيّناً لذلك ، فلم يكن يحتاج فى ذلك إلى أن يجتمع لها الناس ، إذ كلهم يعلمون أنه أحق بها ، / وليس بعد أبى بكر من يجتمع الناس على تفضيله واستحقاقه كما اجتمعوا على ذلك فى أبى بكر ، فمن أراد أن ينفرد ببيعة رجل دون ملاء من المسلمين فاقتلوه . وهو لم يسأل وقاية شرّها ، بل أخبر أن الله وقى شر الفتنة بالاجتماع^(٦) .

٢١٧/٤

فصل

قال الرافضى^(٧) : « الثالث قصورهم فى العلم والتجاؤهم فى أكثر الأحكام إلى على^(٨) » .

قال الرافضى :
الثالث قصورهم
فى العلم
والتجاؤهم فى
أكثر الأحكام إلى
على

- (١) م ، س ، ب : ويد .
- (٢) ذلك : زيادة فى (م) . (٣) من : زيادة فى (م) .
- (٤) ن ، س : عند موت ؛ ب : عند موتى .
- (٥) سبق هذا الحديث فيما مضى فى الأصل ١ / ٣٦٠ . ٤ / ٤٣٥
- (٦) ب : بالإجماع .
- (٧) فى (ك) ص ١٩٤ (م) .
- (٨) ك : والالتجاء فى أكثر الأحكام إلى على عليه الصلاة والسلام .

والجواب: أن هذا من أعظم البهتان. أما أبو بكر فما عُرف أنه استفاد من عليٍّ شيئاً أصلاً. وعليٌّ قد رَوَى عنه واحتذى حذوه واقتدى بسيرته. وأما عمر فقد استفاد عليٌّ منه أكثر مما استفاد عمر منه. وأما عثمان فقد كان أقلّ علماً من أبي بكر وعمر، ومع هذا فما كان* يحتاج إلى عليٍّ، حتى أن بعض الناس شكوا إلى عليٍّ بعض سعاة عمّال عثمان، فأرسل إليه بكتاب الصدقة، فقال عثمان^(١): لا حاجة لنا به.

وصدّق عثمان؛ وهذه فرائض الصدقة ونصبها التي لا تعلم إلا بالتوقيف^(٢) فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهي من أربع طرق: أصحابها عند علماء المسلمين كتاب أبي بكر* الذي كتبه لأنس بن مالك. وهذا هو الذي رواه البخاري^(٣)، وعمل به أكثر الأئمة. وبعده كتاب عمر*^(٤).

وأما الكتاب المنقول عن عليٍّ ففيه أشياء لم يأخذ بها أحد من

(١) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(١) س، ب: عليّ. (٢) م: التوقف.

(٣) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٣) الحديث عن أنس بن مالك عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في مواضع متفرقة في البخاري (قال النابلسي في ذخائر الموارث ١٤٤/٣ - ١٤٥: في ستة مواضع: في الزكاة وفي الخمس وفي الشركة وفي اللباس وفي ترك الحيل عن محمد بن عبد الله بن المثنى) وهو في البخاري ١١٦/٢ (كتاب الزكاة، باب العرض من الزكاة)؛ سنن أبي داود ١٢٩/٢ - ١٣١ (كتاب الزكاة، باب في زكاة السائمة)؛ المسند (ط. المعارف ١٨٣/١ - ١٨٤) (حديث رقم ٧٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله: «رواه أيضاً أبو داود والنسائي والدارقطني، ورواه البخاري مفرقا في مواضع صحيحة». والحديث أيضاً في سنن ابن ماجه.

(٤) جاء كتاب عمر في الزكاة في: سنن أبي داود ١٣٢/٢ - ١٣٤ (كتاب الزكاة، باب زكاة

العلماء، مثل قوله: «في خمس وعشرين خمس^(١) شاة» فإن هذا خلاف النصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم. ولهذا كان ما روى عن عليّ: إما منسوخ، وإما خطأ في النقل.

والرابع كتاب عمرو بن حزم، كان قد كتبه لما بعثه إلى نجران. وكتاب أبي بكر هو آخر الكتب، فكيف يقول عاقل: إنهم كانوا يلجأون إليه في أكثر الأحكام، وقضاته لم يكونوا يلتجئون إليه، بل كان شريح [القاضي]^(٢) وعبيدة السلماني ونحوهما / من القضاة الذين كانوا في زمن عليّ يقضون بما تعلموه^(٣) من [غير]^(٤) عليّ، وكان شريح قد تعلم من معاذ بن جبل وغيره من الصحابة، وعبيدة تعلم من عمر وغيره، وكانوا لا يشاورونه في عامة ما يقضون به، استغناء بما عندهم من العلم. فكيف يقال: إن عمر وعثمان كانا يلتجئان إليه في أكثر الأحكام.

ظ ٣٦٢

وقد قال عليّ: كان رأيي ورأي عمر في أمهات الأولاد أن لا يُيعن،^(٥) والآن قد رأيت أن يُيعن. فقال له عبيدة السلماني: رأيك مع عمر في الجماعة^(٥) أحب إلينا من رأيك وحدك في الفرقة.

السائمة؛ سنن الترمذي ٦٦/٢-٦٧ (كتاب الزكاة، باب ما جاء في زكاة الإبل والغنم)؛ الموطأ ١/٢٥٧-٢٥٩ (كتاب الزكاة، باب صدقة الماشية).

(١) خمس: ساقطة من (س)، (ب).

(٢) القاضي: زيادة في (م).

(٣) ن، م، س: يعلموه.

(٤) غير: في (ب) فقط.

(٥) ن، س: الجماعات.

فهذا قاضيه لا يرجع إلى رأيه في هذه المسألة^(١)، مع أن أكثر الناس إنما منع بيعها تقليداً لعمر، ليس فيها نصٌ صريح صحيح . فإذا كانوا لا يلتجئون إليه في هذه المسألة، فكيف يلتجئون إليه في غيرها، وفيها من النصوص ما يشفى ويكفى!؟

وإنما كان يقضى ولا يشاور علياً، وربما قضى بقضية أنكرها عليٌّ لمخالفتها قول جمهور الصحابة: كابن عم^(٢) وأخوين^(٣) أحدهما أخٌ لأمٍ قضى له بالمال، فأنكر ذلك عليٌّ، وقال: بل يُعطى السدس، ويشتركان^(٤) في الباقي . وهذا قول سائر الصحابة: زيدٌ وغيره، فلم يكن الناس مقلّدين في ذلك أحداً.

وقول عليٍّ في الجدل لم يقل به أحدٌ من العلماء، إلا ابن أبي ليلى . وأما قول ابن مسعود فقال به أصحابه، وهم أهل الكوفة، وقول زيد قال به خلق كثير . وأما قول الصديق فقال به جمهور الصحابة .

وقد جمع الشافعي ومحمد بن نصر المروزي كتاباً كبيراً فيما لم يأخذ به المسلمون من قول عليٍّ، لكون قول غيره من الصحابة أتبع للكتاب والسنة، وكان المرجوح من قوله أكثر من المرجوح من قول أبي بكر وعمر وعثمان، والراجح من أقاويلهم أكثر، فكيف أنهم كانوا يلتجئون إليه في أكثر الأحكام!؟

(١) ن: لا يرجع إليه في رأيه في هذه المسألة؛ م: لا يرجع إليه في رأيه هذه المسألة.

(٢) ن، م، س: كابن عم.

(٣) وأخوين: ساقطة من (ب).

(٤) ن: ويشتركان.

فصل

قال الرافضى^(١) : «الرابع : الوقائع الصادرة عنهم^(٢) ، وقد تقدّم أكثرها» .

قال الرافضى
الرابع الوقائع
الصادرة عنهم

قلنا : الجواب قد تقدّم عنها مجملا ومفصلا . وبيان الجواب^(٣) عمّا يُنكر عليهم أيسر من الجواب عمّا ينكر علىّ ، وأنه لا يمكن أحد له علمٌ وعدل أن يجرحهم ويَزكى عليّا ، بل متى زكى عليّا كانوا / أوّلَى بالتزكية ، وإن جرحهم كان قد طرق الجرح إلى علىّ بطريق الأوّلَى .

٢١٨ / ٤

والرافضة إن طردت قولها لزمها جرح علىّ أعظم من جرح الثلاثة ، وإن لم تطرده تبين فساده وتناقضه ، وهو الصواب .

كما يلزم مثل ذلك اليهود والنصارى إذا قدحوا فى نبوة محمد دون نبوة موسى وعيسى ، فما يورد الكتابيّ على نبوة محمد سؤالاً إلا ويرد على نبوة موسى وعيسى أعظم منه ، وما يورد الرافضى على إمامة الثلاثة إلا ويرد على إمامة علىّ ما هو أعظم منه ، وما يورده^(٤) الفيلسوف على أهل الملل يرد عليه ما هو أعظم منه . وهكذا كل من كان أبعد عن الحق من غيره يرد عليه أعظم مما يرد على الأقرب إلى الحق^(٥) .

(١) فى (ك) ص ١٩٤ (م) .

(٢) ك : منهم .

(٣) ن ، م : وبيان أن الجواب . .

(٤) س ، ب : وما يورد .

(٥) عبارة «إلى الحق» : ساقطة من (س) ، (ب) .

ومن الطرق الحسنة فى مناظرة هذا أن يُوردَ عليه من جنس ما يورده على أهل الحق وما هو أغلظ منه ؛ فإن المعارضة نافعة ، وحينئذ فإن فهم الجواب الصحيح علم الجواب عما يورد على الحق ، وإن وقع فى الحيرة والعجز عن الجواب اندفع شره بذلك ، وقيل له : جوابك عن هذا هو جوابنا عن هذا .

فصل

قول الرافضى
الخامس قوله
تعالى : (لا ينال
عهدى
الظالمين) . أخبر
بأن عهد الإمامة
لا يصل إلى
الظالم . الخ

قال الرافضى^(١) : «الخامس : قوله تعالى : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٢٤] أخبر بأن عهد الإمامة لا يصل إلى الظالم . والكافر ظالم^(٢) لقوله : ﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة البقرة: ٢٥٤] . ولا شك فى أن الثلاثة كانوا كفاراً يعبدون الأصنام ، إلى أن ظهر النبى صلى الله عليه وسلم .»

الجواب من
وجوه
الوجه الأول

والجواب من وجوه ، أحدها : أن يقال : الكفر الذى يعقبه الإيمان الصحيح لم يبق على صاحبه منه ذم . هذا معلوم بالاضطرار من دين الإسلام ، بل من دين الرسل كلهم .

كما قال تعالى : ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّبِعُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [سورة الأنفال: ٣٨] . وقال النبى صلى الله عليه وسلم فى الحديث

(١) فى (ك) ص ١٩٤ (م) .

(٢) ظالم : ساقطة من (ك) .

الصحيح^(١): «إن الإسلام يَجُبُّ ما قبله» - وفى لفظ: «يهدم ما كان قبله، وإن الهجرة تهدم ما كان قبلها، وإن الحج يهدم ما كان قبله»^(٢).

الثانى: أنه ليس كل من وُلِدَ على الاسلام بأفضل ممن أسلم بنفسه، بل قد ثبت بالنصوص المستفيضة أن خير القرون القرن الأول^(٣)، وعامتهم أسلموا بأنفسهم بعد الكفر، وهم أفضل من القرن الثانى الذين وُلِدوا على الإسلام.

ولهذا قال^(٤) أكثر العلماء: إنه يجوز على الله أن يبعث نبياً^(٥) ممن آمن بالأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنه إذا جاز أن يبعث نبيا من ذرية إبراهيم وموسى، فمن الذين آمنوا بهما أولى وأحرى.

كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّنْ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّى﴾ [سورة

العنكبوت: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ * وَلَنُسَكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِن بَعْدِهِمْ﴾ [سورة إبراهيم: ١٣، ١٤].

وقال تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوْدُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا

(١) عبارة (في الحديث الصحيح): ساقطة من (س)، (ب).

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٩٨/٤ وأوله هناك: أما علمت أن الإسلام..

(٣) سبق هذا الخبر فيما مضى ٣٥/٢.

(٤) ن، م: كان، وهو خطأ.

(٥) نبياً: ساقطة من (س)، (ب).

كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا [سورة الأعراف: ٨٨، ٨٩].

وطرد هذا: مَنْ تَابَ مِنَ الذَّنْبِ وَغُفِرَ لَهُ^(١) لَمْ يُقَدَحْ^(٢) فِي عُلُوِّ دَرَجَتِهِ كائِنًا مِنْ كَانَ. والرافضة لهم في هذا الباب قولُ فارقوا به الكتاب والسنة وإجماع السلف ودلائل العقول، والتزموا لأجل ذلك ما يُعلم بطلانه بالضرورة، كدعواهم إيمان آزر، وأبوى النبي وأجداده وعمّه أبى طالب وغير ذلك.

الوجه الثالث

الثالث: أن يقال: قبل أن يبعث الله محمداً صلى الله عليه وسلم لم يكن أحدٌ مؤمناً من قريش: لا رجل ولا صبي ولا امرأة، ولا الثلاثة^(٣)، ولا على. وإذا قيل عن الرجال: إنهم كانوا يعبدون الأصنام، فالصبيان^(٤) كذلك: على وغيره.

وإن قيل: كفر الصبي ليس مثل كفر البالغ.

قيل: ولا إيمان الصبي مثل إيمان البالغ. فأولئك يثبت لهم حكم الإيمان والكفر وهم بالغون، وعلى يثبت له حكم الكفر والإيمان وهو دون البلوغ.

والصبي المولود بين أبوين كافرين يجرى عليه حكم الكفر في الدنيا

(١) س: وطرد هذا من باب الذنب وغفر له؛ ب: وطرد هذا من باب الذنب وغفراته له..

(٢) م: ولم يقدح.

(٣) ن: ولا امرأة ولا الثلاثة..

(٤) س، ب: والصبيان، وهو تحريف.

باتفاق المسلمين . وإذا أسلم قبل البلوغ "فهل يجرى عليه حكم الإسلام قبل البلوغ ؟ : " على قولين للعلماء ، بخلاف البالغ فإنه يصير مسلماً باتفاق المسلمين .

فكان إسلام الثلاثة مخرجاً لهم من الكفر باتفاق المسلمين . وأما إسلام عليّ ، فهل يكون / مخرجاً له من الكفر ؟ على قولين مشهورين . ومذهب الشافعي أن إسلام الصبيّ غير مخرج له من الكفر .

٢١٩/٤

وأما كون صبيّ من الصبيان قبل النبوة سَجَدَ لصنمٍ أو لم يسجد ؟ فهو لم يُعرف . فلا يمكن الجزم بأن عليّاً أو الزبير^(١) ونحوهما^(٢) لم يسجدوا لصنم ، كما أنه ليس معنا نقل بثبوت ذلك ، بل ولا معنا نقل معيّن عن أحدٍ من الثلاثة أنه سجد لصنم . بل هذا يُقال لأن من عادة قريش قبل الإسلام أن يسجدوا للأصنام . وحينئذ فهذا ممكن في الصبيان ، كما هو العادة في مثل ذلك .

الرابع : أن أسماء الذم : كالكفر ، والظلم ، والفسق : التي في القرآن لا تتناول إلا من كان مقيماً على ذلك ، وأما من "صار مؤمناً بعد الكفر ، وعادلاً بعد الظلم ، ويراً بعد الفجور - فهذا تتناوله أسماء المدح" دون أسماء الذم باتفاق المسلمين .

الوجه الرابع

فقوله عز وجل : ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة : ١٧٤] : أى

(١-١) : ساقط من (س) ، (ب) .

(٢) م : والزبير .

(٣) س ، ب : أو نحوهما .

(هـ) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

ينال العادل دون الظالم، فإذا قُدِّرَ أن شخصاً كان ظالماً ثم تاب وصار عادلاً تناوله^(١) العهد كما يتناوله سائر آيات المدح والثناء.

لقلوه^(٢) تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ [سورة المطففين: ٢٢]، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ [سورة الطور: ١٧]^(٣).

الوجه الخامس

الخامس: أن من قال: إن المسلم بعد إيمانه كافر، فهو كافر بإجماع المسلمين. فكيف يقال عن أفضل الخلق إيماناً: إنهم كفّار لأجل ما تقدم.

الوجه السادس

السادس: أنه قال لموسى: ﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ﴾ * إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ فَأِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النمل: ١٠، ١١].

الوجه السابع

السابع: أنه قال: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ * لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ الآية [سورة الأحزاب: ٧٢، ٧٣].

فقد أخبر الله عن جنس الإنسان أنه ظلوم جهول، واستثنى من العذاب من تاب. ونصوص الكتاب صريحة في أن كل بني آدم لابد أن يتوب. وهذه المسألة متعلقة بمسألة العصمة: هل الأنبياء معصومون من الذنوب أم لا فيحتاجون إلى توبة؟ والكلام فيها مبسوط قد تقدم.

(١) س، ب: يتناوله.

(٢) ب: كقلوه.

(٣) م: .. في جنات وعبود.

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١) : «السادس : قول أبي بكر : «أقبلوني فلست بخيركم^(٢)» ، ولو كان إماما لم يجوز له طلب الإقالة» .

قال الرافضي :
السادس قول
أبي بكر :
أقبلوني فلست
بخيركم ...
الخ

والجواب : أن هذا : أولا كان ينبغي أن يبين صحته ، وإلا فما كل منقول صحيح . والقدر بغير الصحيح لا يصح .

الجواب من
وجوه
الوجه الأول
الوجه الثاني

وثانيا : إن صح هذا عن أبي بكر لم تجز معارضته بقول القائل : الإمام لا يجوز له طلب الإقالة ؛ فإن هذه دعوى مجردة لا دليل عليها ، فلم لا يجوز له طلب الإقالة إن كان قال ذلك ؟ بل إن كان قاله لم يكن معنا^(٣) إجماع على نقيض ذلك ولا نص ، فلا يجب الجزم بأنه باطل . وإن لم يكن قاله فلا يضرّ تحريم هذا القول .

وأما تثبيت كون الصديق قاله ، والقدر في ذلك بمجرد الدعوى ، فهو كلام من لا يبالي ما يقول .

وقد يُقال : هذا^(٤) يدلّ على الزهد في الولاية والورع فيها ، وخوف الله أن لا يقوم بحقوقها . وهذا يناقض ما يقوله الرافضة : إنه كان طالبا للرياسة ، راغبا في الولاية .

(١) في (ك) ص ١٩٥ (م) .

(٢) ك : فلست بخيركم وعليّ فيكم ...

(٣) ن ، م : معناه .

(٤) ب : وهذا .

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١) : «السابع : قول أبي بكر عند موته : ليتني كنت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل للأنصار في هذا الأمر حق؟ وهذا^(٢) يدل على شكّه في صحة بيعته نفسه ، مع أنه الذي دفع الأنصار يوم السقيفة لما قالوا : منا أمير ومنكم أمير ، بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم : الأئمة من قريش»^(٣) .

والجواب: أما قول النبي صلى الله عليه وسلم : «الأئمة من قريش»^(٤) فهو حق ، ومن قال : إن الصديق شك في هذا ، أو في صحة إمامته فقد كذب .

/ ومن قال : إن الصديق قال : ليتني كنت سألت النبي صلى الله عليه وسلم : هل للأنصار في الخلافة نصيب؟ فقد كذب ، فإن المسألة عنده وعند الصحابة / أظهر من أن يُشكَّ فيها ، لكثرة النصوص فيها عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا يدل على بطلان هذا النقل .
وإن قدر صحته ، ففيه فضيلة للصديق ، لأنه لم يكن يعرف النص ،

(١) في (ك) ص ١٩٥ (م) .

(٢) وهذا : ساقطة من (ك) .

(٣) ك : بما رواه عن رسول الله صلى الله عليه وآله : إن الأئمة من قريش .

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى .

قول الرافضي :
السابع أقول أبي
بكر عند موته :
ليتني كنت
سألت رسول
الله صلى الله
عليه وسلم هل
للأنصار في هذا
ال... حق . الخ .

الرد عليه

ظ ٣٦٣

٢٢٠ / ٤

واجتهد فوافق اجتهاده النص . ثم من اجتهاده وورعه تمنى أن يكون معه نص يعينه على الاجتهاد^(١) ، فهذا يدل على كمال علمه ، حيث وافق اجتهاده النص ، ويدل على ورعه ، حيث خاف أن يكون مخالفاً للنص ، فأى قدح في هذا؟!

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(٢) : «الثامن : قوله في مرض موته : ليتنى كنت تركت بيت^(٣) فاطمة لم أكبه^(٤) ، وليتنى كنت في ظلة بني ساعدة ضربت على يد أحد^(٥) الرجلين ، وكان هو الأمير ، وكنت الوزير^(٦) ، وهذا يدل على إقدامه علي بيت^(٣) فاطمة عند اجتماع أمير المؤمنين والزبير وغيرهما فيه^(٨) .

والجواب : أن القدح لا يقبل حتى يثبت اللفظ بإسناد صحيح ، ويكون الرد عليه

(١) ن ، م : نص يعينه عن الاجتهاد .

(٢) في (ك) ص ١٩٥ (م) .

(٣) بيت : ساقطة من (م) . وفي (ك) : بنت ، وهو تحريف .

(٤) م : لم اكبه ؛ ك : لم اكشفه .

(٥) ن ، م : وليتنى كنت في ظله بني ساعدة كنت ضربت على يد أحد . . . ك : وليتنى في ظلة

بني ساعدة كنت ضربت يدي على يد أحد . . .

(٦) ك : وكنت أنا الوزير .

(٧) ك : بنت .

(٨) ك : . . فيه ، وعلى أنه كان يرى الفضل لغيره لا لنفسه .

دالاً دلالة ظاهرة على القدح، فإذا انتفت إحداهما انتفى القدح، فكيف إذا انتفى كلُّ منهما. ونحن نعلم يقيناً أن أبا بكر لم يقدم على عليّ والزبير بشيء من الأذى، بل ولا على سعد بن عبادَةَ المتخلف عن بيعته أولاً وآخرأً.

وغاية ما يُقال: إنه كبس البيت لينظر هل فيه شيء من مال الله الذي يقسمه، وأن يعطيه لمستحقّه، ثم رأى أنه لو تركه لهم لجاز؛ فإنه يجوز أن يعطيهم من مال الفيء.

وأما إقدامه عليهم أنفسهم بأذى، فهذا ما وقع فيه قط باتفاق أهل العلم والدين، وإنما ينقل مثل^(١) هذا جهال الكذابين، ويصدّقه حمقى^(٢) العالمين، الذين يقولون: إن الصحابة هدموا بيت فاطمة، وضربوا بطنها حتى أسقطت.

وهذا كله دعوى مخلوق، وإفك مفترى، باتفاق أهل الإسلام، ولا يروج إلا على من هو من جنس الأنعام.

وأما قوله: «ليتني كنت ضربت على يد أحد الرجلين» فهذا لم يذكر له إسناداً، ولم يبيّن صحته، فإن كان قاله فهو يدل على زهده وورعه وخوفه من الله تعالى.

(١) مثل: ساقطة من (م).

(٢) ن: حَقَاء.

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١) : «التاسع : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : جهّزوا جيش أسامة ، وكرّر الأمر [بتنفيذه]^(٢) ، وكان فيهم أبوبكر وعمر وعثمان ، ولم ينفذ أمير المؤمنين ، لأنه أراد^(٣) منعهم من التوثب^(٤) على الخلافة بعده ، فلم يقبلوا^(٥) منه» .

والجواب من وجوه : أحدها : المطالبة بصحة النقل ، فإن هذا لا يُروى بإسناد معروف ، ولا صححه أحد من علماء النقل . ومعلوم أن الاحتجاج بالمنقولات لا يسوغ إلا بعد قيام الحجة بشوثها ، وإلا فيمكن أن يقول كل أحد ما شاء .

الثاني : أن هذا كذب بإجماع علماء النقل ، فلم يكن في جيش أسامة : لا أبوبكر ولا عثمان ، وإنما قد قيل : إنه كان فيه^(٦) عمر . وقد تواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استخلف أبابكر على الصلاة حتى مات ، وصلى أبوبكر رضي الله عنه الصبح يوم موته ، وقد كشف

قال الرافضي :
التاسع أن
رسول الله صلى
الله عليه وسلم
أمر بتجهيز
جيش أسامة ..
الخ .

الجواب من
وجوه
الوجه الأول

الوجه الثاني

(١) في (ك) ص ١٩٥ (م) .

(٢) بتنفيذه : ساقطة من (ن) ، (س) ، (ب) .

(٣) ك : أمير المؤمنين عليه السلام ثم لأنه صلى الله عليه وآله أراد ..

(٤) س ، ب : الوثب .

(٥) ك : فلم يقبلوه ..

(٦) فيه : ساقطة من (س) ، (ب) .

سجف الحجرة، فرآهم صفوفًا خلف أبي بكر، فسُرَّ بذلك . فكيف يكون مع هذا قد أمره أن يخرج في جيش أسامة؟!

الوجه الثالث

الثالث: أن النبي صلى الله عليه وسلم لو أراد تولية عليٍّ لكان هؤلاء أعجز أن يدفعوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكان جمهور المسلمين أطوع لله ورسوله من أن يدعوا هؤلاء يخالفون أمره، لا سيما وقد قاتل ثلث المسلمين أو أكثر مع عليٍّ لمعاوية وهم لا يعلمون أن معه نصًّا، فلو كان معه نصٌّ لقاتل معه جمهور المسلمين .

الوجه الرابع

الرابع: أنه أمر أبا بكر أن يصلي بالناس ولم يأمر عليًّا، فلو كان عليٌّ هو الخليفة لكان يأمره بالصلاة بالمسلمين، فكيف ولم يؤمر عليًّا على أبي بكر قط .

٢٢١ / ٤

بل في الصحيحين أنه لما ذهب يصلح بين بنى عمرو بن عوف، قال لبلال: «إذا حضرت الصلاة فمر أبا بكر أن يصلي بالناس»^(١) وكذلك في مرضه، ولما أراد إقامة الحج أمر أبا بكر أن / يحجّ، وأردفه بعليٍّ تابعاً له، وأبو بكر هو الإمام الذي يصلي بالناس: بعليٍّ وغيره، ويأمر عليًّا وغيره فيطيعونه، وقد أمر أبا بكر عليٍّ في حجة سنة تسع، وكان أبو بكر مؤمراً عليهم إماماً لهم .

فانظر كلامي عليه

(١) سيرد هذا الحديث مفصلاً فيما يلي في هذا الجزء، ص هناك .

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١) : «العاشر: أنه لم يول^(٢) أبا بكر شيئا من الأعمال، وولّى عليه^(٣)» .

قال الرافضي:
العاشر انه لم يول
أبا بكر شيئا من
الأعمال وولى
عليه

والجواب من وجوه: أحدها: أن هذا باطل. بل الولاية التي ولّاها أبا بكر لم يشركه فيها أحد، وهى ولاية الحج. وقد ولّاه غير ذلك. الثاني: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد ولّى من هو بإجماع أهل السنة والشيعة من كان عنده دون أبي بكر، مثل عمرو بن العاص، والوليد ابن عقبة، وخالد بن الوليد. فعلم أنه لم يترك ولايته لكونه ناقصا عن هؤلاء.

الجواب من
وجوه
الوجه الأول
الوجه الثاني

الثالث: أن عدم ولايته لا يدل على نقصه، بل قد يترك ولايته لأنه عنده أنفع له منه في^(٤) تلك الولاية، وحاجته إليه في المقام عنده وغناؤه عن المسلمين أعظم من حاجته إليه في تلك الولاية، فإنه هو وعمر كانا مثل الوزيرين له. يقول / كثيرا: «دخلت أنا وأبو بكر وعمر» و «خرجت أنا وأبو بكر وعمر» وكان أبو بكر يسمر عنده عامّة ليله.

الوجه الثالث

ص ٣٦٤

(١) في (ك) ص ١٩٦ (م).

(٢) ك: أنه صلى الله عليه وآله لم يول...

(٣) ب: وولّى عليّاه ك: وولى غيره.

(٤) ن، م، س: من.

وعمر لم يكن يولى أهل الشورى^(١)، كعثمان^(٢) وطلحة والزبير وغيرهم، وهم عنده أفضل ممن ولّاه، مثل عمرو بن العاص ومعاوية وغيرهما، لأن انتفاعه بهؤلاء في حضوره، أكمل من انتفاعه بواحدٍ منهم في ولاية يكفى فيها من دونهم.

وأبو بكر كان يدخل مع النبي صلى الله عليه وسلم ويليه عمر، وقال لهما: «إذا اتفقتما على شيء لم أخالفكما»^(٣). وإذا قدم عليه الوفد شاورهما، فقد يشير هذا بشيء، ويشير هذا بشيء، ولذلك شاورهما في أسرى بدر، وكان مشاورته لأبي بكر أغلب، واجتماعه^(٤) به أكثر. هذا أمر يعلمه من تدبر الأحاديث الصحيحة التي يطول ذكرها.

﴿فصل﴾

قال الرافضى:

الحادى عشر:

أن رسول الله

صلى الله عليه

وسلم أنفذه

لأداء سورة براءة

ثم رده... الخ

قال الرافضى^(٥): «الحادى عشر: أنه صلى الله عليه وسلم

أنفذه لأداء سورة براءة، ثم أنفذ علياً^(٦)، وأمره برده، وأن يتولى هو ذلك، ومن لا يصلح لأداء سورة أو بعضها، فكيف^(٧) يصلح

(١) ن، س: وعمر لم يكن يوالى أهل الشورى؛ م: وعمر لم يكونوا في أهل الشورى.

(٢) س: وعثمان؛ ب: عثمان.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ١٥٦/٦، ينصه هناك: «لو اجتمعنا في مشوره ما خالفنا». .

(٤) س، ب: فاجتماعه..

(٥) في (ك) ص ١٩٦ (م).

(٦) ك: ثم أنفذ علياً عليه السلام خلفه.. (٧) ك: كيف..

للإمامة العامة، المتضمنة لأداء الأحكام إلى جميع الأمة؟!». **والجواب من وجوه:** أحدها: أن هذا كذب باتفاق أهل العلم وبالتواتر العام؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم استعمل أبا بكر على الحج سنة تسع، لم يرده ولا رجع، بل هو الذي أقام للناس الحج ذلك العام، وعليّ من جملة رعيته: يصلى خلفه، ويدفع بدفعه، ويأتمر بأمره كسائر من معه.

وهذا من العلم المتواتر عند أهل العلم: لم يختلف اثنان في أن أبا بكر هو الذي أقام الحج ذلك العام بأمر النبي صلى الله عليه وسلم. فكيف يُقال: إنه أمره برده؟!

ولكن أردفه بعليّ^(١) لينبذ إلى المشركين عهدهم، لأن عادتهم كانت جارية أن لا يعقد العقود^(٢) ولا يحلّها إلا المُطاع، أو رجل من أهل بيته، فلم يكونوا يقبلون ذلك من كل أحد.

وفي الصحيحين^(٣) عن أبي هريرة قال: بعثنى أبو بكر الصديق في الحجة التي أمره عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل حجة الوداع، في رهط يؤذنون في الناس يوم النحر: «أن^(٤): لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»^(٥) وفي رواية: ثم أردف النبي صلى الله عليه

(١) بعليّ: ساقطة من (س)، (ب).

(٢) ن، س، ب: العهود.

(٣) م: وفي الصحيح.

(٤) أن: ساقطة من (ب).

(٥) سبق هذا الحديث في الجزء السابق ص ٤٧٥.

وسلم بعليّ، وأمره أن يؤذن ببراءة، فأذن عليّ معناه^(١) في أهل منى يوم النحر ببراءة، وبأن^(٢) لا يحج^(٣) بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان. قال: فنبذ أبوبكر إلى الناس في ذلك العام، فلم يحج^(٤) عام حجة الوداع - التي حجّ فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم - مشركاً.

قال أبو محمد بن حزم^(٥): «وما حصل في حجة الصديق كان من أعظم فضائله؛ لأنه هو الذي خطب بالناس في ذلك الموسم والجمع العظيم، والناس منصتون لخطبته يصلّون خلفه، وعليّ من جملتهم. وفي السورة فضل أبي بكر وذكر الغار، فقرأها عليّ على الناس، فهذا مبالغة في فضل أبي بكر وحجة قاطعة».

وتأمره لأبي بكر علىّ عليّ هذا كان بعد قوله: / «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟»^(٦) ولا ريب أن هذا الرافضي ونحوه من شيوخ الرافضة من أجهل الناس بأحوال الرسول وسيرته وأموره ووقائعه، يجهلون من ذلك ما هو متواتر معلوم لمن له أدنى معرفة بالسيرة، ويجيئون إلى ما وقع فيقلّبونه، ويزيدون فيه وينقصون. وهذا القدر، وإن كان الرافضي لم يفعله، فهو فعل شيوخته وسلفه

(١) ن، م: معنا عليّ.

(٢) ن، س: بأن؛ م: أن.

(٣) م: ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٤) لم أجد الكلام التالي بنصه فيما بين يدي من كتب ابن حزم: الفصل وغيره، ولكن ذكر ابن

حزم كلاماً مقارباً في معناه من الكلام التالي في «الفصل» ٢٢٢/٤.

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٠١/١.

الذين قلّدهم، ولم يحقق ما قالوه، ويراجع^(١) ما هو المعلوم عند أهل العلم المتواتر عندهم، المعلوم لعامتهم وخاصتهم.

الثاني: قوله: «الإمامة العامة متضمنة لأداء جميع الأحكام إلى الأمة».

قول باطل؛ فالأحكام كلها قد تلقتها الأمة عن نبيّها، لا تحتاج فيها إلى الإمام إلا كما تحتاج إلى نظائره من العلماء، وكانت عامة الشريعة التي يحتاج الناس إليها عند الصحابة معلومة، ولم يتنازعوا زمن الصديق في شيء منها، إلا واتفقوا بعد النزاع بالعلم الذي^(٢) كان يظهره بعضهم لبعض، وكان الصديق يعلم عامة الشريعة، وإذا خفى عنه^(٣) الشيء اليسير سأل عنه الصحابة ممن كان عنده علم ذلك^(٤)، كما سألهم عن ميراث الجدة^(٥)، فأخبره من أخبره منهم أن النبي صلى الله عليه وسلم أعطاهما^(٦) السدس^(٧).

(١) ن، م، س: وراجع.

(٢) س، ب: بالذي.

(٣) م: عليه.

(٤) م: علم من ذلك.

(٥) س، ب: الجد.

(٦) س، ب: أعطاه.

(٧) في «المغني» لابن قدامة ٢٦١/٦: «ولنا ما روى قبيصة بن ذؤيب قال: «جاءت الجدات إلى أبي بكر تطلب ميراثها، فقال: مالك في كتاب الله عز وجل شيء، وما أعلم لك في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، ولكن أرجع حتى أسأل الناس، فقال المغيرة بن شعبه: حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أعطاهما السدس؛ فقال: هل معك غيرك؟ فشهد له محمد بن مسلمة، فأمضاهما أبو بكر».

ولم يعرف لأبي بكر فتياً ولا حكم خالف نصّاً، وقد عُرف لعمر وعثمان وعليّ من ذلك أشياء^(١)، والذي عرف لعليّ أكثر مما عرف لهما^(٢).
 مثل قوله في [الحامل]^(٣) المتوفى عنها زوجها: إنها تعتد أبعد الأجلين. وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لسبيعة الأسلمية لما وضعت بعد وفاة زوجها بثلاث ليالٍ: «حللت فانكحي من شئت» ولما قالت له: إن أبا السنابل قال: ما أنت بناكحة حتى يمضي عليك آخر الأجلين. قال: «كذب أبو السنابل»^(٤).

وقد جمع الشافعي في كتاب «خلاف عليّ وعبد الله» من أقوال عليّ التي تركها الناس لمخالفتها النصّ أو معنى النصّ جزءاً كبيراً.
 وجمع بعده محمد بن نصر المروزي أكثر من ذلك؛ فإنه كان إذا ناظره الكوفيون يحتج بالنصوص، فيقولون: نحن أخذنا / بقول عليّ وابن مسعود، فجمع لهم أشياء كثيرة^(٥) من قول عليّ وابن مسعود تركوه، أو تركه الناس، يقول: إذا جاز لكم خلافهما^(٦) في تلك المسائل لقيام الحجة على خلافهما^(٦)، فكذلك في سائر المسائل. ولم يعرف لأبي بكر مثل هذا.

(١) م، ب: شيء.

(٢) ن، م، س: منها.

(٣) الحامل: ساقطة من (ن)، (م)، (س).

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٤٣/٤.

(٥) ن، م: شيئاً كثيراً.

(٦) ن، م، س: خلافهما.

الثالث: أن القرآن بلغه عن النبي صلى الله عليه وسلم كلُّ أحدٍ من المسلمين، فيمتنع أن يقال: إن أبا بكر لم يكن يصلح لتبليغه.

الوجه الثالث

الرابع: أنه لا يجوز أن يظن أن تبليغ القرآن يختص بعليٍّ، فإن القرآن لا يثبت بخبر الأحاد، بل لابد أن يكون منقولاً بالتواتر.

الوجه الرابع

الخامس: أن الموسم ذلك العام كان يحج فيه المسلمون والمشركون، وكان النبي صلى الله عليه وسلم أمراً أبا بكر أن ينادى في الموسم: «أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان» كما ثبت في الصحيحين^(١). فأى حاجة كانت بالمشركون إلى أن يبلغوا القرآن^(٢).

الوجه الخامس

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(٣): «الثاني عشر: قول عمر: إن محمداً لم يمت، وهذا يدل^(٤) على قلة علمه، وأمر برجم حامل، فنهاه عليٌّ، فقال: لولا عليٌّ لهلك عمر. وغير ذلك من الأحكام التي غلط فيها وتلون فيها».

قال الرافضي:
الثاني عشر:
قول عمر: إن
محمداً لم يمت،
وهذا يدل
على...

(١) سبق هذا الحديث قبل صفحات وفي الجزء السابق ٧/

(٢) س، ب: .. القرآن والله سبحانه وتعالى أعلم.

(٣) في (ك) ص ١٩٦ (م).

(٤) ك: إن محمداً صلى الله عليه وآله لم يمت، وهو يدل...

والجواب أن يقال: **أولاً**: ثبت في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «قد كان قبلكم في الأمم محدثون، فإن يكن في أمتي أحد فعمر»^(١) ومثل هذا لم يقله لعلّي.

وأنه قال: «رأيت أني أتيت بقدح فيه لبن، فشربت حتى أني لأرى الرّئى يخرج من أظفارى، ثم ناولت فضلى عمر» قالوا: فما أولته يا رسول الله؟ قال: «العلم»^(٢).

فعمر كان أعلم الصحابة بعد أبي بكر.

وأما كونه ظن أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يمت، فهذا كان ساعة، ثم تبين له موته. ومثل هذا يقع كثيراً: قد يشك الإنسان في موت ميّت ساعة وأكثر، ثم يتبين له موته. وعليّ قد تبين له أمورٌ بخلاف ما كان يعتقد فيها أضعاف ذلك، / بل ظنّ كثيراً من الأحكام على خلاف ما هى عليه، ومات على ذلك، ولم يقدح ذلك في إمامته، كفتياه في المفوضة التي ماتت ولم يُفرض لها، وأمثال ذلك مما هو معروف عند أهل العلم.

وأما الحامل، فإن كان^(٣) لم يَعْلَمْ أنها حامل، فهو من هذا الباب؛ فإنه قد يكون أمر برجمها ولم يعلم أنها حامل، فأخبره عليّ أنها حامل. فقال: لولا أن عليّاً أخبرنى بها لرجمتها، فقتلت الجنين. فهذا هو الذى خاف منه.

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى.

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى.

(٣) س، ب: كانت.

وإن قدر أنه كان يظن جواز رجم الحامل، فهذا مما قد يخفى؛ فإن الشرع قد جاء في موضع بقتل الصبي والحامل تبعاً، كما إذا حوَصِر الكفار، فإن النبي صلى الله عليه وسلم حاصر أهل الطائف، ونصب عليهم المنجنيق، وقد يُقتل النساء والصبيان.

وفي الصحيح أنه سُئل عن أهل الدار من المشركين يبيتون فيُصاب من نسائهم وصبيانهم، فقال: «هم منهم»^(١).
وقد ثبت عنه أنه نهى عن قتل النساء^(٢) والصبيان.

وقد اشتبه هذا على طائفة من أهل العلم، فمنعوا من البيات خوفاً من قتل النساء والصبيان.

فكذلك قد يشبه على من ظن جواز ذلك، ويقول: إن الرجم حد واجب على الفور فلا يجوز تأخيره.

لكن السنة فرقت بين ما يمكن تأخيره كالحد، وبين ما يحتاج إليه كالبيات والحصار.

وعمر رضى الله عنه كان يراجعه آحاد الناس، حتى في مسألة الصداق. قالت امرأة له: أمنك نسمع أم من كتاب الله؟ فقال: بل^(٣) من كتاب الله. فقالت: إن الله يقول: ﴿وَأَتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَاراً فَلَا تَأْخُذُوا

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى.

(٢) بعد كلمة «النساء» توجد ورقة لم تصور من نسخة (م) أو قد تكون مفقودة من النسخة الأصلية، وسأنبه على النسخة عند العودة إليها إن شاء الله.

(٣) بل: ساقطة من (س)، (ب).

مِنْهُ شَيْئًا» [سورة النساء: ٢٠] ، فقال : امرأة أصابت ورجل أخطأ»^(١) .
وكذلك كان يرجع إلى عثمان وغيره ، وهو أعلم من هؤلاء كلهم .
وصاحب العلم العظيم إذا رجع إلى من هو دونه في بعض الأمور ، لم^(٢) يقدر
هذا في كونه أعلم منه ، فقد تعلّم موسى من الخضر ثلاث مسائل ،
وتعلّم سليمان من الهدهد خبر بلقيس .
وكان الصحابة فيهم من يشير على النبي صلى الله عليه وسلم في بعض
الأمر^(٣) ، وكان عمر أكثر الصحابة مراجعة للنبي صلى الله عليه وسلم ،
ونزل القرآن بموافقته في مواضع : كالحجاب ، وأسارى بدر ، واتخاذ مقام
إبراهيم مصلًى ، وقوله : عسى ربه إن طلقكن ، وغير ذلك .
وهذه الموافقة والمراجعة لم تكن لا^(٤) لعثمان ولا لعلى .
وفي الترمذى : «لو لم أبعث فيكم لبعث فيكم عمر»^(٥) . «ولو كان بعدى
نبي لكان عمر»^(٦) .

(١) سبق الكلام على هذا الأثر فيما مضى .

(٢) ن ، س : ولم .

(٣) عبارة «في بعض الأمور» : ساقطة من (ن) ، (س) .

(٤) لا : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى .

(٦) سبق هذا الحديث فيما مضى .

﴿ فصل ﴾

قال الرافضى^(١) : «الثالث عشر: أنه ابتدع التراويح ، مع أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أيها الناس^(٢) إن الصلاة بالليل في شهر رمضان من النافلة جماعة بدعة، وصلاة الضحى بدعة، فإن قليلاً^(٣) في سنة خير من كثير في بدعة، ألا وإن كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة سبيلها إلى النار. وخرج عمر في شهر رمضان ليلاً، فرأى المصاييح في المساجد، فقال: ما هذا؟ ف قيل له: إن الناس قد اجتمعوا لصلاة التطوع. فقال: بدعة ونعمت^(٤) البدعة، فاعترف بأنها بدعة» .

قال الرافضى:
الثالث عشر: أنه
ابتدع
التراويح... الخ

فيقال: ما روى في طوائف أهل البدع والضلال أجراً من هذه الطائفة الرافضة على الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقولها عليه ما لم يقله، والوقاحة المفرطة في الكذب، وإن كان فيهم من لا يعرف أنها كذب، فهو مفرط في الجهل. كما قال:

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

الرد عليه
ص ٣٦٥

(١) في (ك) ص ١٩٦ (م).

(٢) ك: يا أيها الناس...

(٣) ك: وصلاة الضحى بدعة، ألا فلا تجمعوا ليلاً في شهر رمضان في النافلة، ولا تصلوا

صلاة الضحى، فإن قليلاً...

(٤) ك: ونعم.

من
الجواب
وجوه
الوجه الأول

والجواب من وجوه: أحدها: المطالبة. فيقال: ما الدليل على صحة هذا الحديث؟ وأين إسناده؟ وفي أى كتاب من كتب المسلمين روى هذا؟ ومن قال من أهل العلم بالحديث: إن هذا صحيح؟

الوجه الثاني

الثانى: أن جميع أهل المعرفة بالحديث يعلمون علماً ضرورياً أن هذا من الكذب الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدنى من له معرفة بالحديث يعلم أنه كذب، لم يروه أحدٌ من / المسلمين فى شىء من كتبه: لا كتب الصحيح، ولا السنن، ولا المساند، ولا المعجمات، ولا الأجزاء، ولا يعرف له إسناده: لا صحيح، ولا ضعيف، بل هو كذب بين.

٢٢٤/٤

الوجه الثالث

الثالث: أنه قد ثبت أن الناس كانوا يصلّون بالليل فى رمضان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم. وثبت أنه صلى بالمسلمين جماعةً ليلتين أو ثلاثاً.

ففى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها أن النبى صلى الله عليه وسلم خرج ليلةً من جوف الليل، فصلّى وصلّى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدّثوا، فاجتمع أكثر منهم، فصلّى فصلّوا معه، فأصبح الناس فتحدّثوا، فكثرت أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى بصلاته. فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، فلم يخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطفق رجال يقولون: الصلاة، فلم يخرج إليهم حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد، ثم قال: «أما بعد، فإنه لم يخف على مكانكم،

ولكن خشيت أن تُفرض عليكم ، فتعجزوا عنها» فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك ، وذلك في رمضان^(١).

وعن أبي ذر قال : صمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم رمضان ، فلم يقم بنا شيئاً من الشهر ، حتى بقى سبع ، فقام بنا حتى ذهب ثلث الليل ، « فلما كانت السادسة لم يقم بنا ، فلما كانت الخامسة قام بنا ، حتى ذهب شطر الليل^(٢) ، فقلت : يا رسول الله لو نفلتنا قيام هذه الليلة . قال : « إن الرجل إذا صلى مع الإمام حتى ينصرف حُسِبَ له قيام ليلة » . فلما كانت الليلة الرابعة لم يقم بنا ، فلما كانت [الليلة]^(٣) الثالثة جمع أهله ونساءه ، فقام بنا ، حتى خشينا أن يفوتنا الفلاح . قلت : وما الفلاح ؟ قال : السحور . ثم لم يقم بنا بقية الشهر . رواه أحمد والترمذي والنسائي وأبو داود^(٤).

(١) الحديث عن عائشة رضى الله عنها فى : البخارى ١١/٢ (كتاب الجمعة ، باب من قال فى الخطبة بعد الثناء : أما بعد) ، ٤٥/٣ (كتاب صلاة التراويح ، باب فضل من قام رمضان) ؛ سنن أبى داود ٦٧/٢ (كتاب تفریع أبواب شهر رمضان ، باب فى قيام شهر رمضان).

(٢-٢) : ساقط من (س) ، (ب) .

(٣) الليلة : زيادة فى (ب) .

(٤) الحديث عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه فى : سنن أبى داود ٦٨/٢ (كتاب تفریع أبواب شهر رمضان ، باب فى قيام شهر رمضان) ؛ سنن الترمذى ١٥٠/٢ (كتاب الصوم ، باب ما جاء فى قيام شهر رمضان) وقال الترمذى : « هذا حديث حسن صحيح » ؛ سنن النسائى ٢٠٢/٣ - ٢٠٣ (كتاب قيام الليل ، باب قيام شهر رمضان) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٥٩/٥ - ١٦٠ ، ١٦٣ ؛ سنن ابن ماجه ٤٢٠/١ - ٤٢١ (كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء فى قيام شهر رمضان) ؛ سنن البيهقى ٤٩٤/٢ - ٤٩٥ .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرغب في قيام رمضان من غير أن يأمر فيه بعزيمة، ويقول: «من قام رمضان إيماناً واحتساباً غُفر له ما تقدم من ذنبه» فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرًا من خلافة عمر^(١).

وخرج البخاري عن عبد الرحمن بن عبد القاري قال: خرجت مع عمر ليلة من رمضان إلى المسجد، فإذا الناس أوزاع متفرقون، يصلي الرجل لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط. فقال عمر: إني لأرى لو جمعت هؤلاء على قاريء واحد لكان أمثل. ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب، ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم. قال عمر: نعمت البدعة هذه^(٢)، والتي تنامون عنها أفضل من التي تقومون. يريد بذلك آخر الليل. وكان الناس يقومون أوله^(٣).

وهذا الاجتماع العام لما لم يكن قد فعل سماه بدعة، لأن ما فعل ابتداءً

(١) الحديث بهذا اللفظ عن أبي هريرة رضي الله عنه في البخاري ٤٤/٣ - ٤٥ (كتاب التراويح، باب فضل من قام رمضان)؛ مسلم ٥٢٣/١ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في قيام رمضان وهو التراويح). وهو أيضاً في: سنن أبي داود ٢٦٦/٢ - ٢٧ (كتاب تفريع أبواب شهر رمضان، باب في قيام شهر رمضان)؛ الموطأ ١١٣/١ - ١١٤ (كتاب الصلاة في رمضان، باب الترغيب في الصلاة في رمضان).

(٢) في هامش (س) كتب أمام هذا الموضع ما يلي: «البدعة الشرعية هي الضلالة دون البدعة اللغوية، والتراويح من الثاني».

(٣) الحديث عن عبد الرحمن بن عبد القاري في: البخاري ٤٥/٣ (كتاب صلاة التراويح، باب فضل من قام رمضان)؛ الموطأ ١١٤/١ - ١١٥ (كتاب الصلاة في رمضان، باب ما جاء في قيام رمضان).

يُسَمَّى بدعة في اللغة. وليس ذلك بدعة شرعية؛ فإن البدعة الشرعية التي هي ضلالة هي ما فُعل بغير دليل شرعي، كاستحباب ما لم يحبه الله، وإيجاب ما لم يوجبه الله، وتحريم ما لم يحرمه الله، فلا بد مع الفعل^(١) من اعتقاد يخالف الشريعة، وإلا فلو عمل الإنسان فعلاً محرماً يعتقد تحريمه لم يقل: إنه فعل بدعة.

الوجه الرابع

الرابع: أن هذا لو كان قبيحاً منهيّاً عنه لكان عليّ أبطله لما صار أمير المؤمنين وهو بالكوفة. فلما كان جارياً في ذلك مجرى عمر، دلّ على استحباب ذلك. بل روى عن عليّ أنه قال: نور الله على عمر قبره كما نور علينا مساجدنا.

وعن أبي عبد الرحمن السلمي أن عليّاً دعا القراء في رمضان، فأمر رجلاً منهم يصلي بالناس عشرين ركعة، قال^(٢): وكان عليّ يوتر بهم^(٣). وعن عرفة الثقفى قال: كان عليّ يأمر الناس بقيام شهر رمضان، ويجعل للرجال إماماً وللنساء إماماً. قال عرفة: فكنت أنا إمام النساء. رواهما البيهقي في «سننه»^(٤).

وقد تنازع / العلماء في قيام رمضان: هل فعله في المسجد جماعة أفضل، أم فعله في البيت أفضل؟ على قولين مشهورين، هما قولان

ظ ٣٦٥

(١) ن: العقل، وهو تحريف.

(٢) قال: ساقطة من (س)، (ب).

(٣) هذا الأثر عن أبي عبد الرحمن السلمي في: سنن البيهقي ٤٩٦/٢ - ٤٩٧.

(٤) هذا الأثر عن عرفة السلمي في: سنن البيهقي ٤٩٤/٢.

لشافعي وأحمد. وطائفة يرجحون فعلها في المسجد جماعة، منهم الليث. وأما مالك وطائفة فيرجحون فعلها في البيت، ويحتجون بقول النبي صلى الله عليه وسلم: «أفضل الصلاة صلاة المرء / في بيته إلا المكتوبة» أخرجاه في الصحيحين^(١).

وأحمد وغيره احتجوا بقوله في حديث أبي ذر: «الرجل إذا قام مع الإمام حتى ينصرف كتب [الله] له^(٢) قيام ليلة^(٣)».

وأما قوله: «أفضل [الصلاة]»^(٤) صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة فالمراد بذلك ما لم تُشرع له الجماعة، وأما ما شرعت له الجماعة^(٥) كصلاة الكسوف، ففعلها في المسجد أفضل بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المتواترة واتفاق العلماء.

(١) الحديث عن زيد بن ثابت رضي الله عنه في: البخارى ١٤٧/١ (كتاب الأذان، باب صلاة الليل) ونصه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتخذ حجرة، قال: حسبته أنه قال: من حصر في رمضان، فصلّى فيها ليالى، فصلّى بصلاته ناس من أصحابه، فلما علم بهم جعل يقعد، فخرج إليهم فقال: «قد عرفت الذى رأيت من صنعكم، فصلّوا أيها الناس فى بيوتكم، فإن أفضل الصلاة صلاة المرء فى بيته إلا المكتوبة». والحديث أيضا - مع اختلاف فى الألفاظ - فى: البخارى ٢٨/٨ (كتاب الأدب، باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله)، ٩٥/٩ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ما يكره من كثرة السؤال..)، مسلم ٥٣٩/١ - ٥٤٠ (كتاب صلاة المسافرين، باب استحباب صلاة النافلة فى بيته وجوازها فى المسجد). والحديث فى سنن أبى داود والترمذى والنسائى والموطأ والمسند وسنن البيهقى.

(٢) ن: كُتِبَ له.

(٣) سبق هذا الحديث قبل صفحات (ص ٣٠٧).

(٤) الصلاة: ساقطة من (ن)، (س).

(٥) عبارة «وأما شرعت له صلاة الجماعة» ساقطة من (س). وفى (ب): أما

قالوا: فقيام^(١) رمضان إنما لم يجمع النبي صلى الله عليه وسلم الناس عليه خشية أن يفترض. وهذا قد أمن بموته، فصار هذا كجمع المصحف وغيره.

وإذا كانت الجماعة مشروعة فيها ففعلها في الجماعة أفضل.

وأما قول عمر رضى الله عنه: «والتي تنامون عنها أفضل، يريد آخر الليل وكان الناس يقومون أوله» فهذا كلام صحيح، فإن آخر الليل أفضل، كما أن صلاة العشاء في أوله أفضل، والوقت المفضل قد يختص العمل فيه بما يوجب أن يكون أفضل منه في غيره، كما أن الجمع بين الصلاتين بعرفة ومزدلفة أفضل من التفريق بسبب أوجب ذلك، وإن كان الأصل أن الصلاة في وقتها الحاضر^(٢) أفضل، والإبراد بالصلاة في شدة الحر أفضل.

وأما يوم الجمعة فالصلاة عقب الزوال أفضل، ولا يستحب الإبراد بالجمعة، لما فيه من المشقة على الناس. وتأخير العشاء إلى ثلث الليل أفضل، إلا إذا اجتمع الناس وشق عليهم الانتظار، فصلاهما قبل ذلك أفضل. وكذلك الاجتماع في شهر رمضان في النصف الثاني: إذا كان يشق على الناس.

وفي السنن عن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

(١) ن : قيام.

(٢) ن : الخاص.

«صلاة الرجل مع الرجل أزكى من صلاته وحده، وصلاته مع الرجلين أزكى من صلاته مع الرجل، وما كان أكثر فهو أحب إلى الله»^(١).
ولهذا كان الإمام أحمد في إحدى الروايتين يستحب إذا أسفر بالصبح أن يسفر بها لكثرة الجمع، وإن كان التغليس أفضل.
فقد ثبت بالنص والاجماع أن الوقت المفضل قد يختص بما يكون الفعل فيه أحيانا أفضل.

وأما الضحى فليس لعمر فيها اختصاص، بل قد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة قال: «أوصاني خليلي صلى الله عليه وسلم بصيام ثلاثة أيام^(٢) من كل شهر، وركعتي الضحى، وأن أوتر قبل أن أنام»^(٣).

(١) الحديث عن أبي بن كعب رضى الله عنه فى : سنن أبى داود ١٥١/١ - ١٥٢ (كتاب الصلاة، باب فى فضل صلاة الجماعة) ونصه فيها : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً الصبح، فقال : «أشاهد فلان؟» قالوا : لا . قال : «أشاهد فلان؟» قالوا : لا . قال : إن هاتين الصلاتين أثقل الصلوات على المنافقين، ولو تعلمون ما فيهما لأتيتكما ولو خبوا على الركب، وإن الصف الأول على مثل صف الملائكة، ولو علمتم ما فضيلته لا تبترتموه، وإن صلاة الرجل مع الرجل . . . الحديث، وهو فى : سنن النسائى ١٠٤/٢ - ١٠٥ (كتاب الإمامة، باب الجماعة إذا كانوا اثنين)؛ المسند (ط . الحلبي) ١٤٠/٥ . وصحح الألبانى الحديث فى «صحيح الجامع الصغير» ٢٥٤/٢ - ٢٥٥.

(٢) أيام : ساقطة من (س)، (ب).

(٣) الحديث عن أبى هريرة رضى الله عنه فى : البخارى ٤١/٣ (كتاب الصوم، باب صيام أيام البيض . . .). وجاء مختصراً فيه ٥٧/٢ (كتاب التهجد، باب ما جاء فى التطوع مثنى مثنى). وجاء الحديث كاملاً فى : مسلم ٤٩٩/١ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى . . .)؛ سنن أبى داود ٨٩/٢ (كتاب الوتر، باب فى الوتر قبل النوم). والحديث فى سنن النسائى ومسند أحمد.

وفي صحيح مسلم عن أبي الدرداء مثل^(١) حديث أبي هريرة^(٢).
وفي صحيح مسلم عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:
«يصبح على كل سلامى من أحدكم صدقة، فكل تسبيحة صدقة، وكل
تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر بالمعروف
صدقة، ونهى عن المنكر صدقة، ويجزىء من ذلك ركعتان يركعهما من
الضحى»^(٣).

﴿ فصل ﴾

قال الرافضي: ^(٤) «الرابع عشر: أن عثمان فعل أموراً لا يجوز
فعلها، حتى أنكر عليه المسلمون كافة، واجتمعوا على قتله أكثر
من اجتماعهم على إمامته وإمامة صاحبيه».

قال الرافضي:
الرابع عشر: إن
عثمان فعل أموراً
لا يجوز
فعلها... إلخ

- (١) ن، س: من، وهو تحريف.
- (٢) الحديث عن أبي الدرداء رضى الله عنه فى: مسلم ٤٩٩ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى...)؛ سنن أبى داود ٨٩/٢ (كتاب الوتر، باب فى الوتر قبل النوم).
- (٣) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه فى: مسلم ٤٩٨/١ - ٤٩٩ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى...)؛ سنن أبى داود ٣٦/٢ - ٣٧ (كتاب التطوع، باب صلاة الضحى): ٤٨٩/٤ - ٤٩٠ (كتاب الأدب، باب فى إمطة الأذى عن الطريق). وقال المعلق رحمه الله: «والسلامى - بزنة الخزامى - أراد به هنا كل عظم ومفصل يعتمد عليه فى الحركة ويقع به القبض والبسط».
- (٤) فى (ك) ص ١٩٧ (م).

الجواب من
وجوه
الوجه الأول

والجواب من وجوه: أحدها: أن هذا من أظهر الكذب؛ فإن الناس كلهم بايعوا عثمان في المدينة وفي جميع الأمصار، لم يختلف في إمامته^(١) اثنان، ولا تخلف عنها أحد. ولهذا قال الإمام أحمد وغيره: إنها كانت أوكد من غيرها^(٢) باتفاقهم عليها.

وأما الذين قتلوه فنفر قليل. قال ابن الزبير يعيب قتلة عثمان: «خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية، فقتلهم الله كل قتلة، ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب» يعني هربوا ليلاً.

ومعلوم بالتواتر أن أهل الأمصار لم يشهدوا قتله، فلم يقتله بقدر من بايعه. وأكثر أهل المدينة لم يقتلوه، ولا أحد من السابقين الأولين دخل في قتله، كما دخلوا في بيعته. بل الذين قتلوه أقل من عشر معشار من بايعه. فكيف يقال: إن اجتماعهم على قتله كان أكثر من اجتماعهم على بيعته؟! لا يقول هذا إلا من هو من أجهل الناس بأحوالهم، وأعظمهم تعمداً للكذب عليهم.

الوجه الثاني

٢٢٦ / ٤

الثاني: أن يقال: الذين أنكروا على عليّ وقاتلوه أكثر بكثير من / الذين أنكروا على عثمان وقتلوه؛ فإن علياً قاتله بقدر الذين قتلوا عثمان أضعافاً مضاعفة، وقطعه كثير من عسكره: خرجوا عليه وكفروه، وقالوا: أنت ارتددت عن الإسلام، لا نرجع إلى طاعتك حتى تعود إلى الإسلام.

(١) ن، س: في زمنه، وهو تحريف.

(٢) س: من غيرهم، وهو تحريف.

ثم إن واحداً من هؤلاء قَتَله قتل مستحل لقتله، متقرب إلى الله بقتله، معتقداً فيه أقبح مما اعتقده قتلة عثمان فيه .

ص ٣٦٦

فإن الذين خرجوا على عثمان لم يكونوا مظهرين لكفره، وإنما / كانوا يدعون الظلم . وأما الخوارج فكانوا^(١) يجهرون بكفر على، وهم أكثر من السرية التي قدمت المدينة لحصار عثمان حتى قُتل .

فإن كان هذا حجة في القدح في عثمان، كان ذلك حجة في القدح في على بطريق الأولى . والتحقيق أن كليهما^(٢) حجة باطلة، لكن القادح في عثمان بمن قتله أدحض حجة من القادح في على بمن قاتله ؛ فإن المخالفين لعلى المقاتلين له كانوا أضعاف المقاتلين لعثمان، بل الذين قاتلوا على كانوا أفضل باتفاق المسلمين من الذين حاصروا عثمان وقتلوه، وكان في المقاتلين^(٣) لعلى أهل زهد وعبادة، ولم يكن قَتلة عثمان لا في الديانة ولا في إظهار تكفيره مثلهم . ومع هذا فعلى خليفة راشد، والذين استحلوا دمه ظالمون معتدون، فعثمان أولى بذلك من على .

الوجه الثالث

الثالث : أن يقال : قد علم بالتواتر أن المسلمين كلهم اتفقوا على مبايعة عثمان، لم يتخلف عن بيعته أحد، مع أن بيعة الصديق تخلف عنها سعد بن عباد، ومات ولم يبايعه ولا بايع عمر، ومات في خلافة

(١) ن، س : كانوا .

(٢) ن، س : كلاهما، وهو خطأ .

(٣) س : المقاتلين .

عمر. ولم يكن تخلف سعد عنها قادحاً فيها، لأن سعداً لم يقدح في الصديق، ولا في أنه أفضل المهاجرين، بل كان هذا معلوماً عندهم، لكن طلب أن يكون من الأنصار أمير.

وقد ثبت بالنصوص المتواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الأئمة من قريش»^(١) فكان ما ظنّه سعد خطأ مخالفاً للنص المعلوم. فعُلم أن تخلفه خطأ بالنص، «وإذا علم الخطأ بالنص» لم يُحتج فيه إلى الإجماع.

وأمابيعة عثمان فلم يتخلف عنها أحد، مع كثرة المسلمين وانتشارهم من إفريقية إلى خراسان، ومن سواحل الشام إلى أقصى اليمن، ومع كونهم كانوا ظاهرين على عدوهم من المشركين وأهل الكتاب يقاتلونهم، وهي في زيادة فتح وانتصار، ودوام دولة، ودوام المسلمين على مبايعته والرضا عنه ست سنين نصف خلافته، معظمين له مادحين له، لا يظهر من أحد منهم التكلم فيه بسوء.

ثم بعد هذا صار يتكلم فيه بعضهم، وجمهورهم لا يتكلم فيه إلا بخير. وكانت قد طالت عليهم إمارته؛ فانه بقي اثنتي عشرة سنة، لم تدم خلافة أحدٍ من الأربعة ما دامت خلافته؛ فإن خلافة الصديق كانت سنتين وبعض الثالثة، وخلافة عمر عشر سنين وبعض الأخرى، وخلافة عليّ أربع سنين وبعض الخامسة، ونشأ في خلافته من دخل في الإسلام

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى.

(٢-٢) : ساقط من (س)، (ب).

كرهاً فكان منافقاً، مثل ابن سبأ وأمثاله، وهم الذين سَعَوْا فى الفتنه بقتله .

وفى المؤمنين من يسمع المنافقين . كما قال تعالى : ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَا أُضْعِفُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمْ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ [سورة التوبة : ٤٧] : أى : وفيكم من يسمع^(١) منهم فيستجيب لهم ويقبل منهم ، لأنهم يلبسون عليه .

وهكذا فعل أولئك المنافقون : لبسوا على بعض من كان عندهم يحب عثمان ويبغض من كان يبغضه ، حتى تقاعد بعض الناس عن نصره .

وكان الذين اجتمعوا على قتله عامتهم من أوباش القبائل ، ممن لا يُعرف له فى الإسلام ذكر بخير ، ولولا الفتنة لما ذكروا .

وأما على فمن حين تولى تخلف عن بيعته قريب من نصف المسلمين من السابقين الأولين ، من المهاجرين والأنصار وغيرهم ، ممن قعد عنه فلم يقاتل معه ولا قاتله ، مثل أسامة بن زيد ، وابن عمر ، ومحمد بن مسلمة ، ومنهم من قاتله^(٢) .

ثم كثير من الذين بايعوه رجعوا عنه : منهم من كفره واستحل دمه ، ومنهم من ذهب إلى معاوية ، كعقيل أخيه وأمثاله .

(١) ن : يسمع .

(٢) عند عبارة « ومنهم من قاتله » تعود نسخة (م) .

ولم تزل شيعة عثمان القادحين في عليّ تحتج بهذا عليّ أن عليّاً /
لم يكن خليفة راشداً، وما كانت^(١) حجتهم أعظم من حجة الرفض،
فإذا^(٢) كانت حجتهم داحضة، وعليّ قتل مظلوماً، فعثمان أولى بذلك.

﴿ باب ﴾

قال الرفض^(٣) : «الفصل السادس : في فسخ^(٤) حجتهم^(٥) على إمامة أبي بكر. احتجوا بوجوه : الأول : الإجماع . والجواب منع الإجماع ؛ فإن جماعة من بني هاشم لم يوافقوا على ذلك ، وجماعة من أكابر الصحابة ، كسلمان وأبي ذر والمقداد وعمّار وحذيفة وسعد بن عباد وزيد بن أرقم وأسامة بن زيد وخالد بن سعيد بن العاص^(٦) [وابن عباس]^(٧) .

(١) ن، م، س : ما كانت.

(٢) س، ب : وإذا.

(٣) في (ك) ص ١٩٧ (م).

(٤) فسخ : ساقطة من (س)، (ب). وفي (ك) : نسخ.

(٥) س، ب : حجتهم.

(٦) م، ك : وخالد بن سعد بن أبي وقاص، وهو خطأ. وخالد بن سعيد بن العاص صحابي من السابقين إلى الإسلام، اختلف في يوم استشهاده فقيل في : يوم مرج الصفر، وقيل : يوم أجنادين . انظر ترجمته في : الإصابة ٤٠٦/١ ؛ طبقات ابن سعد ٩٤/٤ - ١٠٠ .
(٧) وابن عباس في (ك) فقط.

قال الرفض :
الفصل
السادس : في
فسخ حجتهم
على إمامة أبي
بكر .
احتجوا بوجوه :
الأول الإجماع
والجواب منع
الإجماع . الخ

حتى أن أباه أنكر ذلك^(١)، وقال: من استخلف على الناس؟^(٢) فقالوا: ابنك. فقال: وما فعل المستضعفان؟ إشارة إلى عليّ والعبّاس^(٣). قالوا: اشتغلوا بتجهيز رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورأوا [أن]^(٤) ابنك أكبر [الصحابه سنًا، فقال: أنا] أكبر^(٥) منه.

وبنو حنيفة كافة لم يحملوا^(٦) الزكاة إليه، حتى سمّاهم أهل الردة، وقتلهم وسباهم، فأنكر^(٧) عمر عليه، وردّ السبايا أيام خلافته.

والجواب: بعد أن يقال: الحمد لله الذي أظهر من أمر هؤلاء إخوان المرتدّين ما تحقق به عند الخاص والعام أنهم إخوان المرتدّين حقًا، وكشف / أسرارهم، وهتك أستارهم بالسنتهم؛ فإن الله لا يزال يطّلع على خائنة منهم، تبين عداوتهم لله ورسوله، ولخيار عباد الله وأوليائه المتّقين، ومن يُرد الله فنتته فلن تملك له من الله شيئاً.

الجواب

ظ ٣٦٦

(١) أي أن أباه قحافة والد أبي بكر أنكر أن يستخلف الناس ابنه.

(٢) ك: من استخلف الناس.

(٣) ك: إشارة إلى عليّ عليه السلام وعبّاس عليه السلام.

(٤) أن: ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

(٥) ن، م، س: وابنك أكبر منه؛ ب: ابنك أكبر سنًا. والمثبت من (ك) وهو الصواب.

(٦) ن، م، س، ب: ولم يحملوا، وهو خطأ. والمثبت من (ك).

(٧) ك: وأنكر.

فتقول: من كان له أدنى علم بالسيرة، وسمع مثل هذا الكلام، جزم بأحد أمرين: إما بأن قائله من أجهل الناس بأخبار الصحابة، وإما أنه من أجراً الناس على الكذب. فظننى أن هذا المصنف وأمثاله من شيوخ الرافضة ينقلون ما فى كتب سلفهم، من غير اعتبار منهم لذلك، ولا نظر فى أخبار^(١) الإسلام، وفى الكتب المصنفة فى ذلك، حتى يعرف أحوال الإسلام، فيبقى هذا وأمثاله فى ظلمة الجهل بالمنقول والمعقول.

ولا ريب أن المفترين للكذب^(٢) من شيوخ الرافضة كثيرون جداً^(٣). وغالب القوم ذوو هوى أو جهل، فمن حدّثهم بما يوافق هواهم صدّقوه، ولم يبحثوا عن صدقه وكذبه، ومن حدّثهم^(٤) بما يخالف أهواءهم كذبوه، ولم يبحثوا عن صدقه وكذبه. ولهم نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصُّدُقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٢]، كما أن أهل العلم والدين لهم نصيب وافر من قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣]. ومن أعظم ما فى هذا الكلام من الجهل والضلال جعله^(٥) بنى حنيفة

(١) م : ولا نظروا أخبار ...

(٢) م : الكذب ..

(٣) م : كثير جداً.

(٤) س، ب : يتحدثهم.

(٥) م : جعل.

من أهل الإجماع؛ فإنهم لما امتنعوا عن بيعته ولم يحملوا^(١) إليه الزكاة سُمّاهم أهل الردة، وقتلهم وسباهم. وقد تقدّم مثل هذا في كلامه.

وينو حنيفة قد علم الخاص والعام أنهم آمنوا بمسيّلة الكذاب، الذي ادّعى النبوة باليمامة، وادّعى أنه شريك النبي صلى الله عليه وسلم في الرسالة، وادّعى النبوة في آخر حياة النبي صلى الله عليه وسلم، [فقتل]^(٢) هو والأسود العنسي بصنعاء اليمن، وكان اسمه عبهلة، وأتبع الأسود أيضا خلق كثير، ثم قتله الله بيد فيروز الديلمي ومن أعانه على ذلك، وكان قتله في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله^(٣) ليلة قتل، وقال: «قتله رجل صالح من أهل^(٤) بيت صالحين»^(٥).

والأسود ادّعى الاستقلال بالنبوة، ولم يقتصر على المشاركة، وغلب على اليمن، وأخرج منها عمال النبي صلى الله عليه وسلم، حتى قتله

(١) ن، م، س : امتنعوا عن بيعته لم يحملوا...

(٢) فقتل : ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

(٣) بقتله : ساقطة من (س)، (ب).

(٤) أهل : ساقطة من (س)، (ب).

(٥) ذكر ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب» (على هامش الإصابة ٢٠٢/٣) : «قال سيف

(بن عمر) وأخبرنا أبو القاسم الشنوي عن العلاء بن زياد عن ابن عمر قال : أتى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من السماء الليلة التي قتل فيها الأسود الكذاب العنسي، فخرج ليشرنا فقال : «قتل الأسود البارحة، قتله رجل مبارك من أهل بيت مباركين» قيل : ومن قتله يارسول الله ؟ قال : «فيروز الديلمي».

الله، ونصر عليه المسلمين^(١)، بعد أن جرت أمور. وقد نُقل في ذلك ما هو معروف عند أئمة العلم.

وأما مسيلمة فإنه ادّعى المشاركة في النبوة، وعاش إلى خلافة أبي بكر.

وقد ثبت في الصحيح عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «رأيت في منامي كأن في يدي سوارين من ذهب، فأهمني شأنهما، فقيل لي: انفخهما، فنفختهما، فطارا، فأولتهما الكذابين: صاحب صنعاء، وصاحب اليمامة^(٢) وأمر مسيلمة وادّعاؤه النبوة وآتباع بني حنيفة له أشهر وأظهر من أن يخفى، إلا على من هو من أبعد الناس عن المعرفة والعلم.

٢٢٨ / ٤ وهذا أمر قد علمه من [يعلمه من] اليهود^(٣) / والنصارى، فضلا عن المسلمين. وقرآنه الذي قرأه قد حفظ الناس منه سوراً إلى اليوم، مثل قوله: يا ضفدع بنت ضفدعين، نقى كم تنقيين، لا الماء تكدرين، ولا الشارب تمنعين، رأسك في الماء وذنبك في الطين.

ومثل قوله: الفيل، وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل، إن ذلك من خلق ربنا لقليل.

(١) س، ب : المسلمون.

(٢) سيرد الحديث مفصلاً بعد صفحات (ص ٣٢٨) فانظر كلامي عليه هناك.

(٣) ن : قد علمه من اليهود؛ س، ب : قد علمه اليهود.

ومثل قوله : إنا أعطيناك الجماهر، فصلّ لربك وهاجر، ولا تطع كل ساحر^(١) وكافر.

ومثل قوله : والطاحنات طحنا، والعاجنات عجنا، والخابزات خبزنا، إهالة وسمنا، إن الأرض بيننا وبين قريش نصفين، ولكن قريشاً قوم لا يعدلون. وأمثال هذا الهذيان.

ولهذا لما قدم وفد بني حنيفة على أبي بكر بعد قتل مسيلمة، طلب منهم أبو بكر أن يُسمعوه شيئاً من قرآن مسيلمة، فلما أسمعوه قال لهم : «ويحكم أين يذهب بعقولكم ؟ إن هذا كلام لم يخرج من إلّ». أى من ربّ^(٢).

وكان مسيلمة قد كتب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فى حياته : «من مسيلمة رسول الله إلى محمد رسول الله . أما بعد فإننى قد أشركت^(٣) فى الأمر معك» فكتب إليه النبي صلى الله عليه وسلم : «من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب . . .» ولما جاء رسوله إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال له : أتشهد أن مسيلمة رسول الله ؟ قال : نعم . قال : لولا أن الرسل لا تُقتل لضربت عنقك . ثم بعد هذا أظهر أحد الرسولين الردّة

(١) ن : سافر؛ م : مسافر.

(٢) قال ابن الأثير فى « النهاية فى غريب الحديث » : «وفى حديث الصديق لما عرض عليه كلام مسيلمة قال : « إن هذا لم يخرج من إلّ » أى من ربوبية . والإلّ بالكسر هو الله تعالى، وقيل : الإلّ : هو الأصل الجيد، أى لم يجيء من الأصل الذى جاء منه القرآن . . .»

(٣) س، ب : فإننى كنت قد أشركت . .

بالكوفة، فقتله ابن مسعود، وذكره بقول النبي صلى الله عليه وسلم هذا^(١).

وكان مسيلمة قد^(٢) قدم في وفد بنى حنيفة إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأظهر الإسلام، ثم لما رجع إلى بلده قال لقومه: «إن محمدا قد أشركني في الأمر معه» واستشهد برجلين^(٣): أحدهما الرُّحَال بن عُقْفُو، فشهد له بذلك. ويروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لثلاثة أحدهم أبو هريرة، والثاني الرُّحَال هذا: «إن أحدكم ضرسه في النار أعظم من كذا وكذا» فاستشهد الثالث في سبيل [الله]^(٤)، وبقي أبو هريرة خائفاً، حتى شهد هذا لمسيلمة بالنبوة، وأتبعه، فعُلم أنه هو كان المراد / بخبر النبي صلى الله عليه وسلم^(٥).

وكان مؤذن مسيلمة يقول: أشهد أن محمداً ومسيلمة رسولا الله.

(١) ذكر هذه الأخبار تفصيلاً ابن كثير في «السيرة النبوية» ٩٧/٤ - ٩٩. وانظر أيضاً: سيرة

ابن هشام ٢٤٧/٤؛ إمتاع الأسماع، ص ٥٠٨ - ٥٠٩؛ زاد المعاد ٦١٠/٣ - ٦١٣.

(٢) قد : ساقطة من (س) ، (ب).

(٣) س، ب : رجلين.

(٤) لفظ الجلالة غير موجود في (ن).

(٥) قال ابن كثير في «السيرة النبوية» ٩٧/٤ : « وذكر السهيلي وغيره أن الرُّحَال بن عُقْفُو -

واسمه نهار بن عُقْفُو - وكان قد أسلم وتعلم شيئاً من القرآن وصحب رسول الله صلى الله

عليه وسلم مدة، وقد مرَّ عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس مع أبي هريرة

وفُرات بن حَيَّان، فقال لهم : « أحدكم ضرسه في النار مثل أحد ». فلم يزالا خائفين

حتى ارتدَّ الرُّحَال مع مسيلمة وشهد له زوراً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أشركه في

الأمر معه، وألقى إليه شيئاً مما كان يحفظه من القرآن فادَّعاه مسيلمة لنفسه، فحصل بذلك

فتنة عظيمة لبني حنيفة، وقد قتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة ».

ومن أعظم فضائل أبي بكر عند الأمة - أولهم وآخرهم - أنه قاتل المرتدين . وأعظم الناس ردةً كان بنو حنيفة ، ولم يكن قتاله لهم على منع الزكاة ، بل قاتلهم على أنهم آمنوا بمسئلة الكذاب . وكانوا فيما يُقال نحو مائة ألف .

والحنفية أم محمد بن الحنفية سرّية على كانت من بنى حنيفة ، وبهذا احتج من جُوز سبى المرتدات إذا كان المرتدون محاربين ، فإذا كانوا مسلمين معصومين ، فكيف استجاز على أن يسبى نساءهم ، ويطأ من ذلك السبى ؟ .

وأما الذين قاتلهم على منع الزكاة ، فأولئك ناس آخرون ، ولم يكونوا يؤدونها ، وقالوا : لا نُؤديها إليك ، بل امتنعوا من أدائها بالكلية ، فقاتلهم على هذا ، لم يقاتلهم ليؤدوها إليه . وأتباع الصديق - كأحمد بن حنبل وأبى حنيفة وغيرهما - يقولون : إذا قالوا : نحن نُؤديها^(١) ولا ندفعها إلى الإمام ، لم يجز قتالهم ، لعلمهم بأن الصديق إنما قاتل من امتنع عن أدائها جملة ، لا من قال : أنا أؤديها بنفسى .

ولو عدّ هذا المفترى الزافضى من المتخلفين عن بيعة أبى بكر المجوس واليهود والنصارى ، لكان ذلك من جنس عدّه لبنى حنيفة ، بل كفر بنى حنيفة من بعض الوجوه كان أعظم من كفر اليهود والنصارى والمجوس ؛ فإن أولئك كفّار ملّيون^(٢) ، وهؤلاء مرتدون ، وأولئك يقرّون

(١) ن ، م : نحن لا نُؤديها . . . ، وهو خطأ .

(٢) س ، ب : أصليون .

بالجزية، "وهؤلاء لا يقرّون بالجزية"، وأولئك لهم كتاب أو شبهة كتاب، وهؤلاء اتّبعوا مفتريا كذابا، لكن كان مؤذنه يقول: أشهد أن محمداً ومسيلمة رسولا الله، وكانوا يجعلون محمداً ومسيلمة سواء.

وأمر مسيلمة مشهور في جميع الكتب الذي يُذكر فيها مثل ذلك، من كتب الحديث والتفسير، والمغازي والفتوح، والفقه والأصول والكلام. وهذا أمر قد خلص إلى العذارى في خدورهن، بل قد أفرد الإخباريون لقتال أهل الردّة كتباً سمّوها كتب «الردة» و«الفتوح» مثل كتاب «الردّة» لسيف بن عمر^(٢) والواقدي وغيرهما، يذكرون فيها من / تفاصيل أخبار أهل الردّة وقتالهم ما يذكرون، كما قد أوردوا مثل ذلك في مغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفتوح الشام.

فمن ذلك ما هو متواتر عند الخاصة والعامة، ومنه ما نقله الثقات، ومنه أشياء مقاطيع ومراسيل يحتمل أن تكون صدقا وكذبا، ومنه ما يُعلم أنه ضعيف وكذب.

(١-١) ساقط من (س)، (ب).

(٢) س، ب: والفتوح كسيف بن عمر... وتكلم سزكين (م ١، ج ٢، ص ١٠٢) على كتاب «الردة» للواقدي وذكر أن منه صفحات مخطوطة وأن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن حُيَيش اقتبس منه في «كتاب المغازي» كما توجد قطع منه في كتاب «الإصابة» بين سزكين مواضعها. وتكلم سزكين أيضا على سيف بن عمر التميمي المتوفى في عهد هارون الرشيد (من ١٧٠ - ١٩٣ هـ) وذكر من كتبه كتاب «الفتوح الكبير والردّة» وذكر عدداً من العلماء اقتبسوا منه واعتمدوا مثل الطبري وابن عساكر وياقوت وابن حجر. انظر سزكين (م ١، ج ٢، ص ١٣٣ - ١٣٤).

لكن تواتر ردة مسيلمة وقتال الصديق وحربه [له] ^(١) كتواتر هرقل وكسرى وقىصر ونحوهم ممن قاتله الصديق وعمر وعثمان، وتواتر كفر من قاتله النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والمشركون، مثل عتبة، وأبي ابن خلف، وحیی بن أخطب، وتواتر نفاق عبدالله بن أبي بن سلول وأمثال ذلك.

بل تواتر ردة مسيلمة وقتال الصديق له أظهر عند الناس من قتال الجمل وصفين، ومن كون طلحة والزبير قاتلاً علياً، ومن كون سعد وغيره تخلفوا عن بيعة علي.

وفى الصحيحين عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فجعل يقول: إن جعل لى محمد الأمر من بعده أتبعته، فقدمها فى بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفى يد النبي صلى الله عليه وسلم قطعة من جريد، حتى وقف على مسيلمة فى أصحابه، فقال: «لو سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تعدوا أمر الله فىك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإنى لأراك الذى أريت» ^(٢) فىك ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عنى ثم انصرف [عنه] ^(٣). قال ابن عباس: فسألت عن قول النبي صلى الله عليه وسلم: «أريت» ^(٤) فىك ما رأيت»

(١) له : ساقطة من (ن) ، (م).

(٢) م : ريت ؛ ن ، س ، ب : رأيت. والمثبت هو لفظ البخارى ومسلم، وسيكرر بعد قليل كما أثبتته هنا.

(٣) عنه : زيادة فى (م). (٤) س ، ب : رأيت.

فأخبرني أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «بينا أنا نائم رأيت في يَدَيَّ سوارَيْنِ من ذهب، فأهمنى شأنُهُما، فأَوْحَى إِلَيَّ^(١) في المنام أن أنفخهما، فنفختهما فطارا، فأولتهما كذابين يخرجان بعدى، فكان أحدهما العنسى صاحب صنعاء والآخر^(٢) مسيلمة^(٣)».

وأما قول الرافضى: «إن عمر أنكر قتال أهل الردة».

فمن أعظم الكذب والافتراء على عمر، بل الصحابة كانوا متفقين على قتال مسيلمة وأصحابه، ولكن كانت طائفة أخرى مقرّين بالإسلام وامتنعوا عن أداء الزكاة، فهؤلاء حصل لعمر أولاً شبهة في قتالهم، حتى ناظره الصديق ويّين له وجوب قتالهم، فرجع إليه. والقصة في ذلك مشهورة.

وفي الصحيحين عن أبي هريرة أن عمر قال لأبي بكر: كيف تقاتل

(١) مس، ب: فأوحى الله إليّ...

(٢) مس، ب: أى والآخر...

(٣) الحديث بالفاظ مقاربة عن ابن عباس وأبي هريرة رضى الله عنهما في: البخارى ٢٠٣/٤ (كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام)؛ ١٦٩/٥ - ١٧١ (كتاب المغازى، باب وفد بنى حنيفة...)؛ مسلم ١٧٨٠/٤ - ١٧٨١ (كتاب الرؤيا، باب رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم). والحديث - مع اختلاف في الالفاظ وجاء مختصرا أو مطولا - في: البخارى ١٧١/٥ (كتاب المغازى، باب قصة الأسود العنسى)، ٤١/٩، ٤١ - ٤٢ (كتاب التعبير، باب إذا طار الشيء في المنام، باب النفخ في المنام)؛ سنن الترمذى ٢٧٠/٣ - ٢٧١ (كتاب الرؤيا، باب ما جاء في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم في الميزان والدلو) عن ابن عباس عن أبي هريرة؛ سنن ابن ماجه ١٢٩٣/٢ (كتاب تعبير الرؤيا، باب تعبير الرؤيا) عن أبي هريرة؛ المسند (ط. المعارف) ١١٤/٤ - ١١٦، ١٠٨/١٦ وفي مواضع أخرى.

الناس وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها، [وحسابهم على الله]»^(١)؟ قال أبو بكر: ألم يقل إلا بحقها؟ فإن الزكاة من حقها. والله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم / على منعها. قال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق»^(٢).

ظ ٣٦٧

وعمر احتج بما بلغه أو سمعه^(٣) من النبي صلى الله عليه وسلم، فبين له الصديق أن قوله: «بحقها» يتناول الزكاة، فإنها حق المال. وفي الصحيحين عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله وأنى رسول الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها»^(٤).

فهذا اللفظ الثانى الذى قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فقه أبى بكر، وهو صريح فى القتال على أداء الزكاة، وهو مطابق للقرآن. قال تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلٌّ مَّرْصِدٌ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ

(١) وحسابهم على الله : ساقطة من (ن)، (م).

(٢) سبق هذا الحديث بهذا التفصيل فيما مضى.

(٣) ن، م : وسمعه.

(٤) م : يشهدوا.

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ١/٧٥-٧٦، ٢/١١٧.

فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴿[سورة التوبة: ٥] ، فَعَلَّقْ تَخْلِيَةَ السَّبِيلِ عَلَى الْإِيمَانِ وَإِقَامِ
الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ .

والأخبار المنقولة عن هؤلاء أن منهم من كان قد^(١) قبض الزكاة ثم
أعادها إلى أصحابها لما بلغه موت النبي صلى الله عليه وسلم ، ومنهم
من كان يترصّص . ثم هؤلاء الذين قاتلهم الصديق عليها لما قاتلهم صارت
العمال الذين كانوا على الصدقات زمن النبي صلى الله عليه وسلم
وغيرهم يقبضونها ، كما كانوا / يقبضونها في زمنه ، ويصرفونها كما كانوا
يصرفونها .

وكتب الصديق لمن كان يستعمله كتابا للصدقة ، فقال : «بسم الله
الرحمن الرحيم ، هذه فريضة الصدقة التي فرضها رسول الله صلى الله
عليه وسلم ، والتي أمر بها» .

وبهذا الكتاب - ونظائره - يأخذ علماء المسلمين كلهم ، فلم يأخذ
لنفسه منها شيئاً ، ولا ولّى أحداً من أقاربه ، لا هو ولا عمر ، بخلاف
عثمان وعليّ فإنهما وليا أقاربهما .

فإن جاز أن يُطعن في الصديق والفراروق أنهما قاتلا لأخذ المال ،
فالطعن في غيرهما أوجه . فإذا وجب الذبّ عن عثمان وعليّ ، فهو عن
أبي بكر وعمر أوجب .

وعليّ يقاتل ليطاع ويتصرّف في النفوس والأموال ، فكيف يجعل هذا

(١) قد : ساقطة من (س) ، (ب) .

قتالا على الدين؟ وأبوبكر يقاتل من ارتد عن الإسلام ومن ترك ما فرض الله، ليطيع الله ورسوله فقط، ولا يكون هذا قتالاً^(١) على الدين؟.

وأما الذين عدّهم هذا الرافضي أنهم تخلفوا عن بيعة الصديق من أكابر الصحابة، فذلك كذب عليهم، إلّا على سعد بن عباد، فإن مبايعة هؤلاء لأبي بكر وعمر أشهر من أن تنكر، وهذا مما اتفق عليه أهل العلم بالحديث والسير والمنقولات، وسائر أصناف أهل العلم، خلفاً عن سلف.

وأسماء بن زيد ما خرج في السرية حتى بايعه، ولهذا يقول له: «يا خليفة رسول الله».

وكذلك جميع من ذكره بايعه. لكن خالد بن سعيد كان نائباً للنبي صلى الله عليه وسلم، فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا أكون نائباً لغيره» فترك الولاية، وإلا فهو من المقرين بخلافة الصديق. وقد علم بالتواتر أنه لم يتخلف عن بيعته إلا سعد بن عباد.

وأما عليّ وبنو هاشم فكلهم بايعه باتفاق الناس، لم يمت أحد منهم إلّا وهو مبايع له.

لكن قيل: [عليّ]^(٢) تأخرت بيعته ستة أشهر. وقيل: بل بايعه ثاني يوم. وبكل حال فقد بايعوه من غير إكراه.

(١) ن، م: قتال، وهو خطأ.

(٢) علي: ساقطة من (ن)، (م).

ثم جميع الناس بايعوا عمر، إلا سعداً، لم يتخلف عن بيعة عمر أحد: لا بنو هاشم ولا غيرهم.

وأما بيعة عثمان فاتفق الناس كلهم عليها. وكان سعد قد مات في خلافة عمر، فلم يدركها. وتخلف سعد قد عُرف سببه، فإنه^(١) كان يطلب أن يصير أميراً، ويجعل من المهاجرين أميراً ومن الأنصار أميراً. وما طلبه^(٢) سعد لم يكن سائغاً بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين.

وإذا ظهر خطأ الواحد المخالف للإجماع، ثبت أن الإجماع كان صواباً، وأن ذلك الواحد الذي عُرف خطؤه بالنص شاذ لا يعتد به، بخلاف الواحد الذي يُظهر حجة شرعية من الكتاب والسنة، فإن هذا يسوغ خلافه، وقد يكون الحق معه، ويرجع إليه غيره.

كما كان الحق مع أبي بكر في تجهيز جيش أسامة وقتال مانعي الزكاة وغير ذلك، حتى تبين صواب رأيه فيما بعد.

وما ذكره عن أبي قحافة فمن الكذب المتفق عليه، ولكن أبو قحافة كان بمكة، وكان شيخاً كبيراً أسلم عام الفتح. أتى به أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وسلم ورأسه ولحيته مثل الثغامة، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو أقررت الشيخ مكانه لأتينا»^(٣) إكراماً لأبي بكر. وليس

(١) ن، س، ب: وأنه.

(٢) م: وما طلب.

(٣) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه في: المسند (ط. الحلبي) ١٦٠/٣.

في الصحابة من أسلم أبوه وأمه وأولاده، وأدركوا النبي صلى الله عليه وسلم، وأدركه أيضا بنو أولاده: إلا أبوبكر من جهة الرجال والنساء. فمحمد بن عبدالرحمن بن أبي بكر بن أبي قحافة: هؤلاء الأربعة كانوا في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مؤمنين. وعبدالله بن الزبير بن أسماء بنت أبي بكر: كلهم أيضا آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحبوه. وأم أبي بكر أم الخير^(١) آمنت بالنبي صلى الله عليه وسلم. فهم أهل بيت إيمان، ليس فيهم منافق. ولا يُعرف في الصحابة مثل هذا لغير بيت أبي بكر.

وكان يُقال: للإيمان بيوت وللنفاق بيوت. فبيت أبي بكر من بيوت الإيمان من المهاجرين، وبنو النجار من بيوت الإيمان من الأنصار^(٢).

/ وقوله: «إنهم قالوا لأبي قحافة: إن ابنك أكبر الصحابة سنًا» كذب ظاهر. وفي الصحابة خلق كثير أسنُّ من أبي بكر، مثل العباس، فإن العباس كان أسنُّ من النبي صلى الله عليه عليه / وسلم بثلاث سنين، والنبي صلى الله عليه وسلم كان أسنُّ من أبي بكر.

قال أبو عمر بن عبدالبر^(٣): «لا يختلفون أنه: يعني أبابكر - مات وسنه ثلاث وستون سنة، وأنه استوفى سنَّ النبي صلى الله عليه وسلم إلا ما لا يصح. لكن المأثور عن أبي قحافة أنه لما توفي النبي صلى الله عليه

ص ٣٦٨

٢٣١ / ٤

(١) س، ب: وأم الخير.

(٢) م: من أولاد الأنصار.

(٣) أورد ابن عبدالبر الكلام التالي في «الاستيعاب» ولكن على غير الترتيب الذي أورده ابن

تيمية هنا. انظر: الاستيعاب ٢/ ٢٤٨، ٢/ ٢٤٧.

وسلم ارتجّت مكة، فسمع ذلك أبو قحافة فقال: ما هذا؟ قالوا: قُبِضَ رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: أمر جليل. فمن وَلِيَ بعده؟ قالوا: ابنك. قال: فهل رضيت بذلك بنو عبد مناف وبنو المغيرة؟ قالوا: نعم. قال: لا مانع لما أعطى ولا معطى لما منع.

وحينئذ فالجواب عن منعه الإجماع من وجوه:
أحدها: أن هؤلاء الذين ذكرهم لم يتخلف منهم إلا سعد بن عبادة، وإلا فالبقية كلّهم بايعوه باتفاق أهل النقل. وطائفة من بنى هاشم قد قيل: إنها تخلفت عن مبايعته أولاً، ثم بايعته بعد ستة أشهر، من غير رهبة ولا رغبة.

والرسالة التي يذكر بعض الكتاب أنه أرسلها إلى عليّ، كذب مختلق عند أهل العلم، بل عليّ أرسل إلى أبي بكر أن اثنتا، فذهب هو إليهم، فاعتذر عليّ إليه وبايعه.

ففى الصحيحين عن عائشة قالت^(١): أرسلت فاطمة إلى أبي بكر رضى الله عنهما تسأله ميراثها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا أفاء الله عليه بالمدينة وفدّك، وما بقى من خمس خيبر. فقال أبو بكر: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا نورث، ما تركناه صدقة» وإنما

(١) الكلام التالى - مع اختلاف فى الألفاظ - فى: البخارى ١٣٩/٥ - ١٤٠ «كتاب المغازى، باب غزوة خيبر» مسلم ١٣٨٠/٣ - ١٣٨١ «كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا نورث ما تركناه فهو صدقة». وانظر ما سبق: ١٩٦/٤ (ت ١)، ٢٣٢/٤ - ٢٣٣.

يأكل آل محمد من هذا المال، وإني والله لا أغير شيئا من صدقة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حالها التي كانت عليه في عهده، وإني لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به إلا عملت به، وإني أخشى إن تركت شيئا من أمره أن أزيغ». فوجدت فاطمة على أبي بكر فهجرته، فلم تكلمه حتى توفيت، وعاشت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة أشهر، فلما توفيت دفنها عليّ ليلا، ولم يؤذن بها أبابكر، وصلى عليها عليّ.

وكان لعليّ وجه من الناس حياة فاطمة، فلما ماتت استنكر عليّ وجهه الناس، فالتمس مصالحة أبي بكر ومبايعته، ولم يكن بايع تلك الأشهر، فأرسل إلى أبي بكر أن اثنا ولا يأتنا معك أحد كراهة محضر عمر. فقال عمر لأبي بكر: والله لا تدخل عليهم وحدك. فقال أبو بكر: ما عساهم أن يفعلوا بي؟ والله لا تينهم. فدخل عليهم أبو بكر، فتشهد عليّ ثم قال: إنا قد عرفنا فضيلتك يا أبابكر، وما أعطاك الله، ولم ننفس عليك خيرا ساقه الله إليك، استبددت بالأمر علينا، وكنا نرى أن لنا فيه حقاً لقربتنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم يزل يكلم أبابكر، حتى فاضت عينا أبي بكر. فلما تكلم أبو بكر قال: والذي نفسى بيده لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصل من قرابتى، وأما الذى شجر بينى وبينكم من هذه الأموال^(١)، فإني لم آل فيها عن الحق، ولم أترك أمرا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنعه فيها إلا صنعته. فقال عليّ

(١) س، ب: الأمور.

لأبى بكر: موعذك العشية للبيعة. فلما صلى أبوبكر الظهر رَقِيَ عَلَى المنبر وتشهد وذكر شأن عَلَى وتخلّفه عن البيعة، وعذره الذى اعتذر به، ثم استغفر وتشهد عَلَى، فعظّم حق أبى بكر، وأنه لم يحمله على الذى صنع نفاسة على أبى بكر، ولا إنكار للذى فضله الله به، ولكنّا كنّا نرى أن لنا فى الأمر نصيباً، فاستبدّ علينا به، فوجدنا فى أنفسنا. فسّر بذلك المسلمون، وقالوا: أصبت. وكان المسلمون إلى عَلَى قريباً حين راجع الأمر بالمعروف.

ولا ريب أن الإجماع المعتبر فى الإمامة لا يضرّ فيه تخلف الواحد والاثنين والطائفة القليلة، فإنه لو اعتبر ذلك لم يكد ينعقد إجماع عَلَى إمامة، فإن الإمامة أمر معيّن، فقد يتخلف الرجل لهوى لا يُعلم، كتخلف سعد، فإنه كان قد استشرف إلى أن يكون هو أميراً من جهة الأنصار، فلم يحصل له ذلك، فبقى^(١) فى نفسه بقية هوى.

ومن ترك الشىء لهوى، لم يؤثر تركه، بخلاف الإجماع على الأحكام العامة، كالإيجاب والتحريم والإباحة، فإن هذا / لو خالف فيه الواحد أو الاثنان، فهل يعتد بخلافهما؟ فيه قولان للعلماء. وذكر عن أحمد فى ذلك روايتان: إحداهما: لا يُعتد بخلاف الواحد والاثنين. وهو قول طائفة، كمحمد بن جرير الطبرى. والثانى: يُعتد بخلاف الواحد والاثنين فى الأحكام، وهو قول الأكثرين. والفرق بينه وبين الإمامة أن الحكم أمر عام يتناول هذا وهذا؛ فإن القائل بوجوب الشىء يوجهه على

(١) ن، م، س: بقى.

نفسه وعلى غيره، والقائل بتحريمه يحرمه على نفسه وعلى غيره،
فالمنازع فيه ليس متهما. ولهذا تُقبل رواية / الرجل للحديث عن النبي
صلى الله عليه وسلم في القصة وإن كان خصما فيها، لأن الحديث عام
يتناولها ويتناول غيرها، وإن كان المحدث اليوم محكوما له بالحديث،
فغداً يكون محكوما عليه، بخلاف شهادته لنفسه؛ فإنها لا تُقبل لأنه
خَصْم، والخصم لا يكون شاهداً.

فالإجماع على إمامة المعين ليس حكماً على أمر عام كلي،
كالأحكام على أمر خاص معين.

وأيضاً فالواحد إذا خالف النصّ المعلوم، كان خلافه شاذاً، بخلاف
سعيد بن المسيب في أن المطلقة ثلاثاً إذا نكحت زوجاً غيره أبيحت
لأول بمجرد العقد، فإن هذا لما جاءت السنة الصحيحة بخلافه لم
يُعتد به.

وسعد كان مراده أن يؤلّوا رجلاً من الأنصار. وقد دلت النصوص الكثيرة
عن النبي صلى الله عليه وسلم أن الإمام من قريش، فلو كان المخالف
قريشياً واستقر خلافه، لكان شبهة، بل على أن كان من قريش، وقد تواتر أنه
بايع الصديق طائعا مختاراً.

الثاني: أنه لو فرض خلاف هؤلاء الذين ذكرهم ويقدرهم مرتين، لم
يقدح ذلك في ثبوت الخلافة؛ فإنه لا يشترط في الخلافة إلا اتفاق أهل
الشوكة والجمهور الذين يُقام بهم الأمر، بحيث يمكن أن يُقام بهم
مقاصد الإمامة.

ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : «عليكم بالجماعة، فإن يد الله مع^(١) الجماعة»^(٢).

وقال : «إن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين^(٣) أبعد»^(٤).

(١) ن ، س ، ب : على .

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ، ولكن جاء الحديث عن ابن عباس رضى الله عنهما فى : سنن الترمذى ٣/٣١٦ (كتاب الفتن، باب فى لزوم الجماعة) ولفظه : «يد الله مع الجماعة». قال الترمذى : «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث ابن عباس إلا من هذا الوجه». والحديث فى «صحيح الجامع الصغير» ٦/٣٣٦ وقال السيوطى إنه فى الترمذى عن ابن عباس . وصححه الألبانى وقال إنه عن ابن عمر فى «الأسماء والصفات» للبيهقى وفى المستدرک للحاكم وفى «السنة» لابن أبى عاصم، وهو فيها أيضا عن أسامة ابن شريك . وجاءت عبارة «فإن يد الله على الجماعة» فى حديث عرفة بن شريح الأشجعى رضى الله عنه فى : سنن النسائى ٦/٨٤ - ٨٥ (كتاب تحريم الدم، باب قتل من فارق الجماعة) ونصه : رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر يخطب الناس فقال : «إنه سيكون بعدى هنات وهنات، فمن رأيتموه فارق الجماعة، أو يريد يُفَرِّقُ أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم كائنا من كان فاقتلوه، فإن يد الله على الجماعة، فإن الشيطان مع من فارق الجماعة يركض». وجاءت عبارة «ويد الله على الجماعة» أيضا فى حديث ابن عمر رضى الله عنهما فى : سنن الترمذى ٣/٣١٥ - ٣١٦ (كتاب الفتن، باب فى لزوم الجماعة) ونصه : «إن الله لا يجمع أمتى - أو قال : أمة محمد - على ضلالة، ويد الله على الجماعة، ومن شذ شذ فى النار». قال الترمذى : «هذا حديث غريب من هذا الوجه، وسليمان المدنى وهو عندى سليمان بن سفيان. وفى الباب عن ابن عباس».

(٣) مع : كذا فى (م). وفى سائر النسخ : على .

(٤) هذا جزء من حديث طويل عن ابن عمر عن عمر رضى الله عنهما فى : سنن الترمذى ٣/٣١٥ (كتاب الفتن، باب فى لزوم الجماعة) ونصه : ... عن ابن عمر قال : خطبنا عمر بالجابية فقال : أيها الناس : إنى قمت فيكم كمقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا فقال : «أوصيكم بأصحابى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب حتى يحلف الرجل ولا يستحلف، ويشهد الشاهد ولا يستشهد، ألا لا يخلون رجل بامرأة إلا

وقال : «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، والذئب إنما يأخذ القاصية»^(١).

وقال : «عليكم بالسواد الأعظم ، ومن شذَّ شذَّ في النار»^(٢).

الثالث أن يُقال : إجماع الأمة على خلافة أبي بكر كان أعظم من اجتماعهم على مبايعة علي ؛ فإن ثلث الأمة - أو أقل أو أكثر - لم يبايعوا علياً ؛ بل قاتلوه . والثلث الآخر لم يقاتلوا معه ، وفيهم من لم يبايعه أيضاً . والذين^(٣) لم يبايعوه منهم من قاتلهم ، ومنهم من لم يقاتلهم . فإن جاز القدح في الإمامة بتخلف بعض الأمة عن البيعة ، كان القدح في إمامة علي أولى بكثير .

كان ثالثهما الشيطان . عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد . من أراد بحبوة الجنة فليلزم الجماعة . من سرته حسنة وسأته سيئة فذلکم المؤمن . قال الترمذی : «هذا حديث حسن صحيح غريب . . .» . والحديث أيضا في : المسند (ط . المعارف) ٢٠٤/١ - ٢٠٥ (رقم ١١٤) ، ٢٣٠ - ٢٣١ (رقم ١٧٧) وصحح الشيخ أحمد شاكر رحمه الله الحديث في الموضوعين .

(١) جاء هذا الحديث عن معاذ بن جبل رضى الله عنه في موضعين في المسند (ط . الحلبي) ٢٣٢/٥ - ٢٣٣ ، ٢٤٣ ونصه في الموضع الأول : «إن الشيطان ذئب الإنسان كذئب الغنم ، يأخذ الشاة القاصية والناحية ، فإياكم والشعاب ، وعليكم بالجماعة والعامّة والمسجد» . وضعف الألباني الحديث في «ضعيف الجامع الصغير» ٥٣/٢ . وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢١٩/٥ ، وقال : «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد ثقات إلا العلاء بن زياد ، قيل : إنه لم يسمع من معاذ» .

(٢) لم أجد الحديث بهذا اللفظ ، وسبق قبل قليل كلامي في التعليقات على حديث ابن عمر رضى الله عنهما وفيه العبارة الأخيرة «ومن شذَّ شذَّ في النار» . أما عبارة «عليكم بالسواد الأعظم» فجاءت ضمن أحاديث ، انظر : المسند (ط . الحلبي) ٢٧٨/٤ ، ٢٨٢ - ٢٨٣ . (٣) ن ، م ، س : فالذين .

وإن قيل : جمهور الأمة لم تقاتله . أو قيل : بايعه أهل الشوكة والجمهور ، أو نحو ذلك - كان هذا في حقّ أبي بكرٍ أولى وأحرى .
وإذا قالت الرافضة : إمامته ثبتت بالنصّ ، فلا يُحتاج إلى الإجماع والمبايعة .

قيل : النصوص إنّما دلّت على خلافة أبي بكر ، لا على خلافة عليّ ، كما تقدم التنبيه عليه ، وكما سنذكره إن شاء الله تعالى ، ونبيّن أن النصوص دلّت على خلافة أبي بكر الصديق ، وعلى أن عليّاً لم يكن هو الخليفة في زمن الخلفاء الثلاثة ، فخلافة أبي بكر لا تحتاج إلى الإجماع ، بل النصوص دالة على صحتها ، وعلى انتفاء ما يناقضها .
الرابع : أن يقال : الكلام في إمامة الصديق إما أن يكون في وجودها ، وإما أن يكون في استحقاقه لها . أما الأول فهو معلوم بالتواتر واتفاق الناس : بأنه تولّى الأمر وقام مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفه في أمته ، وأقام الحدود ، واستوفى الحقوق ، وقاتل الكفار والمرتدين ، وولّى الأعمال ، وقسّم الأموال ، وفعل جميع ما يفعل^(١) الإمام ، بل هو أوّل^(٢) من باشر الإمامة في الأمة .

وأما إن أريد بإمامته كونه مستحقاً لذلك ، فهذا عليه أدلة كثيرة غير الإجماع ، فلا طريق يثبت بها كون عليّ مستحقاً للإمامة ، إلا وتلك الطريق يثبت بها أن أبا بكر مستحق للإمامة ، وأنه أحق للإمامة^(٣) من عليّ

(١) س ، ب : ما فعل .

(٢) م : أولى .

(٣) س ، ب : بالإمامة .

وغيره. وحينئذ فالإجماع لا يُحتاج إليه في الأولى ولا في الثانية، وإن كان الإجماع حاصلًا.

/ ﴿ فصل ﴾

٢٣٣ / ٤

قال الرافضي^(١): «وأيضاً^(٢) الإجماع ليس أصلاً في الدلالة، بل لا بد أن يستند^(٣) المجمعون إلى دليل على الحكم حتى يجتمعوا عليه، وإلا كان خطأً، وذلك الدليل إما عقلي، وليس في العقل دلالة على إمامته، وإما نقلي، وعندهم أن النبي صلى الله عليه وسلم مات من غير وصية، ولا نصّ على إمام^(٤)، والقرآن خالٍ منه، فلو كان الإجماع متحققاً كان خطأً فتنتفى^(٥) دلالته».

والجواب من وجوه:

من الجواب
وجوه
الوجه الأول

أحدها: أن قوله: «الإجماع ليس أصلاً في الدلالة».

إن أراد به أن أمر المجتمعين لا تجب طاعته لنفسه، وإنما تجب لكونه دليلاً على أمر الله ورسوله، فهذا صحيح. ولكن هذا لا يضر؛ فإن أمر الرسول كذلك لم تجب طاعته لذاته، بل لأن من أطاع الرسول فقد أطاع

(١) في (ك) ص ١٩٧ (م) - ١٩٨ (م).

(٢) ن، س، ب: أيضاً.

(٣) من: يستدل.

(٤) ك (ص ١٩٨ م): على إمامته.

(٥) م: فتبتغي؛ س. ب: فتنتفى؛ ك: فيتنتفى.

الله . ففي الحقيقة لا يطاع أحد لذاته إلا الله . له الخلق والأمر، وله الحكم، وليس الحكم إلا لله . وإنما وجبت^(١) طاعة الرسول لأن طاعته طاعة الله، ووجبت طاعة المؤمنين المجتمعين، لأن طاعتهم طاعة الله والرسول، ووجب تحكيم الرسول، لأن حكمه حكم الله . وكذلك تحكيم^(٢) الأمة، لأن حكمها حكم الله .

وفي الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن عصى أميري فقد عصاني»^(٣).

وقد قامت الأدلة^(٤) الكثيرة على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، بل ما أمرت به / الأمة فقد أمر الله به ورسوله .

ص ٣٦٩

والأمة أمرت بطاعة أبي بكر في إمامته، فعلم أن الله ورسوله أمرا بذلك، فمن عصاه كان عاصياً لله ورسوله .

وإن أراد به أنه قد يكون موافقاً للحق، وقد يكون مخالفاً له، وهذا هو الذي أراده . فهذا قدح في كون الإجماع حجة، ودعوى أن الأمة قد تجتمع على الضلالة والخطأ . كما يقول ذلك من يقوله من الرافضة الموافقين للنظام .

وحينئذ فيقال : كون عليّ إماماً ومعصوماً^(٥) وغير ذلك من الأصول،

(١) ب : وجب .

(٢) م : حكم .

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٥٥/٤ .

(٤) ن ، م : الدلالة .

(٥) ن ، س ، ب : إماماً معصوماً .

الإمامية^(١) أثبتوه بالإجماع، إذ عمدتهم في أصول دينهم على ما يذكرونه من العقلية وعلى الإجماع، وعلى ما ينقلونه. فهم يقولون^(٢): «علم بالعقل لأنه لا بد^(٣) للناس من إمام معصوم وإمام منصوص عليه، وغير على ليس معصوما ولا منصوفا عليه^(٤) بالإجماع، فيكون المعصوم هو علياً، وغير ذلك من مقدمات حججهم.

فيقال لهم^(٥): «إن لم يكن الإجماع حجة، فقد بطلت تلك الحجج، فبطل ما بنوه على الإجماع من أصولهم، فبطل قولهم. وإذا بطل ثبت مذهب أهل السنة.

وإن كان الإجماع حقاً، فقد ثبت أيضاً مذهب أهل السنة،^(٦) فقد تبين بطلان قولهم سواء قالوا: الإجماع حجة أم لم يقولوا، وإذا بطل قولهم ثبت مذهب أهل السنة^(٧) وهو المطلوب.

وإن قالوا: نحن ندع الإجماع ولا نحتج به في شيء من أصولنا، وإنما عمدتنا العقل والنقل عن الأئمة المعصومين.

قيل لهم: إذا لم تحتجوا بالإجماع لم يبق معكم حجة سمعية غير النقل المعلوم عن النبي صلى الله عليه وسلم؛ فإن ما ينقلونه عن علي وغيره من الأئمة لا يكون حجة حتى نعلم عصمة الواحد من هؤلاء،

(١) م : من أصول الإمامة.

(٢) م : على ما ينقلونه منهم ويقولون...

(٣) ن ، س : إذ لا بد ؛ ب : أنه لا بد.

(٤) * - * : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٥ - ٦) ساقط من (س) ، (ب).

وعصمة الواحد من هؤلاء لا تثبت إلا بنقل عمن علم عصمته، والمعلوم
عصمته هو الرسول، فما لم يثبت نقل معلوم عن الرسول بما يقولونه، لم
يكن معهم حجة سمعية^(١) أصلاً: لا فى أصول الدين ولا فى فروعها،
وحينئذ فيرجع الأمر إلى دعوى خلافة على بالنص، فإن أثبتتم النص
بالإجماع فهو باطل، لنفيكم كون الإجماع حجة، وإن لم تثبتوه إلا
بالنقل الخاص الذى يذكره بعضكم، فقد تبين بطلانه من وجوه، وتبين
أن ما ينقله الجمهور وأكثر الشيعة مما يناقض هذا القول يُوجب علماً
يقينياً بأن هذا كذب.

وهذه الأمور من تدبرها تبين له أن الإمامية لا يرجعون فى شيء مما
ينفردون به عن الجمهور إلى الحجة أصلاً: لا عقلية ولا سمعية، ولا
نص ولا إجماع. وإنما عمدتهم دعوى نقل مكذوب يُعلم أنه كذب، أو
دعوى دلالة نص أو قياس يُعلم أنه لا دلالة له.

وهم وسائر أهل البدع، كالخوارج والمعتزلة، وإن كانوا عند التحقيق
لا يرجعون إلى حجة صحيحة: لا عقلية ولا سمعية، وإنما لهم شبهات،
لكن حججهم أقوى من حجج الرافضة السمعية والعقلية. أما /
السمعيات فإنهم لا يتعمدون الكذب كما تتعمده الرافضة، ولهم فى
النصوص الصحيحة شبهة أقوى من شبه الرافضة.

وأيضاً فإن سائر أهل البدع أعلم بالحديث والآثار منهم، والرافضة
أجهل الطوائف بالأحاديث والآثار وأحوال النبى صلى الله عليه وسلم.

(١) سمعية : ساقطة من (م).

ولهذا يوجد فى كتبهم وكلامهم من الجهل والكذب فى المنقولات ما لا يوجد فى سائر الطوائف. وكذلك لهم فى العقلیات مقایس هى - مع ضعفها وفسادها - أجود من مقایس الرافضة.

وأیضا فنحن نشیر إلى ^(١) ما يدل على أن الإجماع حجة بالدلالة المبسطة فى غیر هذا الموضع. ولكل مقام مقال.

ونحن لا نحتاج فى تقرير إمامة الصديق رضى الله عنه ولا غيره إلى هذا الإجماع، ولا نشترط فى إمامة أحد هذا الإجماع. لكن هولما ذكر أن أهل السنة اعتمدوا على الإجماع، تكلمنا على ذلك، فنشير إلى بعض ما يدل على صحة الإجماع.

فنقول: أولا: ما من حكم اجتمعت ^(٢) الأمة عليه إلا وقد دلّ عليه النص. فالإجماع دليل على نصّ موجود معلوم عند الأئمة، ليس مما درّس علمه. والناس قد اختلفوا فى جواز الإجماع عن اجتهاد، ونحن نجوّز أن يكون بعض المجمعين ^(٣) قال عن اجتهاد، لكن لا يكون النصّ خافياً على جميع المجتهدين، وما من حكم يُعلم أن فيه إجماعا، إلا وفى الأمة من يعلم أن فيه نصّاً. وحينئذ فالإجماع دليل على النص.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ [سورة النساء: ١١٥] ^(٤) فعلق الوعيد

(١) س، ب : على.

(٢) م : أجمعت.

(٣) س، ب : المجتمعين.

(٤) (٤ - ٤) : ساقط من (س)، (ب).

بمِشَاقَّةِ الرسول واتباع غير سبيل المؤمنين^١، مع العلم بأن مجرد مشاقَّة الرسول توجب الوعيد، ولكن هما متلازمان. فلهذا^(١) علَّقه بهما، كما يعلِّقه بمعصية الله ورسوله، وهما متلازمان أيضا.

وخلافة الصديق من هذا الباب؛ فإن النصوص الكثيرة دلَّت على أنها حق وصواب. وهذا مما لم يختلف العلماء فيه، واختلفوا: هل انعقدت بالنص الذي هو العهد - كخلافة عمر - أو بالإجماع والاختيار؟ وأما دلالة النصوص على أنها حق وصواب، فما علمت أحدا نازع فيه من علماء السنة، كلهم يحتج على صحتها بالنصوص، إذا كنا نبين أن ما انعقد عليه الإجماع فهو منصوب عليه، كان ذكر الإجماع، لأنه دليل على النص، لا يفارقه البتة.

ومع هذا / فنحن نذكر بعض ما يُستدل به على الإجماع مطلقا،
ويُستدل به على من يقول: قد لا يكون معه نص.

كقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة آل عمران: ١١٠]، فهذا يقتضي أنهم يأمرون بكل معروف، وينهون عن كل منكر. ومن المعلوم أن إيجاب ما أوجبه الله، وتحريم ما حرَّمه الله، هو من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل هو نفسه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فيجب أن يوجبوا كل ما أوجبه الله ورسوله، ويحرموا كل ما حرَّمه الله ورسوله، وحينئذ فيمتنع أن يوجبوا حراما ويحرموا واجبا بالضرورة، فإنه لا يجوز عليهم السكوت عن

(١) ب: ولهذا.

الحق من ذلك، فكيف نجوز السكوت عن الحق والتكلم بنقيضه من الباطل؟ ولو فعلوا ذلك لكانوا قد أمروا بالمنكر ونهوا عن المعروف، وهو خلاف النص.

فلو كانت ولاية أبى بكر حراماً، وطاعته حراماً منكراً - لوجب أن ينهوا عن ذلك. ولو كانت مبايعة على واجبة، لكان ذلك من أعظم المعروف الذى يجب أن يأمرؤا به. فلما لم يكن كذلك علم أن مبايعة هذا إذاك لم تكن معروفاً ولا واجبا ولا مستحبا، ومبايعة ذلك لم تكن منكراً، وهو المطلوب.

وأيضاً فقله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [سورة التوبة: ٧١]، والاستدلال به كما تقدم.

وأيضاً فقله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣]، وقوله: ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [سورة الحج: ٧٨]. ومن جعلهم الرب شهداء على الناس، فلا بد أن يكونوا عالمين بما يشهدون به، ذوى عدل فى شهادتهم، فلو كانوا يحللون ما حرم الله، ويحرمون ما أحل الله، ويوجبون ما عفا الله عنه، ويسقطون / ما أوجبه الله لم يكونوا كذلك، وكذلك إذا كانوا يجرحون الممدوح ويمدحون المعجور.

٢٣٥ / ٤

(١) ن، س، ب: ما حلل.

فإذا شهدوا أن أبا بكر أحق بالإمامة، وجب أن يكونوا صادقين في هذه الشهادة، عالمين بما شهدوا به. وكذلك إذا شهدوا أن هذا مطيع لله وهذا عاصٍ لله، وهذا فعل ما يستحق عليه الثواب، وهذا فعل ما يستحق عليه العقاب - وجب قبول شهادتهم، فإن الشهادة على الناس تتناول الشهادة بما فعلوه من مذموم ومحمود. والشهادة بأن هذا مطيع وهذا عاصٍ هي تتضمن الشهادة بأفعالهم وأحكام أفعالهم وصفاتها، وهو المطلوب.

وفي الصحيحين عن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم مرَّ عليه بجنزة فأتوا عليها خيرا، فقال: «وجبت» ومرَّ عليه بجنزة فأتوا عليها شرا، فقال: «وجبت» فقيل: يا رسول الله، ما قولك: وجبت؟ قال: «هذه الجنزة أثبتت عليها خيرا، فقلت: وجبت لها الجنة. وهذه الجنزة أثبتت عليها شرا، فقلت: وجبت لها النار. أنتم شهداء الله في الأرض»^(١).

وأیضا فقلوه: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى﴾ الآية [سورة النساء: ١١٥]، فإنه تواعد على المشاققة للرسول واتباع غير سبيل المؤمنين، وذلك يقتضى أن كلا منهما مذموم. فإن مشاققة الرسول وحدها مذمومة بالإجماع، فلو لم يكن الآخر

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٩٨/٣، وذكرت هناك أن الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه، فى البخارى ومسلم وسنن الترمذى والنسائى وابن ماجه وأن حديثا آخر جاء عن أبى هريرة بمعناه فى سنن أبى داود وفى المسند، إلا أن الترمذى قال بعد إirاده لحديث أنس رضى الله عنه: «وفى الباب عن عمر وكعب بن عجرة وأبى هريرة».

مذموماً، لكان قد رتب الوعيد على وصفين : مذموم وغير مذموم ، وهذا لا يجوز.

ونظير هذا قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا . يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾ [سورة الفرقان : ٦٨ ، ٦٩] فإنه يقتضى أن كل واحد من الخصال الثلاثة مذموم شرعاً.

وحينئذ فإذا كان المؤمنون قد أوجبوا أشياء وحرّموا أشياء ، فخالفهم مخالف ، وقال : إن ما أوجبوه ليس بواجب ، وما حرّموه ليس بحرام - فقد أتبع غير سبيلهم ، لأن المراد بسبيلهم اعتقاداتهم وأفعالهم ، وإذا كان كذلك كان مذموماً . ولو لم يكن سبيلهم صواباً وحقاً ، لم يكن المخالف لهم مذموماً .

وأيضاً فقوله تعالى : ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [سورة النساء : ٥٩] : "فجعل وجوب الرد إلى الله والرسول" معلقاً^(١) بالتنازع ، والحكم المعلق بالشرط عدم عند عدمه . فعلم أنه عند انتفاء التنازع لا يجب الرد إلى الله ورسوله ، فدلّ على أن إجماعهم إنما يكون على حق وصواب ، فإنه لو كان على باطل وخطأ لم يسقط عنهم وجوب الرد إلى الكتاب والسنة ، لأجل باطلهم وخطئهم ، ولأن أمر الله ورسوله حقّ حال إجماعهم

(١ - ١) ساقط من (س)، (ب).

(٢) س ، ب : ورد معلقاً . . .

ونزاعهم ، فإذا لم يجب الرد عليه عند الإجماع ، دلّ على أن الإجماع موافق له لا مخالف له ، فلما كان المستدلّ بالإجماع متبعاً له في نفس الأمر ، لم يحتج إلى الرد إليه .

وأيضاً قوله تعالى : ﴿وَاَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [سورة آل عمران : ١٠٣] أمرهم بالاجتماع ونهاهم عن الافتراق ، فلو كانوا في حال الاجتماع / قد يكونون مطيعين لله تارة وعاصين له أخرى ، لم يجز أن يأمر به ، إلا إذا كان اجتماعاً على طاعة ، والله أمر به مطلقاً . ولأنه لو كان كذلك لم يكن فرق بين الاجتماع والافتراق ، لأن الافتراق إذا كان معه طاعة كان مأموراً به ، مثل أن يكون الناس نوعين : نوع يطيع الله ورسوله ، ونوع يعصيه ، فإنه يجب أن يكون مع المطيعين ، وإن كان في ذلك فرقة ، فلما أمرهم بالاجتماع دلّ على أنه مستلزم لطاعة الله .

وأيضاً فإنه قال : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ [سورة المائدة : ٥٥] ، فجعل موالاتهم كموالاته الله ورسوله ، وموالاته الله ورسوله لا تتم إلا بطاعة أمره . وكذلك المؤمنون لا تتم موالاتهم إلا بطاعة أمرهم ، وهذا لا يكون إلا إذا كان أمرهم أمراً متفقاً ، فإن أمر بعضهم بشيء وأمر آخر^(١) بضده ، لم يكن موالاته هذا بأولى من موالاته هذا ، فكانت الموالاته في حال النزاع بالرد إلى الله والرسول .

وأيضاً فقد^(٢) ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم في أحاديث كثيرة

(١) م : الآخر .

(٢) ن ، س ، ب : قد .

متعددة الأمر بالاعتصام بالجماعة والمدح لها، وذم الشذوذ، وأن الخير والهدى والرحمة مع الجماعة، وأن الله لم يكن ليجمع هذه الأمة / على ضلالة، وأنه لن يزال فيها^(١) طائفة ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم، ولا يزال الله يغرس في هذا السدين غرسا يستعملهم فيه بطاعة الله، وأن خير هذه الأمة القرن الأول ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

وقد روى الحاكم وغيره عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يجمع الله أمتي^(٢) على الضلالة أبدا، ويد الله على الجماعة»^(٣).

وعن أبي ذر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(١) فيها : ساقطة من (م).

(٢) م : لا تجتمع أمتي.

(٣) سبق أن ذكرت هذا الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما فى سنن الترمذى ٣/٣١٥ -

٣١٦ (انظر ما سبق فى هذا الجزء، وقال الترمذى : «وفى الباب عن ابن

عباس». ورواه الهيثمى فى «مجمع الزوائد» ٥/٢١٨ عن ابن عمر رضى الله عنهما

بلفظ : «لن تجتمع أمتي على ضلالة، فعليكم بالجماعة فإن يد الله على الجماعة» وقال

الهيثمى : رواه الطبرانى بإسنادين رجال أحدهما ثقات رجال الصحيح، خلا مرزوق مولى

آل طلحة وهو ثقة». وذكر الترمذى حديثا عن ابن عباس فى سننه ٣/٣١٦ (كتاب الفتن،

باب لزوم الجماعة) ونصه : «يد الله مع الجماعة». وسبق أن أشرت إليه وإلى كلام

الترمذى عليه (هذا الجزء). وأما الحاكم فقد روى هذا الحديث عن ابن

عباس فى مستدركه ١/١١٦ مرتين وقال فى الثانية : «إبراهيم بن ميمون العدنى هذا قد

عدله عبد الرزاق وأثنى عليه، وعبد الرزاق إمام أهل اليمن وتعديله حجة، وقد روى هذا

الحديث عن أنس بن مالك». وقال الذهبى : «إبراهيم عدله عبد الرزاق وثقه ابن

معين».

«من خالف جماعة المسلمين شبراً فقد خلع ربة الإسلام من عنقه»^(١).
وعن ابن عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من عنقه حتى يراجعه، ومن مات وليس عليه إمام جماعة فإن ميتته ميتة جاهلية»^(٢).
وعن الحارث الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمركم بخمس كلمات أمرني الله بهن: الجماعة، والسمع، والطاعة، والهجرة، والجهاد. فمن خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربة الإسلام من رأسه»^(٣) إلا أن يرجع»^(٤).

(١) روى الحاكم هذا الحديث في مستدركه ١١٧/١ من طريقين وقال في المرة الثانية: «خالد بن وهبان لم يُجرح في رواياته، وهو تابعي معروف إلا أن الشيخين لم يخرجاه، وقد روى هذا المتن عن عبدالله بن عمر بإسناد صحيح على شرطهما». وقال الذهبي: وخالد لم يضعف».

(٢) روى هذا الحديث عن ابن عمر الحاكم في مستدركه ١١٧/١ وقال كما ذكرت في التعليق السابق أنه رواه بإسناد صحيح على شرطهما، وأعاد الذهبي الحديث ولم يعلق عليه. وروى الحاكم الحديث في موضع آخر قبل هذا ٧٧/١ - ٧٨ ولكنه مطول وقال: «وهذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وقد حدث به الحجاج بن محمد أيضاً عن الليث ولم يخرجاه». وقال الذهبي: «على شرطهما ورواه حجاج الأعمش عن الليث».

(٣) من رأسه: ساقطة من (م).

(٤) هذا جزء من حديث طويل عن الحارث بن الحارث الأشعري في: سنن الترمذي ٢٢٥/٤ - ٢٢٧ (كتاب الأمثال، باب ما جاء مثل الصلاة والصيام والصدقة) وأوله فيها: «إن الله أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أن يعمل بها... الحديث، وفيه: قال النبي صلى الله عليه وسلم: وأنا أمركم بخمس... الخ. قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح غريب». والحديث في: المسند (ط. الحلبي) ١٣٠/٤، ٢٠٢. وصحح الألباني الحديث في «صحيح الجامع الصغير» ٩٧/٢ - ١٠٠ وقال إنه في مسند

وعن معاوية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من فارق الجماعة شبراً دخل النار»^(١).

وعن ابن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من فارق أمته»^(٢) أو عاد أعرابياً بعد هجرته، فلا حجة له»^(٣).

وعن ربعي قال: أتيت حذيفة ليالي سار الناس إلى عثمان، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من فارق الجماعة واستبدل»^(٤) الإمارة لقي الله ولا حجة له»^(٥).

الطيالسي، وصحيح ابن خزيمة. وقال السيوطي: حم (مسند أحمد) نخ (البخاري في التاريخ)، ت (سنن الترمذي)، ن (سنن النسائي). حب (صحيح ابن حبان)، ك (المستدرك للحاكم)، والحديث في المستدرك للحاكم ١١٧/١ - ١١٨ من ثلاثة طرق، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح على ما أصلناه في الصحابة، إذا لم نجد لهم إلا راوياً واحداً، فإن الحارث الأشعري صحابي معروف. سمعت أبا العباس محمد بن يعقوب يقول: سمعت الدوري يقول: سمعت يحيى بن معين يقول: الحارث الأشعري له صفة. وقال الذهبي: لم يخرجناه لأن الحارث تفرد عنه أبو سلام».

- (١) روى هذا الحديث عن معاوية رضى الله عنه الحاكم في مستدركه ١١٨/١، ولم يعلق عليه الذهبي. (٢) م: إمامة. وفي «المستدرك» و«تلخيص المستدرك» أمة. (٣) الحديث عن ابن عمر رضى الله عنهما في المستدرك ١١٨/١ ولم يعلق عليه الذهبي. (٤) في «المستدرك» و«مجمع الزوائد»: واستدل.

(٥) الحديث بهذا اللفظ عن ربعي عن حذيفة بن اليمان رضى الله عنه في المستدرك ١١٩/١. وقال الحاكم: «تابعه أبو عاصم عن كثير» وقال الذهبي: «صحيح وكثير رواه عنه القطان». وأما الطريق الثاني عن أبي عاصم عن كثير بن أبي كثير فهو بالفاظ مقاربة في نفس الصفحة ١١٩/١، وقال الحاكم: «هذا حديث صحيح فإن كثير بن أبي كثير كوفي سكن البصرة روى عنه يحيى بن سعيد القطان وعيسى بن يونس ولم يذكر بجرح»، ورواه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢٢٢/٥ وقال: «رواه أحمد ورجاله ثقات».

وعن فضالة بن عبيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ثلاثة لا يُسأل عنهم: رجل فارق الجماعة وعصى إمامه فمات عاصيا...» فذكر الحديث^(١).

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة المكتوبة إلى التي بعدها كفارة لما بينهما، والجمعة إلى الجمعة، والشهر إلى الشهر - يعنى رمضان - كفارة لما بينهما» قال بعد ذلك: «إلا من ثلاث» فعرفت أن ذلك من أمر حدث، فقال: «إلا من الإشراف بالله، ونكث الصفقة، وترك السنة، وأن تباع رجلا يمينك ثم تخالف: تقاتله بسيفك، وترك السنة الخروج من الجماعة»^(٢).

وعن النعمان بن بشير قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحملها»^(٣)، فرب حامل فقه

(١) الحديث عن فضالة بن عبيد رضى الله عنه فى : المستدرک ١١٩/١ وقال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط الشيخين فقد احتجنا بجميع رواته ولم يخرجناه ولا أعرف له علة » ووافقه الذهبي .

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه فى المستدرک ١١٩/١ - ١٢٠ وفيه : « إلا من ثلاث » فعرفت أن ذلك من أمر حدث ، فقال : « إلا من الإشراف بالله ونكث الصفقة وترك السنة » قلت : يا رسول الله أما الإشراف بالله فقد عرفناه ، فما نكث الصفقة وترك السنة ؟ قال : « أما نكث الصفقة : أن تباع رجلا يمينك ، ثم تخالف إليه فتقاتله بسيفك ، وأما ترك السنة فالخروج من الجماعة » . ثم قال الحاكم : « هذا حديث صحيح على شرط مسلم ، فقد احتج بعبد الله بن السائب بن أبي السائب الأنصارى ولا أعرف له علة » ووافقه الذهبي .

(٣) م : فوعاها .

غير فقيه، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله، ومناصحة ولاة الأمر، ولزوم جماعة المسلمين»^(١). روى هذه الأحاديث الحاكم في «المستدرک» وذكر أنها على شرط الصحيح.

وذلك يقتضى أن اجتماع الأمة لا يكون إلا على حق وهدى وصواب، وأن أحق الأمة بذلك هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك يقتضى أن ما فعلوه من خلافة الصديق كان حقاً وهدى وصواباً. وأيضاً فإن السلف كان يشتد إنكارهم على من يخالف الإجماع، ويعتدونه من أهل الزيغ والضلال. فلو كان ذلك شائعاً عندهم لم ينكروه، وكانوا ينكرون عليه إنكاراً هم قاطعون به، لا يسوِّغون لأحد أن يدع الإنكار عليه. فدل على أن الإجماع عندهم كان مقطوعاً به.

(١) ورد هذا الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن عدد من الصحابة منهم أنس بن مالك وزيد بن ثابت وجبير بن مطعم وعبد الله بن مسعود ومعاذ بن جبل وأبى الدرداء رضى الله عنهم فى : سنن أبى داود ٣/٣٢٢ (كتاب العلم، باب فضل نشر العلم)؛ سنن الترمذى ١٤١/٤ - ١٤٢ (كتاب العلم، باب ما جاء فى الحث على تبليغ السماع)؛ سنن ابن ماجه ١/٨٤، ٨٥ (المقدمة، باب من بلغ علماً)؛ المسند (ط. الحلبي) ٣/٢٢٥. والحديث صحيح فقد حسن الترمذى حديث زيد بن ثابت وقال عن حديث عبد الله بن مسعود : « هذا حديث حسن صحيح » كما صحح الألبانى الحديث فى « صحيح الجامع الصغير » ٦/٣٠.

وروى الحاكم فى مستدركه الحديث عن جبير بن مطعم من عدة طرق ١/٨٧ - ٨٨ وقال الذهبى إن الحديث صحيح على شرطهما. ثم روى الحديث عن النعمان بن بشير رضى الله عنه ١/٨٨ وقال إنه صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

والعقول المتباينة لا تتفق على القطع من غير تواطؤ ولا تشاعر، إلا لما
يوجب القطع، وإلا فلو لم يكن هناك ما يوجب القطع، بل لا يوجب
الظن، لم تكن الطوائف الكثيرة مع تباين هممهم وقرائحهم، وعدم
تواطئهم، يقطعون في موضع لا قطع فيه.

فَعُلم أنه كان عندهم أدلة قطعية توجب كون الإجماع حجة يجب
اتباعها، ويحرم خلافها.

وأیضا فإن السنة والشيعة اتفقوا على أنه إذا كان على معهم كان
إجماعهم حجة، ولا يجوز أن يكون ذلك لأجل / عصمة على، لأن
عصمته لم تثبت إلا بالإجماع، فإن عمدتهم في ذلك الإجماع على
انتفاء العصمة من غيره، إذ ليس في النص ولا المعقول ما ينفي العصمة
عن^(١) غيره.

وهذا مما يبين تناقض الرافضة؛ فإن أصل دينهم بنوه على الإجماع،
ثم قدحوا فيه. والقدح فيه قدح في عصمة على، فلا يبقى لهم / ما
يعتمدون عليه، وهذا شأنهم في عامة أقوالهم التي ينفردون بها.
ولهذا قال فيهم الشعبي: «يأخذون بأعجاز لا صدور لها» أي بفروع
لا أصول لها.

فإن كان الإجماع ليس بحجتهم^(٢) لم تثبت عصمته، وإن كان حجة
لم يُحتج إلى عصمته. فثبت أنه على التقديرين لا يجوز أن يكون قولهم

(١) س، ب: من.

(٢) ب: ليس بحجة.

حجة "لأجل عليّ"، فلزم أن يكون الإجماع حجة، "وإلا لزم بطلان قول السنة والشيعة.

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١): «وأيضاً الإجماع إما أن يُعتبر فيه قول كل الأمة، ومعلوم أنه لم يحصل، بل ولا أجماع أهل المدينة أو بعضهم. وقد أجمع أكثر الناس على قتل عثمان».

والجواب أن يقال: أما الإجماع على الإمامة: فإن أريد به الإجماع الذي ينعقد به الإمامة، فهذا يعتبر فيه موافقة أهل الشوكة، بحيث يكون متمكناً بهم من تنفيذ مقاصد الإمامة، حتى إذا كان رؤوس الشوكة عدداً قليلاً، ومن سواهم موافق لهم، حصلت الإمامة بمبايعتهم له. هذا هو الصواب الذي عليه أهل السنة، وهو مذهب الأئمة، كأحمد وغيره.

وأما أهل الكلام فقدّرها كل منهم بعدد، وهي تقديرات باطلة. وإن أريد به الإجماع على الاستحقاق والأولية، فهذا يُعتبر فيه: إما الجميع، وإما الجمهور. وهذه الثلاثة حاصلة في خلافة أبي بكر. وأما عثمان فلم يتفق على قتله إلا طائفة قليلة، لا يبلغون نصف عشر عشر الأمة. كيف وأكثر جيش عليّ، والذين قاتلوه، والذين قعدوا عن القتال، لم يكونوا من قتلة عثمان. وإنما كان قتلة عثمان فرقة يسيرة من عسكر عليّ.

(١-١) : ساقط من (س)، (ب). (٢) في (ك) ص ١٩٨ (م).

والأمة كانوا في خلافة عثمان مثنى ألف^(١)، والذين اتفقوا على قتله الألف أو نحوهم. وقد قال عبدالله بن الزبير يعيب قتلة عثمان: «خرجوا عليه كاللصوص من وراء القرية، وقتلهم الله كل قتلة، ونجا من نجا منهم تحت بطون الكواكب».

﴿فصل﴾

قول الرافضي.

إن كل واحد من

الأمة يجوز عليه

الخطأ. فأى

عاصم فم عن

الكذب عند

الإجماع؟

الرد عليه

قال الرافضي^(٢): «وأيضاً كل واحد من الأمة يجوز عليه

الخطأ، فأى عاصم لهم عن الكذب عند الإجماع؟».

والجواب: أن يقال: من المعلوم أن الإجماع إذا حصل [حصل له]

من الصفات ما ليس للأحاد^(٣)، لم يجز أن يُجعل حكم الواحد

الاجتماع؛ فإن كل واحد من المخبرين يجوز عليه الغلط والكذب، فإذا

انتهى المخبرون إلى حد التواتر امتنع عليهم الكذب والغلط.

وكل واحد من اللقم والجرع والأقداح لا يُشبع ولا يروى ولا يسكر،

فإذا اجتمع من ذلك عدد كثير أشبع وأروى وأسكر. وكل واحد من الناس

لا يقدر على قتال العدو، فإذا اجتمع طائفة كثيرة قدروا على القتال.

فالكثرة^(٤) تؤثر في زيادة القوة وزيادة العلم وغيرهما. ولهذا قد يخطيء

(١) ن، م: مثنى ألف.

(٢) في (ك) ص ١٩٨ (م).

(٣) إذا حصل من الصفات ما ليس للأحاد؛ م: إذا حصل حصل له ما ليس للأحاد؛ س،

ب إذا حصل من الصفات ما ليس من (ب: في) الأحاد. ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) ن، س، ب: والكثرة.

الواحد والاثنان فى مسائل الحساب، فإذا كثر العدد امتنع ذلك فيما لم يكن يمتنع فى حال الانفراد. ونحن نعلم بالاضطرار أن علم الاثنين أكثر من علم أحدهما إذا انفرد، وقوتهما أكثر من قوته، فلا يلزم من وقوع الخطأ حال الانفراد، وقوعه حال الكثرة.

قال تعالى: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾ [سورة

البقرة: ٢٨٢].

والناس فى الحساب قد يخطئ الواحد منهم ولا تخطئ الجماعة، كالهلال فقد يظنه الواحد هلالاً وليس كذلك. فأما العدد الكثير فلا يتصور فيهم الغلط.

ونعلم أن المسلمين إذا اجتمعوا وكثروا يكون داعيهم إلى الفواحش والظلم أقل من داعيهم إذا كانوا قليلاً، فإنهم فى حال الاجتماع لا يجتمعون على مخالفة شرائع الإسلام، كما يفعل الواحد والاثنان، فإن الاجتماع والتمدن لا يمكن إلا مع قانون عدلى، فلا يمكن أهل مدينة أن يجتمعوا على إباحة ظلم بعضهم بعضاً مطلقاً، لأنه لا حياة لهم مع ذلك، بل نجد الأمير إذا ظلم بعض الرعية، فلا بد أن يكون بعض أصحابه لا يظلم حين يظلم الرعية، وما استووا / كلهم [فيه]^(١) فليس فيه ظلم من بعضهم لبعض، ومعلوم أن المجموع قد خالف حكمه حكم الأفراد، سواء كان اجتماع أعيان أو أعراض.

ومن الأمثال التى يضربها المطاع لأصحابه: أن السهم الواحد^(٢)

(١) فيه : ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

(٢) الواحد : ساقطة من (س)، (ب).

يمكن كسره، وإذا اجتمعت السهام لم^(١) يمكن كسرها. والإنسان قد يغلبه عدوه ويهزمه، فإذا صاروا عدداً كثيراً لم يمكن ذلك، كما كان يمكنه حال الانفراد.

وأيضاً فإن كان الإجماع قد يكون خطأً، لم يثبت أن علياً معصوم؛ فإنه إنما عُلمت عصمته بالإجماع على أنه لا معصوم سواه، فإذا جاز كون الإجماع أخطاءً^(٢)، أمكن أن يكون في الأمة معصوم غيره، وحينئذ فلا يُعلم أنه هو المعصوم.

فتبين أن قدحهم في الإجماع / يُبطل الأصل الذي اعتمدوا عليه في إمامة المعصوم، وإذا بطل أنه معصوم بطل أصل مذهب الرافضة. فتبين أنهم إن قدحوا في الإجماع بطل أصل مذهبهم، وإن سلموا أنه حجة بطل مذهبهم، فتبين بطلان مذهبهم^(٣) على التقديرين.

﴿فصل﴾

قول الرافضي:
لو أجمعوا على
خلاف النص
على عليّ لكان
خطأ عندهم

قال الرافضي^(٤): «وقد بينا ثبوت النصّ الدالّ على إمامة أمير المؤمنين، فلو أجمعوا على خلافه لكان^(٥) خطأ، لأن الإجماع الواقع على خلاف النصّ يكون عندهم خطأ».

(١) ب : لا .

(٢) م : خطأ .

(٣) ن ، س ، ب : حجّتهم .

(٤) في (ك) ص ١٩٨ (م) .

(٥) ك : كان .

من الجواب وجوه : أحدها : أنه قد تقدّم بيان بطلان كل ما دل على أنه إمام قبل الثلاثة . الوجه الأول

الثاني : أن النصوص إنما دلت على خلافة الثلاثة قبله . الوجه الثاني

الثالث : أن يقال : الإجماع المعلوم حجة قطعية لا سمعية ، لا سيما مع النصوص الكثيرة الموافقة له . فلو قُدِّرَ ورود خبر يخالف الإجماع كان باطلا : إما لكون الرسول لم يقله ، وإما لكونه لا دلالة فيه . الوجه الثالث

الرابع : أنه يمتنع تعارض النص المعلوم والإجماع المعلوم^(١) ، فإن كليهما حجة قطعية ، والقطعيات لا يجوز تعارضها ، لوجوب وجود مدلولاتها ، فلو تعارضت لزم الجمع بين النقيضين ، وكل من ادّعى إجماعا يخالف نصّا ، فأحد الأمرين لازم : إما بطلان إجماعه ، وإما بطلان نصه . وكل نص اجتمعت^(٢) الأمة على خلافه ، فقد عُلم النص الناسخ له . الوجه الرابع

وأما أن يبقى^(٣) في الأمة نص معلوم والإجماع مخالف له ، فهذا غير واقع . وقد دل الإجماع المعلوم والنص المعلوم على خلافة الصديق رضي الله عنه وبطلان غيرها . ونصّ الرافضة مما نحن نعلم كذبه بالاضطرار ، وعلى كذبه أدلة كثيرة .

(١) المعلوم : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٢) م : أجمعت .

(٣) س : يبقى ؛ ب : يلقى .

﴿ فصل ﴾

قول الرافضى:

يرد حديث

اقتدوا باللذين

بعدي أبى بكر

وعمر

قال الرافضى^(١) : «الثانى : ما روه^(٢) عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال : اقتدوا باللذين من بعدي أبى بكر وعمر . والجواب : المنع من الرواية ، ومن دلالتها على الإمامة ؛ فإن^(٣) الاقتداء بالفقهاء لا يستلزم كونهم أئمة . وأيضا فإن أبابكر وعمر قد^(٤) اختلفا فى كثير من الأحكام فلا يمكن الاقتداء بهما . وأيضا فإنه معارض لما^(٥) روه من قوله : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم ، مع إجماعهم على انتفاء إمامتهم .»

الجواب من

وجه

والجواب من وجه :

الجواب الأول

أحدها : أن يقال : هذا الحديث بإجماع أهل العلم بالحديث أقوى من النص الذى يروونه فى إمامة على ؛ فإن هذا أمر معروف فى كتب أهل الحديث المعتمدة ، ورواه أبو داود فى سننه ، وأحمد فى مسنده ، والترمذى فى جامعه^(٦) .

(١) - ك : ص ١٩٨ (م) .

(٢) - ك : ما رواه الجمهور .

(٣) - ك : لأن .

(٤) - قد : ليست فى (ك) .

(٥) - ك : بما .

(٦) - سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٨٩/١ .

وأما النص على عليّ فليس في شيء من كتب أهل الحديث المعتمدة، وأجمع أهل الحديث على بطلانه، حتى قال أبو محمد بن حزم^(١): «ما وجدنا قط رواية عن أحد في هذا النص المدّعى إلا رواية واهية عن مجهول إلى مجهول^(٢) يكتنّى أبا الحمراء، لا نعرف^(٣) من هو في الخلق».

فيمتنع أن يُقدح في هذا الحديث مع تصحيح النص على عليّ. وأما الدلالة، فالحجة^(٤) في قوله: «باللذين من بعدى» أخبر أنهما من بعده، وأمر بالاعتداء بهما. فلو كانا ظالمين أو كافرين^(٥) في كونهما بعده لم يأمر بالاعتداء بهما، فإنه لا يأمر بالاعتداء بالظالم، فإن الظالم لا يكون قلدوة يؤتم به. / بدليل قوله: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٧٤]، فدل على أن الظالم لا يؤتم به، والائتمام هو الاقتداء، فلما أمر بالاعتداء بمن بعده، والاعتداء هو الائتمام، مع إخباره أنهما يكونان بعده، دلّ على أنهما إمامان [قد أمر بالائتمام بهما]^(٦) بعده، وهذا هو المطلوب.

وأما قوله: «اختلفا في كثير من الأحكام» فليس الأمر كذلك، بل

(١) في الفصل ١٦١/٤-١٦٢.

(٢) الفصل: عن مجهولين إلى مجهول.

(٣) الفصل: لا يعرف (والكلمة غير منقوطة في (م)).

(٤) ن، م، س: بالحجة. والمثبت من (ب).

(٥) لو كافرين: ساقطة من (ب).

(٦) ما بين المعقوتين في (م) فقط.

لا يكاد يُعرف اختلاف أبي بكر وعمر إلا في الشيء اليسير، والغالب أن يكون عن أحدهما فيه روايتان، كالجد مع الإخوة، فإن عمر عنه فيه روايتان: إحداهما: كقول أبي بكر.

وأما اختلافهما في قسمة الفئء: هل يسوّى فيه بين الناس أو يفضل؟ فالتسوية جائزة بلا ريب، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يقسم الفئء والغنائم، فيسوّى بين الغانمين ومستحقى الفئء.

والنزاع في جواز التفضيل، وفيه للفقهاء قولان، هما روايتان عن أحمد. والصحيح جوازه للمصلحة؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفضل أحياناً في قسمة الغنائم والفئء، وكان يفضل السرية في البداية: الربع بعد الخمس، وفي الرجعة: الثلث بعد الخمس. فما فعله الخليفتان فهو جائز، مع أنه قد روى عن عمر أنه اختار في آخر عمره التسوية، وقال: «لئن عشت إلى قابل لأجعل الناس باباً^(١) واحداً». وروى عن عثمان التفضيل، وعن عليّ التسوية. ومثل هذا لا يسوغ فيه إنكار، إلا أن يُقال: فضل من لا يستحق التفضيل، كما أنكر عليّ عثمان في بعض قسمة. وأما تفضيل عمر فما بلغنا أن أحداً ذمه فيه.

وأما تنازعهما في تولية خالد وعزله، فكل منهما فعل ما كان أصلح، فكان الأصلح لأبي بكر تولية خالد، لأن أبا بكر ألين من عمر، فينبغي لنائبه أن يكون أقوى من نائب عمر، فكانت استنابة عمر لأبي عبيدة [أصلح له]^(٢)، واستنابة أبي بكر لخالد أصلح له، ونظائر هذا متعددة.

(١) ن، س، ب: بياناً

(٢) أصلح له: زيادة في (ب) فقط.

/ وأما الأحكام التي هي شرائع كلية فاختلافهما فيها: إما نادر وإما معدوم، وإما لأحدهما فيه قولان.

وأیضا فیقال: النصّ یوجب الاقتداء بهما فیما اتفقا علیه وفیما اختلفا فيه، فتسویغ كل منهما المصیر إلى قول الآخر متفق علیه بینهما، فإنهما اتفقا على ذلك.

وأیضا فإذا كان الاقتداء بهما یوجب الائتمام بهما، فطاعة كل منهما إذا كان إماما، وهذا هو المقصود. وأما بعد زوال إمامته، فالإقتداء بهما أنهما إذا تنازعا ردّ ما تنازعا فيه إلى الله والرسول.

وأما قوله: «أصحابی كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم» فهذا الحديث ضعيف ضَعْفُه أهل^(١) الحديث. قال البزار: هذا حديث لا یصح عن رسول الله صلى الله علیه وسلم، وليس هو فی كتب الحديث المعتمدة^(٢).

وأیضا فليس فيه لفظ «بعدي» والحجة هناك قوله: «بعدي». وأیضا فليس فيه الأمر بالإقتداء بهم، وهذا فيه الأمر بالإقتداء بهم.

﴿ فصل ﴾

قال الرافضي^(٣): «الثالث: ما ورد فيه من الفضائل كآية^(٤)

رد الرافضي
لكثير مما ورد في
فضائل أبي بكر
رضي الله عنه

(٢) سبق الكلام على هذا الحديث فيما مضى

(١) م : أئمة.

(٣) في (ك) ص ١٩٨ (م) - ٢٠٢ (م).

(٤) ن ، م ، س : كلية.

الغار، وقوله تعالى : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [سورة الليل : ١٧] وقوله :
﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ
شَدِيدٍ﴾ [سورة الفتح : ١٦] . والداعى هو أبوبكر : كان أنيس رسول الله
صلى الله عليه وسلم فى العريش يوم بدر، وأنفق على النبى
صلى الله عليه وسلم ، وتقدم فى الصلاة .
قال^(١) : «والجواب أنه لا فضيلة له فى الغار، لجواز أن
يستصحبه حذراً منه لئلا يظهر أمره .

وأيضاً فإن الآية تدل على نقيضه^(٢) لقوله : ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ فإنه
يدل على خوره^(٣) وقلة صبره^(٤) ، وعدم يقينه بالله تعالى ، وعدم
رضاه بمساواته^(٥) النبى صلى الله عليه وسلم ، وبقضاء الله وقدره ،
ولأن الحزن إن كان طاعة استحال أن يُنهى عنه النبى صلى
الله عليه وسلم ، وإن كان معصية كان ما ادعوه من الفضيلة
رذيلة^(٦) .

وأيضاً فإن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على رسول الله

(١) بعد كلامه السابق مباشرة، ص ١٩٩ (م) .

(٢) ك : على نقضه .

(٣) ن ، س ، ب : على خوفه .

(٤) ك : على خوره ونقصه وقلة صبره .

(٥) ك : بمساواة .

(٦) ك : كان ما ادعوه فضيلة رذيلة .

شرك^(١) معه المؤمنين إلا في هذا الموضع ، ولا نقص^(٢) أعظم منه .

وأما : ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ فإن^(٣) المراد أبو الدحداح ، حيث اشترى نخلة شخص لأجل جاره ، وقد عرض^(٤) النبي صلى الله عليه وسلم على صاحب النخلة نخلة في الجنة ، فأبى ، فسمع أبو الدحداح فاشتراها ببستان له ، ووهبها الجار^(٥) ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم عوضها له بستانا في الجنة^(٦) .

٢٤٠ / ٤

وأما قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسْرِ شَدِيدٍ﴾ [سورة الفتح : ١٦]^(٧) [يريد سندعوكم إلى قوم]^(٨) ، فإنه أراد الذين تخلفوا عن الحديبية . والتمس هؤلاء أن يخرجوا إلى غنيمة خير ، فمنعهم الله تعالى بقوله : ﴿قُلْ لَنْ

(١) س ، ب : أشرك .

(٢) س ، ب : ولا نقيض .

(٣) ك : وأما قوله تعالى : (وسيجنبها الأتقى * الذي) فإن ...

(٤) ك : عوض .

(٥) م : الجاره ؛ ك : للجار الفقير .

(٦) ك : فجعل له رسول الله صلى الله عليه وآله بستانا عوضها في الجنة .

(٧) ك : وأما قوله تعالى (سيقول المخلفون) [سورة الفتح : ١٥] (في الأصل : سيقول لك

المخلفون من الأعراب سندعون إلى قوم أولى بأس شديد ، وهو خطأ . وعبرة : إلى قوم

أولى بأس شديد) في (م) فقط ولم ترد في (ن) ، (س) ، (ب) .

(٨) ما بين المعقوفتين في (س) ، (ب) فقط .

تَبِعُونَا» [سورة الفتح: ١٥]، لأنه تعالى جعل غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية، ثم قال: ﴿قُلْ لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّعُونَ﴾ [سورة الفتح: ١٦] يريد: سندعوكم^(١) فيما بعد إلى قتال قوم بأسٍ شديد، وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوات كثيرة^(٢): كموثّة، وحنين، وتبوك، وغيرها، فكان^(٣) الداعي رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأيضاً جاز أن يكون [علّي] هو الداعي^(٤)، حيث قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وكان رجوعهم إلى طاعته [إسلاماً]^(٥) لقوله عليه الصلاة والسلام: يا علي حربك حربي، وحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر.

وأما كونه أنيسه في العريش^(٦) يوم بدر فلا فضل فيه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أنسه بالله تعالى مغنياً له عن كل أنيس، لكن لما عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن أمره

(١) ك: (ص ٢٠٠ م) يريد الله تعالى: أنه سندعوكم..

(٢) ك: وقد دعاهم النبي صلى الله عليه وآله إلى غزاة كثيرة..

(٣) ك: وكان.

(٤) ك: وأيضاً جاز أن يكون علياً عليه السلام؛ ن، س: وأيضاً جاز أن يكون هو الداعي.

(٥) إسلاماً: ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

(٦) ك: وأما كونه أنيسه صلى الله عليه وآله في العريش...

لأبى بكر بالقتال^(١) يؤدي إلى فساد الحال، حيث هرب عدة مرات^(٢) في غزواته، وأيما^(٣) أفضل: القاعد عن القتال، أو المجاهد^(٤) بنفسه في^(٥) سبيل الله؟.

وأما إنفاقه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فكذب لأنه لم يكن ذا مال؛ فإن أباه كان فقيرا في الغاية، وكان يُنادى على مائدة عبدالله بن جدعان بمد^(٦) كل يوم^(٧) يقتات به، فلو كان أبوبكر غنيا لكفى أباه. وكان أبوبكر في الجاهلية معلما للصبيان، وفي الإسلام كان خياطاً^(٨)، ولما ولي أمر المسلمين منعه الناس عن الخياطة فقال: إني محتاج إلى^(٩) القوت، فجعلوا له كل يوم^(١٠) ثلاثة دراهم من بيت المال^(١١)، والنبى صلى

(١) ك : أمره أبا بكر بالقتال ..

(٢) ن ، م ، س : حيث هرب عدوه مرات ؛ ك : حيث هرب عدة مرارة . والمثبت من (ب) .

(٣) ن : وأما ؛ م ، س : وإنما .

(٤) ن ، س : والمجاهد .

(٥) ك : بنفسه وماله في ...

(٦) س ، ب : لمد .

(٧) ك : في كل يوم ..

(٨) ك : خياطاً ، وكل يوم يخيط بدرهمين أو واحد ..

(٩) ك : من الخياطة ، فقال أبو بكر : إني لاحتاج إلى ...

(١٠) ن ، س ، ب : في كل يوم .

(١١) ك : من بيت مال المسلمين .

الله عليه وسلم كان قبل الهجرة غنياً بمال خديجة^(١) ، ولم يحتج إلى الحرب وتجهيز الجيوش ، وبعد الهجرة لم يكن لأبي بكر ألبتة شيء^(٢) ، ثم لو أنفق لوجب أن ينزل فيه قرآن ، كما نزل في عليّ : ﴿هَلْ أَتَى﴾ [سورة الإنسان : ١] .

ومن المعلوم أن النبي [صلى الله عليه وسلم] أشرف من الذين^(٣) تصدّق عليهم أمير المؤمنين ، والمال الذي يدّعون إنفاقه أكثر^(٤) ، فحيث لم ينزل فيه قرآن دل^(٥) على كذب النقل . وأما تقديمه في الصلاة^(٦) فخطأ ، لأن بلالا لما أذن بالصلاة أمرته عائشة أن يقدم أبا بكر ، ولما أفاق النبي صلى الله عليه وسلم سمع التكبير فقال : من يصلى^(٧) بالناس ؟ فقالوا : أبوبكر ،

(١) ك : من مال خديجة عليها السلام .

(٢) ك (ص ٢٠١م) : لأبي بكر شيء ألبتة على حاله من الأحوال .

(٣) ك : أن النبي صلى الله عليه وآله كان أشرف من الذين . . . و « صلى الله عليه وسلم » في (م) فقط .

(٤) ك : كان أكثر . .

(٥) ك : لم ينزل شيء دل . . . (٦) ك : بالصلاة . .

(٧) ك : للصلاة أمرت عائشة أن يُقدّم أبوها ، ورسول الله صلى الله عليه وآله في حال المرض الشديد ، والصحابة في المسجد ، وسمعوا حال النبي صلى الله عليه وآله ، فكلهم في حزن وبكاء غرو بكاء ، وفات الصلاة ، فلما أفاق النبي صلى الله عليه وآله سمع التكبير من الصحابة ، وسمع قول عائشة وقول حفصة لأبيها عمر ، وتشوش الأحوال وتفرق القوم ، سأل : من يصلى . . .

فقال^(١): «أخرجوني، فخرج بين عليّ والعباس فنحاه»^(٢) عن القبلة وعزله عن الصلاة^(٣) وتولّى / هو الصلاة»^(٤).

ص ٣٧٢

قال البرافض: «فهذه حال»^(٥) أدلة القوم^(٦)، فليُنظر العاقل بعين الإنصاف وليقصد اتباع الحق^(٧) دون اتباع الهوى، ويترك تقليد الآباء والأجداد، فقد نهى الله تعالى [في كتابه]^(٨) عن ذلك، ولا تلهيه الدنيا عن إيصال الحق [إلى]^(٩) مستحقه، ولا

(١) فقال صلى الله عليه وسلم..

(٢) ك: والعباس، وذهب إلى المسجد فرأى أبا بكر في المحراب فنحاه.

(٣) عن الصلاة: ساقطة من (ك). (٤) م: هو صلى الله عليه وسلم الصلاة بنفسه.

(٥) اختصر ابن تيمية سطوراً عديدة من (ك) في هذا الموضع هي: «... الصلاة؟، وصلى

بالناس خفيّاً وصعد المنبر وخطب مختصراً لأنه غلب عليه المرض، وبعد ذلك طلب

الاستحلال من الصحابة في القول والفعل، وودعهم ونصحهم، واستوصى لعليّ والحسن

والحسين عليهم السلام، وأودعهم إليه، ونزل من المنبر، ونام على فراش الموت، ودعا

عليّاً عليه السلام، ووصّى له من كل نوع، وزقّه من العلوم، وأوصى بالصبر بعده على ما

فعل القوم عليه، وذكر أحوال الشيوخ ومخالفتهم، وقال: انظر حتى لم يكن بالسيف

بينهم الله على إهراق دمايتهم بقدر المحاجة، لأن ذلك زيادة فساد بينهم، ولا يزيد المقاتلة

معهم إلا زيادة الخصومة، وانحطاط الدين والإسلام، فكن له ولأولاده وأصحابه حصناً

وحماية من الفتن وما وقع منهم، ولا تكن لإصلاح المسلمين والأيتام والأرامل وأداء

الفرائض والنوافل - فهذا حال...»

(٦) ك (ص ٢٠٢ م): أدلة هؤلاء.

(٧) ك: الإنصاف ما فعلوا بعده، وما هتكوا أستار الدين، ويقصد طلب الحق؛ م:

الإنصاف، وليفضل اتباع الحق.

(٨) في كتابه: ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

(٩) إلى: ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

يمنع المستحق عن حقه ^(١) ، فهذا آخر ما أردنا ^(٢) إثباته في هذه المقدمة ^(٣) .

الرد عليه

والجواب أن يقال: في هذا الكلام من الأكاذيب والبُهت والفرية ما لا يُعرف مثله لطائفة من طوائف المسلمين . ولا ريب أن الرافضة فيهم شبه قوى من اليهود، فإنهم قومٌ بُهتُ، يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

وظهور فضائل شيخى الإسلام: أبى بكر وعمر، أظهر بكثير عند كل عاقل من فضل غيرهما، فيريد هؤلاء الرافضة قلب الحقائق . ولهم نصيب من قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ [سورة الزمر: ٣٢]، وقوله: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [سورة يونس: ١٧]، ونحو هذه الآيات .

فإن ^(٤) القوم من أعظم الفرق تكديبا بالحق، وتصديقا بالكذب، وليس في الأمة من يماثلهم في ذلك .

(١) ك : ولا يمنع عن المستحق حقه .

(٢) ن ، م ، س : أردنا .

(٣) ك : في هذه الرسالة . وبعد كلمة الرسالة يوجد في (ك) الكلام التالى : « والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين المحجوبين كالشمس بين البحار والبدر من الأحساب .

وقد وقع الفراغ من تسويد هذه النسخة المسماة بمنهاج الكرامة في إثبات الإمامة من كتب العلامة (رحمه الله) أعلى الله مقامه، على يد أفقر عباد الله عبد الرحيم بن محمد تقى التبريزى فى شهر صفر المظفر سنة ١٢٩٦ هـ .

(٤) س ، ب : وإن .

أما قوله : « لا فضيلة له في الغار » .

فالجواب : أن الفضيلة في الغار ظاهرة بنص القرآن ، لقوله تعالى :
﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [سورة التوبة : ٤٠] ، فأخبر الرسول

[صلى الله عليه وسلم]^(١) أن الله معه ومع صاحبه . كما قال لموسى
وهارون : ﴿ إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى ﴾ [سورة طه : ٤٦] .

وقد أخرجنا^(٢) في الصحيحين من حديث أنس عن أبي بكر الصديق
رضي الله عنه / قال : نظرت إلى أقدام المشركين على رؤوسنا ونحن
في الغار ، فقلت : يا رسول الله ، لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا .
فقال : « يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما »^(٣) .

وهذا الحديث مع كونه مما اتفق أهل العلم بالحديث على صحته
وتلقيه بالقبول والتصديق ، فلم يختلف في ذلك اثنان منهم ، فهو مما دل
القرآن على معناه ، يقول : ﴿ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ [سورة
التوبة : ٤٠] .

والمعنى في كتاب الله على وجهين : عامة وخاصة . فالعامة كقوله
تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى

(١) صلى الله عليه وسلم : زيادة في (م) .

(٢) ن ، س ، ب : أخرجه .

(٣) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه في : البخاري ٤/٥ (كتاب فضائل أصحاب

النبي . . . ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم منهم أبو بكر . . .) ؛ مسلم ١٨٥٤/٤

(كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبي بكر . . .) .

الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ ﴿الآية [سورة الحديد: ٤]﴾^(١)

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة: ٧].

فهذه المعية عامة لكل متناجين^(٢)، وكذلك الأولى عامة لجميع الخلق.

ولما أخبر سبحانه في المعية أنه رابع الثلاثة، وسادس الخمسة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما»؛ فإنه لما كان معهما كان ثالثهما، كما دلّ القرآن على معنى الحديث الصحيح، وإن كانت هذه معية خاصة، وتلك عامة.

وأما المعية الخاصة، فكقوله تعالى لما قال لموسى وهارون: ﴿لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [سورة طه: ٤٦]، فهذا تخصيص لهما دون فرعون وقومه، فهو مع موسى وهارون دون فرعون.

وكذلك لما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأبى بكر: «لا تحزن إن الله معنا»^(٣) كان معناه: إن الله معنا دون المشركين الذين يعادونهما

(١) في جميع النسخ: خلق السماوات والأرض وما بينهما، وهو خطأ.

(٢) متناجين.

(٣) هذه العبارة جزء من حديث طويل عن البراء بن عازب رضى الله عنه وسيورده ابن تيمية مطولا فيما بعد، وانظر كلامي عليه هناك في هذا الجزء، ص ٥٧٣.

ويطلبونهما، كالذين كانوا فوق الغار، ولو نظر أحدهم^(١) إلى قدميه لأبصر ما تحت قدميه.

وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢٨]، فهذا تخصيص لهم^(٢) دون الفجار والظالمين. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة: ١٥٣] تخصيص لهم^(٣) دون الجازعين.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَآئِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي﴾. الآية [سورة المائدة: ١٢]، وقال: ﴿إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [سورة الأنفال: ١٢].

وفى ذكره^(٤) سبحانه للمعنى عامة تارة وخاصة أخرى: ما يدل على أنه ليس المراد بذلك^(٥) أنه بذاته فى كل مكان، أو أن وجوده عين وجود المخلوقات، ونحو ذلك من مقالات الجهمية الذين يقولون بالحلول العام والاتحاد العام أو الوحدة^(٦) العامة؛ لأنه على هذا القول لا يختص بقوم دون قوم، ولا مكان دون مكان، بل هو فى الحشوش على هذا القول [وأجواف البهائم]^(٧)، كما هو فوق العرش، [فإذا أخبر أنه مع قوم دون قوم كان هذا مناقضا لهذا المعنى، لأنه على هذا القول لا يختص

(١) م : أحد منهم.

(٢- ٣) : فى (ن) فقط، وسقط من سائر النسخ.

(٣) ن ، س ، ب : فى ذكره. (٤) م : بتلك.

(٥) م : والإلحاد العام والوحدة .. (٦) وأجواف البهائم : ساقطة من (ن).

يقوم دون قوم، ولا مكان دون مكان، بل هو في الحشوش على هذا القول، كما هو فوق العرش^(١).

والقرآن يدل على اختصاص المعية تارة وعمومها / أخرى، فعلم أنه ليس المراد بلفظ «المعية» اختلاطه.

وفي هذا أيضا رد على من يدعى أن ظاهر القرآن هو الحلول، لكن يتعين تأويله على خلاف ظاهره، ويجعل ذلك أصلا يقيس عليه ما يتأوله من النصوص.

فيقال له: قولك: إن القرآن يدل على ذلك خطأ، كما أن قول قرينك الذي اعتقد هذا المدلول خطأ. وذلك لوجوه.

أحدها: أن لفظ «مع» في لغة العرب إنما تدل على المصاحبة والموافقة والاقتران، ولا تدل على أن الأول مختلط بالثاني في عامة موارد الاستعمال.

الرد على القول
بأن ظاهر القرآن
يدل على الحلول
من وجوه
الوجه الأول

كقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ [سورة الفتح: ٢٩]: لم يرد أن ذواتهم مختلطة بذاته.

وقوله: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [سورة التوبة: ١١٩]. وكذلك قوله: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ﴾ [سورة الأنفال: ٧٥].

وكذلك قوله عن نوح: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [سورة هود: ٤٠].

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن).

وقوله عن نوح ايضا: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِّ﴾ الآية . . [سورة

الاعراف: ٦٤].

وقوله عن هود: ﴿فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا﴾ [سورة الاعراف:

٧٢]^(١).

وقول قوم شعيب: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ

قَرْيَتِنَا﴾ [سورة الاعراف: ٨٨].

وقوله: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ

فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية^(٢) [سورة النساء: ١٤٦].

وقوله: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِى مَعَ الْقَوْمِ

الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الانعام: ٦٨].

وقوله: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ آيْمَانِهِمْ

إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ﴾ [سورة المائدة: ٥٣].

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ

أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أَخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ﴾ [سورة الحشر: ١١].

وقوله عن نوح: ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ

مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ﴾ [سورة هود: ٤٨].

وقوله: ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا

تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة الاعراف: ٤٧].

(١) ن ، س ، ب : والذين آمنوا معه ، وهو خطأ .

(٢) كلمة الآية : : ساقطة من (س) ، (ب) .

وقوله: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [سورة التوبة: ٨٣].
 وقوله: ﴿رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ﴾ [سورة التوبة: ٨٧].
 وقال: ﴿لَكِنَّ الرُّسُولَ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٨٨].

ومثل هذا كثير فى كلام الله تعالى ، وسائر الكلام العربى .
 وإذا كان لفظ «مع» إذا استعملت فى كون المخلوق مع المخلوق لم تدل على اختلاط ذاته بذاته ، فهى أن لا تدل على ذلك فى حق الخالق بطريق الأولى .

فدعوى ظهورها فى ذلك باطل من وجهين : أحدهما : أن هذا ليس معناها^(١) فى اللغة ، ولا اقترن بها فى الاستعمال ما يدل على الظهور ، فكان الظهور منتفيا^(٢) من كل وجه .

الثانى : أنه إذا انتفى الظهور فيما هو أولى به ، فانتفاؤه فيما هو أبعد عنه أولى .

الثانى^(٣) : أن القرآن قد جعل المعية خاصة أكثر مما جعلها عامة . ولو كان المراد اختلاط ذاته بالمخلوقات لكانت عامة لا تقبل التخصيص .

الثالث^(٤) : أن سياق الكلام أوله وآخره يدل على معنى المعية ، كما

(١) ن ، م ، س : معناه .

(٢) ن ، س ، ب : منفيا .

(٣) ن ، س : الثالث ، وهو خطأ . وهذا هو الوجه الثانى بعد الوجه الأول الذى سبق قبل

صفحات () . (٤) ن ، م ، س : الرابع ، وهو خطأ .

قال تعالى فى آية المجادلة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَمَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة المجادلة: ٧]، فافتتحها بالعلم، وختمها بالعلم، فعلم أنه أراد: عالم بهم لا يخفى عليه منهم خافية.

وهكذا فسرها السلف: الإمام أحمد ومن قبله من العلماء، كابن عباس، والضحاك، وسفيان الثوري.

وفى آية الحديد قال: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [سورة الحديد: ٤]، فختمها أيضا بالعلم، وأخبر أنه مع استوائه على العرش يعلم هذا كله.

كما قال النبى صلى الله عليه وسلم فى حديث الأوعال: «والله فوق عرشه وهو يعلم ما أنتم عليه»^(١) فهناك أخبر بعموم العلم لكل نجوى،

(١) الحديث عن العباس بن عبدالمطلب رضى الله عنه فى : سنن أبى داود ٣١٩/٤ - ٣٢٠ (كتاب السنة، باب فى الجهمية) ونصه : «كنت فى البطحاء فى عصابة فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فمرت بهم سحابة، فنظر إليها، فقال : « ما تسمون هذه؟ ». قالوا: السحاب. قال : «والمزن؟ ». قالوا: والمزن. قال : «والعنان؟ ». قالوا: والعنان. قال : أبو داود : لم أتقن العنان جيدا. قال : « هل تدرون ما بُعد ما بين السماء والأرض؟ ». قالوا : لا ندري. قال : « إن بعد ما بينهما إما واحدة أو اثنتان أو ثلاث وسبعون سنة، ثم السماء فوقها كذلك » حتى عدَّ سبع سموات « ثم فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهم

وهنا أخبر أنه مع علوه على عرشه يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج

وركيهم مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم على ظهورهم العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء، ثم الله تبارك وتعالى فوق ذلك». قال المحقق رحمه الله : «وأخرجه الترمذى وابن ماجه، وقال الترمذى : « غريب، وروى شريك بعض هذا الحديث عن سماك فوقه » والوليد بن أبى ثور لا يحتج بحديثه.

وروى أبو داود الحديث من طريقين آخرين (انظر الأرقام ٤٧٢٣، ٤٧٢٤، ٤٧٢٥). والحديث فى سنن الترمذى ٩٦/٥ - ٩٧ (كتاب التفسير، سورة الحاقة). وقال الترمذى : « قال عبد بن حميد : سمعت يحيى بن معين يقول : ألا يريد عبدالرحمن بن سعد أن يحج حتى يُسمع منه هذا الحديث. هذا حديث حسن غريب، روى الوليد بن أبى ثور عن سماك نحوه ورفعته. وروى شريك عن سماك بعض هذا الحديث ووقفه ولم يرفعه. وعبدالرحمن هو ابن عبد الله بن سعد الرازى ».

والحديث أيضا فى : سنن ابن ماجه ١/٦٩ (المقدمة، باب فيما أنكرت الجهمية)؛ المسند (ط . المعارف ٢٠٢/٣ - ٢٠٣، ٢٠٤ - ٢٠٥ (رقم ١٧٧٠، ١٧٧١) وعلق الشيخ أحمد شاكر تعليقا مسهبا وقال عن الحديث الأول : إسناده ضعيف جدا، وعن الثانى : إسناده ضعيف أيضا، غير أنه قال (ص ٢٠٤) : « فلو كان الحديث بهذا الإسناد والذي قبله وحدهما لم يكن صحيحا، لضعفهما كما ترى، ولكن لم ينفرد به الوليد بن أبى ثور، فقد رواه أبو داود أيضا عن أحمد بن أبى سريج عن عبدالرحمن بن عبدالله بن سعد ومحمد بن سعيد عن عمرو بن أبى قيس عن سماك بن حرب بإسناده ومعناه، ورواه أيضا عن أحمد بن حفص عن أبيه عن إبراهيم بن طهمان عن سماك، ورواه الترمذى عن عبد بن حميد عن عبدالرحمن بن سعد عن عمرو بن أبى قيس عن سماك، . . . وهذه أسانيد صحاح » ثم تكلم على رجال هذه الأسانيد موثقا لهم، ثم قال : « ورواه أيضا البيهقى فى الأسماء والصفات ٢٨٦ - ٢٨٧ من طريق أبى داود بإسناد الوليد بن أبى ثور وإسناد إبراهيم بن طهمان، ورواه الحاكم فى المستدرک ٢/٥٠٠ - ٥٠١ من طريق شريك عن سماك بن حرب عن عبدالله بن عميرة عن الأحنف عن العباس مختصرا موقوفا، وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ثم ذكر الحاكم طريقا آخر مرفوعا ووافقه الذهبي على أن الإسناد الأول الموقوف على شرط مسلم، وضعف الطريق المرفوع، والحديث أيضا فى كتاب « رد الإمام الدارمى . . . على بشر المريس العنيد »،

منها^(١)، وهو مع العباد أينما كانوا: يعلم أحوالهم، والله بما يعملون بصير.

وأما قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [سورة النحل: ١٢٨]، فقد دل السياق على أن المقصود ليس مجرد علمه وقدرته، بل هو معهم في ذلك بتأييده ونصره، وأنه يجعل للمتقين مخرجاً، ويرزقهم من حيث لا يحتسبون.

وكذلك قوله لموسى وهارون: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [سورة طه: ٤٦]، فإنه معهما بالتأييد والنصر والإعانة على فرعون وقومه، كما إذا رأى الإنسان من يخاف فقال له من ينصره: «نحن معك» أى معاونوك وناصروك على عدوك.

ص ٧٣ (تحقيق الفقى) من رواية ابن مسعود، وفي كتاب «التوحيد...» لابن خزيمة، ص ١٠٧ - ١٠٨ (تحقيق الهراس) من رواية ابن مسعود أيضاً.

وحدثني أخى الدكتور محمد بن لطفى الصباغ أن الشيخ محمد ناصر الدين الألبانى ضَعَفَ هذا الحديث فى تخريجه لسنن ابن ماجة وقال: «ضعيف» وأحال إلى كتابه «الظلال»، ٥٧٧. وهذا أملاه على الدكتور الصباغ من النسخة المخطوطة لتخريج سنن ابن ماجة للألبانى الذى يطبع صحيحه الآن فى مكتب التربية العربى لدول الخليج.

ويؤكد هذا ما ذكره الشيخ الألبانى فى مقدمة كتاب «مختصر العلو للعلو الغفار» للذهبي، ص ١٢ - ١٣ «الطبعة الأولى، المكتب الإسلامى، بيروت، ١٤٠١/١٩٨١ حيث يقول: «وقد أحذف ما صرح المؤلف بشوته أو نقله عن غيره، لعله قاذحة ظهرت لي كحديث أبى هريرة... وكحديث الأوعال الذى يُروى عن العباس (ص ٤٩ - ٥٠)، وهو مخرج فى المصدر السابق «سلسلة الأحاديث الضعيفة» رقم (١٢٤٧)...» والذى أعلمه أن الجزء الثالث من كتاب «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» الذى يتكلم فيه الشيخ الألبانى على الأحاديث التى بعد رقم الألف - حسب ترقيمه - لم يطبع أو لم يوزع بعد.

(١) ن ، م ، س : وما ينزل فيها.

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لصديقه : «إِنَّ اللَّهَ معنا» يدل على أنه موافق لهما بالمحبة والرضا فيما فعلاه، وهو مؤيد لهما ومعين وناصر.

وهذا صريح في مشاركة الصديق للنبي في هذه المعية التي / اختص بها الصديق، لم يشركه فيها أحد من الخلق.

والمقصود هنا أن قول النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «إِنَّ اللَّهَ معنا» هي معية الاختصاص، التي تدل على أنه معهم بالنصر والتأييد والإعانة على عدوهم، فيكون النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبر أن الله ينصرني وينصرك يا أبا بكر على عدونا، ويعيننا عليهم.

ومعلوم أن نصر الله نصر إكرام ومحبة، كما قال تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [سورة غافر: ٥١]، وهذا غاية المدح لأبي بكر، إذ دل على أنه ممن شهد له الرسول بالإيمان، المقتضى نصر الله له مع رسوله، "وكان متضمنا شهادة الرسول له بكمال الإيمان المقتضى نصر الله له مع رسوله" في مثل هذه / الحال التي بين الله فيها غناه عن الخلق، فقال : ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [سورة التوبة: ٤٠].

ولهذا قال سفيان بن عيينة وغيره: إن الله عاتب الخلق جميعهم في نبيه إلا أبا بكر. وقال: من أنكر صحبة أبي بكر فهو كافر، لأنه كذب القرآن.

(١-١) : ساقط من (س)، (ب).

وقال طائفة من أهل العلم، كآبى القاسم السهيلي وغيره: هذه المعية الخاصة لم تثبت لغير أبى بكر.

وكذلك قوله: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما». بل ظهر اختصاصهما فى اللفظ، كما ظهر فى المعنى. فكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم: «محمد رسول الله» فلما تولى أبوبكر بعده صاروا يقولون: «خليفة رسول الله» فيضيفون الخليفة إلى رسول الله المضاف إلى الله، والمضاف إلى المضاف مضاف تحقيقاً^(١) لقوله: «إن الله معنا»، ما ظنك باثنين الله ثالثهما، ثم لما تولى عمر بعده صاروا يقولون: «أمير المؤمنين» فانقطع الاختصاص الذى امتاز به أبوبكر عن سائر الصحابة.

ومما يبين هذا أن الصحبة فيها عموم وخصوص، فيقال: صحبه ساعةً ويوماً وجمعةً وشهراً وسنةً، وصحبه عمره كله.

وقد قال تعالى: ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [سورة النساء: ٣٦]. قيل: هو الرفيق فى السفر، وقيل: الزوجة، وكلاهما تَقَلَّ صحبته [وتكثر]^(٢). وقد سَمَّى الله الزوجة صاحبة فى قوله: ﴿أَنْتَى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةً﴾ [سورة الانعام: ١٠١].

ولهذا قال أحمد بن حنبل فى «الرسالة» التى رواها عبدوس بن مالك

-
- (١) س: فيضيفون الخليفة إلى رسول الله، والمضاف إلى الله، والمضاف إلى المضاف تحقيقاً؛ ب: فيضيفون الخليفة إلى رسول الله المضاف إلى الله، والمضاف إلى المضاف إلى الله مضاف إلى الله تحقيقاً. والمثبت من (ن)، (م).
- (٢) تكثر: فى (م) فقط. وكلمة «تقل» غير منقوطة فى (ن)، (م). وفى (س): نقل، وهو تحريف.

عنه^(١) : « من صحب النبي صلى الله عليه وسلم سنةً ، أو شهراً^(٢) ، أو يوماً ، أو ساعةً^(٣) ، أو رآه مؤمناً به^(٤) ، فهو من أصحابه ، له من الصحبة على قدر ما صحبه » .

وهذا قول جماهير العلماء من الفقهاء وأهل الكلام وغيرهم : يعدّون في أصحابه من قلّت صحبته ومن كثرت . وفي ذلك خلاف ضعيف . والدليل على قول الجمهور ما أخرجاه في الصحيحين عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس ، فيقال : هل فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم . ثم يغزو فئام من الناس ، فيقال : هل فيكم من رأى من صحب النبي صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم . ثم يغزو فئام من الناس فيقال : هل فيكم من رأى من صحب من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيقولون : نعم . فيفتح لهم » . وهذا لفظ مسلم ، وله في رواية أخرى : « يأتى على الناس زمان يبعث منهم^(٥) البعث فيقولون : انظروا هل تجدون فيكم أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فيوجد الرجل ، فيُفتح لهم به .

(١) هذه « الرسالة » أوردها ابن أبي يعلى في ترجمة عبدوس بن مالك العطار في « طبقات الحنابلة » ٢٤١/١ - ٢٤٦ ، والنص التالى في ٢٤٣/١ .

(٢) الرسالة : كل من صحبه سنة أو شهراً . . .

(٣) عبارة « مؤمناً به » ليست في « الرسالة » .

(٤) م : سنة وشهراً ويوماً وساعة . . .

(٥) م : فيهم .

ثم يبعث البعث الثاني، فيقولون: هل فيكم من رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم، فيفتح لهم به. ثم يبعث البعث الثالث، فيقال: انظروا هل ترون فيكم من رأى من رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيقولون: نعم. ثم يكون البعث الرابع، فيقال: هل ترون فيكم أحداً رأى من رأى أحداً رأى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فيوجد الرجل، فيفتح لهم به» ولفظ البخارى ثلاث مرات^(١) كالرواية الأولى، لكن لفظه: «يأتى على الناس زمان يغزو فئام من الناس» وكذلك قال في الثانية والثالثة، وقال فيها: «كلها صحب» واتفقت الروايات على ذكر الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهم^(٢) القرون الثلاثة، وأما القرن الرابع فهو في بعضها، وذكر القرن الثالث ثابت في المتفق عليه من غير وجه^(٣).

كما فى الصحيحين عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خير أمتى القرن الذين يلوننى، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجىء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه ويمينه شهادته»^(٤).

(١) س، ب: مراتب. (٢) ن، م: وهى.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى وأوله هناك: ليأتين على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس.

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢ / ٣٥ وتكلمت هناك على رواياته المختلفة. وأما هذه الرواية عن عبدالله بن مسعود رضى الله عنه فهى فى: البخارى ٣/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبى... الباب الأول) وأوله فيه: «خير الناس قرنى، ثم الذين يلونهم... الحديث، وهو أيضا فى: البخارى ٩١/٨ (كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها)، ١٣٤/٨ (كتاب الأيمان والنذور، باب إذا قال أشهد بالله...).

وفى الصحيحين عن عمران أن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «إن خيركم قرنى ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم». قال عمران: فلا أدرى أقال^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد قرنه قرنين أو ثلاثة، / «ثم يكون بعدهم قوم^(٢) يشهدون ولا يستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون»^(٣) وفى رواية: «ويحلفون ولا يستحلفون»^(٤) فقد شك عمران^(٥) فى القرن الرابع.

٢٧٣ ظ / وقوله: «يشهدون ولا يستشهدون» حملة طائفة من العلماء على مطلق الشهادة، حتى كرهوا أن يشهد الرجل بحق قبل أن يُطلب منه المشهود له إذا علم الشهادة، وجمعوا بذلك بين هذا وبين قوله: «ألا أخبركم بخير الشهداء؟ الذى يأتى بالشهادة قبل أن يُسألها»^(٦). وقال طائفة أخرى: إنما المراد ذمهم على الكذب، أى يشهدون

(١) م : قال .

(٢) ن ، م . س : قرن .

(٣) الحديث عن عمران بن حصين رضى الله عنه - مع اختلاف فى الألفاظ - فى : البخارى ٣/٥ - ٤ (كتاب فضائل أصحاب النبى . . .) الباب الأول ، ٩١/٨ (كتاب الرقاق ، باب ما يحذر من زهرة الدنيا . . .) ، ١٤١/٨ - ١٤٢ (كتاب الأيمان والنذور ، باب إثم من لا يفى بالنذر) ؛ مسلم ١٩٦٤/٤ (كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل الصحابة ، ثم الذين يلونهم . . .) حديث رقم ٢١٤ .

(٤) الحديث فى مسلم فى الموضع السابق ١٩٦٥/٤ (حديث رقم ٢١٥) .

(٥) س ، ب : عمر ، وهو خطأ .

(٦) الحديث عن زيد بن خالد الجهنى رضى الله عنه فى : مسلم ١٣٤٤/٣ (كتاب الأقضية ، باب بيان خير الشهود) ؛ سنن أبى داود ٤١٤/٣ (كتاب الأقضية ، باب فى الشهادات) ؛ سنن الترمذى ٣٧٣/٣ (كتاب الشهادات ، الباب الأول) .

بالكذب، كما ذمهم على الخيانة وترك الوفاء؛ فإن هذه [من] ^(١) آيات النفاق التي ذكرناها في قوله: «آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أوتى من خان» أخرجاه في الصحيحين ^(٢).

وأما الشهادة بالحق إذا أداها الشاهد لمن علم أنه محتاج إليها ولم يسأله ذلك، فقد قام بالقسط، وأدى الواجب قبل أن يسأله، وهو أفضل ممن لا يؤدّيه إلا بالسؤال، كمن له عند غيره أمانة، فأداها قبل أن يسأله أداءها، حيث يحتاج إليها صاحبها، وهذا أفضل من أن يُخوَج صاحبها إلى ذل السؤال. وهذا أظهر القولين.

سبق
٥٨ / ٢
٣٤٨ / ٤

وهذا يشبه اختلاف الفقهاء في الخصم إذا ادّعى ولم يسأل الحاكم سؤال المدّعى عليه: هل يسأله الجواب؟ والصحيح أنه يسأله الجواب ^(٣) ولا يحتاج ذلك إلى سؤال المدّعى، لأن دلالة الحال تغني عن السؤال. ففي الحديث الأول: «هل فيكم من رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» ثم قال: «هل فيكم [من رأى]» ^(٤) من صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. فدلّ على أن الرائي هو صاحب. وهكذا يقول في سائر الطبقات في السؤال ^(٥): «هل فيكم من رأى من صحب [من صحب رسول الله؟]» ^(٦) ثم يكون المراد بالصاحب الرائي.

(١) من : زياده في (ب). (٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٨٢/٢.

(٣) الجواب : ساقطة من (م).

(٤) من رأى : ساقطة من (ن) ، (م) ، (س).

(٥) عبارة « في السؤال » : ساقطة من (س) ، (ب).

(٦) ما بين المعقوفتين ساقط من (ن) ، (م) . وفي (س) : من رأى من صحب رسول الله . .

وفى الرواية الثانية: «هل تجدون فيكم أحدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟»^(١) ثم يقال فى الثالثة: «هل فيكم من رأى [من رأى]^(٢) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٣).

ومعلوم إن كان^(٤) الحكم لصاحب الصباح معلقا^(٥) بالرؤية^(٦)، ففى الذى صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بطريق الأولى والأخرى.

ولفظ البخارى قال فيها كلها: «صَحِبَ». وهذه الألفاظ إن^(٧) كانت كلها من ألفاظ رسول الله صلى الله عليه وسلم فهى نصّ فى المسألة، وإن كان قد قال بعضها، والراوى مثل أبى سعيد يروى اللفظ بالمعنى، فقد دلّ على أن معنى أحد اللفظين عندهم هو معنى الآخر، وهم أعلم بمعانى ما سمعوه من كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وأىضا فإن كان لفظ النبى صلى الله عليه وسلم «رأى» فقد حصل المقصود، وإن كان لفظه «صحب» فى طبقة أو طبقات، فإن لم يرد به الرؤية لم يكن قد بيّن مراده، فإن الصحبة اسم جنس ليس لها حدّ فى الشرع ولا فى اللغة، والعرف فيها مختلف.

والنبى صلى الله عليه وسلم لم يُقَيّد الصحبة بقيد، ولا قدرها بقدر، بل علق^(٨) الحكم بمطلقها، ولا مطلق لها إلا الرؤية.

(١) ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٢) من رأى : ساقطة من (ن) ، (س).

(٣) ن ، م ، س : أنه كان.

(٤) م : متعلقا. (٥) ن : بالرواية.

(٦) س : بقدر لو علق ... ؛ ب : بقدر وعلق ...

وأيضا فإنه يقال : صَحِبَهُ سَاعَةٌ وَصَحِبَهُ سَنَةٌ وَشَهْرًا ، فتقع على القليل والكثير ، فإذا أطلقت من غير قيد لم يجز تقييدها بغير دليل ، بل تُحمل على المعنى المشترك بين سائر موارد الاستعمال .

ولا ريب أن مجرد رؤية الإنسان لغيره لا توجب أن يقال : قد صحبه ، ولكن إذا رآه على وجه الاتِّباع له والافتداء به دون غيره والاختصاص به^(١) . ولهذا لم يُعتدَّ برؤية من رأى النبی صلى الله عليه وسلم من الكفار والمنافقين ؛ فإنهم لم يروه رؤية من قصده أن يؤمن به ، ويكون من أتباعه وأعوانه المصدقين له فيما أخبر^(٢) ، المطيعين له فيما أمر ، الموالين له ، المعادين لمن عاداه ، الذي هو أحب إليهم من أنفسهم وأموالهم وكل شيء^(٣) .

وامتاز^(٤) [أبو بكر] عن سائر^(٥) المؤمنين بأن رآه ، وهذه حاله معه ، فكان صاحباً له بهذا الاعتبار .

ودليل ثانٍ ما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «وددت أنى رأيت إخوانى» . قالوا : يا رسول الله ، أولسنا إخوانك ؟ قال : «بل أنتم أصحابى ، وإخوانى الذين يأتون بعدى ، يؤمنون بى ولم يرونى»^(٦) .

(١) به : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٢) م : فيما أخبر به .

(٣) ب : وامتاز ، وهو خطأ .

(٤) ن ، م ، س : وامتازوا عن سائر . . . ب : وامتازا عن سائر . . . والكلام ناقص ، ولعل ما

أثبتته تستقيم به العبارة . (٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٧ /

ومعلوم أن قوله: «إخواني» أراد به: إخواني الذين ليسوا بأصحابي^(١)، وأما أنتم فلکم مزية الصحبة^(٢). ثم قال: «قوم يأتون بعدى يؤمنون بى ولم يرونى». فجعل هذا حداً فاصلاً بين إخوانه الذين ودّ أن يراهم، وبين أصحابه، فدل على أن من آمن به ورآه فهو من أصحابه^(٣)، لا من هؤلاء الإخوان الذين لم يراهم ولم يروه.

٢٤٥ / ٤

فإذا عرف أن الصحبة اسم جنس تعمّ قليل الصحبة وكثيرها، وأدناها أن يصحبه زمناً قليلاً، فمعلوم أن الصديق في ذروة سنام الصحبة، وأعلى مراتبها، فإنه صحبه من حين بعثه^(٤) الله إلى أن مات، وقد أجمع الناس على أنه أول من آمن به من الرجال الأحرار، كما أجمعوا على أن أول من آمن / به من النساء خديجة، ومن الصبيان عليّ، ومن الموالى زيد بن حارثة. وتنازعوا في أول من نطق بالإسلام بعد خديجة، فإن كان أبو بكر أسلم قبل عليّ، فقد ثبت أنه أسبق صحبة، كما كان أسبق إيماناً، وإن كان عليّ أسلم قبله، فلا ريب أن صحبة أبى بكر للنبي صلى الله عليه وسلم كانت أكمل وأنفع له من صحبة عليّ ونحوه، فإنه شاركه في الدعوة، فأسلم على يديه أكابر أهل الشورى^(٥)، كعثمان وطلحة والزبير

ص ٣٧٤

(١) ن، س، ب: أصحابي.

(٢) م: مزيد الصحبة؛ س، ب: مزية في الصحبة.

(٣) م: من الصحابة.

(٤) ن: فإنه بعثه من حين بعثه... وهو خطأ.

(٥) م: الشكة.

وسعد وعبدالرحمن، وكان يدفع عنه من يؤذيه، ويخرج معه إلى القبائل، ويعينه في الدعوة، وكان يشتري المعذبين في الله، كبلال وعمار وغيرهما، فإنه اشترى سبعة من المعذبين في الله، فكان أنفع الناس له في صحبته مطلقا.

ولا نزاع بين أهل العلم بحال النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه أن مصاحبة أبي بكر له كانت أكمل من مصاحبة سائر الصحابة [من وجوه]^(١): أحدها: أنه كان أدم اجتماعا به ليلا ونهارا، وسفرا وحضرا. كما في الصحيحين عن عائشة أنها قالت: «لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمض علينا يوم إلا ورسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينا فيه طرفى النهار»^(٢).

فكان النبي صلى الله عليه وسلم في أول الأمر يذهب إلى أبي بكر طرفى النهار، والإسلام إذ ذاك ضعيف، والأعداء كثيرة. وهذا غاية الفضيلة والاختصاص في الصحبة.

وأیضا فكان أبو بكر يسمر عند النبي صلى الله عليه وسلم بعد العشاء، يتحدث معه في أمور المسلمين، دون غيره من أصحابه.

وأیضا فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا استشار أصحابه أول من يتكلم أبو بكر في الشورى، وربما تكلم غيره، وربما لم يتكلم غيره، فيعمل برأيه وحده، فإذا خالفه غيره اتبع رأيه دون رأى من يخالفه.

(١) عبارة «من وجوه»: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) سيرد هذا الكلام من حديث مطول فيما يلى في هذا الجزء، ص إن شاء الله.

فالأول كما فى الصحيحين أنه شاور أصحابه فى أسارى بدر، فتكلم أبو بكر أولاً، فروى مسلم فى صحيحه عن ابن عباس قال: لما أسر الأسارى يوم بدر، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر وعمر: «ما ترون فى هؤلاء الأسارى؟» فقال أبو بكر: هم بنو العم والعشيرة، فأرى أن تقبل منهم الفدية فتكون لنا قوة على الكفار. فقال عمر: لا والله يا رسول الله، ما أرى ما رأى أبو بكر، ولكن أن تمكّنا فنضرب أعناقهم: تمكّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكّن حمزة من العباس فيضرب عنقه، وتمكّنى من فلان - قريب لعمر - فأضرب عنقه. وأشار ابن رواحة بتحريقهم، فاختلف أصحابه، فمنهم من يقول: الرأى ما رأى أبو بكر، ومنهم من يقول: الرأى ما رأى عمر، ومنهم من يقول: الرأى ما رأى ابن رواحة. قال: فهوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال أبو بكر ولم يهو ما قلت، وذكر تمام الحديث^(١).

وأما الثانى ففى يوم الحديبية لما شاورهم على أن يُغير على ذرية الذين أعانوا قريشا، أو يذهب إلى البيت، فمن صدّه قاتله. والحديث معروف^(٢) عند أهل العلم: أهل التفسير والمغازى والسّير والفقّه والحديث، رواه البخارى، ورواه أحمد فى مسنده^(٣).

حدّثنا عبدالرزاق عن معمر، قال: قال الزهرى: أخبرنى عروة بن

(١) مضى هذا الحديث من قبل.

(٢) س، ب: معلوم.

(٣) النص التالى فى المسند (ط. الحلبي) ٣٢٣/٤ - ٣٢٦، ٣٢٨/٤ - ٣٣١.

الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم يصدّق كل منهما صاحبه^(١)، قالوا: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم زمن^(٢) الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، حتى إذا كانوا بذي الحليفة قلّد رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدى وأشعره، وأحرم بعمره^(٣)، وبعث بين يديه عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بغدير الأشطاظ قريب من عسفان أتاه عينه الخزاعي، فقال: إني قد تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى قد جمعوا / لك الأحابيش قال أحمد: «وقال يحيى بن سعيد عن ابن المبارك^(٤): «قد جمعوا لك الأحابيش، وجمعوا لك جموعاً، وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أشيروا عليّ^(٥): أترون أن أميل^(٦) إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم فنصيهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين محروبين^(٧)، وإن نجوا يكن عنقا قطعها الله، أو ترون أن نؤمّ البيت، فمن صدّنا عنه قاتلناه». فقال أبو بكر: الله ورسوله أعلم، يا نبي الله إنما جئنا معتمرين ولم نجىء لقتال أحد^(٨)، ولكن من

(١) المسند: يصدّق كل واحد منهما حديث صاحبه.

(٢) المسند: زمان.

(٣) المسند: بالعمره.

(٤) هذه الزيادة المعترضة جاءت في المسند بعد هذا الموضع بسطرين.

(٥) ن . م . س : إلى . والمثبت من (ب)، المسند.

(٦) المسند: نميل.

(٧) ن : محزونين . وفي المسند بعد عبارة « وإن نجوا » : «وقال يحيى بن سعيد عن ابن

المبارك : محزونين ، وإن يحنون تكن ...

(٨) المسند : .. نقاتل أحداً ..

حال بيننا وبين البيت قاتلناه. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فروحوا إذا». قال الزهري: وكان أبو هريرة يقول: ما رأيت أحداً قط كان أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله صلى الله عليه وسلم^(١). قال الزهري: حديث^(٢) المسور بن مخزومة ومروان بن الحكم: فراحوا حتى إذا كانوا ببعض الطريق».

ومن هنا رواه البخاري من طريق ورواه في المغازي والحج^(٣).

وقال الزهري في حديث المسور الذي اتفق عليه أحمد والبخاري^(٤): «حتى إذا كانوا ببعض الطريق قال النبي صلى الله عليه وسلم: إن خالد ابن الوليد بالغميم في خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات / اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم^(٥) بقترة الجيش، فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا كان بالثنية التي يُهبطُ

(١) هذه الزيادة من كلام الزهري هي من حديث رواه الترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه ١٢٩/٣ (كتاب الجهاد، باب ما جاء في المشورة) وهو موافق لرواية الزهري هنا.

(٢) المسند: في حديث.

(٣) الحديث - مطولاً ومختصراً مع اختلاف في الألفاظ - عن المسور بن مخزومة ومروان بن الحكم رضي الله عنهما في: البخاري ١٦٨/٢ - ١٦٩ (كتاب الحج، باب من أشعر وقلد بذى الحليفة ثم أحرم)، ١٩٣/٣ - ١٩٨ (كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد...)، ١٢٦/٥ - ١٢٧ (كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ٣٢/٤) (كتاب الجهاد، باب ناقة النبي صلى الله عليه وسلم)؛ سنن أبي داود ١١٢/٣ - ١١٥ (كتاب الجهاد، باب في صلح العدو). وسبق الكلام على بعض ألفاظ الحديث فيما مضى

(٤) الكلام التالي في المسند، وهو في البخاري ١٩٣/٣ - ١٩٤ (كتاب الشروط...).

(٥) ن، م، س، المسند: حتى إذا هو. والمثبت من (ب)، البخاري.

عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس^(١): حَلَّ حَلِّ فَالَحَتْ، فقالوا: خَلَّاتِ القِصْوَاءَ، خَلَّاتِ القِصْوَاءَ^(٢). فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا خَلَّاتِ [القِصْوَاءَ]^(٣) وما ذاك لها بِخُلَّتِي، ولكن حبسها حابس الفيل» ثم قال: «والذي نفسى بيده لا يسألونى خُطَّةً يعظمون فيها حرَمَاتِ الله إلا أعطيتهم إياها» ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ قليل الماء يَتَرَضُّهُ الناسُ تَبَرُّضاً، فلم يلبث الناس أن نزحوه، وشكوا^(٤) إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش، فانتزع سهماً من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه^(٥)، فو الله ما زال يجيش لهم بالرَّيِّ^(٦) حتى صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذا جاء بُذَيْلُ بن ورقاء الخزاعي ونفر^(٧) من قومه من خزاعة، وكانوا عِيَّةً نُصِّحَ رسول^(٨) الله صلى الله عليه وسلم من أهل تَهَامَةَ - وفى لفظ لأحمد: «مسلمهم ومشرِكهم»^(٩) - فقال: إني تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا أعداد مياه الحديبية ومعهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلون وصادوك عن البيت.

(١) المسند (فقط) : فقال النبي صلى الله عليه وسلم.

(٢) تكررت عبارة «خلَّاتِ القِصْوَاءَ» فى (ن) فقط مرتين، وهى كذلك فى «البخارى».

(٣) القِصْوَاءَ : ساقطة من (ن)، (م).

(٤) المسند : فلم يلبثه الناس أن نزحوه فَشَكَّيَ، البخارى : فلم يلبثه الناس حتى نزحوه وَشَكَّيَ.

(٥) ن ، م ، س : فيها.

(٦) بالرِّى : ساقطة من (س) ، (ب).

(٧) المسند، البخارى : فى نفر.

(٨) ن ، م ، س ، المسند : لرسول... (٩) فى رواية المسند ٣٢٣/٤ : مسلمها ومشرِكها.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنا لم نجىء لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، فإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضرَّت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدَّة، ونخلُّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا. وإلا فقد جُهِوا^(١)، وإن هم أبَوْا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سالفتي، وليُنْفِذن^(٢) الله أمره». قال بُذَيْل: «سأبلغهم ما تقول. فانطلق حتى أتى قريشا، فقال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل وسمعناه يقول قولاً؛ فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا. فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء. وقال ذوو الرأي منهم: هات ما سمعته يقول، قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدَّثهم بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام عروة بن مسعود فقال: أى قوم أَلستم بالوالد؟^(٣) قالوا: بلى. قال: أولست بالولد؟^(٤) قالوا: بلى. قال: فهل تتهمونى؟ قالوا: لا. قال: أَلستم تعلمون أنى استغفرت أهل عكاظ فلما بَلَّحُوا^(٥) على جئتكم بأهلى وولدى ومن أطاعنى. قالوا: بلى. قال: فإن هذا قد عرض عليكم خُطَّة رُشد فاقبلوها منه^(٦) ودعونى آتة. قالوا: آتة، فأتاه

(١) فى شرح البخارى : أى استراحوا من جهد الحرب.

(٢) ن ، م ، س ، المسند : أولينفذن.

(٣) ن ، م ، س : بالولد.

(٤) ن ، م ، س : بالوالد.

(٥) بَلَّحُوا : أى عجزوا.

(٦) منه : ليست فى «المسند» و«البخارى».

فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم له نحوا من قوله لبديل ، فقال عروة عند ذلك : أى محمد ، أرأيت إن استأصلت قومك^(١) ، هل سمعت أحداً من العرب^(٢) اجتاح أصله^(٣) قبلك ؟ وإن تكن الأخرى ، فإنى والله لأرى^(٤) وجوها وإنى لأرى أوياشا^(٥) من الناس خليفاً أن يفرّوا ويدعوك - ولفظ أحمد : «خلقاء أن يفرّوا ويدعوك»^(٦) - فقال [له]^(٧) أبو بكر : رضى الله عنه : امصص بظر اللات^(٨) ، أنحن نفر عنه وندعه ؟ / فقال : من ذا ؟ قالوا : أبو بكر . قال : أما والذي نفسى بيده لو لا يد كانت لك عندى لم أجرك بها لأجبتك . وجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فكلما كلمه أخذ بلحيته ، والمغيرة قائم على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه السيف وعليه المغفر ، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب يده بنعل^(٩) السيف ، ويقول : أخر يدك عن لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فرفع عروة رأسه^(١٠) فقال : من ذا ؟ قالوا : المغيرة بن شعبه .

- (١) البخارى : أمر قومك .
- (٢) البخارى ، المسند : بأحد من العرب .
- (٣) ب ، وفى رواية للبخارى : أهله .
- (٤) م ، ب : لا أرى .
- (٥) ن ، س : وأرى أوياشا ، م : وأرى أوشاص . وفى رواية للبخارى «أشوابا» .
- (٦) العبارات المعترضة فى رواية المسند .
- (٧) له : ساقطة من (ن) ، (م) ، (س) .
- (٨) سبق شرح هذه العبارة فيما مضى .
- (٩) فى «المسند» فقط : يتصل .
- (١٠) ن ، م ، س ، المسند : يده . (١١) البخارى ، المسند : من هذا .

قال: أى عُذْرٌ أو لستُ أسعى فى عُذْرَتِكَ؟ وكان المغيرة صحب قوما^(١) فى الجاهلية، فقتلهم وأخذ أموالهم، [ثم جاء فأسلم]^(٢)، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «أما الإسلام فَأَقْبَلُ، وأما المال فلست منه فى شىء» ثم إن عُروة جعل يرمقُ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعينه^(٣)، قال: فوالله ما تنخّم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت فى كف رجل منهم، فذلِكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم [عنده]^(٤)، وما يُحدّثون النظر إليه تعظيماً له، فرجع عُروة إلى أصحابه، فقال: أى قوم [والله]^(٥) لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشى، والله إن رأيتُ ملكاً عظيماً^(٦) قط يُعظّمه أصحابه^(٧) ما يعظّم أصحاب محمدٍ محمداً، والله إن تنخّم بنخامة إلا وقعت فى يد^(٨) رجل منهم، فذلِكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده^(٩)،

(١) ن، م، س: أقواماً.

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م)، (س).

(٣) المسند: يرمق النبى صلى الله عليه وسلم بعينه.

(٤) عنده: ساقطة من (ن)، (م)، (س).

(٥) والله: ليست فى (ن)، (م)، (س).

(٦) عظيماً: ليست فى (م)، البخارى، المسند.

(٧) س، ب: يعظّمه قومه وأصحابه.

(٨) البخارى، المسند: نخامة إلا وقعت فى كف ...

(٩) فى (ن)، (م)، (س): سبقت عبارة «وإذا تكلم» عبارة: «وإذا توضأ» ...

وما يحدثون / النظر إليه تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خُطّة رشد فاقبلوها. فقال رجل من كنانة^(١): دعوني آتة، فقالوا: آتته، فلما أشرف على النبي صلى الله عليه وسلم [وأصحابه]^(٢) قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البدن، فابعثوها له» [فبعثت له]، واستقبله^(٣) الناس يُلبّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله، ما ينبغي لهذا أن يصد^(٤) عن البيت، فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيت البدن قد قُلدت وأشعرت^(٥)، فما أرى أن يُصد^(٦) عن البيت، فقام رجل يقال له مكرز بن حفص فقال: دعوني آتة^(٧). فلما أشرف عليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذا مكرز بن حفص وهو رجل فاجر» فجعل يكلم النبي صلى الله عليه وسلم فيبينما هو يكلمه جاء سهيل بن عمرو. قال معمر: فأخبرني أيوب عن عكرمة أنه لما جاء سهيل قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد سهّل لكم من أمركم» قال معمر عن الزهري في حديثه: فجاء سهيل، فقال له: هات اكتب بيننا وبينك^(٨) كتاباً، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الكاتب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم:

-
- (١) البخاري، المسند : من بني كنانة.
 - (٢) وأصحابه : ليست في (ن)، (م)، (س).
 - (٣) ن، س : فبعثوها له واستقبله ؛ م : فابعثوها له واستقبله.
 - (٤) البخاري، المسند : لهؤلاء أن يصلّوا.
 - (٥) م : واستشعرت.
 - (٦) البخاري، المسند : أن يصلّوا.
 - (٧) البخاري، المسند : آتة، فقالوا آتته.
 - (٨) البخاري، المسند : وبينكم.

«اكتب»^(١) بسم الله الرحمن الرحيم فقال سهيل : أما الرحمن فما أدري^(٢) ما هو، ولكن اكتب : باسمك اللهم ، كما كنت تكتب . فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «اكتب باسمك اللهم» ثم قال : «هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله» فقال سهيل : والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : «والله إنى لرسول الله وإن كذبتهمونى ، اكتب : محمد بن عبد الله» قال الزهري وذلك لقوله : «لا يسألونى خُطّة يعظّمون فيها حرّات الله إلا أعطيتهم إياها» قال النبي صلى الله عليه وسلم : «عَلَى أَنْ تُخْلُوا»^(٣) بيننا وبين المسجد الحرام نطوف به»^(٤) فقال سهيل : والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضُغْطَةً ، ولكن ذاك^(٥) من العام المقبل^(٦) ، فكتب . وقال سهيل : وَعَلَى أَنْ^(٧) لا يأتيك منا رجل وإن كان على دينك إلا رددته إلينا . قال المسلمون : سبحان الله ! كيف يُرَدُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ فينما هم كذلك إذ جاء^(٨) أبو جندل بن سهيل

(١) اكتب : ليست فى «البخارى» .

(٢) البخارى ، المسند : فوالله ما أدري ..

(٣) س ، ب : يَخْلُوا .

(٤) المسند ، البخارى : وبين البيت فنطوف به .

(٥) البخارى : ذلك ؛ المسند : لك .

(٦) م : القابل .

(٧) البخارى ، المسند : أنه .

(٨) البخارى : إذ دخل .

ابن عمرو يرسف في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد^(١) أول ما أقاضيك عليه، أن تردّه إلى. قال: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنا لم نقض الكتاب بعد». قال: / فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبدا. قال النبي صلى الله عليه وسلم: «فأجزه لى» قال: ما أنا مجيزه^(٢). قال: «بلى فافعل» قال: ما أنا بفاعل. قال مكرز: بلى قد أجزناه لك. قال أبو جندل: أى معاشر المسلمين أرد إلى المشركين، وقد جئت مسلما؟ ألا ترون ما قد لقيت؟ وقد كان^(٣) عذّب عذاباً شديداً في الله. فقال عمر^(٤): فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت: ألسن نبي الله حقاً؟ قال: «بلى». قال: قلت: ألسنا على الحق، وعدونا على الباطل؟ قال: «بلى». قلت: فلم نعطى^(٥) الدنية فى ديننا إذا؟ قال: «إنى رسول الله ولست أعصيه، وهو ناصرى» قلت: أو لست كنت تحدثنا: أنا سنأتى البيت فنطوف به^(٦)؟ قال: «فأخبرتك أنك آتية^(٧) العام؟» قلت: لا. قال: «فإنك آتية ومطوف به^(٨)» قال^(٩): فأتيت أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس

(١) س، ب: يا محمد هذا..

(٢) البخارى، المسند: بمجيزه لك.

(٣) البخارى، المسند: وكان قد..

(٤) س، ب: قال عمر. (٥) ن، م: فلم نعط.

(٦) س، ب: ونطوف به.

(٧) البخارى: أنا نأتية؛ المسند: أنك نأتية.

(٨) م: تطوف به؛ المسند: ومطوف به.

(٩) قال: ساقطة من (م)، (س)، (ب).

هذا نبى الله حقاً؟ قال: بلى. ^(١) قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. ^(٢) قلت: فلم نعطى الدنية فى ديننا إذا؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله، وليس يعصى ربه، وهو ناصره، فاستمسك بغيره ^(٣)، فوالله [إنه] على الحق ^(٤). قلت: أليس كان يحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرك أنك ^(٥) تأتية العام؟ قلت: لا. قال: فإنك آتية ومطوف به. قال عمر ^(٦): فعملت لذلك أعمالاً. قال: فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: «قوموا فأنحروا ثم احلقوا». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات. فلما لم يقم أحد ^(٧) دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبى الله أتحب ذلك، اخرج ولا تكلم أحداً منهم ^(٨)، «حتى تنحر بُذَنك وتدعو حالقك [فيحلقك]» ^(٩). فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، فنحر بُذَنه، ودعا حالقه فحلقه ^(١٠)، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى

(١-١) ساقط من (س)، (ب).

(٢) المسند: فاستمسك، وقال يحيى بن سعيد: بغيره، وقال: تطوف بغيره حتى تموت؛ م: فاستمسك بعروته.

(٣) ن: فوالله على الحق؛ س، ب: فهو والله على الحق؛ المسند: فوالله إنه لعلى الحق.

(٤) س، ب: أفأخبر أنك؛ المسند: أفأخبرك أنه.

(٥) م: آتية العام؛ المسند: يأتية العام.

(٦) البخارى، المسند: قال الزهرى: قال عمر. (٧) البخارى، المسند: منهم أحد.

(٨) ن، م: ولا تكلم منهم أحداً؛ البخارى والمسند: ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة..

(٩-٩) ما بين النجمتين ساقط من (م). وسقطت بعض هذه العبارات من (س).

(٩) فيحلقك: ساقطة من (ن).

كاد بعضهم يقتل بعضاً غماً، ثم جاء^(١) نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ﴾ إلى قوله : ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكُوفَرِ﴾ [سورة الممتحنة : ١٠] / فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية. ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فجاء^(٢) أبو بصير - رجل من قريش - وهو مُسلم^(٣)، فأرسلوا في طلبه رجلين، فقالوا: العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إنني لأرى سيفك هذا يا فلان جيداً، فاستله الآخر فقال: أجل والله إنه لجيد، لقد جربت به ثم جربت، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأمكنه [منه]^(٤)، فضربه حتى برد، وفر الآخر، حتى أتى المدينة، فدخل المسجد يعدو، فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين رآه: «لقد رأى هذا دُغراً». فلما انتهى إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال: قُتل والله صاحبي، وإني لمقتول. فجاء أبو بصير رضي الله عنه، فقال: يا نبي الله، قد وفى الله بدمتك^(٥)، فلقد رددتني إليهم، ثم أنجاني

(١) البخارى، المسند : ثم جاءه ..

(٢) البخارى ، المسند : فجاءه .

(٣) بعد كلمة «ومسلم» جاءت عبارات فى «المسند» زيادة من رواية ابن المبارك .

(٤) منه : ساقطة من (ن)، (م)، (س) .

(٥) س، ب : لقد وفى الله بدمتك، البخارى، المسند : قد والله أوفى الله دمتك .

الله منهم. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «ويل أمه مسعر حرب لو كان له أحد» فلما سمع ذلك عرف أنه سيره إليه، فخرج حتى أتى سيف البحر. قال: وتفلت منهم أبو جندل^(١) بن سهيل رضى الله عنه، فلحق بأبى بصير، فجعل لا يخرج من قريش رجل قد^(٢) أسلم إلا لحق بأبى بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة. قال: فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوها^(٣)، فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وسلم تناشده الله والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأرسل النبي صلى الله عليه وسلم إليهم، وأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِبَطْنِ مَكَّةَ﴾ [سورة الفتح: ٢٤] حتى بلغ ﴿حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [سورة الفتح: ٢٦]، وكانت حميتهم أنهم لم يقرؤا أنه نبي الله، ولم يقرؤا بيسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت» رواه البخارى عن عبدالله بن محمد المُنْدى^(٤) عن عبدالرزاق^(٥) ورواه أحمد عن عبدالرزاق^(٦)، وهو

(١) البخارى: وتفلت منهم أبو جندل؛ المسند: وتفلت أبو جندل..

(٢) قد: ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

(٣) البخارى، المسند: إلا اعترضوا لها..

(٤) م: السندى، وهو تحريف. وهو عبدالله بن محمد بن عبدالله بن جعفر بن اليمان الجعفى البخارى الحافظ، أبو جعفر المعروف بالمُسْنَدَى (يفتح النون) لقب بذلك لأنه كان يطلب المسندات ويرغب عن المرسلات، ولأنه أول من جمع «مسند الصحابة» بما وراء النهر، وهو شيخ البخارى، توفي سنة ٢٢٩. انظر ترجمته فى: تهذيب التهذيب ٩/٦ - ١٠، تذكرة الحفاظ ٢/٤٩٢ - ٤٩٣؛ الأعلام ٤/٢٦٠.

(٥) وهى رواية كتاب الشروط، باب الجهاد والمصالحة ٣/١٩٣ - ١٩٧.

(٦) وهى الرواية فى ٤/٣٢٨ - ٣٣١.

أجلّ قدرا من المسندى شيخ البخارى، فما فيه من زيادة هى أثبت مما
فى البخارى.

٢٤٩ / ٤

وفى الصحيحين / عن البراء بن عازب، قال: كتب على بن أبى
طالب^(١) الصلح بين النبى صلى الله عليه وسلم وبين المشركين يوم
الحديبية، فكتب: هذا ما كاتب عليه محمد رسول الله صلى الله عليه
وسلم، فقالوا: لا تكتب رسول الله، لو نعلم أنك رسول الله لم نقاتلك.
فقال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى: «امحه» فقال: «ما أنا بالذى
أمحوه» قال: فمحا النبى صلى الله عليه وسلم بيده^(٢)، قال: وكان فيما
اشترطوا عليه أن يدخلوا فيقيموا بها^(٣) ثلاثا، ولا يدخلوا بسلاح إلا جُلَبَان
السلاح. قال شعبة: قلت لأبى إسحاق: وما جُلَبَان السلاح؟ قال:
القرا ب وما فيه^(٤).

(١) ن، س: على بن أبى طلحة، وهو خطأ.

(٢) بيده: ساقطة من (م).

(٣) بها: ساقطة من (س)، (ب).

(٤) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى: البخارى

١٨٤/٣ - ١٨٥ (كتاب الصلح باب كيف يُكتب هذا ما صالح فلان بن فلان...)،

١٠٣/٤ - ١٠٤ (كتاب الجزية والموادعة، باب المصالحة على ثلاثة أيام أو وقت

معلوم)؛ مسلم ١٤٠٩/٣ - ١٤١١ (كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية فى

الحديبية)، سنن أبى داود ٢٢٧/٢ (كتاب المناسك، باب المحرم يحمل السلاح)؛

المسند (ط. الحلبي) ٢٨٩/٤، ٢٩١، ٣٠٢. وقال النووى فى شرحه على مسلم

١٣٦/١٢: «قال أبو إسحاق السبيعي، جُلَبَان السلاح هو القرا ب وما فيه، والجُلَبَان بضم

الجيم. قال القاضى فى المشارق ضبطناه جَلَبَان بضم الجيم واللام وتشديد الباء الموحدة

وفى الصحيحين عن أبى وائل قال: قام سهل بن حنيف يوم صفين، فقال: يا أيها الناس اتهموا أنفسكم. وفى لفظ: اتهموا رأيكم على دينكم، لقد كنا [مع رسول الله صلى الله عليه وسلم] ^(١) يوم الحديبية، ولو نرى قتالاً لقاتلنا. وذلك فى الصلح الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين، وجاء ^(٢) عمر، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: «بلى». قال: أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟ قال: «بلى» قال: فقيم ^(٣) نعطى الدنية فى ديننا، ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ قال: «يا ابن الخطاب إنى رسول الله ولن يضيّعنى الله أبدا» قال: فانطلق عمر فلم يصبر متغيظاً، فأتى أبا بكر فقال: يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على باطل؟ قال: بلى. قال: أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم فى النار؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطى الدنية فى ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم؟ فقال: يا ابن الخطاب إنه رسول الله ولن يضيّعه الله أبدا. قال: فنزل القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالفتح، فأرسل إلى عمر

قال: وكذا رواه الأكثرون وصوّبه ابن قتيبة وغيره ورواه بعضهم بإسكان اللام وكذا ذكره الهروى وصوبه هو وثابت ولم يذكر ثابت سواء وهو اللفظ من الجراب يكون من الأدم يوضع فيه السيف مغمداً ويطرح فيه الراكب سوطه وأدواته ويعلقه فى الرحل، قال العلماء: وإنما شرطوا هذا لوجهين أحدهما أن لا يظهر منه دخول الغالبين القاهرين والثانى أنه إن عرض فتنة أو نحوها يكون فى الاستعداد بالسلاح صعبة..»

(١) ما بين المحققتين فى (ب) فقط.

(٢) ن، م: فجاء.

(٣) س، ب: قيم.

فأقرأه إياه، فقال: يا رسول الله أوفتح^(١) هو؟ قال: «نعم»^(٢).

وفى لفظ مسلم^(٣) «فطابت نفسه ورجع».

وفى لفظ لمسلم أيضا: «أيها الناس اتهموا رأيكم»^(٤)، لقد رأيتني يوم

أبى جندل^(٥)، ولو [أنى]^(٦) أستطيع أن أرد أمر رسول الله لرددته»^(٧).

وفى رواية: - والله ورسوله أعلم^(٨) - : «والله ما وضعنا سيوفنا على

عواتقنا إلى أمر قط، إلا أسهلن بنا إلى أمر نعرفه إلا أمركم هذا»^(٩) «ما

(١) ن، م : أفتح ؟

(٢) الحديث عن أبى وائل شقيق بن سلمة الأسدي (ترجمته فى الإصابة ١٦٢/٢ - ١٦٣ -

أسد الغابة ٥٢٧/٢ - ٥٢٨) رضى الله عنه - مع اختلاف فى اللفاظ - فى : البخارى

١٠٣/٤ (كتاب الجزية والموادعة، باب حدثنا عبدان ...) ، ١٣٦/٦ (كتاب التفسير،

باب سورة الفتح)؛ مسلم ١٤١١/٣ - ١٤١٢ (كتاب الجهاد والسير، باب صلح

الحديبية ..) المسند (ط . الحلبي) ٤٨٥/٣ - ٤٨٦ (عن أبى وائل عن سهل بن

حنيف).

(٣) مسلم ١٤١٢/٣ فى آخر الحديث.

(٤) ن، م : آراءكم . والمثبت هو الذى فى (س)، (ب) وفى صحيح مسلم.

(٥) وهو يوم الحديبية.

(٦) أنى : ساقطة من (ن)، (م)، (س).

(٧) الحديث بهذه اللفاظ عن سهل بن حنيف رضى الله عنه فى مسلم ١٤١٢/٣ (الموضع

السابق حديث رقم ٩٥)؛ المسند ٤٨٥/٣.

(٨) هذه الرواية عن أبى وائل عن سهل بن حنيف رضى الله عنهما فى : البخارى ١٢٨/٥ -

١٢٩ (كتاب المغازى، باب غزوة الحديبية) ونصه : لما قدم سهل بن حنيف من صفين

أتيناه نستخبره فقال اتهموا الراى فلقد رأيتني يوم أبى جندل ولو أستطيع أن أرد على رسول

الله صلى الله عليه وسلم أمره لرددت والله ورسوله أعلم ... الحديث.

(٩) هذه العبارات فى رواية عن سهل بن حنيف فى مسلم (حديث رقم ٩٥).

نسد منه خصماً إلا انفجر علينا خصم ما ندرى كيف نأتى له^(١)» يعنى يوم صفين .

وقال ذلك سهل يوم صفين لما خرجت الخوارج على على حين أمر بمصالحة معاوية وأصحابه .

وهذه الأخبار الصحيحة هى باتفاق أهل العلم بالحديث فى عُمره الحديثية تبين اختصاص أبى بكر [بمنزلة]^(٢) من الله ورسوله لم يشركه فيها أحد من الصحابة : لا عمر ، ولا على ، ولا غيرهما ، وأنه لم يكن فيهم أعظم إيماناً وموافقةً وطاعة لله ورسوله منه ، ولا كان فيهم من يتكلم بالشورى قبله .

فإن النبى صلى الله عليه / وسلم كان يصدر عن رأيه وحده فى الأمور العظيمة ، وإنه [كان]^(٣) يبدأ بالكلام بحضرة النبى صلى الله عليه وسلم معاونة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما كان يفتى بحضرتة وهو يقره على ذلك ، ولم يكن هذا لغيره .

فإنه لما جاء النبى صلى الله عليه وسلم جاسوسه الخزاعى ، وأخبره أن قريشاً قد جمعوا له الأحابيش ، وهى الجماعات^(٤) المستجمعة من

(١) هذه العبارات جاءت فى مسلم عن سهل بن حنيف رضى الله عنه فى الحديث التالى (رقم

٩٦) ٤/١٤١٣ . وجاءت العبارات فى الجملتين مجتمعة فى المسند (ط . الحلبي)

٤/٤٨٥ ولكن مع اختلاف فى الألفاظ . ونص الحديث : « . . . والله ما وضعنا سيوفنا

عن عواتقنا منذ أسلمنا لأمر يفظعنا إلا أسهل بنا إلى أمر نعرفه إلا هذا الأمر ما سدنا

خصماً إلا انفتح لنا خصم آخر . (٢) بمنزلة : زيادة فى (ب) فقط .

(٣) كان : زيادة فى (م) فقط . (٤) م : الجماعة .

قبائل، والتجشش : التجمع ، وأنهم مقاتلوه وصادّوه عن البيت ، استشار أصحابه أهل المشورة مطلقا : هل يميل إلى ذرارى الأحابيش ؟ أو ينطلق إلى مكة ؟ فلما أشار عليه أبو بكر أن لا يبدأ أحداً بالقتال ، فإنّا لم نخرج إلا للعمرة لا للقتال ، فإن منعنا أحد^(١) من^(٢) البيت قاتلناه ، لصدّه لنا عما قصدنا ، لا مبتدئين^(٣) له بقتال . قال النبی صلى الله عليه وسلم : «روحوا إذا» ثم إنه [لمّا] تكلم^(٤) عروة بن مسعود الثقفي - وهو من سادات ثقيف وحلفاء قريش - مع النبی صلى الله عليه وسلم كما تقدّم ، وأخذ يقول له عن أصحابه : «إنهم أشواب» أى أخلاط . وفى المسند : «أوباش» يفرّون عنك ويدّعونك . قال له الصّدّيق رضى الله عنه : «امصص بظر اللات . أنحن نفر عنه وندعه ؟ فقال له عروة ولمّا يجاوبه عن هذه الكلمة : لو لا يد لك عندى لم أجرك بها لأجبتك . وكان الصّدّيق قد أحسن إليه قبل ذلك ، فرعى حرمة ولم يجاوبه عن هذه الكلمة .

ولهذا قال / من قال من العلماء : إن هذا يدل على جواز التصريح باسم العورة للحاجة والمصلحة ، وليس من الفحش المنهى عنه . ٢٥٠ / ٤

كما فى حديث أبيّ بن كعب عن النبی صلى الله عليه وسلم قال : «من سمعتموه يتعزّى بعزاء^(٥) الجاهلية فأعضوه من أبيه ولا تكونوا» رواه مناج ٣٦٢ / ١

(١) ب : أحمد ، وهو خطأ مطبعى .

(٢) ن ، م : عن .

(٣) س ، ب : مبتدئين .

(٤) ن ، س : ثم إنه تكلم ؛ م : ثم تكلم . (٥) ن ، م ، س : يعزى .

أحمد^(١)، فسمع أبي بن كعب رجلاً يقول : يا فلان ، فقال : اعضض أير
أبيك . فقيل له فى ذلك . فقال : بهذا أمرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم^(٢) .

ثم إنه لما صالح النبى صلى الله عليه وسلم قريشاً ، كان ظاهر الصلح
فيه غضاضة وضيم على المسلمين ، وفعله النبى صلى الله عليه وسلم
طاعة لله وثقة بوعده له ، وأن الله سينصره عليهم ، واغتاظ من ذلك
جمهور الناس ، وعز عليهم ، حتى على مثل عمر وعلى وسهل بن
حنيف ، ولهذا كبر عليه على رضى الله عنه^(٣) لما مات تبييناً لفضله على
غيره ، يعنى سهل بن حنيف ، فعلى أمره النبى صلى الله عليه وسلم أن
يمحو اسمه من الكتاب ، فلم يفعل ، حتى أخذ النبى صلى الله عليه
وسلم الكتاب ومحاه بيده .

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٢١/١ . وبينت فى تعليقي مكان الحديث فى المسند
وشرحت فيه ألفاظه .

(٢) جاءت أحاديث عن أبي بن كعب رضى الله عنه فى المسند (ط . الحلبي) ١٣٦/٥ بهذا
المعنى منها رواية عتي بن ضمرة السعدى عن أبي بن كعب رضى الله عنه أن رجلاً اعتزى
بعزاء الجاهلية فأعضه ولم يكتنه ، فنظر القوم إليه ، فقال للقوم : إني أرى الذى فى
أنفسكم ، إني لم أستطع إلا أن أقول هذا ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا إذا
سمعتم من يعتزى بعزاء الجاهلية ، فأعضوه ولا تكتنوا . وفى «النهاية فى غريب الحديث»
لابن الأثير مادة «عضض» : «من تعزى بعزاء الجاهلية فأعضوه بهن أبيه ولا تكتنوا - أى
قولوا له : اعضض بأير أبيك ، ولا تكتنوا عن الأير بالهن تنكيلا له وتاديباً» .

(٣) فى جميع النسخ : على عليه السلام .

وفى صحيح البخارى^(١) أنه قال لعلّى : «امح رسول الله» قال : لا والله لا أمحوك أبداً. فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتاب، وليس يُحسِن يكتب^(٢)، فكتب : «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله». وسهل بن حنيف يقول : «لو استطعت أن أردّ أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته». وعمر يناظر النبي صلى الله عليه وسلم ويقول : إذا كنّا على الحق وعدونا على الباطل، وقتلنا فى الجنة وقتلهم فى النار، وأنت رسول الله حقاً، فعلام نعطى الدّينية فى ديننا، ثم إنه رجع عن ذلك وعمل له أعمالاً^(٣).

وأبو بكر أطوعهم لله ورسوله^(٤)، لم يصدر عنه مخالفة فى شىء قط، بل لما ناظره عمر، بعد مناظرته للنبي صلى الله عليه وسلم، أجابه أبو بكر بمثل ما أجابه النبي صلى الله عليه وسلم، من غير أن يسمع جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهذا من أبين الأمور دلالة على موافقته للنبي صلى الله عليه وسلم، ومناسبته له، واختصاصه به قولاً وعملاً، وعلماً وحالاً، إذ كان قوله من جنس قوله، وعمله من جنس عمله، وفى المواطن التى ظهر فيها تقدّمه على غيره فى ذلك، فأين مقامه من مقام غيره؟! هذا يناظره ليردّه عن

(١) سبق حديث البراء بن عازب قبل صفحات () وسأقابل الكلام التالى عليه إن شاء

الله، والرواية التالية فى : البخارى ١٨٤/٣ - ١٨٥.

(٢) عبارة «وليس يُحسِن يكتب» ليست فى البخارى، ولعلها من كلام ابن تيمية.

(٣) الكلام السابق هو ملخص لما جاء فى أحاديث سابقة.

(٤) م : ولرسوله.

أمره، وهذا يأمره ليمحو اسمه فلا يمحوه، وهذا يقول: لو أستطيع أن أردد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم لرددته، وهو يأمر الناس بالحلق والنحر فيتوقفون.

ولا ريب أن الذى حملهم على ذلك حب الله ورسوله، وبغض الكفار، ومحبتهم أن يظهر الإيمان على الكفر، وأن لا يكون قد دخل على أهل الإيمان غضاظة وضيم من أهل الكفر، ورأوا أن قتالهم لثلاث مضاموا هذا الضيم أحب إليهم من هذه المصالحة التى فيها من الضيم ما فيها.

لكن معلوم وجوب تقديم النص على رأى، والشرع على الهوى. فالأصل الذى افترق فيه المؤمنون بالرسول والمخالفون لهم: تقديم نصوصهم على الآراء، وشرعهم على الأهواء. وأصل الشر من تقديم الرأى على النص، والهوى "على الشرع"، فمن نور الله قلبه، فرأى ما فى النص والشرع^(١) من الصلاح والخير، وإلا فعليه* الانقياد لنص رسول الله صلى الله عليه وسلم وشرعه^(٢) وليس له معارضته برأيه وهواه.

كما قال صلى الله عليه وسلم: «إنى رسول الله^(٣) ولست أعصيه، وهو ناصرى»^(٤) فبين أنه رسول الله، يفعل ما أمره به مرسله، لا يفعل من تلقاء

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(١) ن، س : وشرع، وهو تحريف.

(٢) وشرعه : ساقط من (س)، (ب).

(٣) م : لرسول الله ..

(٤) جاءت هذه العبارة ضمن الحديث الذى سبق ذكر نصه قبل صفحات (٥١٩ - ٥٢٠).

نفسه / وأخبر أنه يطيعه لا يعصيه، كما يفعل المتبع لرأيه^(١) وهواه، وأخبر أنه ناصره، فهو على ثقة من نصر الله، فلا يضربه ما حصل، فإن في ضمن ذلك من المصلحة وعلو الدين ما ظهر بعد ذلك، وكان هذا فتحاً مبيناً في الحقيقة، وإن كان فيه ما لم يعلم حسن ما فيه كثير من الناس، بل رأى ذلك ذلاً وعجزاً وغضاضةً وضيمًا.

ولهذا تاب الذين عارضوا ذلك رضى الله عنهم، كما في الحديث رجوع عمر، وكذلك في الحديث أن سهل بن حنيف اعترف بخطئه، حيث قال: «والله ورسوله أعلم»، وجعل رأيهم عبرة لمن بعدهم، فأمرهم أن يتهموا رأيهم على دينهم، فإن الرأى يكون خطأ، كما كان رأيهم / يوم الحديبية خطأ، وكذلك على الذى لم يفعل ما أمره به، والذين لم يفعلوا ما أمروا به من الحلق والنحر، حتى فعل هو ذلك، قد تابوا من ذلك، والله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات.

٢٥١ / ٤

والقصة كانت عظيمة، بلغت منهم مبلغاً عظيماً لا تحمله عامة النفوس، وإلا فهم^(٢) خير الخلق، وأفضل الناس، وأعظمهم علماً وإيماناً، وهم الذين بايعوا تحت الشجرة، وقد رضى [الله] عنهم^(٣) وأثنى عليهم، وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار.

والاعتبار في الفضائل بكمال النهاية، لا بنقص البداية. وقد قصَّ الله

(١) ن، س: برأيه، وهو تحريف.

(٢) س: إلا فهم؛ ب: إلا من هم..

(٣) ن، م: وقد رضى عنهم.

علينا من توبة أنبيائه، وحسن عاقبتهم، وما آل إليه أمرهم، من عليّ الدرجات، وكرامة الله لهم، بعد أن جرت لهم أمور. ولا يجوز أن يُظنَّ بغضهم لأجلها، إذا كان الاعتبار بكمال النهاية لا بنقص البداية.

وهكذا السابقون الأولون مَنْ ظنَّ بغضهم [لأجلها، إذا كان الاعتبار بكمال النهاية]^(١) كما ذكر^(٢)، فهو جاهل. لكن المطلوب أن الصديق أكمل القوم، وأفضلهم، وأسبقهم إلى الخيرات، وأنه لم يكن فيهم من يساويه.

وهذا أمر بيّن لا يشك فيه إلا من كان جاهلا بحالهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم، أو كان صاحب هوى صدّه أتباع هواه عن معرفة الحق. وإلا فمن كان له علم وعدل لم يكن عنده في ذلك شك، كما لم يكن عند أهل العلم والإيمان شك، بل كانوا مطبقين على تقديم الصديق وتفضيله على من سواه، كما اتفق على ذلك علماء المسلمين وخيارهم، من الصحابة والتابعين وتابعيهم، وهو مذهب مالك وأصحابه، والشافعي وأصحابه، وأحمد وأصحابه، وداود وأصحابه، والثوري وأصحابه، والأوزاعي وأصحابه، والليث وأصحابه، وسائر العلماء الذين لهم في الأمة لسان صدق.

ومن ظن أن مخالفة من خالف أمر الرسول يوم الحديبية - أو غيره - لم تكن من الذنوب التي تجب التوبة منها فهو غلط. كما قال من أخذ يعتذر

(١) ما بين المعقوفين ساقط من (ن)، (م).

(٢) ن، م، س : لما ذكر.

لمن خالف أمره عذراً يقصد به^(١) رفع الملام : بأنهم إنما تأخروا عن النحر والحلق لأنهم كانوا ينتظرون النسخ ونزول الوحي بخلاف ذلك . وقول من يقول : إنما تخلف من تخلف عن طاعته : إما تعظيماً لمرتبته أن يمحوا اسمه ، أو يقول : مراجعة من راجعه في مصالحة المشركين إنما كانت قصداً ، لظهور أهل الإيمان على الكفر ، ونحو ذلك .

فيقال : الأمر الجازم من الرسول صلى الله عليه وسلم الذي أراد به الإيجاب ، موجبٌ لطاعته باتفاق أهل الإيمان . وإنما نازع في الأمر المطلق بعض الناس لاحتمال أنه ليس بجازم أراد به الإيجاب . وأما مع ظهور الجزم والإيجاب ، فلم يسترب أحد في ذلك .

ومعلوم أن أمره بالنحر والحلق كان جازماً ، وكان مقتضاه الفعل على الفور ، بدليل أنه ردّده ثلاثاً ، فلما لم يقم أحد ، دخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس ، وروى أنه غضب وقال : «مالي لا أغضب ، وأنا أمر بالأمر فلا»^(٢) يتبع^(٣) .

وروى أنه قال ذلك لما أمرهم بالتحلل في حجة الوداع .

(١) س : لمن خالف أمر عذراً ما يقصد به ؛ ب : لمن خالف أمره عذراً ما يقصد به . وسقطت

«به» من (م) . (٢) ن : س ، ب : ولا .

(٣) الحديث عن البراء بن عازب رضى الله عنه في : سنن ابن ماجه ٩٩٣/٢ (كتاب

المناسك ، باب فسخ الحج) ونصه : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه

فأحرمنا بالحج ، فلما قدمنا مكة قال : «اجعلوا حجتكم عمرة» فقال الناس : يارسول الله

قد أحرمنا بالحج ، فكيف نجعلها عمرة؟ قال : «انظروا ما آمركم به فافعلوا» فردّوا عليه

القول ، فغضب ، فأنطلق ، ثم دخل على عائشة غضبان ، فرأت الغضب في وجهه ،

فقال : من أغضبك؟ أغضبه الله ! قال : «ومالي لا أغضب ، وأنا أمرا أمرا فلا أتبع؟»

والحديث في المسند (ط . الحلبي) ٢٨٦/٤ .

ومعلوم أن الأمر بالتحلل^(١) بهذه العمرة التي أحصروا فيها كان أوكد من الأمر بالتحلل في حجة الوداع.

وأيضا فإنه كان محتاجا إلى محو اسمه من الكتاب ليتم الصلح، ولهذا محاه بيده. والأمر بذلك كان جازما. والمخالف لأمره إن كان متأولا فهو ظان أن هذا لا يجب، لما فيه من قلة احترام الرسول صلى الله عليه وسلم، أو لما^(٢) فيه من انتظار العمرة وعدم إتمام ذلك الصلح. فحسب المتأول أن يكون مجتهدا مخطئا، فإنه مع جزم النبي صلى الله عليه وسلم وتشكيه ممن لم يمثل أمره، وقوله: «مالى لا أغضب وأنا أمر بالأمر^(٣) ولا أتبع^(٤)» لا يمكن^(٥) تسويغ المخالفة، لكن هذا مما تابوا منه كما تابوا من غيره.

فليس لأحد أن يثبت عصمة من ليس بمعصوم، فيقدح بذلك في أمر المعصوم صلى الله عليه وسلم، كما فعل ذلك في توبة من تاب، وحصل له بالذنب نوع من العقاب، فأخذ ينفي عن الفعل ما يوجب الملام، والله قد لامه لوم المذنبين^(٦)، فيزيد تعظيم البشر، فيقدح^(٧) في رب العالمين^(٨).

(١) س ، ب : من التحلل.

(٢) م : ولما.

(٣) س ، ب : بالمعروف. (٤) م : فلا أتبع. (٥) م : ولا يمكن.

(٦) أى الله تعالى لام من فعل الذنب لوم المذنبين، ثم تاب المذنب عن ذلك الذنب.

(٧) س ، ب : فيقل.

(٨) أى أن هذا الذى يثبت عصمة من ليس بمعصوم، يزيد تعظيم هذا الذنب من البشر، ويقدم بذلك فى الله تعالى، إذ إنه لا يعتبر أمر الله له ونهيه، ويعد المذنب غير مذنب.

ومن عِلْم أن الاعتبار بكمال النهاية، وأن التوبة / تنقل العبد إلى مرتبة أكمل مما كان عليه، عِلْم أن ما فعله الله بعباده المؤمنين كان من أعظم نعمة الله عليهم.

وأيضا ففى / المواضع التى لا يكون مع النبى صلى الله عليه وسلم من أكابر الصحابة إلا واحد، كان يكون هو ذلك الواحد، مثل سفره فى الهجرة، ومقامه يوم بدر فى العريش: لم يكن معه فيه إلا أبو بكر، ومثل خروجه إلى قبائل العرب يدعوهم إلى الإسلام، كان يكون معه من أكابر الصحابة أبو بكر.

وهذا الاختصاص فى الصحبة لم يكن لغيره باتفاق أهل المعرفة بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم. وأما من كان جاهلا بأحوال النبى صلى الله عليه وسلم أو كذابا، فذلك يخاطب^(١) خطاب مثله.

فقوله تعالى فى القرآن: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ﴾ [سورة التوبة: ٤٠] لا يختص بمصاحبه فى الغار، بل هو صاحبه المطلق، الذى كَمُلَ [فى] الصحبة^(٢) كمالاً لم يشركه فيه غيره، فصار مختصاً بالأكملية^(٣) من الصحبة.

كما فى الحديث الذى رواه البخارى، عن أبى الدرداء، عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: «أيها الناس اعرفوا لأبى بكر حقّه؛ فإنه لم

(١) س: أو كذابا يخاطب؛ ب: أو كذابا فيخاطب.

(٢) ن، م، س: كمل الصحبة..

(٣) م: بالاهلية.

يسؤنى قط. أيها الناس إني راضٍ عن عمر وعثمان وعلى وفلان وفلان»^(١).

فقد تبين أن النبي صلى الله عليه وسلم [خصه]^(٢) دون غيره، مع أنه قد جعل غيره من أصحابه أيضاً، لكن خصه بكمال الصحبة.

ولهذا قال من قال من العلماء: إن فضائل الصديق خصائص لم يشركه فيها غيره.

ومن أراد أن يعرف فضائلهم ومنازلهم عند النبي صلى الله عليه وسلم، فليتدبر الأحاديث الصحيحة التي صححها أهل العلم بالحديث، الذين كملت خبرتهم بحال النبي صلى الله عليه وسلم، ومحبتهم له، وصدقهم في التبليغ عنه، وصار هواهم تبعاً لما جاء به، فليس لهم غرض إلا معرفة ما قاله، وتمييزه عما يُخلط بذلك من كذب الكاذبين، وغلط الغالطين. كأصحاب الصحيح، مثل: البخاري، ومسلم، والإسماعيلي،

(١) لم أجد الحديث بهذه الألفاظ في البخاري، ولكن جاء في السيرة النبوية لابن كثير (تحقيق الأستاذ مصطفى عبدالواحد) ٤/٢٦٦ وقال الطبراني: حدثنا علي بن اسحاق الوزير الأصبهاني، حدثنا علي بن محمد المقدمي، حدثنا محمد بن عمر بن علي المقدمي، حدثنا علي بن محمد بن يوسف بن شبان بن مالك بن مسمع، حدثنا سهل بن حنيف بن سهل بن مالك أخى كعب بن مالك، عن أبيه عن جده، قال: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «أيها الناس إن أبا بكر لم يسؤنى قط، فاعرفوا ذلك له. أيها الناس إني عن أبي بكر وعمر وعثمان وعلى وطلحة والزبير وعبدالرحمن بن عوف والمهاجرين الأولين راضٍ فاعرفوا ذلك لهم».

(٢) خصه: ساقطة من (ن)، (م)، (س). ومكانها في (س) بياض.

والبرقاني، وأبي نُعيم، والدارقطني، ومثل صحيح ابن خزيمة، وابن منده^(١)، وأبي حاتم البُستي، والحاكم.

وما صححه أئمة أهل الحديث [الذين]^(٢) هم أجل من هؤلاء أو مثلهم^(٣)، من المتقدمين والمتأخرين، مثل: مالك، وشعبة، ويحيى بن سعيد، وعبدالرحمن بن مهدي، وابن المبارك، وأحمد، وابن معين، وابن المديني، وأبي حاتم، وأبي زرعة الرازيين، وخلائق لا يحصى عددهم إلا الله تعالى.

فإذا تدبّر العاقل الأحاديث الصحيحة الثابتة عند هؤلاء وأمثالهم، عرف الصدق من الكذب؛ فإن هؤلاء من أكمل الناس معرفة بذلك، وأشدّهم رغبة في التمييز بين الصدق والكذب، وأعظمهم ذباً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم المهاجرون إلى سنته وحديثه، والأنصار له في الدين، يقصدون ضبط ما قاله وتبليغه للناس، وينفون عنه ما كذبه الكذّابون^(٤)، وغلط فيه الغالطون. ومن شَرَكهم في علمهم عِلْم ما قالوه، وعِلْم بعض قدرهم، وإلا فليسلم القوس إلى باريها، كما يسلم إلى الأطباء طبهم، وإلى النحاة نحوهم، وإلى الفقهاء فقههم، وإلى أهل الحساب حسابهم، مع أن جميع هؤلاء قد يتفقون على خطأ في

(١) م : وابن منك وابن المديني.

(٢) الذين : زيادة في (ب) فقط.

(٣) ن ، س ، ب : وأمثالهم.

(٤) ن ، م : الكاذبون.

صناعتهم، إلا الفقهاء فيما^(١) يُفتون به من الشرع، وأهل الحديث فيما يفتون به من النقل، فلا يجوز أن يتفقوا على التصديق بكذب، ولا على التكذيب بصدق، بل إجماعهم معصوم في التصديق والتكذيب بأخبار النبي صلى الله عليه وسلم، كما أن إجماع الفقهاء معصوم^(٢) في الإخبار عن الفعل، بدخوله في أمره أو نهيهِ، أو تحليله أو تحريمه.

ومن تأمل هذا وجد فضائل الصديق التي في الصحاح كثيرة، وهي خصائص. مثل حديث المخالّة، وحديث: إن الله معنا، وحديث: إنه أحب الرجال إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وحديث الإتيان^(٣) إليه بعده، وحديث كتابة العهد إليه بعده، وحديث تخصيصه بالتصديق^(٤) ابتداءً والصحبة، وتركه له، وهو قوله: «فهل أنتم تاركولي صاحبي؟»^(٥)، وحديث دفعه عنه عقبة بن أبي معيط لما وضع الرداء في عنقه حتى خلّصه أبو بكر، وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟! وحديث استخلافه في الصلاة وفي الحج، / وصبره وثباته بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم، وانقياد الأمة [له]^(٦)، وحديث الخصال التي اجتمعت فيه في يوم، وما اجتمعت في رجل إلا وجبت له الجنة، وأمثال ذلك.

سبق في السابع

سبق
٢٥٣ / ٤

-
- (١) م : فما ..
 - (٢) ن : معصومون.
 - (٣) ن : الاثنان، وهو تحريف.
 - (٤) ن ، س ، ب : بالصديق.
 - (٥) سبق هذا الحديث فيما مضى .
 - (٦) له : ساقطة من (ن)، (م).

ثم له^(١) مناقب يشركه فيها عمر، كشهادته بالإيمان له ولعمر، وحديث عليّ حيث يقول: كثيرا ما كنت أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «خرجت أنا وأبوبكر وعمر، ودخلت أنا وأبوبكر وعمر»^(٢)، وحديث استقائه من القليب، وحديث البقرة التي يقول فيها النبي صلى الله عليه وسلم: «أومن بها أنا وأبوبكر وعمر»^(٣) وأمثال ذلك.

سبق
١ / ٧

وأما مناقب عليّ التي في الصحاح فأصحها قوله يوم خيبر: «لأعطين الراية رجلا يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»^(٤). وقوله في غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»^(٥). ومنها دخوله في المباهلة^(٦) وفي الكساء^(٧)، ومنها قوله: «أنت مني وأنا منك»^(٨). وليس في شيء من ذلك خصائص. وحديث «لا يحبني / إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق»^(٩). ومنها ما تقدّم من حديث الشورى، وإخبار عمر أن النبي صلى الله عليه وسلم توفي وهو راضٍ عن عثمان وعليّ وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن^(١٠).

منهاج
١ / ٣٤٩
٤ / ٤٤٢
٥ / ٤٠
منهاج
٤ / ٤٤٢، ٣٣٧

سبق منهاج ٧ /
منهاج
٤ / ٣٠
٥ / ٢٥ - ٦٠
ظ ٣٧٧

- (١) م : وله .
- (٢) سبق هذا الحديث فيما مضى .
- (٣) سبق هذا الحديث فيما مضى .
- (٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤ / ٢٨٩ .
- (٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤ / ٤٤٢ .
- (٦) سبق هذا الحديث فيما مضى .
- (٧) تقدم هذا الحديث .
- (٨) مضى هذا الحديث ٤ / ٣٤ .
- (٩) مضى هذا الحديث ٤ / ٢٩٦ (ج) .
- (١٠) سبق الحديث ٥ / ٥٩ - ٦٠ ، ٦ / ٦٠ .

فمجموع ما فى الصحيح لعلّى نحو عشرة أحاديث، ليس فيها ما يختص به. ولأبى بكر فى الصحاح^(١) نحو عشرين حديثاً أكثرها خصائص.

وقول من قال: صح لعلّى من الفضائل ما لم يصح لغيره، كذب لا يقوله أحمد ولا غيره^(٢) من أئمة الحديث، لكن قد يقال: روى له ما لم يرو لغيره، لكن أكثر ذلك من نقل من علم كذبه أو خطؤه. ودليل واحد صحيح المقدمات سليم عن المعارضة، خير من عشرين دليلاً مقدماتها ضعيفة، بل باطلة، وهى معارضة بأصح منها يدل على نقيضها.

والمقصود هنا بيان اختصاصه فى الصحبة الإيمانية بما لم يشركه مخلوق، لا فى قدرها ولا فى صفتها ولا فى نفعها^(٣)، فإنه لو أحصى الزمان الذى كان يجتمع فيه أبوبكر بالنبي صلى الله عليه وسلم، والزمان الذى كان يجتمع به فيه عثمان أو على^(٤) أو غيرهما من الصحابة، لوجد ما يختص به أبوبكر أضعاف ما اختصاص به واحد منهم، لا أقول ضعفه^(٥).

وأما المشترك بينهم فلا يختص به واحد.

وأما كمال معرفته ومحبته للنبي صلى الله عليه وسلم وتصديقه له، فهو

(١) م : فى الصحيح .

(٢) س، ب : وغيره .

(٣) س : بمضاهى ب : نوعها .

(٤) م : الذى كان يجتمع فيه عمر أو على .

(٥) ن ، س ، ب : ضعيفة، وهو تحريف .

مبرز في ذلك على سائرهم تبريزاً باينهم فيه مباينة لا تخفى على من كان له معرفة بأحوال القوم، ومن لا معرفة له بذلك لم تُقبل شهادته. وأما نفعه للنبي صلى الله عليه وسلم ومعاونته له على الدين فكذلك. فهذه الأمور التي هي مقاصد الصحة ومحامدها، التي بها يستحق الصحابة^(١) أن يُفضلوا بها على غيرهم، لأبي بكر فيها من الاختصاص بقدرها ونوعها وصفتها وفائدتها ما لا يشركه فيه أحد.

ويدل على ذلك ما رواه البخاري عن أبي الدرداء، قال: كنت جالسا عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل أبو بكر آخذاً بطرف ثوبه حتى أبدى عن ركبتيه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أما صاحبكم فقد غامر فسلم». وقال: إني كان بيني وبين ابن الخطاب شيء، فأسرعت إليه، ثم ندمت، فسألته أن يغفر لي، فأبى عليّ، فأقبلت إليك^(٢)، فقال: «يغفر الله لك يا أبا بكر» ثلاثاً. ثم إن عمر ندم، فأتى منزل أبي بكر، فسأل: أنتم أبو بكر؟ قالوا: لا. فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل وجه النبي صلى الله عليه وسلم يتمعر، حتى أشفق أبو بكر، فجثا على ركبتيه، وقال: يا رسول الله، والله أنا كنت أظلم. مرتين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله بعثنى إليكم فقلتم: كذبت. وقال أبو بكر: صدق. وواساني بنفسه وماله، فهل أنتم تاركولي صاحبي» مرتين. فما أودى بعدها^(٣).

اعتقد مناج
٢٢٨ / ٧
أو ٢٢٩

(١) م: التي بها يستحق الصحة، ب: ويستحق الصحابة، ن، س: تستحق الصداقة

ولعل الصواب ما أتى. (٢) ن، م، س: فأقبلت إليه.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٢٨/٧ - ٢٢٩.

وفى رواية: كانت بين أبى بكر وعمر محاورة، فأغضب أبوبكر عمر^(١)، فانصرف عنه عمر مغضبا، فاتبعه أبوبكر يسأله أن يغفر له، فلم يفعل، حتى أغلق بابه فى وجهه، فأقبل أبوبكر إلى النبى صلى الله عليه وسلم . . الحديث . قال: وغضب النبى صلى الله عليه وسلم . وفيه: «إنى قلت يا أيها الناس: إنى رسول الله إليكم جميعا، فقلتم: كذبت. / وقال أبوبكر: صدقت»^(٢).

٢٥٤ / ٤

فهذا الحديث الصحيح فيه تخصيصه بالصحة فى قوله: «فهل أنتم تاركولى صاحبى؟» ويُن فيه من أسباب ذلك: أن الله لما بعثه إلى الناس قال: «إنى رسول الله إليكم جميعا». قالوا كذبت. وقال أبوبكر: صدقت. فهذا يبين فيه أنه لم يكذبه قط، وأنه صدقه^(٣) حين كذبه الناس طرأ.

وهذا ظاهر فى أنه صدقه قبل أن يصدقه أحد من الناس الذين بلغهم الرسالة، وهذا^(٤) حق؛ فإنه أول ما بُلغ الرسالة فآمن^(٥).

وهذا موافق لما رواه مسلم عن عمرو بن عبسة، قلت: يا رسول الله من معك على هذا الأمر؟ قال: «حر وعبد» ومعه يومئذ أبوبكر وبلال^(٦).

(١) س: فأغضب أبابكر؛ ب: فأغضبه أبوبكر.

(٢) هذه الرواية فى البخارى ٥٩/٦ - ٦٠ وسبق الإشارة إليها فى الجزء السابق (ص

).

(٣) م: صئق.

(٤) م: فهذا.

(٥) ب: آمن.

(٦) هذا جزء من حديث طويل عن أبى أمامة عن عمرو بن عبسة رضى الله عنهما فى: مسلم =

وأما خديجة وعلى وزيد، فهؤلاء كانوا من عيال النبی صلی الله علیه وسلم وفى بيته، وخديجة عرض عليها أمره لما فجأه الوحى، وصدّفته ابتداءً قبل أن يُؤمر بالتبليغ، وذلك قبل أن يجب الإيمان به، فإنه إنما يجب اذا بُلِّغ الرسالة، فأول من صدّق به بعد وجوب الإيمان به أبوبكر من الرجال، فإنه لم يجب عليه أن يدعو علياً إلى الإيمان، لأن علياً كان صبيّاً، والقلم عنه مرفوع.

ولم يُنقل أن النبی صلی الله علیه وسلم أمره بالإيمان وبلّغه الرسالة قبل يأمر أبابكر وبلّغه، ولكنه كان فى بيت النبی صلی الله علیه وسلم، فيمكن أنه آمن به لما سمعه يخبر خديجة وإن كان لم يبلّغه، فإن ظاهر قوله: «يا أيها الناس إني أتيت اليكم، فقلت: إني رسول الله إليكم، فقلتكم: كذبت. وقال أبوبكر: صدقت» كما فى الصحيحين^(١)، يدلّ على أن كل من بلّغه الرسالة كذبه أولاً إلا أبابكر.

ومعلوم أن خديجة وعليّاً وزيداً كانوا فى داره، وخديجة لم تكذّبه، فلم تكن داخلةً فيمن بُلِّغ.

٥٦٩/١ (كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة) وأوله: ... عن أبى أمامة قال عمرو بن عبسة السُّلمى: وكنت وأنا فى الجاهلية أظن أن الناس على ضلالة... الحديث وفيه: فقلت له: ما أنت؟ قال: «أنا نبيّ»... وفيه: قلت له: فمن معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» (قال: ومعهم يومئذ أبوبكر وبلال ممن آمن معه... والحديث أيضاً فى: سنن النسائى ٢٨٣/١ - ٢٨٤ (كتاب مواقيت الصلاة، باب إباحة الصلاة إلى أن يصلى الصبح)؛ سنن ابن ماجة ٤٣٤/١ (كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء فى أى ساعات الليل أفضل)؛ المسند (ط. الحلبي) ١١١/٤ - ١١٣، ١١٣ - ١١٤. (١) سبق هذا الحديث فيما مضى.

وقوله فى حديث عمرو بن عبسة : قلت : يا رسول الله من معك على هذا الأمر؟ قال : «حر وعبد»^(١).

والذى فى صحيح مسلم موافق لهذا، أى اتبعه من المبلّغين المدعويين، / ثم ذكر قوله : «وإسانى بنفسه وماله»^(٢) وهذه خاصة لم يشركه فيها أحد.

وقد ذكر هذا [النبيّ] صلى الله عليه وسلم فى أحاديث المخالفة التى هى متواترة عنه . كما فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى أن النبى صلى الله عليه وسلم جلس على المنبر فقال : «إن عبداً خيّر الله بين أن يؤتبه من زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده، فاختار ما عنده» فبكى أبوبكر، وقال : فدينك بآبائنا وأمهاتنا . قال : فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخير، وكان أبوبكر أعلمنا به . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن من»^(٣) أمنّ الناس علىّ فى صحبته وماله أبوبكر^(٤)، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام، لا ييقين فى المسجد خوخة إلا خوخة أبى بكر. وفى رواية للبخارى : «لو كنت متخذاً خليلاً غير ربي»^(٥) لاتخذت^(٦) أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام

منهاج
٢٦ / ٤
١٩ / ٥
٢١٨ / ٧

(١) سبق هذا الحديث قبل قليل .

(٢) فى الحديث قبل السابق الذى مضى

(٣) النبى : ساقطة من (ن)، (م).

(٤ - ٤) : زيادة فى (ن) فقط .

(٥) من : ساقطة من (م)، (ب).

(٦) م : لو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت ...

ومودته». «وفى رواية: «إلا خلة الاسلام» وفيه: «قال: ففعلنا له. وقال الناس: انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خير الله بين أن يؤتيه الله من زهرة [الحياة]^(١) الدنيا وبين ما عنده، وهو يقول: فدينك بآبائنا وأمهاتنا. وفى رواية: «وبين ما عنده فاختار ما عنده». وفيه فقال: «لا تبك إن آمن الناس على فى صحبتته وماله أبوبكر، ولو كنت متخذاً من أمتى خليلاً لاتخذت أبابكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته» لا يبقين فى المسجد باب إلا سدّ إلا باب أبى بكر^(٢)».

وروى البخارى من حديث ابن عباس قال: خرج النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه عاصباً رأسه بخرقة، ففقد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «إنه ليس أحدٌ من الناس آمن على فى نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً، ولكن خلة الاسلام أفضل، سدّوا عني كل خوخة فى هذا المسجد غير خوخة أبى بكر».

س، ب من
الإسلام

وفى رواية: «لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً لاتخذته، ولكن أخوة الاسلام أفضل».

وفى رواية: «ولكن أخى وصاحبى».

ورواه البخارى عن ابن الزبير قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(٥-٥) ما بين النجمتين ساقط من (م).

(١) الحياة: ساقطة من (ن).

(٢) سبق الكلام على هذا الحديث فيما مضى ٥١٢/١ - ٥١٣ وانظر أيضاً.

وسلم : «لو كنت متخذاً من هذه الأمة خليلاً^(١) لاتخذته» يعنى أبابكر.

ورواه مسلم عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

٢٥٥ / ٤

/ «لو كنت متخذاً خليلاً^(٢) لاتخذت أبابكر خليلاً ، ولكن أخى وصاحبى ، وقد اتخذ الله صاحبكم خليلاً» .

وفى رواية : «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت ابن أبى قحافة ، ولكن صاحبكم خليل الله» .

ن ، س إلى كل
خليل من
خليله ،

وفى أخرى : «ألا إنى أبرأ إلى كل خل من خله^(٣) ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبابكر خليلاً ، إن صاحبكم خليل الله^(٤)» .

م : إلى كل خليل
من خلفه

فهذه النصوص كلها مما تبين اختصاص أبى بكر من فضائل الصحبة ومناقبها والقيام [بها] وبحقوقها^(٥) بما لم يشركه فيه أحد ، حتى استوجب أن يكون خليله دون الخلق ، لو كانت المخالفة ممكنة .

ن ، س ، ب
والقيام بحقوقها

وهذه النصوص صريحة بأنه أحب الخلق إليه ، وأفضلهم عنده . كما صرح بذلك فى حديث عمرو بن العاص أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، قال : «فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك؟ قال : «عائشة» قلت^(٦) فمن الرجال؟ قال : «أبوها» قلت : ثم من؟ قال : «عمر» وعد رجلاً . وفى رواية للبخارى : «قال : فسكتُ مخافة أن يجعلنى آخرهم»^(٧) .

منهاج
٣٥٤ / ٤

(مه) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(١) ن ، س : إلى كل خليل من خليله ؛ م : إلى كل خليل من خلته .

(٢) انظر ما سبق ١ / ٥١٢ ، ٢ / ٤٣٦ .

(٣) ن ، س ، ب : والقيام بحقوقها .

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤ / ٣٥٤ .

(٥) ن ، م ، س : قال .

﴿فصل﴾

ومما يبين من القرآن فضيلة أبي بكر في الغار أن الله تعالى ذكر نصره لرسوله في هذه الحال^(١) التي يُخَذَّل فيها عامة الخلق إلا من نصره^(٢) الله : ﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [سورة التوبة : ٤٠] أى أخرجوه في هذه القلة من العدد، لم يصحبه إلا الواحد، فإن الواحد أقل ما يوجد. فإذا لم يصحبه إلا واحد دلّ على أنه في غاية القلة.

ثم قال : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة : ٤٠] وهذا يدلّ على أن صاحبه كان مشفقاً عليه محباً له ناصراً له حيث حزن، وإنما يحزن الإنسان حال الخوف على من يحبّه، وأما عدوه فلا يحزن إذا انعقد سبب هلاكه.

فلو كان أبو بكر مبغضاً^(٣) كما يقول المفترون لم يحزن ولم يته عن الحزن، بل كان يضمّر الفرح والسرور، ولا كان الرسول يقول له : «لا تحزن إن الله معنا».

فإن قال المفتري : إنه خفى على الرسول حاله لما أظهر له الحزن، وكان في الباطن مبغضاً.

(١) م : الحالة

(٢) م : نصر.

(٣) ن، م : مبغضه.

قيل له : فقد قال : «إن الله معنا» فهذا إخبار بأن الله معهما [جميعا] بنصره^(١)، ولا يجوز للرسول أن يخبر بنصر الله لرسوله وللمؤمنين وأن الله^(٢) معهم، ويجعل^(٣) ذلك في الباطن منافقا، فإنه معصوم في خبره عن الله، لا يقول عليه إلا الحق، وإن جاز أن يخفى عليه حال بعض الناس فلا يعلم أنه منافق، كما قال : / ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ﴾ [سورة التوبة : ١٠١]، فلا يجوز أن يخبر عنهم بما يدل على إيمانهم.

ولهذا لما جاءه المخلفون عام تبوك، فجعلوا يحلفون ويعتذرون، وكان يقبل علانيتهم، ويكل سرائرهم إلى الله، لا يصدق أحدا منهم، فلما جاءه كعب وأخبره بحقيقة أمره^(٤)، قال : «أما هذا فقد صدق» أو قال : «صدقكم»^(٥).

وأیضا فإن سعد بن أبی وقاص لما^(٦) قال للنبي صلى الله عليه وسلم : «أعطيت فلانا وفلانا، وتركت فلانا وهو مؤمن» قال : «أو مسلم» مرتين أو ثلاثا^(٧)، فأنكر عليه إخباره بالإيمان، ولم يعلم منه إلا ظاهر الإسلام.

(١) ن : فهذا إخبار أن الله معنا بنصره؛ س، ب : فهذا إخبار أن الله معنا.

(٢) س، ب : والله..

(٣) ن، م : أمرهم.

(٤) سبق الكلام على حديث كعب بن مالك فيما مضى ٤٣٣/٢.

(٥) لما : ساقطة من (س)، (ب).

(٦) ن، م : هو.

(٧) الحديث عن سعد بن أبی وقاص رضى الله عنه فى : سنن أبی داود ٣٠٤/٤ - ٣٠٥

(كتاب السنة، باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)؛ سنن النسائي ١٠٣/٨ - ١٠٤

(كتاب الإيمان وشرائعه، باب تأويل قوله عز وجل : قالت الأعراب آمنا...) وانظر

الحديث بمعناه فيما مضى ٦٤/١ - ٦٥.

فكيف يشهد لأبى بكر بأن الله معهما وهو لا يعلم ذلك؟ والكلام بلا علم لا يجوز.

وأيضاً فإن الله أخبر بهذا عن الرسول إخبار مقرر له، لا إخبار منكر له، فعلم أن قوله: «إن الله معنا» من الخبر الصدق الذى أمره الله به ورضيه، لا مما^(١) أنكره وعابه.

وأيضاً فمعلوم أن أضعف الناس عقلاً لا يخفى عليه حال من يصحبه فى مثل هذا السفر، الذى يعاديه فيه الملائكة الذين هو بين أظهرهم^(٢)، ويطلبون قتله، وأولياؤه هناك لا يستطيعون نصره، فكيف يصحب واحداً ممن يظهر له موالاته دون غيره، وقد أظهر له هذا حزنه، وهو مع ذلك عدو له فى الباطن، والمصحوب يعتقد أنه وليه، وهذا لا يفعله إلا أحمق الناس وأجهلهم.

فقدح الله من نسب رسوله، الذى هو أكمل الخلق عقلاً وعلماً وخبرة، إلى مثل هذه الجهالة والغباء.

ولقد بلغنى عن ملك المغول خُدايَنْدَه^(٣) الذى صنّف له هذا الرافضى

(١) ن، م، س: ممن، وهو تحريف.

(٢) م: الذين هم أظهرهم، وهو خطأ.

(٣) ن، م، س، ب: خرينداه. والمثبت هو الذى فى (ك) ص ٧٧ (م). وهو الجايتوخداينده، وسبق الكلام عليه فى مقدمة هذا الكتاب. وانظر أيضاً مقالة كرامرز فى: دائرة المعارف الإسلامية، وقد ذكر فيها: «ولقب فى شبابه «خرينْدَه» وهناك تفسيرات مختلفة لهذا اللقب... على أن بلوشيه... يقول إن: خريندَه كلمة مغولية معناها الثالث... وقد عهدته أمه أرك خاتون خُداينده...».

كتابه هذا فى الإمامة أن الرافضة لما صارت تقول له مثل هذا الكلام :
 إن أبابكر كان يبغض النبى صلى الله عليه وسلم وكان عدوه، ويقولون :
 / مع هذا : إنه صحبه فى سفر الهجرة، الذى هو أعظم الأسفار، خوفاً .
 قال كلمة تلزم عن قولهم الخبيث، وقد برأ الله رسوله منها، لكن ذكرها
 على من افترى الكذب الذى أوجب أن يُقال فى الرسول مثلها، حيث
 قال : « كان قليل العقل » .

ولا ريب أن من فعل ما قالته الرافضة فهو قليل العقل . وقد برأ الله
 رسوله وصديقه من كذبهم ، وتبين أن قولهم يستلزم القدح فى الرسول .

﴿فصل﴾

ومما يبين أن الصحبة فيها خصوص وعموم، كالولاية والمحبة
 والإيمان وغير ذلك من الصفات التى يتفاضل فيها الناس فى قدرها
 ونوعها وصفتها، ما أخرجاه فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى،
 قال : كان بين خالد بن الوليد وبين عبدالرحمن بن عوف شىء، فسبه
 خالد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تسبوا أحداً من
 أصحابى، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مد أحدهم ولا /
 نصيفه » . انفرد مسلم بذكر خالد وعبدالرحمن^(١) دون البخارى^(٢) فالنبى

(١) ن : خالد بن عبدالرحمن ؛ م : خالد لعبدالرحمن .

(٢) سبق الكلام على هذا الحديث فيما مضى ٢٠/٢ - ٢١ . وهذه الرواية التى انفرد بها مسلم

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه فى مسلم ١٩٦٧/٤ - ١٩٦٨ (حديث رقم ٢٢٢) .

صلى الله عليه وسلم يقول لخالد ونحوه: لا تسبوا أصحابي، يعنى عبد الرحمن بن عوف وأمثاله، لأن عبد الرحمن ونحوه هم السابقون الأولون، وهم الذين أسلموا قبل الفتح وقاتلوا، وهم أهل بيعة الرضوان، فهؤلاء أفضل وأخص بصحبته ممن أسلم بعد بيعة الرضوان، وهم الذين أسلموا بعد الحديبية، وبعد مصالحة النبي صلى الله عليه وسلم أهل مكة، ومنهم خالد وعمرو بن العاص وعثمان بن أبي طلحة وأمثالهم. وهؤلاء أسبق من الذين تأخر إسلامهم إلى أن فتحت مكة وسُموا الطلقاء، مثل سهيل بن عمرو^(١)، والحارث بن هشام، وأبى سفيان بن حرب، وابنيه يزيد ومعاوية، وأبى سفيان بن الحارث، وعكرمة بن أبى جهل، وصفوان بن أمية وغيرهم، مع أنه قد يكون فى هؤلاء من برز بعلمه على بعض من تقدّمه كثيراً^(٢)، كالحارث بن هشام^(٣) وأبى سفيان بن الحارث وسهيل بن عمرو، وعلى بعض من أسلم قبلهم ممن أسلم قبل الفتح وقاتل، وكما برز عمر بن الخطاب على أكثر الذين أسلموا قبله.

والمقصود هنا أنه نهى لمن صحبه آخرأ أن يسب من صحبه أولاً، لا امتيازهم عنهم^(٤) فى الصحبة بما لا يمكن^(٥) أن يشركهم فيه، حتى قال:

(١) ن، م، س: سهل بن عمرو. وما أثبتته من (ب). وترجمة سهيل بن عمرو بن عبد شمس. . العامري رضى الله عنه فى: الإصابة ٩٢/٢ - ٩٣ وفيها ما يبين أنه رضى الله عنه كان من مسلمة الفتح. وذكر ابن حجر ثلاثة من الصحابة اسمهم: سهل بن عمرو، منهم سهل بن عمرو بن عبد شمس العامري أخو سهيل، وقال عنه: «ذكر ابن سعد أنه أسلم بالفتح».

(٢) ن: كثير؛ م: بكثير.

(٣) ن، م: بن الحارث بن هشام، وهو تحريف.

(٤) ب: عنه.

(٥) ن، س: مما لا يمكن؛ ب: بما لا يمكنه.

«لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً ما بلغ مدُّ أحدهم ولا نصيفه».

فإذا كان هذا حال الذين أسلموا من بعد الفتح وقاتلوا، وهم من أصحابه التابعين للسابقين، مع من أسلم من قبل الفتح وقاتل، وهم أصحابه السابقون، فكيف يكون حال من ليس من أصحابه بحال مع أصحابه؟!

وقوله: «لا تسبوا أصحابي» قد ثبت في الصحيحين من غير وجه، منها ما تقدم. ومنها ما أخرجه في الصحيح^(١) عن أبي هريرة: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما أدرك مدُّ أحدهم ولا / نصيفه»^(٢). ٣٧٩/٢

﴿فصل﴾

وأما قول الرافضي: «يجوز أن يستصحبه معه لثلاً يظهر أمره

حذراً منه».

والجواب: أن هذا باطل من وجوه كثيرة لا يمكن استقصاؤها.

أحدها: أنه قد علم بدلالة القرآن موالاته له ومحبته لا عداوته، فبطل

هذا.

الثاني: أنه قد علم بالتواتر المعنوي أن أبا بكر كان محباً للنبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً به، من أعظم الخلق اختصاصاً به، أعظم مما تواتر

(١) ن، س: ما أخرجه في الصحيحين؛ ب: ما أخرجه في الصحيحين.

(٢) تقدم هذا الحديث فيما مضى ٢٠/٢ - ٢١.

من شجاعة عترة، ومن سخاء حاتم، ومن موالاة على ومحبته له، ونحو ذلك من التواترات المعنوية التي اتفق فيها الأخبار الكثيرة على مقصود واحد.

والشك في محبة أبي بكر كالشك في غيره وأشد. ومن الراضية من ينكر كَوْن أبي بكر وعمر مدفونين في الحجرة النبوية. وبعض غلاتهم ينكر أن يكون هو صاحبه الذي كان معه في الغار. وليس هذا من بهتانهم بعيد؛ فإن القوم قوم بُهت، يجحدون المعلوم بثبوت^(١) بالاضطرار، ويدّعون ثبوت ما يعلم انتفاؤه بالاضطرار في العقلية والنقلية.

ولهذا قال من قال: لو قيل: من أجهل الناس؟ ل قيل: الراضية. حتى فرضها بعض الفقهاء / مسألة فقهية: فيما إذا أوصى^(٢) لأجهل الناس. قال: هم الراضية، لكن هذه الوصية باطلة، فإن الوصية والوقف لا يكونان^(٣) معصية، بل على جهة لا تكون مذمومة في الشرع. والوقف والوصية لأجهل الناس فيه جعل^(٤) الأجهلية والبدعية موجبة للاستحقاق، فهو كما لو أوصى لأكفر الناس، أو للكفار دون المسلمين، بحيث يجعل الكفر شرطاً في الاستحقاق، فإن هذا لا يصح.

وكون أبي بكر كان موالياً للنبي صلى الله عليه وسلم أعظم من غيره، أمر علمه المسلمون والكفار والأبرار والفجار حتى أتى أعرف طائفة من الزنادقة كانوا يقولون: إن دين الإسلام اتفق عليه في الباطن النبي صلى

٢٥٧ / ٤

(١) ن: نبوته، وهو تحريف.

(٢) م: وصى.

(٣) ن، م، س: لا تكون.

(٤) ن، س: جهل، وهو تحريف.

الله عليه وسلم وأبوبكر وثالثهما عمر، لكن لم يكن عمر مطلعاً على سرهما كله، كما وقعت دعوة الإسماعيلية الباطنية والقرامطة، فكان^(١) كل من كان أقرب إلى إمامهم [كان]^(٢) أعلم بباطن الدعوة، وأكتم لباطنها من غيره.

ولهذا جعلوهم مراتب: فالزنادقة المنافقون لعلمهم بأن أبابكر أعظم موالاة واختصاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم من غيره، جعلوه ممن يطلع على باطن أمره، ويكتمه عن غيره، ويعاونه على مقصوده، بخلاف غيره.

فمن قال: إنه كان في الباطن عدوه^(٣)، كان من أعظم أهل الأرض فرية. ثم إن قائل هذا إذا قيل له مثل هذا في عليّ، وقيل [له]^(٤): إنه كان في الباطن معادياً للنبي صلى الله عليه وسلم، وإنه كان عاجزاً في ولاية الخلفاء الثلاثة عن إفساد ملته، فلما ذهب أكابر الصحابة وبقي هو طلب حيثشذ إفساد ملته وإهلاك أمته، ولهذا قتل من المسلمين خلقاً كثيراً، وكان مراده إهلاك الباقيين لكن عجز، وإنه بسبب ذلك انتسب إليه الزنادقة المنافقون المبغضون للرسول، كالقرامطة والإسماعيلية والنصيرية، فلا تجد عدواً للإسلام إلا وهو يستعين على ذلك بإظهار موالاة عليّ استعانة لا تمكنه بإظهار موالاة أبي بكر وعمر.

(١) م، ب: وكان..

(٢) كان: ساقطة من (ن)، (م).

(٣) م، ب: عدوا.

(٤) له: زيادة في (م).

فالشبهة فى دعوى موالاة علىّ للرسول أعظم من الشبهة فى دعوى معاداة أبى بكر، وكلاهما باطل معلوم الفساد بالاضطرار، لكن الحجج الدالة على بطلان هذه الدعوى فى أبى بكر أعظم من الحجج الدالة على بطلانها فى حق علىّ، فإذا كانت الحجة علىّ موالاة علىّ صحيحة، والحجة على معاداته باطلة، فالحجة علىّ موالاة أبى بكر أولى بالصحة، والحجة على معاداته أولى بالبطلان.

الوجه الثالث

الوجه الثالث: أن قوله: «استصحبه حذراً من أن يظهر أمره».

كلام من هو من أجهل الناس بما وقع؛ فان أمر النبى صلى الله عليه وسلم فى خروجه من مكة ظاهر، عرفه أهل مكة، وأرسلوا الطلب، فإنه فى الليلة التى خرج فيها عرفوا فى صبيحتها أنه خرج، وانتشر ذلك، وأرسلوا إلى أهل الطرق يبدلون الدية فيه وفى أبى بكر، بذلوا الدية لمن يأتى بأبى بكر، فأى شىء كان يخاف؟ وكون المشركين بذلوا الدية لمن يأتى بأبى بكر، دليل على أنهم كانوا يعلمون موالاته لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه كان عدوهم فى الباطن، ولو كان معهم فى الباطن لم يفعلوا ذلك.

الوجه الرابع

الرابع: أنه إذا كان خرج ليلاً، كان وقت الخروج لم يعلم به أحد، فما يصنع بأبى بكر واستصحابه^(١) معه؟.

فإن قيل: فلعله علم خروجه دون غيره؟.

قيل: أولاً: قد كان يمكنه أن يخرج فى وقت لا يشعر به، كما^(٢) خرج

(١) س، ب: وأصحابه.

(٢) ن: لا يشعر به بخروجه كما؛ س، ب: لا يشعر بخروجه كما..

فى وقت لم يشعر به المشركون، وكان يمكنه أن [لا] يعينه^(١).
فكيف وقد ثبت فى الصحيحين أن أبابكر استأذنه فى الهجرة، فلم
يأذن له حتى هاجر معه. والنبي صلى الله عليه وسلم أعلمه بالهجرة فى
خلوة^(٢).

ففى الصحيحين عن البراء بن عازب قال: جاء أبوبكر إلى أبى فى
منزله فاشترى منه رَحْلاً، فقال لعازب^(٣): ابعث ابنك معى يحمله إلى
منزلى، فحملته، وخرج أبى معه يتتقد ثمنه، فقال أبى: يا أبابكر حدّثنى
كيف صنعتما ليلة سَرَيْتَ^(٤) مع النبي صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم سرينا
ليلتنا كلها، ومن الغَدِ، حتى قام قائم الظهيرة، وخلا الطريق، فلا يمر
بنا فيه أحد، / حتى رُفِعَتْ^(٥) لنا صخرة طويلة لها ظل لم تَأْتِ عليه
الشمس بعد، فنزلنا عندها، فأتيت الصخرة، فسوّيت / بيدي مكانا ينام
فيه [النبي]^(٦) صلى الله عليه وسلم فى ظلها، ثم بسطت عليه فروة^(٧)،
ثم قلت: نم يا رسول الله، وأنا أنفضُ لك ما حولك^(٨)، فنام رسول الله

(١) فى جميع النسخ أن يعينه. ونَبّه محقق (ب) على ما أثبتته من إضافة «لا» لتستقيم العبارة.

(٢) يأتى تفصيل ذلك فيما يلى (انظر ص)

(٣) سأقابل النص التالى على رواية البخارى لبيان الفروق الهامة إن شاء الله.

(٤) م: سرت. وسرى وأسرى لغتان بمعنى.

(٥) ن، م: وقعت. والمثبت هو الذى فى «البخارى». ورفعت لنا صخرة: أى ظهرت
لأبصارنا.

(٦) النبي: ساقطة من (ن). وفى (م): رسول الله.

(٧) المراد الفروة المعروفة التى تلبس.

(٨) فى التعليق على مسلم: «أى أفتش لثلاث يكون عدو».

صلى الله عليه وسلم فى ظلها، وخرجت أنفض ما حوله، فإذا أنا براعٍ مقبل بغنمه إلى الصخرة، يريد منها الذى أردنا، فلقيته فقلت: لمن^(١) أنت يا غلام؟ فقال: لرجل من أهل المدينة - يريد مكة^(٢) - لرجل من قريش سمّاه، فعرفته. فقلت له: أفى غنمك لبن؟ فقال: نعم. قلت: أفتحلب لى؟ قال: نعم. فأخذ شاة، فقلت [له]^(٣) انفض الضرع من الشعر والتراب والقذى. فحلب لى فى قَعْبٍ معه كُثْبَةٌ من لبن. قال: ومعى إداوة^(٤) أرتوى فيها^(٥) لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ليشرب^(٦) منها ويتوضأ. قال: فأتيت النبی صلى الله عليه وسلم، وكرهت أن أوقظه من نومه، فوافيته قد استيقظ، فصبيت على اللبن الماء حتى برد أسفله. فقلت: يا رسول الله اشرب من هذا اللبن. فشرب حتى رضيت. ثم قال: «ألم يأن للرحيل؟» قلت: بلى. فارتحلنا بعد ما زالت^(٧) الشمس، واتبَعْنَا سراقَةَ بن مالك. قال: ونحن فى جَلَدٍ من الأرض^(٨). فقلت

(١) م: من..

(٢) البخارى: المدينة أو مكة. . وفى التعليق على مسلم: «المراد بالمدينة هنا مكة، ولم تكن مدينة النبی صلى الله عليه وسلم سميت بالمدينة، إنما كان اسمها يثرب».

(٣) له: ساقطة من (س)، (ب).

(٤) القعب: قذح من خشب مقعر، والكثبة هى قدر الحلبة من اللبن أو القليل منه، والإداوة كالركوة، وهى إناء صغير من جلد.

(٥) م: فيه.

(٦) س، ب: يشرب.

(٧) البخارى: ما مالت..

(٨) فى شرح مسلم: فى جَلَدٍ من الأرض أى أرض صلبة، وروى: جَدَد، وهو المستوى. وكانت الأرض مستوية صلبة.

يارسول الله: أُتِينَا^(١). فقال: لا تحزن إن الله معنا. فدعا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فارتطمت فرسه إلى بطنها. فقال: إني قد علمت أنكما دعوتما عليّ، فادعُوا الله لي، فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب، فدعا الله فنجا، فرجع لا يلقي أحداً إلا قال: قد كُفِيتُم ما هنا، ولا يلقي أحداً إلا ردّه. وقال^(٢): خذ سهماً من كنانتي، فإنك تمر بإبلى وغلماني، فخذ منها حاجتك. فقال: «لا حاجة لي في إيلك» قال: فقد منا المدينة، فتنازعوا أيهم ينزل عليه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنزل على بنى النجار أخوال عبدالمطلب، أكرمهم بذلك» فصعد الرجال والنساء فوق البيوت، وتفرّق الغلمان والخدم في الطرق^(٣)، ينادون: يا محمد يا رسول الله، يا محمد يا رسول الله^(٤).

وروى البخارى عن عائشة، قالت: لم أعقل أبوى قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يومٌ إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفى النهار: بكرة وعشيّة، فلما ابتلى المسلمون خرج أبو بكر مهاجراً

(١) س، ب: أُوتِينَا.

(٢) العبارات ليست فى البخارى، وهى فى رواية فى «مسلم»، «المستد».

(٣) ن، م، س: فى الطريق. والمثبت من (ب)، مسلم.

(٤) الحديث - مع اختلاف فى الألفاظ - عن البراء بن عازب رضى الله عنه فى: البخارى

٢٠١/٤ - ٢٠٢ (كتاب المناقب، باب علامات النبوة فى الإسلام)، ٣/٥ - ٤ (كتاب

فضائل أصحاب النبى...، باب مناقب المهاجرين: مناقب أبى بكر الصديق...؛ مسلم

٢٣٠٩/٤ - ٢٣١١ (كتاب الزهد والرفائق، باب فى حديث الهجرة...؛ المستد ط).

(المعارف) ١٥٢/١ - ١٥٦.

إلى الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد^(١) لقيه ابن الدُّغَّة^(٢) - وهو سيد القارة^(٣) - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ قال: أَخْرَجَنِي قَوْمِي، فَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أَسِيحَ فِي الْأَرْضِ وَأَعْبُدَ رَبِّي. قال ابن الدُّغَّة: إِنْ مِثْلَكَ لَا يُخْرَجُ وَلَا يُخْرَجُ، فَإِنَّكَ تُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكُلَّ، وَتَقْرَى الضَّعِيفَ، وَتَعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ^(٤)، وَأَنَا لَكَ جَارٌ، فَاعْبُدْ^(٥) رَبَّكَ بِيْلَدِكَ^(٦)، فَارْتَحِلْ ابْنُ الدُّغَّةَ فَرَجَعَ مَعَ أَبِي بَكْرٍ^(٧)، فَطَافَ فِي أَشْرَافِ كَفَّارِ قَرِيشٍ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنْ أَبَا بَكْرٍ لَا يُخْرَجُ مِثْلَهُ وَلَا يُخْرَجُ، أُنْخَرِجُونَ رَجُلًا يُكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَيَصِلُ الرَّحِمَ، وَيَحْمِلُ الْكُلَّ وَيَقْرَى الضَّعِيفَ،

(١) من «فتح الباري» ٧/٢٣٢: «برك الغماد... موضع على خمس ليالٍ من مكة إلى جهة اليمن، وقال البكري: هي أقاصى هجر، وحكى الهمداني في أنساب اليمن: هو في أقصى اليمن، والأول أولى».

(٢) ابن الدُّغَّة: بضم المهملة والمعجمة وتشديد النون عند أهل اللغة، وقيل: إِنْ ذَلِكَ كَانَ لَا سِتْرَ خَاءٍ فِي لِسَانِهِ وَالصَّوَابُ الْكُسْرُ، وَثَبِتَ بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ مِنْ طَرِيقٍ، وَهِيَ أُمُّهُ، وَقِيلَ: أُمُّ أَبِيهِ، وَقِيلَ: دَابَّتُهُ، وَمَعْنَى «الدُّغَّة» الْمُسْتَرْخِيَّةُ، وَأَصْلُهَا الْغَمَامَةُ الْكَثِيرَةُ الْمَطَرُ، وَاخْتَلَفَ فِي اسْمِهِ...».

(٣) قوله: «وهو سيد القارة»: بالقاف وتشديد الراء، وهي قبيلة مشهورة من بني الهُؤن: بالضم والتخفيف ابن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، وكانوا حلفاء بني زهرة من قريش، وكانوا يضرب بهم المثل في قوة الرمي».

(٤) قال ابن حجر: «وفي موافقة وصف ابن الدُّغَّة لأبي بكر بمثل ما وصفت به خديجة النبی صلی الله عليه وسلم ما يدل على عظيم فضل أبي بكر واتصافه بالصفات البالغة في أنواع الكمال».

(٥) م: فارجمي فاعبد...

(٦) ن، م، س: بيلادك.

(٧) ن: فارتحل ابن الدُّغَّة، فرجع ابن الدُّغَّة، فرجع مع أبي بكر.

ويعين على نوائب الحق . فأنفذت^(١) قريش جوار ابن الدغنة، وآمنوا أبابكر، وقالوا لابن الدغنة : مر أبابكر فليعبد ربّه في داره، فَلْيُصَلِّ وليقرأ ما شاء، ولا يؤذينا^(٢) بذلك، ولا يستعلن به ؛ فإنّا قد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا . فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر، فطفق أبوبكر يعبد ربه في داره، ولا يستعلن^(٣) بالصلاة والقراءة في غير داره . ثم بدا لأبى بكر، فابتنى بفناء داره مسجداً، وبرز فكان يصلى فيه، ويقرأ القرآن، فتتقصّف^(٤) عليه نساء المشركين وأبناءؤهم، [وهم] يعجبون [منه] وينظرون إليه^(٥) . وكان أبوبكر رضى الله عنه رجلاً بكاءً، لا يملك دمه حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم عليهم، فقالوا : إنّنا كنا [قد]^(٦) أجّرنا^(٧) أبابكر على أن يعبد ربه في داره، وإنه جاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، وأعلن بالصلاة والقراءة، وقد خشينا أن يفتن أبناءنا ونساءنا، فأتته، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربه في داره فعل، وإلا فإن أبى^(٨) إلا أن يعلن ذلك، فسله

(١) م : وأنفذت؛ س ، ب : فأنفذ.

(٢) ن : ولا يؤذنا.

(٣) ن ، م : ولا يشتغلن، وهو تحريف.

(٤) في البخارى في «مناقب الأنصار» : فيتقذف . وقال ابن حجر : «تقدم في الكفالة بلفظ

«فيتقصف» : أى يزدحمون عليه حتى يسقط بعضهم على بعض فيكاد ينكسر، وأطلق

يتقصف مبالغة . قال الخطابى : هذا هو المحفوظ» .

(٥) ن ، م ، س : ويعجبون وينظرون إليه .

(٦) قد : زيادة في (م) .

(٧) أجّرنا : قال ابن حجر : «بالجيم والراء للأكثر، وللقابسى بالزاء : أى أبحنأ له، والأول .

أوجه» . (٨) ن ، م : وإن أبى ..

أن يرد إليك جوارك، فإننا قد كرهنا أن نُخْفِرَكَ^(١)، ولسنا مقرّين لأبى بكر الاستعلان. قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة أبا بكر، فقال: قد علمت الذى عقدت لك عليه، فلما أن تقتصر على ذلك؛ وإما أن تردّ إلىّ ذمتى، فإننى لا أحب أن تسمع العرب / أنى أخفرت^(٢) فى رجلٍ عقدت له. قال أبوبكر: إني أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله^(٣). ورسول الله يومئذ بمكة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قد أريت^(٤) دار هجرتكم: ذات نخل، بين لَابَتَيْنِ - وهما الحرّتان -^(٥) فهاجر من هاجر إلى المدينة، ورجع عامة من كان هاجر بأرض الحبشة إلى المدينة، وتجهّز أبوبكر قبل المدينة. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «على رسلك^(٦)، فإننى أرجو أن يؤذن لى». فقال أبوبكر: وهل ترجو ذلك بأبى أنت وأمى؟ قال: «نعم». فحبس أبوبكر نفسه^(٧) على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصبحه، وعَلَفَ راحلتين كانتا عنده وَرَقَ السُّمْرِ - وهو

(١) ن ، م : أن نحقرك، وهو تحريف. وقال ابن حجر : «نُخْفِرُك : بضم أوله وبالحاء المعجمة وكسر الفاء، أى نغدر بك. يقال : خفّره إذا حفظه وأخفّره إذا غدر به».

(٢) ن : أنى أخفرت، وهو تحريف.

(٣) بجوار الله : أى أمانه وحمايته.

(٤) م : قد رأيت.

(٥) قال ابن حجر، «قوله : بين لَابَتَيْنِ وهما الحرّتان : هذا مدرج فى الخبر، وهو من تفسير الزهرى، والحرّة أرض حجارتها سود».

(٦) على رسلك : بكسر أوله : أى على مهلك، والرسل : السير الرقيق.

(٧) فحبس نفسه : أى منعها من الهجرة

لَحَبَطُ - ^(١) أربعة أشهر. قال ابن شهاب: قال عروة ^(٢): قالت عائشة ^(٣): فبينما نحن يوماً جلوس في بيت أبي بكر في نحر الظهر، قال قائل لأبي بكر ^(٤): هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم مُتَقَنَّعاً ^(٥) في ساعة لم يكن يأتينا فيها، فقال أبو بكر: فداه أبي وأمي، والله ما جاء به في هذه الساعة إلا أمر. قالت: / فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستأذن، فأذن له، فدخل، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر: «أخرج من عندك» فقال أبو بكر: إنما هم أهلك بأبي أنت ^(٦) يا رسول الله. قال: «فإني قد أذن لي في الخروج» قال أبو بكر: الصحابة ^(٧) يا رسول الله. قال: «نعم» قال أبو بكر: فخذ بأبي أنت يا رسول الله إحدى راحلتي هاتين. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بالثمن» قالت عائشة:

ص ٣٨٠

-
- (١) قال ابن حجر (فتح الباري ٧/٢٣٥): «قوله: ورق الشمر: بفتح المهملة وضم الميم. قوله: وهو الخطب: مدرج أيضاً في الخبر، وهو من تفسير الزهري. ويقال: السمر: شجرة أم غيلان، وقيل: كل ما له ظل ثخين، وقيل: السمر: ورق الطلح، والخطب (بفتح المعجمة والموحدة): ما يخطب بالعصا فيسقط من ورق الشجر، قال ابن فارس.»
 - (٢) ن: قال ابن عروة، والمثبت هو الذي في «البخاري».
 - (٣) عائشة: ساقطة من (س)، (ب).
 - (٤) س، ب: لأبي ..
 - (٥) قوله: هذا رسول الله متقنعا: أي مغطياً رأسه.
 - (٦) ن، م: بأبي وأمي ...
 - (٧) قال ابن حجر (فتح الباري ٧/٢٣٥): «الصحابة بالنصب: أي أريد المصاحبة، ويجوز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف.

فجهّزناهما أحث^(١) الجهاز، وصنعنا^(٢) لهما سُفْرَةً في جِراب^(٣)، فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعةً من نطاقها، فربطت به^(٤) على فم الجِراب، فبذلك سُميت ذات النطاقين. قالت: ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم [وأبوبكر]^(٥) بغارٍ في جبل ثَوْر فمكثا^(٦) فيه ثلاث ليال، يبيت عندهما عبدالله بن أبي بكر، وهو غلام شاب ثَقِفَ لَقِنٌ فَيَدْلُجُ^(٧) من عندهما بِسَحَرٍ، فيصبح مع^(٨) قريش بمكة كبائتٍ، ولا يسمع أمراً يكادان به^(٩) إلا وعاه، حتى يأتيهما بخبر ذلك حين يختلط الظلام، ويرعى عليهما عامِرُ بن فهيرة مولى أبي بكر مُنْحَةً^(١٠) من غنم، فيريحها^(١١) عليهما

(١) س، ب : أحب (وهي رواية في البخارى). وقال ابن حجر: «أفعل تفضيل من الحث وهو الإسراع، وفي رواية لأبي ذر «أحب» بالموحدة، والاول أصح. والجهاز .. وهو ما يحتاج إليه في السفر».

(٢) س، ب : ووضعنا.

(٣) قال ابن حجر: «قوله: وصنعنا لهما سفرة في جراب: أى زادنا في جراب، لأن أصل السفرة في اللغة الزاد الذى يصنع للمسافر، ثم المستعمل في وعاء الزاد».

(٤) ن، م، س : فربطته.

(٥) وأبوبكر : ساقطة من (ن)، (م)، (س). وهي في «البخارى».

(٦) البخارى : فمكثنا.

(٧) قال ابن حجر (فتح البارى ٢٣٧/٧): «قوله: ثقف (بفتح المثلثة وكسر القاف ويجوز

إسكانها وفتحها ويعدّها فاء : الحاذق .. قوله : لقن (بفتح اللام وكسر القاف بعدها نون) اللقن : السريع الفهم. قوله : فيدلج (بتشديد الدال بعدها جيم : أى يخرج بسحر إلى مكة».

(٨) م : فى.

(٩) قال ابن حجر : «أى يطلب لهما فيه المكروه، وهو من الكيد».

(١٠) ن، س : بمنحة؛ م : لمنحة.

(١١) ن، م، س : ويريحها.

حين تذهب ساعة من الليل، فيبيتان في رِسل^(١)، وهو لبن مِنْحَتِهِمَا ورضيفهما^(٢) حتى ينعق بها^(٣) عامر بَغْلَس، يفعل ذلك في كل ليلة من تلك الليالي الثلاث، واستأجر رسول الله صلى الله عليه وسلم [وأبويكر]^(٤) رجلاً من بنى الدَّيْل وهو من بنى عبد بن عدى هادياً خَرِيْتاً - والخريت: الماهر بالهداية -^(٥) - قد غَمَسَ حِلْفاً^(٦) في آل العاص بن وائل السهمي، وهو على دين كفار قريش، فأمنأه، فدفعاً إليه راحلتيهما، وواعده^(٧) غار ثور بعد ثلاث ليال، فأتاهما براحلتيهما صُبَحَ ثلاث، فانطلق معهما عامر بن فهيرة والدليل، وأخذ بهما طريق الساحل، قال ابن شهاب: فأخبرني عبد الرحمن بن مالك المَدْلَجِي، وهو ابن أخي سراقه ابن مالك بن جُعْشُم أن أباه أخبره أنه سمع سراقه بن جُعْشُم يقول: «جاءنا رُسل كفار قريش يجعلون في رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) رسل : هو اللبن الطرى.

(٢) ن ، م ، و : ورضيفهما؛ س : ووضيفهما. والمثبت من (ب)، البخارى. وهو اللبن الذى وضعت فيه الحجارة المحمأة بالشمس أو النار لينعقد وتزول رخواوته.

(٣) ن ، م ، س : حتى يأتيهما. والمثبت من (ب)، البخارى.

(٤) وأبويكر : ساقطة من (ن)، (م)، (س). وهى فى (ب)، البخارى.

(٥) قال ابن حجر : « والخريت : الماهر بالهداية : هو مدرج فى الخبر من كلام الزهرى، بيته ابن سعد، ... قال ابن سعد وقال الأصمعى : إنما سمي خريتا لأنه يهذى بمثل خرت الإبرة أى ثقبها، وقال غيره : قيل له ذلك لأنه يهتدى لآخرات المغازة وهى طرقها الخفية ».

(٦) قال ابن حجر : « أى كان حليفاً، وكانوا إذا تحالفوا غمسوا أيمنهم فى دم أو خلوق أو فى شئء يكون فيه تخلوته ».

(٧) ن ، م ، س : فواعده.

وَأَبَى بِكَرْدِيَّةَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِمَنْ قَتَلَهُ أَوْ أَسْرَهُ . فَبَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ قَوْمِي بَنَى مُدْلَجٌ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ حَتَّى قَامَ عَلَيْنَا وَنَحْنُ جُلُوسٌ ، فَقَالَ : يَا سَرَاقَةَ ، إِنِّي قَدْ رَأَيْتُ آنَفًا أَسْوَدَةً^(١) بِالسَّاحِلِ : أَرَاهَا مُحَمَّدًا وَأَصْحَابَهُ . قَالَ سَرَاقَةُ : فَعَرَفْتُ أَنَّهُمْ هُمْ . فَقُلْتُ [لَهُ]^(٢) : إِنَّهُمْ لَيْسُوا بِهِمْ ، وَلَكِنَّكَ رَأَيْتَ فُلَانًا وَفُلَانًا انْطَلَقَا بِأَعْيُنِنَا^(٣) . ثُمَّ لَبِثْتُ فِي الْمَجْلِسِ سَاعَةً ، ثُمَّ قَمْتُ فَأَمَرْتُ جَارِيَتِي أَنْ تَخْرُجَ بِفَرَسِي مِنْ وَرَاءِ أَكْمَةِ فَتَحْبِسَهَا عَلَى ، وَأَخَذْتُ رُمْحِي ، ثُمَّ خَرَجْتُ بِهِ مِنْ ظَهْرِ الْبَيْتِ ، فَحَطَطْتُ بِزُجَّةِ الْأَرْضِ وَخَفَضْتُ عَالِيَهُ^(٤) حَتَّى أَتَيْتُ فَرَسِي فَرَكْبَتَهَا ، فَرَفَعْتُهَا تَقَرَّبَ بِي^(٥) ، حَتَّى دَنُوتُ مِنْهُمْ ، فَعَثَرْتُ فَرَسِي ، فَخَرَّتْ عَنْهَا ، فَقَمْتُ فَأَهْوَيْتُ بِيَدِي إِلَى كِنَانَتِي ، فَاسْتَخْرَجْتُ مِنْهَا الْأَزْلَامَ ، فَاسْتَقْسَمْتُ بِهَا^(٦) : أَضْرُهُمْ

(١) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : «أَسْوَدَةُ : أَيْ أَشْخَاصًا» .

(٢) لَهُ : سَاقَطَهُ مِنْ (ن) ، (م) ، (س) .

(٣) ن ، م ، س : عَيْنًا . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ (ب) ، الْبُخَارِيُّ . وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ : «أَيْ فِي نَظَرِنَا مَعَايِنَةً يَتَتَبَعُونَ ضَالَّةً لَهُمْ» .

(٤) م : وَحَفَظْتُ إِلَيْهِ ، س : وَحَفَظْتُ عَلَيْهِ . وَالْمَثْبُوتُ مِنْ (ن) ، (ب) ، الْبُخَارِيُّ . وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ : «فَحَطَطْتُ : بِالْمَعْجَمَةِ ، وَلِلْكَشْمِيهِنِ وَالْأَصِيلِيِّ بِالْمَهْمَلَةِ ، أَيْ أَمَكْنَهُ أَسْفَلَهُ . وَقَوْلُهُ : بِزُجَّةٍ : الزَّجُّ بِضَمِّ الزَّيِّ بَعْدَهَا جِيمٌ : الْحَدِيدَةُ الَّتِي فِي أَسْفَلِ الرَّمْحِ ... قَوْلُهُ : «وَخَفَضْتُ» : أَيْ أَمَسَكْتُ بِيَدِهِ وَجَرَّ زَجَّهُ عَلَى الْأَرْضِ فَخَطَّهَا بِهِ لَتْلًا يَظْهَرُ بِرَيْقِهِ لِمَنْ بَعْدَ مِنْهُ ، لِأَنَّهُ كَرِهَ أَنْ يَتَّبِعَهُ مِنْهُمْ أَحَدٌ فَيَشْرُكُوهُ فِي الْجَعَالَةِ» .

(٥) ن : نَفَرْتُ بِي . وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ : «التَّقْرِيبُ : السَّيْرُ دُونَ الْعَدُوِّ وَفَوْقَ الْعَادَةِ» .

(٦) قَالَ ابْنُ حَجَرٍ : «وَالْأَزْلَامُ : هِيَ الْأَقْدَاحُ وَهِيَ السَّهَامُ الَّتِي لَا رِيشَ لَهَا وَلَا نَصْلَ» ، وَفِي «لِسَانِ الْعَرَبِ» : «وَاسْتَقْسَمُوا بِالْأَقْدَاحِ : قَسَمُوا الْجُزُورَ عَلَى مَقْدَارِ حَظِّوْهُمْ مِنْهَا» .

أردّه فأخذ المائة ناقة أم لا؟ فخرج الذى أكره^(١)، فركبت [فرسى]^(٢) - وعصيت الأزام - تقرّب [بى] حتى [إذا] سمعت^(٣) قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو لا يلتفت، وأبو بكر يكثر الالتفات، ساخت^(٤) يدا فرسى فى الأرض حتى بلغتا الركبتين، فخررتُ عنها، ثم زجرتها، فنهضت، فلم تكد تخرج يديها، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها^(٥) غبار^(٦) ساطع فى السماء / مثل الدخان، فاستقسم بالأزلام، فخرج الذى أكره، فناديتهم بالأمان، فوقفوا، فركبت فرسى حتى جثتهم، ووقع فى نفسى حين لقيتُ ما لقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر^(٧) رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٨).

٢٦٠ / ٤

الوجه الخامس

الوجه الخامس: أنه لما كان فى الغار كان يأتيه بالأخبار عبدالله بن أبى بكر، وكان معهما عامر بن فهيرة كما تقدم ذلك، فكان يمكنه أن

- (١) قال ابن حجر: «فخرج الذى أكره: أى لا تضرهم، وصرح به الاسماعيلي وموسى وابن إسحاق وزاد: وكنت أرجو أن أردّه فأخذ المائة ناقة».
- (٢) فرسى: ساقطة من (ن)، (م)، (س). وهى فى (ب)، البخارى.
- (٣) ن، م، س: فقريت حتى سمعت. والمثبت من (ب)، البخارى.
- (٤) أى غاصت.
- (٥) ن: إذا الأمر يديها؛ إذا الأمر بدها. والمثبت من (م)، (ب)، البخارى.
- (٦) البخارى: عثان. وفى رواية فيه: غبار. وعثان: أى دخان.
- (٧) أمر: ساقطة من (م).
- (٨) الحديث - بالفاظ مقاربة عن عائشة رضى الله عنها فى: البخارى ٥٨/٥ - ٦٠ (كتاب مناقب الأنصار، باب هجرة النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة). وجاء الحديث مختصراً فى: البخارى ٩٦/٣ - ٩٧ (كتاب الكفالة، باب جوار أبى بكر فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم وعقده).

يعلمهم بخبره.

الوجه السادس

السادس: أنه إذا كان كذلك، والعدو^(١) قد جاء إلى الغار، ومشوا فوقه، كان يمكنه حينئذ أن يخرج من الغار، وينذر العدو به، وهو وحده ليس معه أحد يحميه منه ومن العدو، فمن يكون مبغضاً لشخص، طالباً لإهلاكه، ينتهز الفرصة في مثل هذه الحال، التي لا يظفر فيها عدو بعده إلا أخذه، فإنه وحده في الغار، والعدو قد صاروا^(٢) عند الغار، وليس لمن في الغار هناك من يدفع عنه، وأولئك هم العدو الظاهرون الغالبون المتسلطون بمكة، ليس بمكة من يخافونه إذا أخذوه. فإن كان أبوبكر معهم مباطناً لهم، كان الداعى إلى أخذه تاماً، والقدرة تامة. وإذا اجتمع القدرة التامة والداعى التام، وجب وجود الفعل. فحيث لم يوجد، دلّ على انتفاء الداعى، أو انتفاء القدرة. والقدرة موجودة، فعلم انتفاء الداعى، وأن أبابكر لم يكن له غرض في أذاه، كما يعلم ذلك جميع الناس، إلا من أعشى الله قلبه.

ومن هؤلاء المفترين من يقول: إن أبابكر كان يشير بإصبعه إلى العدو يدلهم^(٣) على النبي صلى الله عليه وسلم، فلدغته حية^(٤)، فردها، حتى كفت عنه الألم، وأن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: إن نكثت نكث يدك، وإنه نكث بعد ذلك، فمات منها. وهذا يظهر كذبه من وجوه نبهنا على بعضها.

(٢) م: قد صار.

(٤) ن، م: الحية.

(١) م: فالعدو.

(٣) س، ب: ويدلهم.

ومنهم من قال: أظهر كعبه ليشعروا به، فلدغته الحية. وهذا من نمط الذي قبله.

﴿ فصل ﴾

وأما قول الرافض: «الآية تدل على نقصه، لقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة: ٤٠]، فإنه يدل على خوره، وقلة صبره، وعدم يقينه وعدم رضاه بمساواته للنبي صلى الله عليه وسلم /، وبقضاء الله وقدره».

٣٨٠

فالجواب: أولاً: أن هذا يناقض قولكم: «إنه استصحبه حذراً منه لئلا يظهر أمره» فإنه إذا كان عدوه، وكان مباطناً لعداء الذين يطلبونه، كان ينبغي أن يفرح ويسر ويطمئن إذا جاء العدو. وأيضاً فالعدو قد جاءوا ومشوا فوق الغار، فكان ينبغي أن ينذرهم به.

من الجواب وجوه الوجه الأول

وأيضاً فكان الذي يأتيه بأخبار قريش ابنه عبد الله، فكان يمكنه أن يأمر ابنه أن يخبر بهم قريشا.

وأيضاً فغلامه عامر بن فهيرة هو الذي كان معه رواحلهم، فكان يمكنه أن يقول لغلامه: أخبرهم به.

فكلما هم في هذا يبطل قولهم: إنه كان منافقاً، ويثبت أنه كان مؤمناً به.

واعلم أنه ليس في المهاجرين منافق، وإنما كان النفاق في قبائل الأنصار، لأن أحداً لم يهاجر إلا باختياره، والكافر بمكة لم يكن يختار

الهجرة، ومفارقة وطنه وأهله لنصر عدوه، وإنما يختارها الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [سورة الحشر : ٨].

وقوله: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [سورة الحج : ٣٩ ، ٤٠].

وأبو بكر أفضل هؤلاء كلهم.

وإذا كان هذا الكلام يستلزم إيمانه، فمعلوم أن الرسول لا يختار لمصاحبته في سفر هجرته، الذي هو أعظم الأسفار خوفاً، وهو السفر الذي جعل مبدأ التاريخ لجلالة قدره في النفوس، ولظهور أمره؛ فإن التاريخ لا يكون إلا بأمر ظاهر معلوم لعامة الناس - لا يستصحب الرسول فيه من يختص بصحبته، إلا وهو من أعظم الناس طمأنينة إليه، ووثوقاً به.

ويكفي هذا في فضائل الصديق، وتمييزه على^(١) غيره، وهذا من فضائل الصديق التي لم يشركه فيها غيره، ومما يدل على أنه أفضل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنده.

٢٦١ / ٤

(١) م : من.

﴿فصل﴾

وأما قوله: «إنه يدل على نقصه» .

فنقول: أولا : النقص نوعان : نقص ينافي إيمانه ، ونقص عمن هو أكمل منه .

فإن أراد الأول ، فهو باطل . فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة النحل : ١٢٧] .

وقال للمؤمنين عامة : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٩] .

وقال : ﴿وَلَقَدْ أَتَيْنَاكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ * لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الحجر : ٨٧ ، ٨٨] ، فقد نهى نبيه عن الحزن في غير موضع ، ونهى المؤمنين جملة ، فعلم أن ذلك لا ينافي الإيمان .

وإن أراد بذلك أنه ناقص عمن هو أكمل منه ، فلا ريب أن حال النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من حال أبي بكر . وهذا لا ينازع فيه أحد من أهل السنة . ولكن ليس في هذا ما يدل على أن علياً أو عثمان أو عمر أو غيرهم أفضل منه ، لأنهم لم يكونوا مع النبي صلى الله عليه وسلم في

هذه الحال، ولو كانوا معه لم يُعلم أن حالهم يكون أكمل من حال الصديق، بل المعروف من حالهم دائماً وحاله، أنهم وقت المخاوف يكون الصديق أكمل منهم كلهم يقيناً وصبراً، وعند وجود أسباب الريب يكون الصديق أعظم يقيناً وطمأنينة، وعند ما يتأذى منه النبي صلى الله عليه وسلم يكون الصديق أتبعهم لمرضاته، وأبعدهم عما يؤذيه.

هذا هو المعلوم لكل من استقرأ أحوالهم في محيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعد وفاته، حتى أنه لما مات - وموته كان أعظم المصائب التي تزلزل بها الإيمان، حتى ارتد أكثر^(١) الأعراب، واضطرب لها عمر الذي كان أقواهم إيماناً وأعظمهم يقيناً - كان^(٢) مع هذا تثبت الله تعالى للصديق بالقول الثابت أكمل وأتم من غيره، وكان في يقينه وطمأنينته وعلمه وغير ذلك أكمل من عمر وغيره. فقال الصديق رضى الله عنه: من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت.

ثم قرأ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبِهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً﴾.
الآية [سورة آل عمران : ١٤٤]^(٣).

(٢) ن، م، س : وكان.

(١) أكثر : ساقطة من (س)، (ب).

(٣) سيرد هذا الحديث مفصلاً بعد قليل.

وفي البخارى عن عائشة أن النبى صلى الله عليه وسلم مات وأبو بكر بالسنح ، فقام عمر يقول : والله ما مات رسول الله . قالت : وقال عمر : والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذلك ، وليبعثنه الله فليقطعن أيدي رجاله وأرجلهم . فجاء أبو بكر فكشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبله وقال : بأبى أنت وأمى ، طبت حيا وميتا . والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتين أبدا .

ثم خرج فقال : أيها الحالف على رسلك . فلما تكلم أبو بكر جلس عمر ، فحمد الله أبا بكر وأثنى عليه وقال : ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت . وقال : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ﴾ [سورة الزمر : ٣٠] . وقال : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [سورة آل عمران : ١٤٤] . قال : فنشج الناس ييكون^(١) .

ص ٣٨١ / وفي صحيح البخارى عن أنس أنه سمع خطبة عمر الأخيرة حين جلس على المنبر ، وذلك الغد من يوم توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتشهد^(٢) وأبو بكر صامت لا يتكلم . قال : كنت أرجو أن يعيish رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يدبرنا ، يريد بذلك أن يكون آخرهم ، فإن يك محمداً قد مات ، فإن الله قد جعل بين أظهركم نورا

(١) الحديث فى : البخارى ٦/٥ - ٧ (كتاب فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ،

باب حدثنا الحميدى ...)

(٢) فتشهد : ساقطة من (س) ، (ب) .

تهتدون به، وبه هدى الله محمداً، وإن أبابكر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانى اثنين، وإنه أولى المسلمين بأمرهم، فقوموا فبايعوه. وكانت طائفة منهم قد بايعوه قبل ذلك فى سقيفة بنى ساعدة، وكانت بيعة العامة على المنبر^(١).

وفى طريق آخر^(٢) فى البخارى: أما بعد فاختر الله لرسوله الذى عنده على الذى عندكم، وهذا / الكتاب الذى هدى الله به رسوله، فخذوا به تهتدوا، وإنما^(٣) هدى الله به رسوله صلى الله عليه وسلم ذكره البخارى فى كتاب «الاعتصام بالسنة»^(٤).

وروى البخارى أيضاً عن عائشة فى هذه القصة قالت: «ما كان من خطبتهما من خطبة إلا نفع الله بها، لقد خوّف عمر الناس^(٥)»، وإن فيهم لنفاقاً، فردهم الله بذلك، ثم لقد بصر أبوبكر الناس الهدى، وعرفهم الحق^(٦) الذى عليهم.

وأيضاً فقصة يوم بدر فى العريش، ويوم الحديبية، فى طمانينته وسكينته، معروفة، برز بذلك^(٧) على سائر الصحابة، فكيف يُنسب إلى

(١) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى : البخارى ٨١/٩ (كتاب الأحكام، باب الاستخلاف). (٢) س، ب : أخرى.

(٣) ن، م، س : لما.

(٤) الحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه فى : البخارى ٩١/٩ (كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب حدثنا الحميدى ...).

(٥) ن، س، ب : لقد خوّف الله عمر الناس. والمثبت من (م)، البخارى.

(٦) الحديث عن عائشة رضى الله عنها فى : البخارى ٧/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبى ...، باب حدثنا الحميدى ...).

(٧) م : يزيد بذلك.

الجزع؟!

وأيضا فقيامه بقتال^(١) المرتدين ومانعي الزكاة، وتثبيت المؤمنين، مع تجهيز أسامة، مما يبين أنه أعظم الناس طهً وُبينةً وبقينا. وقد روى أنه قيل له: لقد نزل بك ما لو نزل بالجبال لهاضها، وبالبهار لغاضها، وما نراك ضعفت. فقال: ما دخل قلبي رعب بعد ليلة الغار، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى حزني - أو كما قال - قال: لا عليك يا أبا بكر، فإن الله قد تكفل لهذا الأمر بالتمام.

ثم يُقال: من شبه يقين أبي بكر وصبره بغيره من الصحابة: عمر أو عثمان أو علي، فإنه يدل على جهله. والسني لا ينازع في فضله على عمر وعثمان، ولكن الرافضي^(٢) الذي ادعى أن علياً كان أكمل من الثلاثة في هذه الصفات دعواه^(٣) بُهت وكذب وفرية؛ فإن من تدبر سيرة عمر وعثمان علم أنهما كانا في الصبر والثبات وقلة الجزع في المصائب أكمل من علي، فعثمان حاصروه وطلبوا خلعه من الخلافة^(٤) أو قتله، ولم يزالوا به حتى قتلوه، وهو يمنع الناس من مقاتلتهم، إلى أن قُتل شهيدا، وما دافع عن نفسه. فهل هذا إلا من أعظم الصبر على المصائب؟!.

ومعلوم أن عليا لم يكن صبره كصبر عثمان، بل كان يحصل له من إظهار التأذى من عسكره الذين يقاتلون معه، ومن العسكر الذين

(١) م، ن: في قتال.

(٢) ب (فقط): ولكن دعوى الرافضي...

(٣) م: دعوى؛ ن، س: هي دعوى. ولعل الصواب ما أثبتته.

(٤) م: من خلافته.

يقاتلهم، ما لم يكن يظهر مثله، لا من أبى بكر ولا عمر ولا عثمان، مع كون الذين يقاتلونهم كانوا كفّاراً، وكان الذين معهم بالنسبة إلى عدوهم أقل من الذين مع علىّ بالنسبة إلى من يقاتله، فإن الكفار الذين قاتلهم أبوبكر وعمر وعثمان كانوا أضعاف المسلمين، ولم يكن جيش معاوية أكثر من جيش علىّ، بل كانوا أقل منه.

ومعلوم أن خوف الإمام من استيلاء الكفار على المسلمين، أعظم من خوفه من استيلاء بعض المسلمين على بعض، فكان ما يخافه الأئمة الثلاثة أعظم مما يخافه علىّ، والمقتضى للخوف منهم أعظم، ومع هذا فكانوا أكمل يقيناً وصبراً مع أعدائهم ومحاربيهم من علىّ مع أعدائه ومحاربيه^(١)، فكيف يقال: إن يقين علىّ وصبره^(٢) كان أعظم من يقين أبى بكر وصبره، وهل هذا إلا من نوع السفسطة والمكابرة لما علم بالتواتر خلافه؟!

﴿فصل﴾

قول الرافضى: «إن الآية تدل على خَوْرِهِ وقلة صبره، وعدم يقينه بالله، وعدم رضاه بمساواته للنبي صلى الله عليه وسلم، وبقضاء الله وقدره».

(١) ن، س، ب: ومحاربتهم من علىّ مع أعدائه ومحاربتهم... وكلمة «ومحاربتهم» و

«محاربتهم» غير منقطعتين فى (م). وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته.

(٢) ن، س: أو صبره.

فمما كذب منه ظاهر، ليس في الآية ما يدل على هذا. وذلك

من وجهين :

أحدهما : أن النهي عن الشيء^(١) لا يدل على وقوعه، بل يدل على أنه ممنوع منه، لثلا يقع فيما بعد. كقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ [سورة الأحزاب : ١] ، فهذا لا يدل على أنه كان يطيعهم .

وكذلك قوله : ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [سورة القصص : ٨٨] "أو : ﴿لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾" [سورة الإسراء : ٢٢] ، فإنه صلى الله عليه وسلم لم يكن مشركاً قط ، لا سيما بعد النبوة فالأمة متفقة على أنه معصوم من الشرك بعد النبوة وقد نهى عن ذلك بعد النبوة، ونظائره كثيرة . فقوله : «لا تحزن» لا يدل على أن الصديق كان^(٢) قد حزن ، لكن من الممكن في العقل أنه يحزن ، فقد يُنهى عن ذلك لثلا يفعله .

الثاني : أنه بتقدير أن يكون حزن ، فكان حزنه على النبي صلى الله عليه وسلم لثلا يُقتل فيذهب^(٣) الإسلام ، وكان يؤدّ أن يفدى النبي صلى الله عليه وسلم . ولهذا لما كان معه في سفر الهجرة ، كان يمشى أمامه تارة ، ووراءه تارة ، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، فقال : «أذكر الرصد فأكون أمامك ، / وأذكر الطلب فأكون وراءك» رواه أحمد

(١) ن ، س ، ب : شيء .

(٢-٢) : ساقط من (س) ، (ب) .

(٣) كان : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٤) ن ، س ، ب : ويذهب .

في كتاب «مناقب الصحابة» فقال^(١): حدثنا وكيع عن نافع عن ابن عمر عن ابن أبي مليكة قال: لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم خرج معه أبوبكر فأخذ^(٢) طريق ثور. قال: فجعل أبوبكر يمشى خلفه ويمشى أمامه، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: مالك؟ قال: يا رسول الله أخاف أن تؤتى من خلفك فاتأخر، وأخاف أن تؤتى من أمامك فاتقدم. قال: فلما انتهينا إلى الغار قال أبوبكر: يا رسول الله كما أنت حتى أقمه^(٣). قال نافع: حدثني رجل عن ابن أبي مليكة / أن أبابكر رأى جُحرا في الغار، فالتقهما قدمه، وقال: يا رسول الله إن كانت لسعة أو لدغة كانت بي.

وحينئذ لم يكن يرضى بمساواة النبي صلى الله عليه وسلم: لا بالمعنى الذي أراده الكاذب المفتري عليه: أنه لم يرض بأن يموتا جميعا، بل كان لا يرضى بأن يُقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم ويعيش هو^(٤)، بل كان يختار أن يفديه بنفسه وأهله وماله.

وهذا واجب على كل مؤمن، والصدّيق أقوم المؤمنين بذلك. قال تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [سورة الأحزاب: ٦]. وفي الصحيحين عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين»^(٥).

(١) في كتاب «فضائل الصحابة» ٦٢/١ - ٦٣.

(٢) فضائل الصحابة: ومعه أبوبكر فأخذ.

(٣) س، ب: أيمه، وهو تحريف.

(٤) س، ب: وهو يعيش.

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٤٧/٢.

وحزنه على النبي صلى الله عليه وسلم يدل على كمال مولاته ومحبه، ونصحه له، واحتراسه عليه، وذنبه عنه، ودفع الأذى عنه. وهذا من أعظم الإيمان، وإن كان مع ذلك يحصل له بالحزن نوع ضعف، فهذا يدل على أن الاتصاف بهذه الصفات مع عدم الحزن هو المأمور به، فإن مجرد الحزن لا فائدة فيه، ولا يدل ذلك على أن هذا ذنب يذم به^(١)، فإن من المعلوم أن الحزن على الرسول أعظم من حزن الإنسان على ابنه، فإن محبة الرسول أوجب من محبة الإنسان لابنه.

ومع هذا فقد أخبر الله عن يعقوب أنه حزن على ابنه يوسف، وقال: ﴿يَا أَسْفَىٰ عَلَىٰ يَوْسُفَ وَابْتِضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾. قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتًا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ. قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ ﴿الآية [سورة يوسف : ٨٤ - ٨٦] فهذا إسرائيل نبي كريم قد حزن على ابنه هذا الحزن، ولم يكن هذا مما يُسب عليه، فكيف يُسب أبوبكر إذا حزن على النبي صلى الله عليه وسلم خوفاً أن يقتل، وهو الذي علقت به سعادة الدنيا والآخرة؟!

ثم إن هؤلاء الشيعة - وغيرهم - يحكون عن فاطمة من حزنها على النبي صلى الله عليه وسلم ما لا يوصف، وأنها بنت بيت الأحزان، ولا يجعلون ذلك ذماً لها، مع أنه حزن على أمرٍ فأتى لا يعود. وأبوبكر إنما حزن عليه في حياته خوف أن يقتل، وهو حزن يتضمن الاحتراس، ولهذا لما مات لم يحزن هذا الحزن، لأنه لا فائدة فيه. فحزن أبي بكر بلا ريب

(١) م : يلزم به.

أكمل من حزن فاطمة، فإن كان مذموما على حزنه، ففاطمة أولى بذلك،
ولا فابوبكر أحق بأن لا يُذم على حزنه على النبي صلى الله عليه وسلم
من حزن غيره عليه بعد موته.

وإن قيل: أبوبكر إنما حزن على نفسه لا يقتله الكفار.

قيل: فهذا يناقض قولكم: إنه كان عدوه، وكان استصحبه لئلا يظهر
أمره.

وقيل: هذا باطل بما عُلِمَ بالتواتر من حال أبي بكر مع النبي صلى الله
عليه وسلم، وبما أوجبه الله على المؤمنين.

ثم يقال: هب أن حزنه كان عليه وعلى النبي صلى الله عليه وسلم،
أفيستحق أن يُشتم على ذلك. ولو قُدِّر أنه حزن خوفا أن يقتله عدوه، لم
يكن هذا مما يستحق به هذا السب.

ثم إن قُدِّر أن ذلك ذنب فلم يصبر عنه، بل لما نهاه عنه انتهى، فقد
نهى الله تعالى الأنبياء عن أمور كثيرة انتهوا عنها، ولم يكونوا مذمومين بما
فعلوه قبل النهي.

وأيضا فهؤلاء ينقلون عن عليّ وفاطمة من الجزع والحزن على قوت
مالٍ فدك وغيرها من الميراث، ما يقتضي أن صاحبه إنما يحزن على
قوت الدنيا. وقد قال تعالى: ﴿لَكَيْلًا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا
آتَاكُمْ﴾ [سورة الحديد: ٢٣]، فقد دعا الناس إلى أن لا يأسوا على ما فاتهم
من الدنيا. ومعلوم أن الحزن على الدنيا أولى بأن يُنهى عنه من الحزن
على الدين.

وإن قُدِّر أنه حزن / على الدنيا، فحزن الإنسان على نفسه خوفاً أن يُقتل أولى أن يُعذر به من حزنه على مالٍ لم يحصل له .

وهؤلاء الرافضة من أجهل الناس : يذكرون فيمن يوالونه من أخبار المدح، وفيمن يعادونه من أخبار الذم ما هو بالعكس أولى، فلا تجدهم يذمون أبابكر وأمثاله بأمر، إلا ولو كان ذلك الأمر ذمّاً لكان على أولى بذلك، ولا يمدحون عليّاً بمدح يستحق أن يكون مدحاً، إلا وأبوبكر أولى بذلك؛ فإنه أكمل في الممدوح كلها، وأبرأ من المذام كلها: حقيقتها^(١) وخياليها.

﴿فصل﴾

وأما قوله: «إنه يدل على قلة صبره» .

فباطل^(٢)، بل ولا يدل على انعدام شيء من الصبر المأمور به؛ فإن الصبر على المصائب واجب^(٣) بالكتاب والسنة، ومع هذا فحزن القلب لا ينافي ذلك .

كما قال صلى الله عليه وسلم : «إن الله لا يؤاخذ على دمع العين، ولا على^(٤) حزن القلب، ولكن يؤاخذ على هذا - يعني اللسان - أو

(١) ن : حقيقتها .

(٢) ن ، م ، س : باطل .

(٣) واجب : ساقطة من (س)، (ب) .

(٤) على : ساقطة من (س)، (ب) .

يرحم»^(١).

وقوله: «إنه يدل على عدم يقينه بالله».

كذب وبهت^(٢)؛ فإن الأنبياء قد حزنوا، ولم يكن ذلك دليلاً على عدم يقينهم بالله، كما ذكر الله عن يعقوب. وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مات ابنه إبراهيم قال: «تدمع العين، ويحزن القلب، ولا نقول إلا ما يرضى الرب، وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون»^(٣).
وقد نهى الله عن الحزن نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة النحل: ١٢٧].

وكذلك قوله: «يدل على الخور وعدم الرضا بقضاء الله وقدره». هو باطل، كما تقدم نظائره.

﴿فصل﴾

وقوله: «وإن كان الحزن طاعة استحال نهى النبي صلى الله عليه وسلم عنه، / وإن كان معصية كان ما ادَّعَوْهُ فضيلةً رذيلةً».

كلام الرافضي
على حزن
أبي بكر رضي الله
عنه

(١) الحديث - مع اختلاف في بعض الألفاظ - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في : البخارى ٨٤/٢ (كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض) وأوله : « اشتكى سعد بن عبادة شكوى له فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده ... ومنه : ألا تسمعون إن الله لا يعذب بدمع العين ... الحديث . وهو فى : مسلم ٦٣٦/٢ (كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت) . وجاءت بعض ألفاظ الحديث فى : البخارى ٥١/٧ (كتاب الطلاق، باب الإشارة فى الطلاق والأمور) .

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٦/٤ وأوله هناك : «إن العين تدمع ...

الجواب
من وجوه
الوجه الأول

والجواب أولاً : أنه لم يدع أحد أن مجرد الحزن كان هو الفضيلة ، بل الفضيلة ما دلّ عليه قوله تعالى : ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ الآية [سورة التوبة : ٤٠] .

فالفضيلة كونه هو الذي خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحال ، واختصّ بصحبته ، وكان له كمال الصحبة مطلقاً ، وقول النبي صلى الله عليه وسلم له : «إن الله معنا»^(١) وما يتضمنه ذلك من كمال موافقته للنبي صلى الله عليه وسلم ، ومحبته وطمأنينته ، وكمال معونته للنبي صلى الله عليه وسلم وموالاته ، ففي^(٢) هذه الحال من كمال إيمانه وتقواه ما^(٣) هو الفضيلة .

وكمال محبته ونصره للنبي صلى الله عليه وسلم هو الموجب لحزنه ، إن كان حَزَنَ ، مع أن القرآن لم يدل على أنه حَزَنَ كما تقدم .

الوجه الثاني

ويقال : ثانياً : هذا بعينه موجود في قوله عز وجل لنبيه : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة النحل : ١٢٧] ، وقوله : ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجاً مِنْهُمْ﴾ [سورة الحجر : ٨٨] ونحو ذلك ، بل في قوله تعالى لموسى : ﴿خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [سورة طه : ٢١] .

(١) سبق الكلام على هذا الحديث فيما مضى في هذا الجزء ، ص

(٢) ن ، س ، ب : في .

(٣) ما : ساقطة من (ب) .

فيقال : إن كان الخوف طاعةً ، فقد نَهَى عنه ، وإن كان معصية فقد عَصَى .

ويقال : إنه أمر أن يطمئن ويثبت ، لأن الخوف يحصل بغير اختيار العبد ، إذا لم يكن له ما يوجب الأمن ، فإذا حصل ما يوجب الأمن زال الخوف .

فقوله لموسى : ﴿وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾ [سورة طه : ٢١] هو أمر مقرون بخبره بما يزيل الخوف .

وكذلك قوله : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى﴾ . قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [سورة طه : ٦٧ ، ٦٨] ، هو نهى عن الخوف مقرون بما يوجب زواله .

وكذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لصديقه : «لا تحزن إن الله معنا» نهى عن الحزن مقرون بما يوجب زواله ، وهو قوله : «إن الله معنا» وإذا حصل الخبر بما يوجب زوال الحزن والخوف زال ، وإلا فهو تهجم على الإنسان بغير اختياره .

وهكذا قول صاحب مدين لموسى لما قصَّ عليه القصص : ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة القصص : ٢٥] وكذلك قوله : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [سورة آل عمران : ١٣٩] قرن النهى عن ذلك بما يزيله من إخباره أنهم هم الأعْلَوْنَ إن كانوا مؤمنين . وكذلك قوله : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة

٢٦٥ / ٤

(هـ) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

النحل : ١٢٧] مقرون بقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾
[سورة النحل : ١٢٨] وإخبارهم بأن الله معهم يوجب زوال الضيق من مكر
عدوهم .

وقد قال لما أنزل الله الملائكة يوم بدر: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ لَكُمْ
وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [سورة
آل عمران : ١٢٦] .

ويقال : ثالثاً : ليس في نهيه عن الحزن ما يدل على وجوده كما تقدم ،
بل قد ينهى عنه لئلا يوجد إذا وجد مقتضيه . وحينئذ فلا يضرنا كونه
معصية لو وجد ، وإن وجد فالنهي قد يكون نهى تسليية وتعزية وتثبيت ،
وإن لم يكن المنهى عنه معصية ، بل قد يكون مما يحصل بغير اختيار
المنهى ، وقد يكون الحزن من هذا الباب .

ولذلك قد يُنهى الرجل عن إفراطه في الحب ، وإن كان الحب مما لا
يملك ، ويُنهى عن الغشى والصعق والاختلاج ، وإن كان هذا يحصل
بغير اختياره ، والنهي عن ذلك ليس لأن المنهى عنه معصية إذا حصل
بغير اختياره ولم يكن سببه محظوراً .

فإن قيل : فيكون قد نُهي عما لا يمكن تركه .

قيل : المراد بذلك أنه مأمور بأن يأتي بالضد المنافي للحزن ، وهو
قادر على اكتسابه ؛ فإن الإنسان قد يسترسل في أسباب الحزن والخوف
وسقوط بدنه ، فإذا سعى في اكتساب^(١) ما يقوّيه ثبت قلبه وبدنه . وعلى

(١) م : في اكتسابه .

هذا فيكون النهي^(١) عن هذا أمراً^(٢) بما يزيله وإن لم يكن معصية، كما يؤمر الإنسان بدفع عدوه عنه، وبإزالة النجاسة، ونحو ذلك مما يؤديه، وإن لم يكن حصل بذنب منه.

والحزن^(٣) يؤذى القلب، فأمر بما يزيله، كما يؤمر بما يزيل النجاسة، والحزن^(٤) إنما حصل بطاعة، وهو محبة الرسول ونصحه، وليس هو بمعصية^(٥) يذم عليه، وإنما حصل بسبب الطاعة لضعف القلب الذي لا يُذم^(٦) المرء عليه، وأمر باكتساب قوة تدفعه عنه ليثاب على ذلك.

الوجه الرابع

ويقال: رابعا: لو قُدِّر أن الحزن كان معصية، فهو فعله قبل أن يُنهى عنه، فلما نُهي عنه لم يفعله. وما فُعِلَ قبل التحريم فلا إثم فيه، كما كانوا قبل تحريم الخمر يشربونها ويقامرون، فلما نُهوا عنها انتهوا، ثم تابوا، كما تقدّم.

قال أبو محمد بن حزم^(٧): «وأما حزن أبي بكر رضي الله عنه فإنه قبل أن ينهيه رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه^(٨) كان غاية الرضا لله فإنه^(٩) كان إشفاقا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولذلك^(١٠) كان الله معه، والله لا يكون قط مع العصاة^(١١) بل عليهم، وما حزن أبو بكر قط بعد أن

كلام ابن حزم
على حزن
أبي بكر رضي الله
عنه

-
- (١) ن، م: المنهى
(٢) أمرا: ساقطة من (م).
(٣-٤) ساقطة من (س)، (ب).
(٥) م: لا يلوم.
(٦) في كتابه «الفصل...» ٢٢١/٤.
(٧) عنه: ساقطة من (م)، (س)، (ب). وفي «الفصل»: عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.
(٨) الفصل: لانه.
(٩) ن، م، س: وكذلك.
(١٠) الفصل: وهو تعالى لا يكون مع العصاة..

نهاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن. ولو كان لهؤلاء الأراذل^(١) حياءً أو علم لم يأتوا بمثل هذا، إذ لو كان حزن أبى بكر عيباً عليه، لكان ذلك على محمد وموسى عليهما الصلاة والسلام عيباً^(٢). لأن الله تعالى قال لموسى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمْ وَمَنِ اتَّبَعُكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [سورة القصص: ٣٥]. ثم قال عن السحرة لما قالوا^(٣): ﴿إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ إلى قوله: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى. قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى﴾ [سورة طه: ٦٧: ٦٨]^(٤). فهذا موسى رسول الله وكليمه كان قد^(٥) أخبره الله / عز وجل بأن فرعون وملأه لا يصلون إليهما، وأنه هو الغالب^(٦)، ثم أوجس^(٧) في نفسه خيفة بعد ذلك... فإيجاس^(٨) موسى لم يكن^(٩) إلا لنسيانه الوعد المتقدم، وحزن أبى بكر كان قبل^(١٠) أن ينهى عنه، وأما

ظ ٣٨٢

-
- (١) س، ب: الأراذل.
 - (٢) الفصل: على محمد وموسى رسول الله صلى الله عليه وسلم عيباً.
 - (٣) الفصل: ثم قال تعالى عن السحرة أنهم قالوا لموسى...
 - (٤) في «الفصل» ذكر ابن حزم الآيات كلها متصلة.
 - (٥) الفصل: رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كان...
 - (٦) الفصل: إليه، وأن موسى ومن اتبعه هو الغالب...
 - (٧) ن، س، ب: وأوجس.
 - (٨) اختصر ابن تيمية كلام ابن حزم وترك ما يقرب من ثلاثة أسطر من كلامه، وبدأ كلامه بعد ذلك بعبارة: «بل إيجاس».
 - (٩) الفصل: موسى الخيفة في نفسه لم يكن...
 - (١٠) الفصل: وحزن أبى بكر رضي الله عنه رضا لله تعالى قبل...

محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله قال ^(١): ﴿وَمَنْ كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُ﴾ [سورة لقمان : ٢٣]، وقال تعالى : ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ﴾ [سورة النحل : ١٢٧]، وقال : ﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ﴾ [سورة يس : ٧٦] ^(٢)، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ﴾ [سورة فاطر : ٨]، ووجدناه ^(٣) تعالى قد قال : ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾ [سورة الأنعام : ٣٣]، ^(٤) فقد أخبرنا أنه يعلم ^(٥) أن رسوله ^(٦) يحزنه الذي يقولون ونهاه عن ذلك، فيلزمهم ^(٧) في حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم كالذي أوردوا ^(٨) في حزن أبي بكر سواء ^(٩)، ونعم ^(١٠) إن حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما كانوا يقولون من الكفر كان طاعة لله قبل أن ينهاه الله، كما كان ^(١١) حزن أبي بكر طاعة لله قبل أن ينهاه عنه، وما حزن أبو بكر

(١) الفصل : .. ينهى عنه، ولم يكن تقدم إليه نهى عن الحزن، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فإن الله عز وجل قال ..

(٢) زاد في «الفصل» .. إن العزة لله جميعا وبعدها: وقال تعالى ..

(٣) قبل هذه الكلمة في «الفصل» ذكر آية رقم ٦ من سورة الكهف «فلعلك باخع نفسك ...»

(هـ) : ما بين النجمتين ساقط من (س)، (ب).

(٤) الفصل ٢٢٢/٤ : «وقاله أيضا في الأنعام. فهذا الله تعالى أخبرنا أنه يعلم أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم

(٥) الفصل : ونهاه عز وجل عن ذلك نصًا، فيلزمهم.

(٦) الفصل : .. وسلم الذي نهاه الله تعالى عنه كالذي أوردوا ...

(٧) الفصل : .. سواء سواء.

(٨) ب (فقط) : ونعلم ..

(٩) الفصل : قبل أن ينهاه الله عز وجل، وما حزن عليه السلام بعد أن نهاه ربه تعالى عن

الحزن، كما كان ..

بعد^(١) ما نهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن ، فكيف وقد يمكن^(٢)
 أن أبابكر / لم يكن حزن^(٣) يومئذ؟ لكن نهاه صلى الله عليه وسلم عن^(٤)
 أن يكون منه حزن ، كما قال تعالى^(٥) ﴿وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا﴾
 [سورة الإنسان : ٢٤] .

﴿فصل﴾

قال شيخ الإسلام المصنف رحمه الله تعالى ورضي الله عنه^(٦) : وقد
 زعم بعض الرافضة أن قوله تعالى : ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ
 مَعَنَا﴾ [سورة التوبة : ٤٠] لا يدل على إيمان أبي بكر ، فإن الصحبة قد تكون
 من المؤمنين والكافر.

كما قال تعالى : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ
 أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا . كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ
 تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَرْنَا خِلَالَهُمَا نَهْرًا . وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ
 أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا . وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن
 تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا﴾ [سورة الكهف : ٣٢-٣٥] إلى قوله : ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ

(١) الفصل : . . قبل أن ينهاه الله عز وجل عن الحزن ، وما حزن أبو بكر قط بعد .

(٢) م : وقد يكون .

(٣) الفصل : وقد يمكن أن يكون أبو بكر لم يحزن . . .

(٤) عن : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٥) الفصل : . . تعالى لنبه عليه السلام .

(٦-٦) : هذه العبارات في جميع النسخ ، وهي كما يظهر من كلام النساخ .

يُحَاوِرُهُ أَكْفَرْتِ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْقَةٍ ﴿ [سورة الكهف : ٣٧] الآية .

فيقال : معلوم أن لفظ «الصاحب» في اللغة يتناول من صاحب غيره ، ليس فيه دلالة بمجرد هذا اللفظ على أنه وليه أو عدوه ، أو مؤمن أو كافر ، إلا لما يقترن به .

وقد قال تعالى : ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [سورة النساء : ٣٦] ، وهو يتناول الرفيق في السفر والزوجة ، وليس فيه دلالة على إيمان أو كفر^(١) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ . مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ﴾ [سورة النجم : ١ ، ٢] ، وقوله : ﴿وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾ [سورة التكويد : ٢٢] : المراد به محمد صلى الله عليه وسلم لكونه صاحب البشر ؛ فإنه إذا كان قد صاحبهم كان بينه وبينهم من المشاركة ما يمكنهم أن ينقلوا عنه ما جاءه من الوحي ، وما يسمعون به كلامه ، ويفقهون معانيه ، بخلاف المَلِكِ الذي لم يصحبهم ، فإنه لا يمكنهم الأخذ عنه .

وأیضا قد تضمن ذلك أنه بشر من جنسهم^(٢) ، وأخص من ذلك أنه عربی بلسانهم . كما قال تعالى : ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ﴾ [سورة التوبة : ١٢٨] ، وقال : ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾ [سورة إبراهيم : ٤] ، فإنه إذا كان قد صاحبهم كان قد تعلّم لسانهم ، وأمكنه

(١) م : وكفر .

(٢) ن ، م ، س : أنه من جنسهم بشر . . .

أن يخاطبهم بلسانهم^(١)، فيرسل رسولا بلسانهم ليفقهوا^(٢) عنه، فكان ذكر صحبته لهم هنا دلالة على اللطف بهم، والإحسان إليهم.

وهذا بخلاف إضافة الصحبة إليه، كقوله تعالى: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، وقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه»^(٣). وقوله: «هل أنتم تاركى لى صاحبى؟»^(٤) وأمثال ذلك.

فإن إضافة الصحبة إليه فى خطابه^(٥) وخطاب المسلمين تتضمن صحبة موالاة له، وذلك لا يكون إلا بالإيمان به، فلا يُطلق لفظ «صاحبه» على من صحبه فى سفره وهو كافر به.

والقرآن يقول فيه: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة: ٤٠]، فأخبر الرسول أن الله معه ومع صاحبه. وهذه المعية تتضمن النصر والتأييد، وهو إنما ينصره على عدوه، وكل كافر عدوه، فيمتنع أن يكون الله مؤيداً له ولعدوه معا. ولو كان مع عدوه، لكان ذلك مما يوجب الحزن ويزيل السكينة. فعلم أن لفظ «صاحبه» تضمن صحبة ولاية ومحبة، وتستلزم الإيمان له وبه.

(٢) ن، م: ليفقهوا..

(١) ن، م، س: بلسانه.

(٣) ن، م: نصفه. وسبق هذا الحديث فيما مضى ٢١/٢.

(٤) سبق هذا الحديث قبل صفحات فى هذا الجزء.

(٥) ن، م، س: فإن إضافة الصحبة إليه ما بلغ فى خطابه، وجاءت عبارة «ما بلغ» فى النسخ الثلاث تحت عبارة «ما بلغ» فى حديث النبي صلى الله عليه وسلم السابق... ما بلغ مدَّ أحدهم... والظاهر أنه سبق نظر من النسخ - أو من أحدهم، ولذلك أصاب محقق (ب) بحذف هذه العبارة.

وأيضا فقولوه: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ دليل على أنه وليه، وإنه حزن خوفا من عدوهما، فقال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّاهُ مَعْنَا﴾. ولو كان عدوه لكان لم يحزن إلا حيث يتمكن من قهره، فلا يقال له: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنْ أَلَّاهُ مَعْنَا﴾ لأن كون الله^(١) مع نبيه مما يسر النبي، وكونه مع عدوه مما يسوءه، فيمتنع أن يجمع بينهما. لا سيما مع قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ﴾ ثم قوله: ﴿إِذَا أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ﴾ [سورة التوبة: ٤٠].

ونصره لا يكون بأن يقترن به عدوه وحده، وإنما يكون باقتران وليه ونجاته من عدوه. فكيف [لا] ينصر^(٢) على الذين كفروا من يكونون قد لزموه، ولم يفارقوه^(٣) ليلا ولا نهارا، وهم معه في سفره؟

وقوله: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ﴾ حال من الضمير في أخرجه، أى: أخرجه في حال كونه نبيا ثانيا اثنيين، فهو موصوف بأنه أحد الاثنين، فيكون الاثنان مُخْرَجَيْنِ جميعا، فإنه يمتنع أن يخرج ثاني اثنين إلا مع الآخر، فإنه لو أخرج دونه لم يكن قد أخرج ثاني اثنين، فدل على أن الكفار أخرجه / ثاني اثنين، فأخرجوه مصاحبا / لقرينه في حال كونه معه، فلزم أن يكونوا^(٤) أخرجهما.

٢٦٧ / ٤
ص ٣٨٣

وذلك هو الواقع؛ فإن الكفار أخرجوا المهاجرين كلهم. كما قال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ

(١) س، ب: لأن كونه..

(٢) في جميع النسخ: فكيف ينصر... الخ. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته.

(٣) ن، س، ب: من يكون قد لزموه لم يفارقوه.

(٤) م: أن يكون.

فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴿ [سورة الحشر : ٨] .

وقال تعالى : ﴿ أَذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ . الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾ [سورة الحج : ٣٩ ، ٤٠] .

وقال : ﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ﴾ [سورة الممتحنة : ٩] .

وذلك أنهم منعوهم أن يقيموا بمكة مع الإيمان، وهم لا يمكنهم ترك الإيمان، فقد أخرجوهم^(١) إذا كانوا مؤمنين . وهذا يدل على أن الكفار أخرجوا صاحبه كما أخرجوه، والكفار إنما أخرجوا^(٢) أعداءهم، لا من كان كافرا منهم .

فهذا يدل على أن صحبته صحبة موالة وموافقة على الإيمان، لا صحبة مع الكفر.

وإذا قيل : هذا يدل على أنه كان مظهراً للموافقة، وقد كان يظهر الموافقة له من كان في الباطن منافقا، وقد يدخلون في لفظ الأصحاب في مثل^(٣) قوله لما استؤذن في قتل بعض المنافقين، قال : « لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه »^(٤) فدلّ على أن هذا اللفظ قد كان الناس يدخلون فيه من هو منافق .

(١) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(٢) مثل : ساقطة من (م) .

الأدلة على إيمان
أبي بكر وعدم
جواز نسبة
النفاق إليه رضي
الله عنه.

أولاً

قيل : قد ذكرنا فيما تقدم أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق . وينبغي أن يُعرف أن المنافقين كانوا قليلين بالنسبة إلى المؤمنين ، وأكثرهم انكشف حاله لما نزل فيهم القرآن وغير ذلك ، وإن كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يعرف كلاً منهم بعينه ، فالذين باشروا ذلك كانوا يعرفونه . والعلم بكون الرجل مؤمناً في الباطن ، أو يهودياً ، أو نصرانياً ، أو مشركاً : أمر لا يخفى مع طول المباشرة ؛ فإنه ما أسرَّ أحدُ سريرة إلا أظهرها الله على صفحات وجهه وفتات لسانه .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ ﴾ [سورة محمد : ٣٠] وقال : ﴿ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ﴾ [سورة محمد : ٣٠] فالمضمر للكفر لا بد أن يُعرف في لحن القول ، وأما بالسيماء فقد يُعرف وقد لا يُعرف .

وقد قال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَاِمْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ ﴾ [سورة المتحنة : ١٠] .

والصحابة المذكورون في الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والذين يعظمهم المسلمون على الدين ، كلهم كانوا مؤمنين به ، ولم يعظم المسلمون - ولله الحمد - على الدين منافقا .

والإيمان يُعلم من الرجل كما يعلم سائر أحوال قلبه ، من موالاته ومعاداته ، وفرحه وغضبه ، وجوعه وعطشه ، وغير ذلك ؛ فإن هذه الأمور لها لوازم ظاهرة . والأمور الظاهرة تستلزم أموراً باطنة . وهذا أمر يعرفه

الناس فيمن جربوه وامتحنوه.

ونحن نعلم بالاضطرار أن ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك^(١) وأبا سعيد الخدري وجابر، أو نحوهم، كانوا مؤمنين بالرسول، محبين له، معظمين له، ليسوا منافقين، فكيف لا يُعلم ذلك في مثل الخلفاء الراشدين، الذين أخبرهم وإيمانهم ومحبتهم ونصرهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد طبقت البلاد: مشارقها ومغاربها؟!

فهذا مما ينبغي أن يعرف، ولا يُجعل وجود قوم منافقين موجبا للشك في إيمان هؤلاء، الذين لهم في الأمة لسان صدق، بل نحن نعلم بالضرورة إيمان سعيد بن المسيب، والحسن، وعلقمة، والأسود، ومالك، والشافعي، وأحمد، والفضيل، والجنيد، ومن هو دون هؤلاء. فكيف لا يُعلم إيمان الصحابة، ونحن نعلم إيمان كثير ممن باشرناه من الأصحاب؟!

وقد بُسط الكلام على هذا في غير هذا الموضع، ويُن أن العلم بصدق الصادق في أخباره،^(٢) إذا كان دعوى نبوة أو غير ذلك، وكذب الكاذب: ^(٣) مما يُعلم بالاضطرار في مواضع كثيرة بأسباب كثيرة.

وإظهار الإسلام من هذا الباب؛ فإن الإنسان إما صادق وإما كاذب.

ثانياً

فهذا يُقال أولاً، ويقال: ثانياً: وهو ما ذكره أحمد وغيره. ولا أعلم بين العلماء فيه نزاعاً -: أن المهاجرين لم يكن فيهم منافق أصلاً، وذلك

(١) م: وابن عامر بن مالك، وهو تحريف.

(٢) م: ما بين النجمتين ساقط من (م).

لأن المهاجرين إنما هاجروا باختيارهم / لما آذاهم الكفار على الإيمان وهم^(١) بمكة، لم يكن يؤمن أحدهم إلا باختياره، بل مع احتمال الأذى، فلم يكن أحد يحتاج أن يظهر الإيمان ويبطن الكفر، لا سيما إذا هاجر إلى دار يكون فيها سلطان الرسول عليه، ولكن لما ظهر الإسلام في قبائل الأنصار، صار بعض من لم يؤمن بقلبه يحتاج إلى أن يظهر موافقة قومه، لأن المؤمنين صار لهم سلطان وعز ومنعة، وصار معهم السيف يقتلون من كفر.

ثالثاً

ويقال : ثالثاً : عامة عقلاء بني آدم إذا عاشر أحدهم الآخر مدة يتبين له صداقته من عداوته^(٢)، فالرسول يصحب أبابكر بمكة بضع عشرة سنة، ولا يتبين له هل هو صديقه أو عدوه، وهو يجتمع معه في دار الخوف؟! وهل هذا إلا قدح في الرسول؟

ثم يقال : جميع الناس كانوا يعرفون أنه أعظم أوليائه من حين المبعث^(٣) إلى الموت فإنه أول من آمن به من الرجال الأحرار، ودعا غيره إلى الإيمان به حتى آمنوا، وبذل أمواله في تخليص من كان آمن به من المستضعفين، مثل / بلال وغيره، وكان يخرج معه إلى الموسم فيدعو القبائل إلى الإيمان به، ويأتي النبي صلى الله عليه وسلم كل يوم إلى بيته : إما غدوة وإما عشية، وقد آذاه الكفار على إيمانه، حتى خرج من مكة فلقه ابن الدغنة أمير من أمراء العرب - سيد^(٤) القارة - وقال : إلى

ظ ٣٨٣

(٢) ن، م : من عدوه.

(١) ن، م، س : وهو.

(٤) م : وسيد...

(٣) م : المبعث.

أين؟ وقد تقدّم حديثه، فهل يشك من له أدنى مسكة من عقل أن مثل هذا لا يفعله إلا من هو في غاية الموالاة والمحبة للرسول ولما جاء به؟ وأن موالاته ومحبته بلغت به إلى أن يعادى قومه، ويصبر على أذاهم، وينفق أمواله على من يحتاج إليه من إخوانه المؤمنين؟!

وكثير من الناس يكون موالياً لغيره، لكن لا يدخل معه في المحن، والشدائد، ومعاداة الناس، وإظهار موافقته على ما يعاديه الناس عليه. فأما إذا أظهر أتباعه وموافقته على ما يعاديه عليه جمهور الناس، وقد صبر على أذى المعادين، وبذل الأموال في موافقته، من غير أن يكون هناك داعٍ يدعو إلى ذلك من الدنيا، لأنه لم يحصل له بموافقته في مكة^(١) شيء من الدنيا: لا مال، ولا رياسة، ولا غير ذلك، بل لم يحصل له من الدنيا إلا ما هو أذى ومحنة وبلاء.

والإنسان قد يُظهر موافقته للغير: إما لغرض يناله منه، أو لغرض آخر يناله بذلك، مثل أن يقصد قتله أو الاحتيال عليه. وهذا كله كان متفياً بمكة؛ فإن الذين كانوا يقصدون أذى النبي صلى الله عليه وسلم كانوا من أعظم الناس عداوة لأبي بكر لما آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، ولم يكن بهم اتصال يدعو إلى ذلك ألبته، ولم يكونوا يحتاجون في مثل ذلك إلى أبي بكر، بل كانوا أقدر على ذلك، ولم يكن يحصل للنبي صلى الله عليه وسلم أذى قط من أبي بكر، مع خلوته به، واجتماعه به ليلاً ونهاراً، وتمكّنه مما يريد المخادع من إطعام سم، أو قتل، أو غير ذلك.

(١) ن، م، س: من مكة.

وأيضاً فكان حفظ الله لرسوله وحمايته له يوجب أن يطلعه على ضميره
السوء، لو كان مضمرًا له سوءاً، وهو قد أطلعه الله على ما في نفس أبي
عزة لما جاء مظهرًا للإيمان بنية الفتك به، وكان ذلك في قعدة واحدة،
وكذلك أطلعه على ما في نفس الحجبي يوم حنين، لما انهزم
المسلمون، وهم بالسوءة، وأطلعه على ما في نفس عُمر بن وهب لما
جاء من مكة مظهرًا للإسلام يريد الفتك به، وأطلعه الله على المنافقين
في غزوة تبوك، لما أرادوا أن يحلوا حزام ناقته.

وأبو بكر معه دائماً ليلاً ونهاراً، حضراً وسفراً، في خلوته وظهوره. ويوم
بدر يكون معه وحده في العريش، ويكون في قلبه ضمير سوء، والنبى^(١)
صلى الله عليه وسلم لا يعلم ضمير ذلك قط، وأدنى من له نوع فطنة
يعلم ذلك في أقل من هذا الاجتماع، فهل يظن ذلك بالنبى صلى الله
عليه وسلم وصديقه إلا من هو - مع فرط جهله وكمال نقص عقله - من
أعظم الناس تنقصاً للرسول^(٢)، وطعننا فيه، وقدحاً في معرفته؟! فإن كان
هذا الجاهل - مع ذلك - محباً للرسول، فهو كما قيل: «عدو عاقل خير
من صديق جاهل».

ولا ريب أن كثيراً ممن يحب الرسول، من بنى هاشم / وغيرهم - وقد
تشيع - قد تلقى من الرافضة ما هو من أعظم الأمور قدحاً في الرسول،
فإن أصل الرفض إنما أحدثه زنديق غرضه إبطال دين الإسلام، والقدح

٢٦٩ / ٤

(١) ب (فقط): للنبى، وهو خطأ.

(٢) ن: تنقصا بالرسول؛ س، ب: نقصا بالرسول. والمثبت من (م).

فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما قد ذكر ذلك العلماء.

وكان عبدالله بن سبأ شيخ الرافضة لما أظهر الإسلام، أراد أن يفسد
الإسلام بمكره وخبثه، كما فعل بولص بدين النصارى، فأظهر النسك،
ثم أظهر الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى سعى فى فتنة عثمان
وقتله. ثم لما قدم على الكوفة أظهر الغلو فى على، والنص عليه،
ليتمكن بذلك من أغراضه، وبلغ ذلك علماً، فطلب قتله، فهرب منه إلى
قرقيسيا^(١). وخبره معروف، وقد ذكره غير واحد من العلماء.

والأفمن له أدنى خبرة بدين الإسلام، يعلم أن مذهب الرافضة
مناقض له. ولهذا كانت الزنادقة الذين قصدهم إفساد الإسلام يأمرؤن
بإظهار التشيع، والدخول إلى مقاصدهم من باب الشيعة. كما ذكر ذلك
إمامهم صاحب «البلاغ الأكبر» و«الناموس الأعظم».

قال القاضى أبوبكر بن الطيب^(٢): «قد اتفق جميع الباطنية، وكل
مصنّف لكتاب ورسالة منهم، فى ترتيب الدعوة المضلّة، على أن من
سبيل الداعى إلى دينهم ورجسهم، المجانب لجميع أديان الرسل
والشرائع أن يجيب^(٣) الداعى إليه الناس بما يبين وما يظهر له من أحوالهم

(١) م: افريقيشا؛ س: قريقيشا، وهو تحريف.

(٢) لم أجد الكلام التالى فى طبعتى «التمهيد» الأول بتحقيق الدكتور محمد عبدالمادى أبى ريدة
والأستاذ محمود محمد الحضرى، والثانية بتحقيق رتشارد يوسف مكارتى، كما لم أجد فى
كتاب «الإنصاف» بتحقيق الشيخ محمد زاهد الكوثرى. ولعله فى كتاب آخر من كتب
الباقلانى المفقودة، وقد يكون كتاب «كشف الأسرار فى الرد على الباطنية» وقد ذكره الأستاذ
الحضرى والدكتور أبو ريدة ضمن مصنفات الباقلانى (ص ٥٩) من طبعتهما «للتمهيد».

(٣) ن، س، ب: أن يجتنب. والمثبت من (م) والكلمة فيها غير منقوطة.

ومذاهبهم، وقالوا لكل داع لهم إلى ضلالتهم ما أنا حاكٍ لألفاظهم وصيغة قولهم، بغير زيادة ولا نقصان، ليعلم بذلك كفرهم وعنادهم لسائر^(١) الرسل والملل، فقالوا للداعي: «يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً: أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك، واجعل المدخل عليه من جهة ظلم السلف، وقتلهم الحسين^(٢)، وسبيهم نساء^(٣) وذريته، والتبري من تيم وعدي، ومن بنى أمية وبنى العباس، وأن تكون قائلاً بالتشبيه والتجسيم، والبدء، والتناسخ، والرجعة، والغلو، وأن/ علياً^(٤) إله يعلم الغيب، مفوض^(٥) إليه خلق العالم، وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة^(٦) وجهلهم، فإنهم أسرع إلى إجابتك بهذا الناموس، حتى تتمكن^(٧) منهم مما^(٨) تحتاج إليه أنت ومن بعدك، ممن تثق به من أصحابك، فترقيهم إلى حقائق الأشياء حالاً فحالاً، ولا تجعل كما جعل المسيح ناموسه في زور^(٩) موسى القول بالتوراة وحفظ السبت، ثم عجل وخرج عن الحد، وكان له ما كان، يعني من قتلهم له، بعد تكذيبهم إياه، وردهم عليه، وتفرقهم عنه. فإذا آنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً، أوقفته على مثالب علي وولده، وعرفته حقيقة الحق لمن هو، وفيمن هو، وباطل بطلان^(١٠) كل ما عليه أهل ملة محمد صلى الله عليه وسلم وغيره

ص ٣٨٤

(٢) م: الحسين عليه السلام.

(٤) إله: في (ن) فقط.

(٦) م: من الأعاجيب الشيعة..

(٨) س، ب: ما.

(١٠) م: وبطلان..

(١) ب: بسائر.

(٣) ن: لنسائه؛ م: لبناته.

(٥) م: إنه مفوض..

(٧) ب: تمكن.

(٩) م: وزور.

من الرسل، ومن وجدته صابئاً فأدخله مداخله بالأشانيع^(١) وتعظيم الكواكب، فإن ذلك ديننا وجل مذهبنا في أول أمرنا، وأمرهم من جهة الأشانيع يُقَرَّب عليك أمره جداً. ومن وجدته مجوسياً اتفقت معه في الأصل، في الدرجة الرابعة، من تعظيم النار والنور، والشمس والقمر، واتل عليهم أمر السابق^(٢)، وأنه نهر من الذي^(٣) يعرفونه، وثالثه المكنون من ظنه^(٤) الجيد والظلمة المكتوبة، فإنهم مع الصابئين أقرب الأمم إلينا، وأولاهم بنا، لولا يسيرٌ صحَّفوه بجهلهم به». قالوا: «وإن ظفرت بيهودى فادخل عليه من جهة انتظار المسيح، وأنه المهدي الذي ينتظره المسلمون بعينه، وعظمُ السبت عندهم، وتقرب إليهم بذلك، وأعلمهم أنه مثل يدل على ممثول، وأن ممثوله^(٥) يدل على السابيع المنتظر، يعنون محمد بن إسماعيل بن جعفر، وأنه دوره، وأنه هو المسيح، وهو المهدي، وعند معرفته تكون^(٦) الراحة من الأعمال، وترك التكاليفات، كما أمروا بالراحة يوم السبت، وأن راحة السبت هو دلالة على الراحة من التكليف والعبادات في دور السابيع المنتظر، وتقرب من قلوبهم بالطعن على النصارى والمسلمين الجهال الحيارى، الذين يزعمون أن عيسى

(١) ن، س، ب: فداخله بالأشانيع.

(٢) م: من السابق.

(٣) م: نمر من الذين... والعبارة في كل النسخ غير واضحة.

(٤) س، ب: طبه. والكلام محرف وغير واضح في هذه العبارات والتي قبلها.

(٥) م: وأنه ممثول..

(٦) ن، س، ب: وعنده معرفته يكون..

لم يولد ولا أب له، وقو في نفوسهم أن يوسف النجار أبوه، وأن مريم أمه، وأن يوسف النجار كان ينال منها ما ينال الرجال / من النساء، وما شاكل ذلك، فإنهم لن يلبثوا أن يتبعوك».

قال: «وإن وجدت المدعى نصرانيا، فادخل عليه بالطعن على اليهود والمسلمين جميعا، وصحة قولهم في الثالث، وأن الأب والابن وروح القدس صحيح، وعظم الصليب عندهم، وعرفهم تأويله.

وإن وجدته مثانياً فإن المثانية^(١) تحرك الذى منه يعترف، فداخلهم بالممازجة^(٢) فى الباب السادس فى الدرجة السادسة من حدود البلاغ، التى يصفها^(٣) من بعد، وامتزج بالنور وبالظلام^(٤)، فإنك تملكهم بذلك. وإذا آنست من بعضهم رشداً فاكشف له الغطاء.

ومتى وقع إليك فيلسوف فقد علمت أن الفلاسفة هم العمدة لنا. وقد أجمعنا [نحن]^(٥) وهم على إبطال نواميس الأنبياء، وعلى القول بقدم العالم، لولا ما يخالفنا بعضهم من أن للعالم مدبراً لا يعرفونه. فإن^(٦) وقع الاتفاق منهم على أنه لا مدبر للعالم، فقد زالت الشبهة بيننا وبينهم.

وإذا وقع لك ثنوى منهم فبخ بخ، قد ظفرت يداك^(٧) بمن يقل معه تعبك، والمدخل عليه بإبطال التوحيد، والقول بالسابق والتالى، ورتب له ذلك على ما هو مرسوم لك فى أول درجة البلاغ وثانيه وثالثه.

(١) ن، س، ب: متبايناً فإن البائية، وهو تحريف.

(٢) ن، س، ب: الممازجة. والكلمة غير منقوطة فى (م).

(٣) ن، م: الذى نصعبها (الكلمة الأخيرة غير منقوطة)؛ س: الذى نصفها.

(٤) م: وامتزج النور بالظلام. (٥) نحن: زيادة فى (ب) فقط.

(٦) ن، س: فإنه، وهو تحريف. (٧) ن: بذلك؛ م: بذلك.

وسنصف لك عنهم من بُعدٍ واتخذ غليظ العهود، وتوكيد الأيمان،
 وشدة المواثيق جنةً لك وحصناً، ولا تهجم على مستجيبك بالأشياء^(١)
 الكبار التي يستبشعونها حتى ترقّيهم إلى أعلى المراتب: حالا فحالا،
 وتدرّجهم درجة درجة، على ما سنبينه من بعد، وقف بكل فريق حيث
 احتمالهم، فواحد لا تزيده على التشيع والائتمام بمحمد بن إسماعيل،
 وأنه حيّ، لا تجاوز به هذا الحد، لا سيما إن كان مثله ممن يكثر به
 ويموضع اسمه، وأظهر له العفاف عن الدرهم والدينار، وخفف عليه
 وطأتك مرة بصلاة^(٢) السبعين، وحذّره الكذب والزنا واللواط وشرب
 النبيذ، وعليك في أمره بالرفق والمداراة له والتودد، وتصبر له: إن كان
 هواه متبعا لك تحظ^(٣) عنده، ويكون لك عوناً على دهرك، وعلى من لعله
 يعاديك^(٤) من أهل الملل، ولا تأمن أن يتغير عليك بعض أصحابك، ولا
 تخرجه^(٥) عن عبادة إلهه، والتدين بشريعة محمد نبيّه صلى الله عليه
 وسلم، والقول بإمامة عليّ وبنيه، إلى محمد بن إسماعيل، وأقم له
 دلائل الأسابيع فقط، ودقه بالصوم والصلاة دقاً وشدة الاجتهاد، فإنك
 يومئذ إن أومأت إلى كريمته^(٦)، فضلا عن ماله، لم يمنعك، وإن أدركته
 الوفاة فوُضَّ إليك ما خلّفه، وورثك إياه، ولم ير في العالم من هو أوثق
 منك، وآخر ترقّيه إلى نسخ شريعة محمد، وأن السابح هو الخاتم
 للرسل، وأنه ينطق كما ينطقون، ويأتى بأمرٍ جديد، وأن محمداً صاحب

(١) م: بالاستثناء ب: بالاستنادات.

(٢) م: من صلاة..

(٣) م: بخط.

(٤) ن، م: يعانلك.

(٥) ن، م، م: ولا تخرجه.

(٦) ن، م، م: إلى كريمته.

الدور السادس، وأن علياً لم يكن إماماً، وإنما كان سوساً^(١) لمحمد، وحسن القول فيه، وإلا سياسية^(٢)؛ فإن هذا باب كبير، وعمل عظيم، منه ترقى إلى ما هو أعظم منه، وأكبر منه، ويعينك على زوال ما جاء به من قبلك، من وجوب زوال النبوات، على المنهاج الذى هو عليه، وإياك / أن ترتفع من هذا الباب، إلا إلى من تقدّر فيه النجاة^(٣)، وآخر ترقّيه من هذا إلى معرفة القرآن ومؤلفه وسببه، وإياك أن تغتر بكثير ممن يبلغ معك إلى هذه المنزلة، فترقيه إلى غيرها: ألا يغلطون المؤانسة والمدارسة، واستحكام الثقة به، فإن ذلك يكون لك عوناً على تعطيل النبوات، والكتب التى يدعونها منزلة من عند الله، وآخر ترقّيه إلى إعلامه أن القائم قد مات، وأنه يقوم روحانياً، وأن الخلق يرجعون إليه بصور روحانية، تفصل بين العباد بأمر الله عز وجل، ويستصفى^(٤) المؤمنين من الكافرين بصور روحانية، فإن ذلك يكون أيضاً عوناً لك عند إبلاغه إلى إبطال المعاد الذى يزعمونه، والنشور من القبر.

وأخر ترقّيه من هذا إلى إبطال أمر الملائكة فى السماء، والجن فى الأرض، وأنه كان قبل آدم بشرٌ كثير، وتقيم على ذلك الدلائل المرسومة فى كتبنا؛ فإن ذلك مما يعينك وقت بلاغه على تسهيل التعطيل للوحى^(٥)، والإرسال إلى البشر بملائكة، والرجوع إلى الحق^(٦) والقول بقدم العالم.

(٢) ب: والأساسية.

(٤) ن، م، س: ويستفى.

(٦) م: الجن.

(١) ب: سوسا.

(٣) م: النجاة.

(٥) س، ب: والوحى.

وأخر ترقّيه إلى أوائل درجة التوحيد، وتدخل عليه بما / تضمّنه كتابهم المترجم بكتاب «الدرس الشافي للنفس» من أنه لا إله ولا صفة ولا موصوف، فإن ذلك يعينك على القول بالإلهية لمستحقها عند البلاغ».

والى ذلك يعنون بهذا أن كل داعٍ منهم يترقى درجةً درجة، إلى أن يصير إماماً ناطقاً، ثم ينقلب الها روحانياً، على ما سنشرح قولهم فيه من بعد.

قالوا: «ومن بلغته إلى هذه المنزلة فعرفه»^(١) حسب ما عرفناك من حقيقة أمر الإمام، وأن إسماعيل وأباه محمداً^(٢) كانا من نوابه، ففى ذلك^(٣) عون لك على إبطال إمامة على وولده عند البلاغ، والرجوع إلى القول بالحق» ثم لا يزال كذلك شيئاً فشيئاً حتى يبلغ الغاية القصوى على تدرّج يصفه عنهم فيما بعد.

قال القاضى: «فهذه وصيتهم جميعاً للداعى إلى مذاهبهم، وفيها أوضح دليل لكل عاقل على كفر القوم والحادهم، وتصريحهم بإبطال حدوث العالم ومحدثه، وتكذيب ملائكته ورسله، وجحد المعاد والثواب والعقاب. وهذا هو الأصل لجميعهم وإنما يتمخرون بذكر الأول، والثانى، والناطق، والأساس، إلى غير ذلك، ويخدعون به الضعفاء، حتى إذا استجاب لهم مستجيب أخذوه بالقول بالدهر والتعطيل»^(٤).

(١) ن، س، ب: تعرفه.

(٣) س، ب: وفي ذلك.

(٢) م: وأبا محمد.

(٤) م: بالدهر سوا التعطيل.

وسأصف من بعد من عظيم سبهم لجميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم، وتجريدهم القول بالاتحاد^(١) وأنه نهاية دعوتهم - ما يَعْلَمُ به كل قارئ له عظيم^(٢) كفرهم وعنادهم للدين.

تمليق ابن تيمية
على ما ذكره
الباقلي من
الباطنية

قلت: وهذا بين، فإن الملاحدة من الباطنية الإسماعيلية وغيرهم، والغلاة النصيرية وغير النصيرية، إنما يظهرون التشيع، وهم في الباطن أكفر من اليهود والنصارى. فدل ذلك على أن التشيع دهليز الكفر والنفاق.

والصديق رضى الله عنه هو الإمام فى قتال المرتدين، وهؤلاء مرتدون، فالصديق وحزبه هم أعداؤه. والمقصود هنا أن الصحبة المذكورة فى قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾، [سورة التوبة: ٤٠] صحبة موالاة للمصحوب^(٣) ومتابعة له^(٤)، لا صحبة نفاق^(٥)، كصحبة المسافر للمسافر، وهى من الصحبة التى يقصدها الصاحب لمحبة المصحوب، كما هو^(٦) معلوم عند جماهير الخلائق علماً ضرورياً، بما تواتر عندهم من الأمور الكثيرة: أن أبا بكر كان فى الغاية من محبة النبى صلى الله عليه وسلم ومولاته والإيمان به، أعظم مما يعلمون أن علياً كان مسلماً، وأنه كان ابن عمه. وقوله: «إن الله معنا» لم يكن لمجرد الصحبة الظاهرة التى ليس فيها

(١) م: وتجريدهم القول بالاتحاد.

(٢) س: كل من قارله عظيم... ب: كل من قارئ عظيم...

(٤) س، ب: ومباينة له.

(٣) م: موالاة المصحوب.

(٦) ن، م، س: كما هذا.

(٥) ن، م: إنفاق.

متابعة^(١)، فإن هذه تحصل للكافر إذا صحب المؤمن، ليس الله معه، بل إنما كانت المعية للموافقة الباطنية والموالاتة له والمتابعة.

ولهذا كل من كان متبعا للرسول كان الله معه بحسب هذا الاتباع. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال: ٦٤]، أى حسبك وحسب من اتبعك، فكل من اتبع الرسول من جميع المؤمنين فالله حسبه^(٢)، وهذا معنى كون الله معه.

والكفاية المطلقة مع الاتباع المطلق، والناقصة مع الناقص^(٣)، وإذا كان بعض المؤمنين به المتبعين له قد حصل له من يعاديه على ذلك فالله حسبه، وهو معه، وله نصيب من معنى قوله: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنْ اللَّهَ مَعَنَا﴾ فإن هذا قلبه موافق للرسول، وإن لم يكن صَحْبَهُ بيده، والأصل في هذا القلب.

كما في الصحيحين عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن بالمدينة رجالا ما سرتهم مسيرا ولا قطعتم وادياً إلا كانوا معكم» قالوا: وهم بالمدينة؟ قال: «وهم بالمدينة، حبسهم العذر»^(٤).

(١) س، ب: مبايعة.

(٢) ن: والناقض مع الناقص؛ س: والناقص مع الناقص. والكلمتان غير منقطعتين في (م).

(٤) الحديث عن أنس بن مالك رضي الله عنه في: البخاري ٢٦/٤ (كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الغزو)؛ سنن أبي داود ١٧/٣-١٨ (كتاب الجهاد، باب في الرخصة في القعود من العذر)؛ سنن ابن ماجه ٩٢٣/٢ (كتاب الجهاد، باب من حبسه العذر عن الجهاد)؛ المسند (ط. الحلبي) ١٠٣/٣، ١٦٠، ٣٠٠، ٣٤١. وجاء حديث آخر بالفاظ مقاربة عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه في: مسلم ٥١٨/٣ (كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر)؛ سنن ابن ماجه (في الموضع السابق).

فهؤلاء بقلوبهم كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه الغزاة،
فلهم معنى صحبته في الغزاة، فالله معهم بحسب تلك الصحبة
المعنوية.

ولو انفرد الرجل [فى] ^(١) بعض الأمصار والأعصار بحق جاء به
الرسول، ولم تنصره الناس عليه، فإن الله معه، وله نصيب ^(٢) من قوله:
﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي
الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [سورة التوبة : ٤٠]؛ فإن نصر
الرسول هو نصر دينه الذى جاء به حيث كان، ومتى كان. ومن وافقه فهو
صاحبه عليه / فى المعنى، فإذا قام به ذلك الصاحب كما أمر الله، /
فإن الله مع ما جاء به الرسول، ومع ذلك القائم به.

ص ٣٨٥
٢٧٢ / ٤

وهذا المتبع له حسب الله، وهو حسب الرسول. كما قال تعالى:
﴿حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الأنفال : ٦٤].

﴿فصل﴾

وأما قول الرافض: «إن القرآن حيث ذكر إنزال السكينة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم شرك معه المؤمنين إلا فى هذا
الموضع، ولا نقص أعظم منه».

قول الرافض:
إن إنزال
السكينة على
الرسول صلى الله
عليه وسلم
وحده يعنى
نقصه.

(١) فى: ساقطة من (ن)، (م)، (س).

(٢) ن، م: وله عبره (غير منقوطة) وفي (س) بياض مكان كلمة (عبره).

فالجواب: أولاً^(١): أن هذا يوهم أنه^(٢) ذكر ذلك في مواضع متعددة،

وليس كذلك، بل لم يذكر ذلك إلا في قصة حنين.

كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّذَبِّرِينَ ۚ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [سورة التوبة: ٢٥، ٢٦] فذكر إنزال السكينة على الرسول والمؤمنين، بعد أن ذكر توليتهم^(٣) مذبرين.

وقد ذكر إنزال السكينة على المؤمنين وليس معهم الرسول في قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحاً مُّبِيناً﴾ [سورة الفتح: ١] إلى قوله: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الفتح: ٤] الآية، وقوله: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾ [سورة الفتح: ١٨].

ويقال: ثانياً: الناس قد تنازعوا في عود الضمير في قوله تعالى: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [سورة التوبة: ٤٠]. فمنهم من قال: إنه عائد إلى النبي صلى الله عليه وسلم. ومنهم من قال: إنه عائد إلى أبي بكر، لأنه أقرب المذكورين، ولأنه كان محتاجاً إلى إنزال السكينة، [فأنزل السكينة]^(٤) عليه، كما أنزلها على المؤمنين الذين بايعوه تحت الشجرة.

(١) أولاً: ساقطة من (س)، (ب).

(٢) ن، س: يوهم أن؛ م: وهم أن. والمثبت من (ب).

(٣) م: ثم ان ذكر توليتهم...

(٤) عبارة «فأنزل السكينة»: ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

والنبي صلى الله عليه وسلم كان مستغنيا عنها في هذه الحال^(١) لكمال طمأنينته، بخلاف إنزالها يوم حنين، فإنه كان محتاجا إليها لانهزام جمهور أصحابه، وإقبال العدو نحوه^(٢)، وسوقه ببغلة إلى العدو.

وعلى القول الأول يكون الضمير عائداً إلى النبي صلى الله عليه وسلم، كما عاد الضمير إليه في قوله: ﴿وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [سورة التوبة: ٤٠] ولأن سياق الكلام كان في ذكره، وإنما ذكر صاحبه ضمناً وتبعاً.

لكن يقال: على هذا لما قال لصاحبه^(٣): (إن الله معنا)، والنبي صلى الله عليه وسلم هو المتبوع المطاع، وأبو بكر تابع مطيع، وهو صاحبه، والله معهما، فإذا حصل^(٤) للمتبوع في هذه الحال سكينته وتأيد، كان ذلك للتابع أيضاً بحكم الحال، فإنه صاحب تابع لازم، ولم يحتاج أن يذكر هنا أبو بكر لكمال الملازمة والمصاحبة، التي توجب مشاركة النبي صلى الله عليه وسلم في التأيد.

بخلاف حال المنهزمين يوم حنين، فإنه لو قال: فأنزل الله سكينته على رسوله، وسكت، لم يكن في الكلام ما يدل على نزول السكينة عليهم، لكونهم بانهزامهم فارقوا الرسول، ولكونهم لم يثبت لهم من الصحبة المطلقة التي تدل على كمال الملازمة ما ثبت لأبي بكر.

(٢) م: وقتال العدو بحدده.

(٤) ن، م: فإذا يحصل.

(١) الحال: ساقطة من (س)، (ب).

(٣) ن، م، س: لما قال له صاحبه.

وأبويكر لما وصفه بالصحة المطلقة الكاملة، ووصفها في أحق^(١) الأحوال أن يفارق صاحب فيها صاحبه، وهو حال شدة الخوف، كان هذا دليلاً بطريق الفحوى على أنه صاحبه وقت النصر والتأييد؛ فإن من كان صاحبه في حال الخوف الشديد، فلأن يكون صاحبه في حال حصول^(٢) النصر والتأييد أولى وأحرى، فلم يحتج أن يذكر صحبته له في هذه الحال، لدلالة الكلام والحال عليها.

وإذا علم أنه صاحبه في هذه الحال، علم أن ما حصل للرسول من إنزال السكينة والتأييد بإنزال الجنود التي لم يرها الناس، لصاحبه المذكور فيها أعظم مما لسائر الناس. وهذا من بلاغة القرآن وحسن بيانه.

وهذا كما في قوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [سورة التوبة: ٦٢]^(٣) فإن الضمير^(٤) [في قوله: (أحق أن يرضوه)] "إن عاد إلى الله، فإن رضاه لا يكون إلا بإرضاء الرسول، وإن عاد إلى الرسول، فإنه لا يكون إرضاه إلا بإرضاء الله، فلما كان إرضاهما لا يحصل أحدهما إلا مع الآخر، وهما يحصلان* بشيء واحد، والمقصود بالقصد الأول إرضاء الله، وإرضاء الرسول تابع، وحّد الضمير في قوله: (أحق أن يرضوه) وكذلك وحّد الضمير في قوله: (فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها) لأن نزول ذلك على أحدهما يستلزم مشاركة الآخر له، إذ محال

(١) ن، س: في حق، وهو تحريف.

(٢) م: .. أن ترضوه.

(٣) س، ب: حضور.

(٤) (•••) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٤-٤) : زيادة في (م).

أن ينزل^(١) / ذلك على صاحب دون المصحوب، أو على المصحوب دون صاحب الملازم^(٢)، فلما كان لا يحصل ذلك إلا مع الآخر وحّد الضمير، وأعادته إلى الرسول، فإنه هو المقصود، والصاحب تابع له.

ولو قيل: فأنزل السكينة عليهما وأيدهما، لأوهم أن أبا بكر شريك في النبوة، كهارون مع موسى، حيث قال: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلَ لَكُمَا سُلْطَانًا﴾ الآية [سورة القصص: ٣٥]، وقال: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ . وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ . وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ . وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [سورة الصافات: ١١٤ - ١١٨]، فذكرهما أولاً وقومهما فيما يشركونهما^(٣) فيه.

كما قال: ﴿فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة الفتح: ٢٦]، إذ ليس في الكلام ما يقتضى حصول النجاة والنصر لقومهما إذا نصرا ونجيا، ثم فيما يختص بهما ذكرهما بلفظ التثنية إذا كانا شريكين في النبوة، لم يفرد موسى كما أفرد الرب نفسه بقوله: ﴿وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضَوْهُ﴾ [سورة التوبة: ٦٢] / ، وقوله: ﴿أَحَبُّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ [سورة التوبة: ٢٤].

ظ ٣٨٥

فلو قيل: أنزل الله سكينته عليهما وأيدهما، لأوهم الشركة، بل عاد الضمير إلى الرسول المتبوع، وتأييده تأييد لصاحبه التابع له الملازم بطريق الضرورة.

(٢) ن، م، س: اللازم.

(١) م: أو محال أن يقول...

(٣) م: يشركوهما، ب: يشاركونها.

ولهذا لم يُنصر النبي صلى الله عليه وسلم قط^(١) في موطن إلا كان أبو بكر رضى الله عنه أعظم المنصورين بعده، ولم يكن أحد من الصحابة أعظم يقينا وثباتا في المخاوف منه. ولهذا قيل: لو وُزن إيمان أبى بكر بإيمان أهل الأرض لرجح.

كما في السنن عن أبى بكر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» فقال رجل: أنا رأيت كأن ميزانا نزل من السماء، فوزنت أنت وأبو بكر، فرجحت أنت بأبى بكر، ثم وُزن أبو بكر وعمر، فرجح أبو بكر، ثم وُزن عمر وعثمان فرجح عمر، ثم رفع الميزان. فاستاء لها النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «خلافة نبوة، ثم يؤتى الله الملك من يشاء»^(٢).

وقال أبو بكر بن عياش: ما سبقهم أبو بكر بصلاة ولا صيام، ولكن بشيء وقر في قلبه.

﴿فصل﴾

قال الرافضي: «وأما قوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [سورة

كلام الرافضي
على قوله تعالى
وسيجنبها الاتقى

الليل: ١٧]، فإن المراد به أبو الدحداح حيث اشترى نخلة لشخص لأجل جاره، وقد عرض النبي صلى الله عليه وسلم على

(١) قط: ساقطة من (س)، (ب).

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ١/٤٩٠.

صاحب النخلة نخلة^(١) في الجنة، فسمع أبو الدحداح،
فاشترها ببستان له ووهبها الجار، فجعل النبي صلى الله عليه
وسلم له بستانا عوضها في الجنة».

الجواب من
وجوه
الوجه الأول

والجواب: أن يُقال: لا يجوز أن تكون هذه الآية مختصة بأبي
الدحداح دون أبي بكر، باتفاق أهل العلم بالقرآن وتفسيره وأسباب
نزوله، وذلك أن هذه^(٢) السورة مكية باتفاق العلماء. وقصة أبي الدحداح
كانت بالمدينة باتفاق العلماء؛ فإنه من الأنصار، والأنصار إنما صحبوه
بالمدينة، ولم تكن البساتين - وهي الحدائق التي تسمى بالحيطان - إلا
بالمدينة، فمن الممتنع أن تكون الآية لم تنزل إلا بعد قصة أبي
الدحداح^(٣)، بل إن كان قد قال بعض العلماء: إنها نزلت فيه، فمعناه

(١) نخلة: ساقطة من (م). (٢) س، ب: نزوله، وهذه...

(٣) قال ابن حجر في ترجمة أبي الدحداح (الإصابة ٥٩/٤ - ٦٠): «أبو الدحداح الأنصارى
حليف لهم. قال أبو عمر: لم أقف على اسمه ولا نسبه أكثر من أنه من الأنصار حليف لهم.
وقال البغوي: أبو الدحداح الأنصارى ولم يزد. وروى أحمد والبغوي والحاكم من طريق
حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رجلا قال: يا رسول الله: إن لفلان نخلة وأنا أقيم
حائطي بها، فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها. فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم:
«اعطه إياها بنخلة في الجنة» فأبى. قال: فأتاه أبو الدحداح، فقال له: بعني نخلتك
بحائطي. قال: ففعل. فأتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: يا رسول الله ابتعت
النخلة بحائطي فأجعلها له فقد اعصيتكها. فقال: «كم من عذق رداح لأبي الدحداح في
الجنة» قالها مرارا... إلخ... ثم قال ابن حجر: «وأخرج ابن منده من طريق عبد الله بن
الحارث عن ابن مسعود: لما نزلت (من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له) فقال
أبو الدحداح: يا رسول الله والله يُريد منا القرض؟ قال: «نعم» الحديث، وفيه ذكر
ما تصدق به.

أنه ممن دخل في الآية ، وممن شمله حكمها وعمومها ، فإن كثيرا ما يقول بعض الصحابة والتابعين : «نزلت هذه الآية في كذا» ويكون المراد بذلك أنها دلت على هذا الحكم وتناولته ، وأريد بها هذا الحكم .
ومنهم من يقول : بل قد تنزل^(١) الآية مرتين : مرة لهذا السبب ، ومرة لهذا السبب .

فعلى قول هؤلاء يمكن أنها نزلت مرة ثانية في قصة أبي الدحداح ،
«ولا فلا خلاف بين أهل العلم أنها نزلت بمكة قبل أن يسلم أبو الدحداح» ، وقبل أن يهاجر النبي صلى الله عليه وسلم .
وقد ذكر غير واحد من أهل العلم أنها نزلت في قصة أبي بكر . فذكر ابن جرير في تفسيره بإسناده عن عبد الله بن الزبير وغيره أنها نزلت في أبي بكر^(٢) .

وكذلك ذكره^(٣) ابن أبي حاتم - والثعلبي - أنها نزلت في أبي بكر عن عبد الله وعن سعيد بن المسيب^(٤) .

وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره : حدثنا أبي ، حدثنا محمد بن أبي عمر العدني ، حدثنا سفيان ، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه ، قال : أعتق أبو بكر سبعة كلهم يعذب في الله : / بلالا ، وعامر بن فهيرة ، والنهدية ،

٢٧٤ / ٤

(١) م : قد نزلت .

(٢-٢) : ساقط من (س) ، (ب) .

(٣) انظر تفسير الطبري (ط . بولاق) ١٤٦/٣٠ .

(٤) ب : ذكر .

(٥) انظر : الدر المنثور ٦/٣٥٩ - ٣٦٠ ؛ تفسير القرطبي ٢٠/٨٨ - ٨٩ .

وابتعتها^(١)، وزنيّرة، وأم عميس، وأمة بنى المؤمل. قال سفيان: فأما زنيّرة فكانت رومية، وكانت لبنى عبدالدار، فلما أسلمت عميت، فقالوا: أعمتها اللات والعزى. قالت: فهي كافرة باللات والعزى، فردّ الله إليها بصرها. وأما بلال فاشتراه وهو مدفون فى الحجارة، فقالوا: لو أبيت إلا أوقية لبعناكه. فقال أبو بكر: لو أبيتم إلا مائة أوقية لأخذته. قال: وفيه نزلت: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [سورة الليل: ١٧] إلى آخر السورة.

وأسلم وله أربعون ألفاً، فأنفقها فى سبيل الله. ويدل على أنها نزلت فى أبى بكر وجوه:

نزلت الآية فى
الصديق من
وجوه
الأول

أحدها: أنه قال: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات: ١٣] فلا بد أن يكون أتقى الأمة داخلاً فى هذه الآية، وهو أكرمهم عند الله، ولم يقل أحد: إن أبا الدحداح ونحوه أفضل وأكرم من السابقين الأولين من المهاجرين: أبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، وغيرهم. بل الأمة كلهم - سنيهم وغير سنيهم - متفقون على أن هؤلاء وأمثالهم من المهاجرين أفضل من أبى الدحداح، فلا بد أن يكون الأتقى، الذى يؤتى ماله يتزكى، فيهم.

وهذا القائل قد ادعى أنها نزلت فى أبى الدحداح، فإذا كان القائل قائلين: قائل يقول: نزلت فيه، وقائل يقول: نزلت فى أبى بكر، كان هذا القائل هو الذى يدل القرآن على قوله. وإن قُدّر عموم الآية لهما، فأبو بكر أحق بالدخول فيها من أبى الدحداح.

(١) س: وابنيها. والكلمة غير منقوطة فى (ن).

وكيف^(١) لا يكون كذلك، وقد ثبت في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما نفعني مال قط كمال أبي بكر»^(٢)! فقد نفى عن جميع [مال]^(٣) الأمة أن ينفعه كنفع مال أبي بكر، فكيف تكون تلك الأموال^(٤) المفضولة دخلت في الآية، والمال الذي هو أنفع الأموال له لم يدخل فيها؟!.

الوجه الثاني

الوجه الثاني: أنه إذا كان الأتقى هو الذي يؤتى ماله [يتزكى]^(٥)، وأكرم الخلق أتقاهم، كان هذا أفضل الناس. والقولان المشهوران في هذه الآية: قول أهل السنة أن أفضل الخلق أبو بكر، وقول الشيعة على، فلم يجز أن يكون الأتقى الذي هو أكرم الخلق على الله واحداً غيرهما، وليس منهما^(٦) واحد يدخل في الأتقى، / وإذا ثبت أنه لا بد من دخول أحدهما في «الأتقى» وجب أن يكون أبو بكر داخلاً في الآية، ويكون أولى بذلك من على لأسباب:

ص ٣٨٦

أبو بكر أولى بالدخول في الآية للأسباب

الأول

أحدها: أنه قال: ﴿الَّذِي يُؤْتَى مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [سورة الليل: ١٨]. وقد ثبت في النقل المتواتر - في الصحاح وغيرها - أن أبا بكر أنفق ماله، وأنه مقدّم في ذلك على جميع الصحابة. كما ثبت في الحديث الذي رواه البخاري عن ابن عباس، قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقه، فقعده على المنبر، فحمد الله

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢١/٥.

(٤) م، ب: الأمور، وهو تحريف.

(٦) ن، م، س: فيهما.

(١) س، ب: فكيف.

(٣) مال: زيادة في (ب).

(٥) يتزكى: زيادة في (م).

وأثنى عليه، ثم قال: «إنه ليس من الناس أحدٌ آمنٌ علىَّ [فى]»^(١) نفسه وماله من أبى بكر بن أبى قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سددوا عني كل خوخة فى هذا المسجد إلا خوخة أبى بكر»^(٢).

وفى الصحيحين عنه أنه قال صلى الله عليه وسلم: «إن آمنَّ الناس فى صحبته وماله أبوبكر». وفى البخارى عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله بعثنى إليكم، فقلت: كذبت. وقال أبوبكر: صدقت، وواسانى بنفسه وماله، فهل أنتم تاركولى صاحبى؟» مرتين^(٣) فما أودى بعدها»^(٤).

وفى الصحيحين عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما نفعنى مال قط ما نفعنى مال أبى بكر» فبكى أبوبكر وقال: هل أنا ومالى إلا لك يا رسول الله؟»^(٥).

وعن عمر قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً عندى، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر، إن سبقته يوماً. فجئت بنصف مالى. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك؟» قلت: مثله. وجاء أبوبكر بماله كله. فقال له النبى صلى الله

(١) عليّ: ساقطة من (م)، في: ساقطة من (ن)، (س).

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى فى عدة مواضع. انظر ١/٥١٢.

(٣) مرتين: ساقطة من (س)، (ب).

(٤) سبق هذا الحديث من قبل فى هذا الجزء.

(٥) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢١/٥.

عليه وسلم : « ما أبقيت لأهلك ؟ » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، فقلت : لا أسابقك إلى شيء أبدا » رواه أبو داود والترمذي وصححه^(١) .

فهذه النصوص الصحيحة المتواترة الصريحة تدل على أنه كان من أعظم الناس إنفاقاً لماله / فيما يرضى الله ورسوله .

٢٧٥ / ٤

وأما عليّ فكان النبي صلى الله عليه وسلم يموّنه لما أخذه من أبي طالب لمجاعة حصلت بمكة ، وما زال عليّ فقيراً حتى تزوّج بفاطمة وهو فقير . وهذا مشهور معروف عند أهل السنة والشيعة ، وكان في عيال النبي صلى الله عليه وسلم ، لم يكن له ما ينفقه ، ولو كان له مال لأنفقه ، لكنه كان منفقاً عليه لا منفقاً .

الثاني

السبب الثاني : قوله : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ [سورة الليل : ١٩] وهذه لأبي بكر دون عليّ ، لأن أبا بكر كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنده نعمة الإيمان أن^(٢) هداه الله به ، وتلك النعمة^(٣) لا يجزى بها الخلق ، بل أجر الرسول فيها على الله ، كما قال تعالى : ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴾ [سورة صر : ٨٦] ، وقال : ﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنَّ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ ﴾ [سورة سبا : ٤٧] .

وأما النعمة التي يُجزى بها الخلق فهي نعمة الدنيا ، وأبو بكر لم تكن للنبي صلى الله عليه وسلم عنده نعمة الدنيا ، بل نعمة دين ، بخلاف عليّ ، فإنه كان للنبي صلى الله عليه وسلم عنده نعمة دنيا يمكن أن تُجزى .

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٢/٢ .

(٢) م : نعمة .

(٣) م : إذ .

الثالث: أن الصديق لم يكن بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم سبب^(١) يواليه لأجله، ويخرج ماله، إلا الإيمان، ولم ينصره كما نصره أبوطالب لأجل القرابة، وكان عمله كاملاً في إخلاصه لله تعالى، كما قال: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى • وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [سورة الليل: ٢٠، ٢١].

وكذلك خديجة كانت زوجته، والزوجة قد تنفق مالها على زوجها، وإن كان دون النبي صلى الله عليه وسلم.

وعلى لو قدر أنه أنفق، لكان قد^(٢) أنفق على قريبه، وهذه أسباب قد يُضاف الفعل إليها، بخلاف إنفاق أبي بكر، فإنه لم يكن له سبب إلا الإيمان بالله وحده، فكان من أحق المتقين بتحقيق قوله: ﴿إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾، وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى • الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى • وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى • إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [سورة الليل: ١٧ - ٢٠] استثناء منقطع، والمعنى: لا يقتصر في العطاء على من له عنده نعمة يكافئه بذلك^(٣)، فإن هذا من باب العدل الواجب للناس بعضهم على بعض، بمنزلة المعاوضة في المبايعة والمؤاجرة، وهو واجب لكل أحد على أحد، فإذا لم يكن لأحد عنده نعمة تُجْزَى لم يحتج إلى هذه المعاوضة، فيكون عطاؤه خالصاً لوجه ربه الأعلى، بخلاف من كان عنده لغيره نعمة يحتاج أن يجزيه بها، فإنه يحتاج أن

(٢) قد: ساقطة من (س)، (ب).

(١) ن، م، س: عنده سبب...

(٣) ن، م: لذلك.

يعطيه مجازاة على ذلك .

وهذا الذي ما لأحدٍ عنده من نعمة تُجزى إذا أعطى ماله يتزكى في معاملته للناس ^(١) دائماً ^(٢) يكافئهم ويعاوضهم ويجازيهم ، فحين إعطائه ماله يتزكى ، لم يكن لأحد عنده من نعمة تجزى .

وفيه أيضاً ما يبيّن أن الفضل بالصدقة لا يكون إلا بعد أداء الواجب من المعاوضات ، كما قال تعالى : ﴿وَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾ [سورة البقرة : ٢١٩] ، فَمَنْ عَلَيْهِ ديون من أثمان وقرض ^(٣) وغير ذلك ، فلا يقدّم الصدقة على قضاء هذه الواجبات ، ولو فعل ذلك : فهل تردّ صدقته ؟ ^(٤) على قولين معروفين للفقهاء ، فهذه الآية يحتج بها من تردّ صدقته . لأن الله تعالى إنما أثنى على من آتى ماله يتزكى وما لأحدٍ عنده من نعمة تجزى ، فإذا كان عنده نعمة تُجزى ، فعليه أن يجزى بها ^(٥) قبل أن يؤتى ماله يتزكى ، فإذا آتى ماله يتزكى قبل أن يجزى بها ^(٦) لم يكن ممدوحاً ، فيكون عمله مردوداً ، لقوله صلى الله عليه وسلم : «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» ^(٧) .

(١) س : ب : في معاملة الناس . (٢) م : وإنما .

(٣) ن : إيمان وفرض ؛ م ، س : إيمان وقرض . والمثبت من (ب) .

(٤-٤) : ساقط من (س) ، (ب) . (٥) م : أن يجزيه بها .

(٦) م : قبل أن يجزيه بها .

(٧) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في : البخاري ١٨٤/٣ (كتاب الصلح ، باب إذا

اصطلحوا على صلح جور . . .) ، ٦٩/٥ (كتاب البيوع ، باب النجش) ، ١٠٧/٩ (كتاب

الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم) ؛ مسلم ١٣٤٤-١٣٤٣/٣

(كتاب الأقضية ، باب نقض الأحكام الباطلة ورد محدثات الأمور) ؛ سنن أبي داود ٢٨٠/٤

الرابع : أن هذه الآية إذا قُدِّر أنه دخل فيها من دخل من الصحابة ، / فأبو بكر أحق الأمة بالدخول فيها ، فيكون هو الأتقى من هذه الأمة ، *فيكون أفضلهم . وذلك لأن الله تعالى وصف الأتقى بصفات أبو بكر أكمل فيها من جميع الأمة* ، وهو قوله : ﴿الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ ، وقوله : ﴿وَمَا لَاحِدٍ عِنْدَهُ مِنْ نُّعْمَةٍ تُجْزَى . إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [سورة الليل : ١٨ - ٢٠] .

أما إيتاء المال فقد ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أن إنفاق أبي بكر أفضل من إنفاق غيره ، وأن معاونته له بنفسه وماله أكمل من معاونته غيره^(١) .

وأما ابتغاء النعمة التي تُجْزَى ، فأبو بكر لم يطلب من النبي صلى الله عليه وسلم مالا قط ، ولا حاجة دنيوية ، وأنه كان يطلب منه العلم ، لقوله الذي ثبت في الصحيحين أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : «عَلَّمَنِي دَعَاءً أَدْعُوهُ فِي صَلَاتِي . فَقَالَ : «قُل : اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ / نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ ، فَاعْفُ رُحْمَتِي مِنْ عِنْدِكَ ، وَارْحَمْنِي ،

٢٧٦ / ٤

== (كتاب السنة ، باب في لزوم السنة) ؛ سنن ابن ماجه ٧/١ (المقدمة ، باب تعظيم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والتغليظ على من عارضه) ؛ المسند (ط . الحلبي) ١٤٦/٦ . وسبق هذا الحديث بمعناه ويلفظ : «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» في الجزء السابق (٥٤٠/٧)

(*) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(١) وهو قوله صلى الله عليه وسلم : «ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر» وسبق هذا الحديث فيما مضى ٢١/٥ ، وقوله صلى الله عليه وسلم : «إِنْ آمَنَ النَّاسُ عَلَيْنَا فِي صَحْبَتِهِ وَذَاتِ يَدِهِ أَبُو بَكْرٍ» وسبق هذا الحديث فيما مضى ٥١٢/١ .

إنك أنت الغفور الرحيم»^(١).

ولا أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم عليه وسلم مالا يخصه به قط، بل إن حضر غنيمة كان كآحاد الغانمين. وأخذ النبي صلى الله عليه وسلم ماله كله، وأما غيره من المنفقين - من الأنصار وبنى هاشم - فقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطيهم ما لا يُعطى غيرهم، فقد أعطى بنى هاشم وبنى المطلب من الخمس ما لم يعط^(٢) غيرهم، واستعمل عمر وأعطاه عمالة. وأما أبوبكر فلم يعطه شيئا، فكان أبعد الناس من النعمة التي تُجزى، وأولاهم بالنعمة التي لا تجزى.

وأما إخلاصه في ابتغاء وجه ربه الأعلى، فهو أكمل الأمة في ذلك. فعلم أنه أكمل من تناولته الآية في الصفات المذكورة.

كما أنه أكمل من تناوله قوله: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [سورة الزمر: ٣٣].

وقوله: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [سورة الحديد: ١٠].

(١) الحديث عن عبد الله بن عمرو عن أبي بكر الصديق رضي الله عنهما في: البخاري ١٦٦/١ (كتاب الأذان، باب الدعاء قبل السلام)؛ ٧٢/٨ (كتاب الدعوات، باب الدعاء في الصلاة)، ١١٨/٩ (كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: وكان الله سميعا بصيرا)؛ مسلم ٢٠٧٨/٤ (كتاب الذكر والدعاء...، باب استحباب خفض الصوت بالذكر) والحديث في سنن الترمذي والنسائي وابن ماجه ومسنده أحمد.

(٢) ن، س، ب: مالا يعطى..

وقوله : ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾ [سورة التوبة : ١٠٠] ، وأمثال ذلك من الآيات التي فيها مدح المؤمنين من هذه الأمة . فابوبكر أكمل الأمة في الصفات التي يمدح الله بها المؤمنين ، فهو أولاهم بالدخول فيها^(١) ، وأكمل من دخل فيها ، فعلم أنه أفضل الأمة .

﴿فصل﴾

قال الرافض^(٢) : «وأما قوله تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ﴾ [سورة الفتح : ١٦]^(٣) فإنه أراد الذين تخلّفوا عن الحديبية . والتمس هؤلاء أن يخرجوا إلى غنيمة خيبر ، فمنعهم الله تعالى بقوله : ﴿قُلْ لَنْ تَبْعُونَا﴾ [سورة الفتح : ١٥] ، لأنه تعالى جعل غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية . ثم قال تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأَسْرِ شَدِيدٍ﴾ [سورة الفتح : ١٦] وقد دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى غزوات كثيرة^(٤)

كلام الرافضي
على قوله تعالى :
قل للمخلفين
من الأعراب . .
الآية

(١) فيها : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٢) سبق لإيراد هذا الكلام من قبل () ، وهو في (ك) ص ١٩٩ (م) - ٢٠٠ .

(٣) .

(٤) في (ك) - كما ذكرت من قبل - : سيقول لك المخلفون من الأعراب استدعون إلى قوم أولى بأس شديد ، وهو خطأ .

(٤) ك : ثم قال : (قل للمخلفين من الأعراب استدعون) [سورة الفتح : ١٦] يريد الله تعالى أنه استدعوك فيما بعد إلى قتال قوم أولى بأس شديد ، وقد دعاهم النبي صلى الله عليه وآله إلى غزاة كثيرة . . . إلخ وانظر ما سبق .

كموتة وحُنين وتبوك وغيرها، وكان الداعي رسول الله صلى الله عليه وسلم. وأيضاً جاز أن يكون علياً حيث قاتل الناكثين والقاسطين والمارقين، وكان رجوعهم إلى طاعته إسلاماً، لقوله صلى الله عليه وسلم: «يا علي حربك حربى، وحرب^(١) رسول الله صلى الله عليه وسلم كفر».

الجواب

فالجواب: أما الاستدلال بهذه الآية على خلافة الصديق ووجوب طاعته، فقد استدل بها طائفة من أهل العلم، منهم الشافعى والأشعرى وابن حزم وغيرهم. واحتجوا بأن الله تعالى قال: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذِنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ الآية [سورة التوبة: ٨٣] قالوا: فقد أمر الله رسوله أن يقول لهؤلاء: لن تخرجوا معي أبداً، ولن تقاتلوا معي عدواً، فعلم أن الداعى لهم إلى القتال ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجب أن يكون من بعده، وليس إلا أبا بكر^(٢)، ثم عمر، ثم عثمان: الذين دعوا الناس إلى قتال فارس والروم وغيرهم، أو يسلمون، حيث قال: (تقاتلونهم أو يسلمون).

وهؤلاء جعلوا المذكورين فى سورة «الفتح» هم المخاطبين فى سورة «براءة» ومن هنا صار فى الحجة نظر؛ فإن الذين فى سورة «الفتح» هم الذين دُعوا زمن الحديبية ليخرجوا مع النبى صلى الله عليه وسلم، لما

(١) ك: حربى وسلمك سلمى، وحرب..

(٢) ن، م، س: وليس إلا أبو بكر..

أراد أن يذهب إلى مكة، وصده المشركون وصالحهم عام حينئذ بالحديبية^(١)، وبايعه المسلمون تحت الشجرة.

وسورة الفتح نزلت في هذه القصة، وكان ذلك العام عام ست من الهجرة بالاتفاق. وفي ذلك نزل قوله: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦]، وفيها نزلت فدية الأذى في كعب بن عجرة، وهى قوله^(٢): ﴿فَفِدْيَةٌ مِّن صِّيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [سورة البقرة: ١٩٦]، ولما رجع النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة خرج إلى خيبر، ففتحها الله على المسلمين فى أول سنة سبع، وفيها أسلم أبو هريرة، وقدم جعفر وغيره من مهاجرة الحبشة، ولم يسهم النبي صلى الله عليه وسلم لأحد ممن شهد خيبر، إلا لأهل الحديبية الذين بايعوا تحت الشجرة، إلا أهل السفينة الذين قدموا مع جعفر، وفي ذلك نزل^(٣) قوله: ﴿سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ قُل لَّنْ تَتَّبِعُونَا كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا﴾ [سورة الفتح: ١٥] إلى قوله: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسَلِّمُونَ﴾ [سورة الفتح: ١٦]، وقد دعا الناس بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة عام ثمان من الهجرة، وكانت خيبر سنة سبع، ودعاهم عقب الفتح إلى / قتال هوازن بحنين، ثم حاصر الطائف سنة ثمان، وكانت هى آخر الغزوات التى قاتل فيها رسول الله صلى الله عليه

٢٧٧ / ٤

ص ٢٨٧

(١) م: وصالحهم عام الحديبية.

(٢) ن، م، س: ... بن عجرة وقوله...

(٣) ن، س: نزول.

وسلم، وغزا تبوك سنة تسع، لكن لم يكن فيها قتال: غزا فيها النصارى بالشام، وفيها أنزل الله^(١) سورة براءة، وذكر فيها المخلفين الذين قال فيهم: ﴿فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ [سورة التوبة: ٨٣].

وأما موثة فكانت سرية قال فيها النبي صلى الله عليه وسلم: «أميركم زيد، فإن قتل فجعفر، فإن قتل فعبدا لله بن رواحة»^(٢) وكانت بعد عمرة القضية وقبل فتح مكة، فإن جعفرا حضر عمرة القضية، وتنازع هو وعلى وزيد فى بنت حمزة، وقضى بها النبي صلى الله عليه وسلم لأسماء امرأة جعفر خالة البنت، وقال: «الخالة بمنزلة الأم»^(٣)، ولم يشهد زيد ولا جعفر ولا ابن رواحة فتح مكة، لأنهم استشهدوا قبل ذلك فى غزوة موثة. وإذا عُرف هذا فوجه الاستدلال من الآية أن يقال: قوله تعالى: ﴿سَتَدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بِأُسِّ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [سورة الفتح: ١٦] يدل على أنهم متصفون بأنهم أولو بأس شديد، وبأنهم يقاتلون أو يسلمون. قالوا: فلا يجوز أن يكون دَعَاهُمْ^(٤) إلى قتال أهل مكة وهوازن عقيب عام الفتح، لأن هؤلاء هم الذين دعوا إليهم عام الحديبية، ومن لم يكن منهم فهو من جنسهم، ليس هو أشد بأسا منهم، كلهم عربٌ من أهل الحجاز، وقتالهم من جنس واحد، وأهل مكة ومن

(١) لفظ الجلالة غير موجود في (س)، (ب).

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٧٨/٤.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٣٤/٤.

(٤) ن، س، ب: أن يكون دعاءهم، وهو خطأ. والمثبت من (م).

حولها كانوا أشد بأساً وقتالاً للنبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه يوم بدر وأحد والخندق من أولئك، وكذلك في غير ذلك من السرايا.

فلا بد أن يكون هؤلاء الذين تقع الدعوة إلى قتالهم لهم اختصاص بشدة البأس ممن دعوا إليه عام الحديبية. كما قال تعالى: ﴿أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة الفتح : ١٦]. وهنا صنفان : أحدهما : بنو الأصفر الذين دُعوا إلى قتالهم عام تبوك سنة تسع ، فإنهم أولو بأس شديد ، وهم أحق بهذه الصفة من غيرهم ، وأول قتال كان معهم عام مؤتة ، عام ثمانٍ قبل تبوك ، فقتل فيها أمراء المسلمين : زيد ، وجعفر ، وعبدالله بن رواحة ، ورجع المسلمون كالمنهزمين .

ولهذا قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم لما رجعوا : نحن الفرّارون . فقال : «بل أنتم العكّارون ، أنا فتكم وفئة كل مسلم»^(١).

ولكن قد عارض بعضهم هذا بقوله ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [سورة الفتح : ١٦] ، وأهل الكتاب يقاتلون حتى يعطوا الجزية ، فتأول الآية طائفة أخرى في المرتدّين ، الذين قاتلهم الصديق ، أصحاب مسيلمة الكذاب ، فإنهم كانوا أولى بأس شديد ، ولقى المسلمون في قتالهم شدة

(١) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما في : سنن أبي داود ٦٣/٣ (كتاب الجهاد ، باب في التولّي يوم الزحف) ؛ سنن الترمذي ١٣٠/٣ (كتاب الجهاد ، باب ما جاء في الفرار من الزحف) ؛ المسند (ط . المعارف) ٧/٢٣٤ . وقال الترمذي في تعليقه : «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث يزيد بن أبي زياد . . . ومعنى قوله : بل أنتم العكّارون ، والعكّار الذي يفر إلى إمامه لينصره ، ليس يريد الفرار من الزحف» . وصحح الشيخ أحمد شاكر الحديث (وانظر تعليقه).

عظيمة، واستحرَّ القتل يومئذ بالقرء^(١)، وكانت من أعظم الملاحم التي بين المسلمين وعدوهم، والمرتدّون يقاتلون أو يسلمون، لا يُقبل منهم جزية، وأول من قاتلهم الصديق وأصحابه، فدل على وجوب طاعته في الدعاء إلى قتالهم.

والقرآن يدل - والله أعلم - على أنهم يُدعون إلى قومٍ موصوفين بأحد الأمرين: إما مقاتلتهم لهم، وإما إسلامهم، لا بد من أحدهما، وهم أولو بأس شديد. وهذا بخلاف من دعوا إليه عام الحديبية، فإنهم لم يوجد منهم لا هذا ولا هذا، ولا أسلموا، بل صالحهم الرسول بلا إسلام ولا قتال، فبيّن القرآن الفرق بين من دُعوا إليه عام الحديبية، وبين من يدعون إليه بعد ذلك.

ثم إذا فرض^(٢) عليهم الإجابة والطاعة إذا دُعوا إلى قوم أولى بأس شديد، فلأن يجب عليهم الطاعة إذا دُعوا إلى من ليس بذى بأس شديد بطريق الأولى والأحرى، فتكون الطاعة واجبة عليهم في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى مكة وهوازن وثقيف.

ثم لما دعاهم^(٣) بعد هؤلاء إلى بنى الأصفر كانوا أولى بأسٍ شديد، والقرآن قد وكّد الأمر في عام تبوك، وذمّ المتخلفين عن الجهاد ذمّاً عظيماً، كما تدل عليه سورة براءة. وهؤلاء وجد فيهم أحد / الأمرين: القتال أو الإسلام. وهو سبحانه لم يقل: ﴿تَقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [سورة

(١) ب: (فقط): بالقرء، وهو تحريف ظاهر.

(٢) م: عرض.

(٣) م: ثم لما دعواهم..

الفتح : ١٦] أى إلى أن يسلموا، ولا قال: قاتلوهم حتى يسلموا، بل وصفهم بأنهم يقاتلون أو يسلمون، ثم إذا قوتلوا فإنهم يقاتلون كما أمر الله حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون.

فليس فى قوله : (تقاتلونهم) ما يمنع أن يكون القتال إلى الإسلام وأداء الجزية . لكن يقال قوله : ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولَىٰ بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة الفتح : ١٦] كلام حُذِفَ فاعله ، فلم يَعيَّن الفاعل الداعى لهم إلى القتال ، فدلَّ القرآن على وجوب الطاعة لكل من دعاهم إلى قتال قومٍ أولىٰ بأس شديد يقاتلونهم أو يسلمون .

ولا ريب أن أبابكر دعاهم إلى قتال المرتدين ، ثم قتال فارس والروم . وكذلك عمر دعاهم إلى قتال فارس والروم ، وعثمان دعاهم إلى قتال البربر ونحوهم . والآية تتناول هذا الدعاء كله .

أما تخصيصها بمن دعاهم بعد النبى صلى الله عليه وسلم ، كما قاله^(١) طائفة من المحتجين بها على خلافة أبى بكر ، فخطأ . بل إذا قيل : تتناول هذا وهذا ، كان هذا مما يسوغ ، ويمكن أن يُراد بالآية^(٢) ويستدل عليه بها . ولهذا وجب قتال الكفار مع كل أمير دعا إلى قتالهم . وهذا أظهر الأقوال فى الآية ، وهو أن المراد : تدعون إلى قتال أولىٰ بأس شديد أعظم من العرب ، لا بد فيهم من أحد أمرين : إما أن يسلموا ، وإما أن يقاتلوا ، بخلاف من دُعا إليه / عام الحديدية ، فإن بأسهم لم يكن شديدا مثل هؤلاء ، ودعوا إليهم ، ففى ذلك لم يسلموا ولم يقاتلوا .

ظ ٣٨٧

(١) س ، ب : كما قال .

(٢) م : يراد به الآية .

وكذلك عام الفتح ، فى أول الأمر لم يسلموا ولم يقاتلوا، لكن بعد ذلك أسلموا.

وهؤلاء هم الروم والفرس ونحوهم ، فإنه لا بد من قتالهم إذا لم يسلموا. وأول الدعوة إلى قتال هؤلاء عام مؤتة وتبوك، وعام تبوك لم يقاتلوا النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسلموا، لكن فى زمن الصديق والفاروق كان لا بد من أحد الأمرين : إما الإسلام وإما القتال، وبعد القتال أدوا الجزية، لم يصلحوا ابتداءً كما صالح المشركون عام الحديبية، فتكون دعوة أبى بكر وعمر إلى قتال هؤلاء داخلة فى الآية، وهو المطلوب.

والآية تدلّ على أن قتال على لم تتناوله الآية^(١)؛ فإن الذين قاتلهم لم يكونوا أولى بأس شديد أعظم من بأس أصحابه، بل كانوا من جنسهم، وأصحابه كانوا أشد بأساً.

وأيضاً فهم لم يكونوا يقاتلون أو يسلمون، فإنهم كانوا مسلمين. وما ذكره فى الحديث من قوله^(٢): «حربك حربى» لم يذكر له إسناداً، فلا يقوم به حجة، فكيف وهو كذب موضوع باتفاق أهل العلم بالحديث.

ومما يوضح الأمر أن النبى صلى الله عليه وسلم قبل نزول «براءة» وآية الجزية كان الكفار من المشركين وأهل الكتاب تارة يقاتلهم، وتارة يعاهدهم فلا يقاتلهم ولا يسلمون، فلما أنزل الله «براءة» وأمره فيها بنبذ

(١) ن، م: لم يتناول الآية.

(٢) ن، م، س: ومن ذكره فى الحديث وقوله..

العهد^(١) إلى الكفار، وأمره أن يقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، صار حينئذ مأموراً بأن يدعو الناس إلى قتال من لا بد من قتالهم أو إسلامهم^(٢)، وإذا قاتلهم قاتلهم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية، لم يكن له حينئذ أن يعاهدهم بلا جزية، كما [كان]^(٣) يعاهد الكفار من المشركين وأهل الكتاب، كما عاهد أهل مكة عام الحديبية، وفيها دعا الأعراب إلى قتالهم، وأنزل فيها سورة الفتح، وكذلك دعا المسلمين، وقال فيها: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [سورة الفتح : ١٦]، بخلاف هؤلاء الذين دعاهم إليهم عام الحديبية.

والفرق بينهما من وجهين : أحدهما : أن الذين يدعون إلى قتالهم في المستقبل أولو بأس شديد، بخلاف أهل مكة وغيرهم من العرب .
والثاني : أنكم تقاتلونهم أو يسلمون، ليس لكم أن تصالحوهم ولا تعاهدوهم بدون أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، كما قاتل أهل مكة وغيرهم . والقتال إلى أن يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون .
وهذا يبين أن هؤلاء أولى البأس^(٤) لم يكونوا ممن يعاهدون بلا جزية، فإنهم^(٥) يقاتلون أو يسلمون . ومن يعاهد بلا جزية له^(٦) حال ثالث : لا يقاتل فيها ولا يسلم، وليسوا أيضا من جنس العرب الذين / " قوتلوا قبل ذلك .

٢٧٨ / ٤

(٢) س، ب : قتالهم وإسلامهم .

(٤) م : أولى بأس شديد . . .

(٦) له : ساقطة من (م) .

(١) م : العهد .

(٣) كان : زيادة في (ب) .

(٥) ن، م، س : فإنه .

فتبين أن الوصف [لا] يتناول^(١) الذين قاتلوهم*بحنين وغيرهم؛ فإن هؤلاء بأسهم من جنس بأس أمثالهم من العرب الذين قوتلوا قبل ذلك . فتبين أن الوصف يتناول فارس والروم ، الذين أمر الله بقتالهم أو يسلمون ، وإذا قوتلوا [قبل ذلك]^(٢) فإنهم يقاتلون حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون .

وإذا قيل : إنه دخل ذلك في قتال المرتدين ، لأنهم يقاتلون أو يسلمون ، كان أوجه من أن يقال : المراد قتال أهل مكة وأهل حنين الذين قُوتلوا في حالٍ كان يجوز فيها مهادنة الكفار ، فلا يسلمون ولا يقاتلون ، والنبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وحنين كان بينه وبين كثير من الكفار عهود بلا جزية ، فأمضاها لهم ، ولكن لما أنزل الله «براءة» بعد ذلك عام تسع ، سنة غزوة تبوك ، بعث أبا بكر بعد تبوك أميراً على الموسم ، فأمره أن ينادى : أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان ، وأن من كان بينه وبين رسول الله عهد فعهد له إلى مدته ، وأردفه بعلَى يأمره بنبد العهود المطلقة ، وتأجيل من لا عهد له أربعة أشهر ، وكان آخرها شهر ربيع سنة عشر .

وهذه الحرم المذكورة في قوله : ﴿فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ الآية^(٣) [سورة التوبة : ٥] ، ليس المراد الحرم

(هـ) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(١) ن ، س : أن الوصف يتناول . . . ، وهو خطأ .

(٢) قبل ذلك : في (م) فقط .

(٣) كلمة «الآية» : ساقطة من (س) ، (ب) .

المذكورة في قوله: ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ [سورة التوبة: ٣٦]، ومن قال ذلك فقد غلط غلطا معروفا عند أهل العلم، كما هو مبسوط في موضعه.

ولما أمر الله بقتال أهل الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، أخذ النبي صلى الله عليه وسلم الجزية من المجوس، واتفق المسلمون على أخذها من أهل الكتاب والمجوس.

وتنازع العلماء في سائر الكفار على ثلاثة أقوال: فقليل: جميعهم يقاتلون بعد ذلك حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون إذا لم يسلموا. وهذا قول مالك.

وقيل: يُستثنى من ذلك مشركو العرب. وهو قول أبي حنيفة وأحمد في إحدى الروايتين عنه.

وقيل: ذلك مخصوص بأهل الكتاب، ومن له شبهة كتاب. وهو قول الشافعي وأحمد في رواية أخرى عنه.

والقول الأول والثاني متفقان في المعنى؛ فإن آية الجزية لم تنزل إلا بعد فراغ النبي صلى الله عليه وسلم من قتال مشركي العرب، فإن آخر غزواته للعرب كانت غزوة الطائف، وكانت بعد حنين، وحنين بعد فتح مكة، وكل ذلك سنة ثمان. وفي السنة التاسعة غزا النصاري عام تبوك، وفيها نزلت سورة «براءة» وفيها أمر / بالقتال حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون.

ص ٢٨٨

وكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا بعث أميراً على جيش أو سرية أمره أن يقاتلهم حتى يعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون، كما رواه مسلم

فى صحيحه^(١). وصالح النبى صلى الله عليه وسلم نصارى نجران على الجزية، وهم أول من آدى الجزية، وفيهم أنزل الله صدر سورة آل عمران. ولما كانت سنة تسع نفى المشركين عن الحَرَم، ونبذ العهود إليهم، وأمره الله تعالى أن يقاتلهم، وأسلم المشركون من العرب كلهم، فلم يبق مشرك معاهد لا بجزية ولا بغيرها^(٢)، وقبل ذلك كان يعاهدهم بلا جزية، فعدم أخذ الجزية منهم^(٣): هل كان لأنه لم يبق فيهم من يقاتل حتى يعطوا الجزية، بل أسلموا كلهم لما رأوا من حسن الإسلام وظهوره، وقبح ما كانوا عليه من الشرك، وأنفتهم من أن يؤتوا الجزية عن يد وهم صاغرون؟.

أولأن الجزية لا يجوز أخذها منهم، بل يجب قتالهم إلى الاسلام؟. فعلى الأول تُؤخذ من سائر الكفار، كما قاله أكثر الفقهاء، وهؤلاء يقولون: لما أمر بقتال أهل الكتاب حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم

(١) الحديث عن سليمان بن بريدة عن أبيه رضي الله عنه في مسلم ١٣٥٧/٣-١٣٥٨ (كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث...) ونصه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في خاصته... ثم قال: واغزوا باسم الله في سبيل... وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال (أو خلال) فإيتهم ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام... فإن هم أبوا فسلمهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم... الحديث. وهو في: سنن ابن ماجه ٩٥٣/٢-٩٥٤ (كتاب الجهاد، باب وصية الإمام)؛ المسند (ط. الحلبي) ٣٥٢/٥، ٣٥٨. وهو في سنن أبي داود وسنن الترمذي.

(٢) س، ب: فلم يبق معاهد بجزية ولا بغيرها.

(٣) ن، م، س: عنهم.

صاغرون، ونهى عن معاهدتهم بلا جزية، كما كان الأمر أولاً، وكان^(١) هذا تنبيهاً على أن من هو دونهم من المشركين أولى أن لا يهادن بغير جزية، بل يقاتل حتى يُعطوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون. ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم في المجوس: «سَنُوا بِهِمْ سَنَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ» وصالح أهل البحرين على الجزية، وفيهم مجوس. واتفق على ذلك خلفاؤه^(٢)، وسائر علماء المسلمين. وكان الأمر في أول الإسلام / أنه يقاتل الكفار ويهادنهم بلا جزية، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله قبل نزول «براءة»، فلما نزلت «براءة» أمره فيها بنبذ هذه العهود المطلقة، وأمره أن يقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية، فغيرهم أولى أن يُقاتلوا ولا يُعاهدوا.

وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرْمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ﴾، وقال:

(١) ن، س، ب: كان.

(٢) في الموطأ ٢٧٨/١ (كتاب الزكاة، باب جزية أهل الكتاب والمجوس) في الحديث رقم ٤١ عن ابن شهاب قال: بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ الجزية من مجوس البحرين وأن عمر بن الخطاب أخذها من مجوس فارس، وأن عثمان بن عفان أخذها من البربر. وفي حديث رقم ٤٢ أن عمر بن الخطاب ذكر المجوس، فقال: ما أدرى كيف أصنع في أمرهم؟ فقال عبدالرحمن بن عوف: أشهد لسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «سَنُوا بِهِمْ سَنَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ». وفي: البخاري ٩٦/٤ (كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب) أن عمر رضي الله عنه لم يأخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبدالرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر. وفي نفس الصفحة عن عمرو بن عوف الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيدة بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيته.

﴿فَإِنْ تَابُوا﴾ [سورة التوبة : ٥] ^(١) ولم يقل : قاتلوهم حتى يتوبوا .
 وقوله : «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله» ^(٢) حق ،
 فإن من قال : لا إله إلا الله لم يقاتل ^(٣) بحال ، ومن لم يقلها قُوتل حتى
 يعطى الجزية . وهذا القول هو المنصوص صريحاً عن أحمد ، والقول
 الآخر الذي قاله الشافعي ذكره الخِرَقِي في «مختصره» ^(٤) ووافقه عليه
 طائفة من أصحاب أحمد .

ومما يبيّن ذلك أن آية براءة لفظها يخص النصارى ، وقد اتفق
 المسلمون على أن حكمها يتناول اليهود والمجوس .
 والمقصود أنه لم يكن الأمر في أول الإسلام منحصراً بين أن يقاتلهم
 المسلمون وبين إسلامهم ، إذ كان هنا قسم ثالث ، وهو معاهدتهم ، فلما
 نزلت آية الجزية لم يكن بُدّ من القتال أو الإسلام ، والقتال إذا لم يسلموا
 حتى يعطوا الجزية ، فصار هؤلاء إما مقاتلين وإما مسلمين ، ولم يقل :
 تقاتلونهم أو يسلمون ، ولو كان كذلك لوجب قتالهم إلى أن يُسلموا ،

(١) س ، ب : (واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا) ؛ م : (واحصروهم) وقال : (فإن تابوا) . والمثبت من (ن) .

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ١ / ٧٥ - ٧٦ .

(٣) س ، ب : .. لا إله إلا الله حق لم يقاتل ..

(٤) ن ، س : الحرقى ؛ م : الحرقى ؛ ب : الحوفى . وهو أبو القاسم عمر بن الحسين بن عبد الله بن أحمد الحرقى من أئمة فقهاء الحنابلة ، من أهل بغداد ، نسبته إلى بيع الخِرَق ، توفي سنة ٣٣٤ بدمشق ، من تصانيفه التى بقيت «المختصر في الفقه» ويعرف بمختصر الحرقى ، طبع في دمشق سنة ١٣٧٨ . انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٣ / ١١٥ ؛ تاريخ بغداد ١١ / ٢٣٤ - ٢٣٥ ؛ طبقات الحنابلة ٢ / ٧٥ - ١١٨ ؛ الأعلام ٥ / ٢٠٢ ؛ سزكين م ١ ج ٣ ص ٢٣٥ .

وليس الأمر كذلك، بل إذا أدوا الجزية لم يقاتلوا، ولكنهم مقاتلين أو مسلمين، فإنهم لا يؤدون الجزية بغير القتال، لأنهم أولو بأس شديد، ولا يجوز مهادنتهم بغير جزية.

ومعلوم أن أبا بكر وعمر، بل وعثمان، في خلافتهم قُوتل هؤلاء وضُربت الجزية على أهل الشام والعراق والمغرب، فأعظم قتال هؤلاء القوم وأشدّه كان في خلافة هؤلاء.

والنبي صلى الله عليه وسلم لم يقاتلهم في غزوة تبوك، وفي غزوة مؤتة استظهروا على المسلمين، وقُتل زيد وجعفر وعبدالله بن رواحة، وأخذ الراية خالد، وغايتهم أن نجوا.

والله أخبر أننا نقاتلهم أو يسلمون، فهذه صفة الخلفاء الراشدين الثلاثة، فيمتنع أن تكون الآية مختصة بغزوة مؤتة، ولا يدخل فيها قتال المسلمين في فتوح الشام والعراق والمغرب ومصر وخراسان، وهي الغزوات التي أظهر الله فيها الإسلام، وظهر الهدى ودين الحق في مشارق الأرض ومغاربها.

لكن قد يُقال: مذهب أهل السنة أنه يُغزى مع كل أمير "دعا، براً كان أو فاجراً، فهذه الآية تدلّ على وجوب الجهاد، مع كل أمير "دعا الناس إليه، لأنه ليس فيها ما يدل على أن الداعي إمام عدل.

فيقال: هذا ينفع أهل السنة؛ فإن الرافضة لا ترى الجهاد إلا مع إمام^(٢) معصوم، ولا معصوم عندهم من الصحابة إلا على. فهذه الآية

(١-١) : ساقط من (س)، (ب).

(٢) ن، س، ب: أمير.

حجة عليهم فى وجوب غزو الكفار مع جميع الأمراء . وإذا ثبت هذا فأبوبكر وعمر وعثمان أفضل من غزا الكفار من الأمراء بعد النبى صلى الله عليه وسلم .

ثم من المحال أن يكون كل من أمر الله المسلمين أن يجاهدوا معه الكفار بعد النبى صلى الله عليه وسلم لا يكون إلا ظالماً فاجراً معتدياً ، لا تجب طاعته فى شيء من الأشياء ، فإن هذا خلاف القرآن ، حيث وعد على طاعته بأن يوتى أجراً حسناً ، ووعد على التولّى عن طاعته^(١) بالعذاب الأليم .

وقد يُستدل بالآية على عدل الخلفاء ؛ لأنه وعد بالأجر الحسن على مجرد الطاعة إذا دعوا إلى القتال ، وجعل المتولّى عن ذلك كما تولّى من قبل معذباً عذاباً أليماً .

ومعلوم أن الأمير الغازى إذا كان فاجراً لا تجب طاعته فى القتال مطلقاً ، بل فيما أمر الله به ورسوله . والمتولّى عن طاعته لا يتولّى كما / تولّى عن طاعة الرسول ، بخلاف المتولّى عن طاعة الخلفاء الراشدين ؛ فإنه قد يقال : إنه تولّى كما تولّى من قبل ، إذا كان أمر الخلفاء الراشدين مطابقاً لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم .

وفى الجملة فهذا الموضع فى الاستدلال به نظر ودقة ، ولا حاجة بنا إليه ، ففى غيره ما يغنى عنه .

(١) م : ووعد على التولّى من طاعته ؛ س : ووعد على التولّى عن طاعته ؛ ب : ووعد المتولّى عن طاعته .

قول الرافضي
الداعي هو على
قاتل أهل الجمل
وصفين والخوارج

وأما قول الرافضي^(١) : «إن الداعي جاز أن يكون علياً -
دون من قبله من الخلفاء^(٢) - لَمَّا قاتل^(٣) الناكثين والقاسطين
والمارقين» يعنى : أهل الجمل وصفين والحرورية والخوارج .

٢٨١ / ٤

الجواب من
وجوه
الوجه الأول

فيقال له: هذا / باطل قطعاً من وجوه :

أحدها : أن هؤلاء لم يكونوا أشد بأساً من بنى جنسهم ، بل معلوم أن
الذين قاتلوه يوم الجمل كانوا أقل من عسكره ، وجيشه كانوا أكثر منهم .
وكذلك الخوارج كان جيشه أضعافهم ، وكذلك أهل صفين كان جيشه
أكثر منهم ، وكانوا من جنسهم ، فلم يكن فى وصفهم بأنهم أولو بأسٍ
شديد ما يوجب امتيازهم عن غيرهم .

ومعلوم أن بنى حنيفة وفارس والروم كانوا فى القتال أشد بأساً من هؤلاء
بكثير ، ولم يحصل فى أصحاب على من الخوارج من استحرار^(٤) القتل
ما حصل فى جيش الصديق ، الذين قاتلوا أصحاب مسيلمة . وأما فارس
والروم فلا يشك عاقل أن قتالهم كان أشد من قتال المسلمين العرب
بعضهم بعضاً ، وإن كان قتال العرب للكفار^(٥) فى أول الإسلام كان أفضل
وأعظم ، فذاك لقلّة المؤمنين وضعفهم فى أول الأمر ، لا أن^(٦) عدوهم

(١) فى (ك) ص ٢٠٠ (م) . وسبق لإيراد هذا الكلام فيما مضى

(٢) عبارة «دون من قبله من الخلفاء» : ليست فى (ك) .

(٣) ك : حيث قاتل . .

(٤) ن ، م ، س : من الخوارج واستحرار . . . ، وهو خطأ . والصواب ما أثبتته من (ب) .

(هـ) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(٥) ن : إلا أن . .

كان أشدَّ بأساً من فارس والروم.

ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [سورة

آل عمران: ١٢٣] الآية؛ فإن هؤلاء تجمعهم دعوة الإسلام والجنس^(١)، فليس في بعضهم لبعض من البأس ما كان في فارس والروم والنصارى والمجوس للعرب المسلمين، الذين لم يكونوا يعدّونهم إلا من أضعف جيرانهم ورعاياهم، وكانوا يحتقرون أمرهم غاية الاحتقار، ولولا أن الله أيد المؤمنين بما أيد به رسوله والمؤمنين على سنته الجميلة معهم، لما كانوا ممن يثبت معهم في القتال ويفتح البلاد، وهم أكثر منهم عدداً، وأعظم قوةً وسلاحاً، لكن قلوب المؤمنين أقوى بقوة الإيمان التي خصّهم الله بها.

الوجه الثاني

الوجه الثاني: أن علياً لم يدع ناساً بعيدين منه إلى قتال أهل الجمل وقتال الخوارج، ولما قدم البصرة لم يكن في نيّته قتال أحد، بل وقع القتال بغير اختيار منه ومن طلحة والزبير. وأما الخوارج فكان بعض عسكره يكفيهم، لم يدع أحداً إليهم من أعراب الحجاز.

الوجه الثالث

الثالث: أنه لو قدّر أن علياً تجب طاعته في قتال هؤلاء، فمن الممتنع أن يأمر الله بطاعة من يقاتل أهل الصلاة لردّهم إلى طاعة وليّ الأمر، ولا يأمر بطاعة من يقاتل الكفار ليؤمنوا بالله ورسوله.

ومعلوم أن من خرج من طاعة عليّ ليس بأبعد عن الإيمان بالله ورسوله ممن كذب الرسول والقرآن، ولم يقرّ بشيء مما جاء به الرسول، بل هؤلاء

(١) ن، م، س: والجيش، وهو تحريف.

أعظم ذنباً، ودعائهم إلى الإسلام أفضل، وقتالهم أفضل، إن قُدِّر أن الذين قاتلوا علياً كفَّار.

وإن قيل : هم مرتدّون، كما تقوله الرافضة.

فمعلوم أن من كانت ردة إلى أن يؤمن برسولٍ آخر غير محمد، كاتِّباع مسيلمة الكذاب، فهو أعظم ردة ممن لم يقرّ بطاعة الإمام، مع إيمانه بالرسول.

فبكل حال لا يُذكر ذنبٌ لمن قاتله عليٌّ إلا وذنب من قاتله الثلاثة أعظم، ولا يُذكر فضلٌ ولا ثواب لمن قاتل مع عليٍّ إلا والفضل والثواب لمن قاتل مع الثلاثة أعظم.

هذا بتقدير أن يكون من قاتله عليٌّ كافراً. ومعلوم أن هذا قول باطل، لا يقوله إلا حثالة الشيعة، وإلا فعقلاؤهم لا يقولون ذلك. وقد علم بالتواتر عن عليٍّ وأهل بيته أنهم لم يكونوا يكفرون من قاتل عليّاً. وهذا كله إذا سلّم أن ذلك القتال كان مأموراً به. كيف وقد عُرف نزاع الصحابة والعلماء بعدهم في هذا القتال : هل كان من باب قتال البغاة الذي وجد في شرط وجوب القتال فيه^(١)، أم لم يكن من ذلك لانتفاء الشرط الموجب للقتال؟!

والذي عليه أكابر الصحابة والتابعين أن قتال الجمل وصفين لم يكن من القتال المأمور به، وأن تركه أفضل من الدخول فيه، بل عدّوه قتال فتنة.

(١) ن : الذي وجد في شرط وجوب القتال فيه ؛ س، ب : الذي وجد شرط وجوب القتال فيه.

والثبوت من (م)

وعلى هذا جمهور أهل الحديث، وجمهور أئمة الفقهاء. فمذهب
أبي حنيفة فيما ذكره^(١) القدوري^(٢) أنه لا يجوز قتال البغاة إلا أن يبدأوا
بالتتال، وأهل صفين لم يبدأوا علياً بقتال.

وكذلك مذهب أعيان فقهاء المدينة والشام والبصرة، وأعيان فقهاء
الحديث، كمالك وأيوب والأوزاعي وأحمد وغيرهم: أنه لم يكن مأموراً
به، وأن تركه كان خيراً من فعله. وهو قول جمهور أئمة السنة، كما دلت
على ذلك الأحاديث الصحيحة الصريحة في هذا / الباب، بخلاف
قتال الحرورية والخوارج أهل النهروان؛ فإن قتال هؤلاء واجب بالسنة
المستفيضة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وباتفاق الصحابة وعلماء
السنة.

٢٨٢ / ٤

ففى الصحيحين عن أسامة بن زيد قال: أشرف النبي صلى الله عليه
وسلم على أطم من أطام / المدينة، وقال: «هل ترون ما أرى؟» قالوا:
لا. قال: «فإنى أرى»^(٣) مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر»^(٤).

ص ٣٨٩

(١) س، ب: يذكره.

(٢) هو أبو الحسن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر القدوري، ولد سنة ٣٦٢ وتوفى سنة ٤٢٨
ببغداد، من أئمة فقهاء الحنفية، وكان عالماً بالحديث، روى عنه الخطيب البغدادي، ومن
مصنفاته المختصر المعروف باسمه «القدوري» في فقه الحنفية، وهو مطبوع. انظر ترجمته
في: الجواهر المضية ٩٣/١ - ٩٤؛ تاج التراجم لابن قطلوبغا (ط. المثني، بغداد،
١٩٦٢)، ص ٧؛ تاريخ بغداد ٣٧٧/٤؛ وفيات الأعيان ٦٠/١ - ٦١؛ الأعلام ٢٠٦/١؛
سزكين ١م، ج ٣، ص ١١٥ - ١٢٤.

(٣) ن: لأرى.

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤٥١/٤.

«وفي السنن عن عبدالله بن عمرو بن العاص أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنها ستكون فتنة تستنظف العرب، قتلاها في النار، اللسان فيها أشد من وقع السيف»^(١).

وفي السنن عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ستكون فتنة صمّاء بكماء عمياء، من أشرف لها استشرفت له، واستشرف اللسان فيها كوقوع السيف»^(٢).

وعن أم سلمة قالت: استيقظ النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة، فقال: «سبحان الله، ماذا أنزل من الخزائن وماذا أنزل من الفتن»^(٣).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه

(● - ●) ما بين النجمتين ساقط من (م).

(١) الحديث عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما في: سنن أبي داود ١٤٤/٤ (كتاب الفتن والملاحم، باب في كف اللسان)؛ سنن الترمذى ٣٢٠/٣ (كتاب الفتن، باب ما جاء في الرجل يكون في الفتنة) وقال الترمذى «هذا حديث غريب»؛ سنن ابن ماجه ١٣١٢/٢ (كتاب الفتن، باب كف اللسان في الفتنة)؛ المسند (ط. المعارف) ١٨٩/١١ - ١٩٢ (حديث رقم ٦٩٨٠) وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه: «إسناده صحيح... وقوله «تستنظف العرب» بالطاء المعجمة، وقال ابن الأثير: أى تستوعبهم هلاكاً، يقال: استنظفت الشيء، إذا أخذته كله. وقال العلامة على القارى... وقيل: أى تطهّروهم من الأردال وأهل الفتن».

(٢) الحديث عن أبي هريرة رضى الله عنه في: سنن أبي داود ١٤٣/٤ (كتاب الفتن والملاحم، باب في كف اللسان) وذكر المحقق رحمه الله في تعليقه أن في السند: «عبدالرحمن بن البيهاني لا يحتج بحديثه، قاله المنبرى».

(٣) الحديث - مع اختلاف في الألفاظ - عن أم سلمة رضى الله عنها في: البخارى ٣٤/١ (كتاب العلم، باب العلم والعظة بالليل)؛ سنن الترمذى ٣٣٠/٣ (كتاب الفتن، باب ما جاء ستكون فتن كقطع الليل المظلم)؛ المسند (ط. الحلبي) ٢٨٩/٥.

وسلم : «ستكون فتنة^(١) القاعد فيها خير من القائم ، والقائم فيها خير من الماشى ، والماشى فيها خير من الساعى ، ومن يستشرف لها تستشرف له ، ومن وجد فيها ملجأً فليعذ به»^(٢).

ورواه أبو بكر^(٣) في الصحيحين ، وقال فيه : «فإذا نزلت أو وقعت فمن كان له إبل فليلحق بإبله ، ومن كانت له غنم فليلحق بغنمه ، ومن كانت له أرض فليلحق بأرضه» قال : فقال رجل : يا رسول الله أرايت من لم يكن له إبل ولا غنم ولا أرض ؟ قال : «يعمد إلى سيفه فيدق على حذّه بحجر ، ثم لينج إن استطاع النجاء . اللهم هل بلغت ؟ اللهم هل بلغت ؟» فقال رجل : يا رسول الله : أرايت إن أكرهت حتى يُنطلق بى إلى أحد الصفيين أو إحدى الفئتين ، فضربنى رجل بسيفه ، أو يجىء سهم^(٤) فيقتلنى ؟ فقال : «يؤىء^(٥) يائمه وإثمك ، ويكون^(٦) من أصحاب النار»^(٧).

ومثل هذا الحديث معروف عن سعد بن أبى وقاص وغيره من الصحابة . والذين رواوا هذه الأحاديث من الصحابة مثل سعد بن أبى وقاص ، وأبى بكر ، وأسامة بن زيد ، ومحمد بن مسلمة ، وأبى هريرة ،

(١) ن ، م : فتن .

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٣٩/١ .

(٣) ن ، س : أبوبكر ، وهو خطأ .

(٤) م : بنهم .

(٥) ن ، س : تبوء ، وهو خطأ .

(٦) ن ، س : فتكون ؛ م : فيكون .

(٧) الحديث بالفاظ مقاربة عن مسلم بن أبى بكر رضى الله عنه فى : مسلم ٢٢١٢/٤ - ٢٢١٣

(كتاب الفتن ، باب نزول الفتن كمواقع القطر) .

وغيرهم^(١)، جعلوا قتال الجمل وصفين من ذلك، بل جعلوا ذلك أول قتال فتنة كان في الإسلام، وقعدوا عن القتال، وأمروا غيرهم بالعودة عن القتال، كما استفاضت بذلك الآثار عنهم.

والذين قاتلوا من الصحابة لم يأت أحد منهم بحجة توجب القتال: لا من كتاب ولا من سنة، بل أقرّوا بأن^(٢) بأن قتالهم كان رأيا رأوه، كما أخبر بذلك عليّ رضي الله عنه عن نفسه، ولم يكن في العسكرين^(٣) أفضل من عليّ، فيكون ممن هو دونه [أولى]^(٤)، وكان عليّ أحيانا يظهر فيه الندم والكره للقتال، مما يبيّن أنه لم يكن عنده فيه شيء^(٥) من الأدلة الشرعية، مما^(٦) يوجب رضاه وفرجه، بخلاف قتاله للخوارج؛ فإنه كان

(١) جاء حديث مسلم بن أبي بكر عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنها وعن عدد من الصحابة رضي الله عنهم في: سنن أبي داود ٤/١٤٠ - ١٤١ (كتاب الفتن، باب النهي عن السعي في الفتنة)؛ سنن الترمذي ٣/٣٢٩ - ٣٣٠ (كتاب الفتن، باب ما جاء أنه تكون فتنة القاعد فيها خير من القائم). وقال الترمذي: «وفي الباب عن أبي هريرة وخباب بن الأرت وأبي بكر وابن مسعود وأبي واقد وأبي موسى وخرشة. هذا حديث حسن. وروى بعضهم هذا الحديث عن ليث بن سعد، وزاد في هذا الإسناد رجلا، وقد روى هذا الحديث عن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير هذا الوجه». والحديث عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في: المسند (ط. المعارف) ٣/٢٩ (وصححه أحمد شاكر رحمه الله). وهو أيضا فيه ٣/٩٨، ٦/١٤١ - ١٤٢، (ط. الحلبي) ٤/١٠٦، ١١٠، ٥/٣٩ - ٤٠، ٤٨، ١١٠. وانظر ما سبق من كتابنا هذا ١/٥٣٩ - ٥٤٢.

(٢) م، ب: أن.

(٣) م: في العسكر.

(٤) كلمة «أولى» زدتها ليستقيم بها الكلام، وقد تبيّن محقق (ب) إلى ضرورة إضافتها.

(٥) شيء: ساقطة من (ب) فقط.

(٦) عا: في جميع النسخ «ما». ولعل الصواب ما أثبتته، وبه تستقيم العبارة.

يُظهر فيه من الفرح والرضا والسرور ما يبين أنه كان يعلم أن قتالهم كان طاعةً لله ورسوله يتقرب^(١) به إلى الله، لأن في قتال الخوارج من النصوص النبوية والأدلة الشرعية ما يوجب ذلك.

ففى الصحيحين عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
«تمرق مارقة على حين فرقة»^(٢) من المسلمين، تقتلهم أولى الطائفتين بالحق»^(٣).

وفى لفظ مسلم قال : «ذكر قوما يخرجون فى أمته يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق»^(٤)، سيماهم التحليق، هم شر الخلق، أو من شر الخلق». قال أبو سعيد^(٥) : «فأنتم قتلتموهم يا أهل العراق».

ولفظ البخارى^(٦) : «يخرج ناس من قبل المشرق يقرأون القرآن، لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الإسلام»^(٧) كما يمرق السهم من الرمية، لا

(١) م : ويتقرب ..

(٢) ن : عن حين فرقة؛ س : عن خير فرقة؛ م ، ب : على خير فرقة. وأرجو أن يكون الصواب ما أثبتته.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٣٠٦ / ١. وفى الجزء الرابع فى أكثر من موضع.

(٤) م : أولى الطائفتين بالحق. وفى مسلم ٧٤٥ / ٢ (كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم) : عن أبى سعيد أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر قوما يكونون فى أمته، يخرجون فى فرقة من الناس، سيماهم التحالق (وفى رواية أخرى التحلق). وقال : «هم شر الخلق (أو من أشر الخلق) يقتلهم أدنى الطائفتين إلى الحق». وسيماهم التحليق : أى علامتهم حلق الرؤوس.

(٥) فى آخر الحديث السابق فى مسلم (رقم ١٤٩).

(٦) البخارى ١٦١ / ٩ (كتاب التوحيد، باب قراءة الفاجر والمنافق). وهو فى المسند (ط. الحلبي) ٦٤ / ٣.

(٧) البخارى، المسند : من الدين.

يعودون فيه حتى يعود السهم»^(١).

وفى الصحيحين عن عليّ قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يخرج قوم من أمتي يقرأون القرآن، ليس قراءتكم إلى قراءتهم بشيء، ولا صلاتكم إلى صلاتهم بشيء، ولا صيامكم إلى صيامهم بشيء، يقرأون القرآن، يحسبون أنه لهم وهو عليهم، لا تجاوز صلاتهم تراقيهم»^(٢)، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية، لو يعلم الجيش الذين يصيبونهم ما قُضى لهم على لسان نبيهم لنكلوا^(٣) عن العمل، آيتهم أن فيهم رجلا له عضد، ليس فيها ذراع، على رأس عُضْدِهِ مثل حلمة / الثدي، عليه شَعَرَات بيض»^(٤).

٢٨٣ / ٤

الوجه الرابع: أن الآية لا تتناول القتال مع عليّ قطعا، لأنه قال: ﴿تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [سورة الفتح: ١٦]، فوصفهم بأنهم لا بد فيهم من أحد الأمرين^(٥): المقاتلة أو الإسلام. ومعلوم أن الذين دعا إليهم عليّ

(١) البخارى، المسند: ثم لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى (المسند: على) فَوْقَهُ. قيل: ما سيّاهم. قال سيّاهم التحليق، أو قال: التسبيد (المسند: والتسييت).

(٢) ب (فقط): لا يجاوز تراقيهم؛ س: لا يجاوز صلواتهم تراقيهم. والمثبت هو الذى فى «مسلم».

(٣) لنكلوا: كذا فى جميع النسخ، وفى سنن أبى داود. وفى مسلم: لا تَنَكَلُوا.

(٤) لم أجد الحديث فى البخارى. وهو - بالفاظ مقاربة - عن عليّ بن أبى طالب رضى الله عنه

فى: مسلم ٧٤٨/٢ (كتاب الزكاة، باب التحريض على قتل الخوارج)؛ سنن أبى داود

٣٣٦/٤ - ٣٣٧ (كتاب السنة، باب فى قتال الخوارج)؛ المسند (ط. المعارف) ٨٩/٢ - ٩٠

(حديث رقم ٧٠٦).

(٥) ن، م: أمرين.

فيهم خلق لم يقاتلوه ألبتة، بل تركوا قتاله فلم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه، فكانوا صنفاً ثالثاً: لا قاتلوه^(١) ولا قاتلوا معه ولا أطاعوه، وكلهم مسلمون، وقد دل على إسلامهم القرآن والسنة وإجماع الصحابة: على وغيره.

قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [سورة الحجرات: ٩]، فوصفهم بالإيمان مع الاقتتال والبغى، وأخبر أنهم إخوة^(٢) وأن الأخوة لا تكون إلا بين المؤمنين، لا بين مؤمن وكافر.

وفى صحيح البخارى وغيره عن أبى بكره أن النبى صلى الله عليه وسلم قال للحسن: «إن ابنى هذا سيد، وسيصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين»^(٣) فأصلح الله به بين عسكر على وعسكر معاوية، فدل على أن كليهما مسلمون، ودل على أن الله يحب الإصلاح بينهما، ويشئ على^(٤) من فعل ذلك، ودل على أن ما فعله الحسن كان رضى لله ورسوله^(٥)، ولو كان القتال واجبا أو مستحباً لم يكن تركه رضى لله ولرسوله.

وأيضا فالنقل المتواتر عن الصحابة أنهم / حكموا فى الطائفتين

(١) ن، م: لا قاتلوا.

(٢) ن، س: وأخبرهم أنهم إخوة.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٣٩/١ - ٥٤٠.

(٤) س: وبين على؛ ب: وأثنى على..

(٥) ن، س: رضا الله ورسوله.

بحكم الإسلام، وورثوا بعضهم من بعض، ولم يسبوا ذراريهم، ولم يغنموا أموالهم التي لم يحضروا بها القتال، بل كان يصلّي بعضهم على بعض وخلف بعض.

وهذا أحد ما نقمته الخوارج على عليّ، فإن مناديه نادى يوم الجمل : لا يتبع مذبر، ولا يُجهز على جريح. ولم يَغْنَم أموالهم، ولا سبى^(١) ذراريهم. وأرسل ابن عباس إلى الخوارج، وناظرهم في ذلك.

فروى أبو نعيم بالإسناد الصحيح^(٢) عن سليمان بن الطبراني^(٣)، عن محمد بن إسحاق بن راهويه، وسليمان عن عليّ بن عبدالعزيز عن أبي حذيفة^(٤) وعبدالرزاق، قالوا : حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا أبو زميل الحنفى، عن ابن عباس^(٥) قال : «لما اعتزلت الحرورية، قلت لعليّ : يا أمير المؤمنين أبرد عن الصلاة فلعلّى آتى^(٦) هؤلاء القوم فأكلّمهم. قال : إني أتخوفهم عليك. قال : قلت : كلاً إن شاء الله، فلبست أحسن [ما أقدر] عليه^(٧) من هذه اليمانية^(٨)، ثم دخلت عليهم وهم قائلون فى نحر^(٩)

(١) م : ولا يَغْنَم أموالهم ولا يسبى ...

(٢) فى كتابه «حلية الأولياء» ٣١٨/١ - ٣٢٠.

(٣) م : عن سليمان الطبراني .

(٤) ن : ... بن عبدالعزيز بن أبى حذيفة، س، ب : بن عبدالعزيز أن أباً حذيفة. والمثبت من (م).

(٥) يوجد فى «حلية الأولياء» اختلافات يسيرة فى المسند.

(٦) حلية الأولياء : أبرد عن الصلاة لعلّى آتى.

(٧) ن، م، س، ب : فلبست أحسن (بباض) عليه. والتصويب من «حلية الأولياء».

(٨) ن، س، ب : الثمانية. والكلمة فى (م) غير منقوطة. والمثبت من «حلية الأولياء».

(٩) م : فى حر ..

الظهيرة، فدخلت على قوم لم أر قوماً أشد اجتهاداً منهم، أيديهم كأنها ثفن الإبل^(١)، ووجوههم معلّمة^(٢) من آثار السجود. قال: فدخلت، فقالوا: مرحباً بك يا ابن عباس ما جاء بك؟ قال: جئت أحدثكم. على^(٣) أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل الوحي، وهم أعلم بتأويله. فقال بعضهم: لا تحدّثوه. وقال بعضهم: لنحدّثه. قال: قلت: أخبروني ما تنقمون على ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه^(٤) وأول من آمن به، وأصحاب رسول الله معه؟ قالوا: ننقم عليه ثلاثاً. قلت: ما هن؟ قالوا: أولهن أنه حكّم الرجال في دين الله، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [سورة الأنعام: ٥٧]. قال: قلت: وماذا؟ قالوا: قاتل ولم يسب ولم يغنم، لئن كانوا كفّاراً لقد حلت له أموالهم، وإن كانوا مؤمنين فقد^(٥) حرمت عليه دماؤهم. قال: قلت: وماذا؟ قالوا: ومحا نفسه من^(٦) أمير المؤمنين، فإن لم يكن أمير المؤمنين فهو أمير الكافرين.

قال: قلت: أرايتم إن قرأت عليكم كتاب الله^(٧) المحكم، وحديثكم

(١) ن : ثفن الإبل. وفي «حلية الأولياء» : ثفن إبل. وفي «المعجم الوسيط» : «الثفنة : الركبة والجزء من جسم الدابة تلقى به الأرض فيغلظ ويجمد».

(٢) ن ، س : معلنة؛ حلية الأولياء : مقلبة.

(٣) ن ، م ، س ، ب : عن . والتصويب من «الحلية».

(٤) ن ، س ، ب : وأمينه . والمثبت من (م) ، «الحلية».

(٥) الحلية : لقد .

(٦) الحلية : عن .

(٧) الحلية : من كتاب الله .

عن^(١) سَنَةَ نَبِيِّكُمْ مَا لَا تَنْكُرُونَ ، أترجعون؟ قالوا: نعم . قال : قلت : أما قولكم : إنه حَكَمَ الرجال في دين الله ؛ فإن الله يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنْكُمْ﴾ [سورة المائدة : ٩٥] . وقال في المرأة وزوجها : ﴿وَأِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَأَبْغُثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [سورة النساء : ٣٥] . أنشدكم الله أَفَحَكَمَ الرجال في حقن دمائهم وأنفسهم وصلاح ذات بينهم^(٢) أحق أم في أرب ثمنها ربع درهم؟ قالوا : في [حقن]^(٣) دمائهم وصلاح ذات بينهم ، قال :^(٤) أخرجت من هذه؟ قالوا : اللهم نعم . [قال]^(٥) : وأما قولكم : قاتل^(٦) ولم يسب ولم يغنم ، أتسبون أمكم^(٧) ثم تستحلون منها / ما تستحلون من غيرها فقد كفرتم ، وإن زعمتم أنها ليست أمكم^(٨) فقد كفرتم وخرجتم من الإسلام . إن الله يقول : ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [سورة الأحزاب : ٦] ، وأنتم مترددون^(٩) بين ضلالتين ، فاختراروا أيهما شئتم . أخرجت من هذه؟ قالوا : اللهم نعم .

٢٨٤ / ٤

(١) الحلية : من

(*) - (*) : ما بين النجمتين ساقط من (س) ، (ب) .

(٢) حقن : ساقطة من (ن) ، (م) وأثبتها من الحلية ٣١٩/١ .

(٣) قال : ساقطة من (ن) ، (م) ، (س) .

(٤) الحلية : إنه قاتل ...

(٥) م : أمكم أم المؤمنين .

(٦) الحلية : بأمكم .

(٧) الحلية : فأنتم ترددون ..

قال : وأما قولكم محا نفسه من أمير المؤمنين ، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا قريشا يوم الحديبية على أن يكتب بينهم وبينه ^(١) كتابا ، فقال : « اكتب ، هذا ما قاضى ^(٢) عليه محمد رسول الله » . فقالوا : والله لو كنّا نعلم أنك رسول الله ما صدّدناك عن البيت ولا قاتلناك ، ولكن اكتب : محمد بن عبد الله . فقال : « والله إنى لرسول الله وإن كذّبتمونى ، اكتب يا على : محمد بن عبد الله » ورسول الله ^(٣) كان أفضل من على . أخرجت من هذه ؟ قالوا : اللهم نعم . فرجع منهم عشرون ألفا ، وبقي منهم أربعة آلاف فقتلوا .

وأما تكفير هذا الرافضى وأمثاله لهم ، وجعل رجوعهم إلى طاعة على إسلاما ، لقوله صلى الله عليه وسلم - فيما زعمه - يا على حربك حربى . فيقال : من العجائب وأعظم المصائب على هؤلاء المخذولين أن يشبّوا مثل هذا الأصل العظيم ، بمثل هذا الحديث الذى لا يوجد فى شيء من دواوين أهل الحديث التى يعتمدون عليها ، لا هو فى الصحاح ولا السنن ولا المساند ولا الفوائد ، ولا غير ذلك مما يتناقله أهل العلم بالحديث ويتداولونه بينهم ، ولا هو عندهم لا صحيح ولا حسن ولا ضعيف ، بل هو أحسن ^(٤) من ذلك ، وهو من أظهر الموضوعات كذبا ، فإنه خلاف المعلوم المتواتر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أنه جعل الطائفتين

(١) الحلية : بينه وبينهم .

(٢) م : قضى .

(٣) الحلية : فرسول الله .

(٤) ن ، م : أحسن ، وهو تحريف .

مسلمين، وأنه جعل ترك القتال في تلك الفتنة خيرا من القتال فيها، وأنه أثنى على من أصلح به بين الطائفتين، فلو كانت إحدى الطائفتين مرتدتين عن الإسلام لكانوا أكفر من اليهود والنصارى الباقين على دينهم، وأحق بالقتال^(٢) منهم، كالمتردّين أصحاب مسيلمة الكذاب، الذين قاتلهم الصديق وسائر الصحابة، واتفقوا على قتالهم، بل^(٣) وسبوا ذراريهم، وتسرى على من ذلك السبي بالحنفية: أم محمد بن الحنفية.

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١): «وأما كونه أنيسه في العريش يوم بدر فلا فضل فيه، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان أنسه بالله مغنيا له عن كل أنيس، لكن لما عرف النبي صلى الله عليه وسلم أن أمره لأبي بكر^(٢) بالقتال يؤدي إلى فساد الحال، حيث هرب عدة مرار في غزواته، وأيّما أفضل: القاعد عن القتال، أو المجاهد بنفسه^(٣) في سبيل الله؟»

كلام الرافضي
على كون
أبي بكر كان
أنيس النبي صلى
الله عليه وسلم
في العريش يوم
بدر.

ص ٣٩٠

الجواب من
وجوه

/ الجواب: أن يُقال لهذا المفترى الكذاب ما ذكرته من أظهر الباطل من وجوه^(٤):

(*) - (*) : ما بين النجمتين ساقط من (م) .

(١) بل : زيادة في (ن) .

(٢) الكلام التالي في (ك) ص ٢٠٠ (م) وسبق لإرواده في هذا الجزء

(٣) ك : أمره أبابكر .

(٥) ن ، س ، ب : بوجوه .

(٤) ك : بنفسه وماله .

أحدها: أن قوله: «هرب عدة مرار في غزواته». يقال له: هذا الكلام يدل على أن قائله من أجهل الناس بمغازي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحواله، والجهل بذلك غير منكر من الرافضة؛ فإنهم من أجهل الناس بأحوال الرسول، وأعظمهم تصديقا بالكذب فيها، وتكديبا بالصدق منها.

وذلك أن غزوة بدر هي أول مغازي القتال، لم يكن قبلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا لأبي بكر غزاة مع الكفار أصلا. وغزوات القتال التي قاتل فيها النبي صلى الله عليه وسلم تسع غزوات: بدر، وأحد، والخندق، وبنى المصطلق، وغزوة ذي قرد، وخيبر، وفتح مكة، وحنين، والطائف. وأما الغزوات التي لم يقاتل فيها فهي نحو بضعة عشر. وأما السرايا فمنها ما كان فيه قتال، ومنها ما لم يكن فيه قتال.

وبكل حال فبدر أولى^(١) مغازي القتال باتفاق الناس، وهذا من العلم الذي يعلمه كل من له علم بأحوال الرسول، من أهل التفسير والحديث والمغازي والسير والفقه والتواريخ والأخبار: يعلمون أن بدرًا هي أول الغزوات التي قاتل فيها النبي صلى الله عليه وسلم، وليس قبلها غزوة ولا سرية كان فيها قتال، إلا قصة ابن الحضرمي^(٢)، ولم يكن فيها أبو بكر.

(١) ن، س، ب: أول.

(٢) في جميع النسخ: إلا قصة بني الحضرمي، وهو خطأ. والصواب ما أثبتته. وهو عمرو بن

الحضرمي. واسم الحضرمي: عبدالله بن عباد، ويقال: مالك بن عباد. وانظر: سيرة ابن

هشام ٢/ ٢٥٢ - ٢٥٦.

فكيف يقال : إنه هرب / قبل ذلك عدة مرات^(١) في مغازيه؟!

الثاني : أن أبابكر رضى الله عنه لم يهرب قط ، حتى يوم أحد لم ينهزم لا هو ولا عمر ، وإنما كان عثمان تولّى ، وكان ممن عفا الله عنه . وأما أبوبكر وعمر فلم يقل أحد قط : إنهما انهزما مع من انهزم ، بل ثبتا مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم حُنين ، كما تقدّم ذلك عن أهل السيرة^(٢) ، لكن بعض الكذابين ذكر أنهما أخذتا الراية يوم حُنين ، فرجعا ولم يُفتح عليهما . ومنهم من يزيد في الكذب ويقول : إنهما انهزما [مع من انهزم]^(٣) ، وهذا كذب كله .

وقبل أن يعرف الإنسان أنه كذب ، فمن أثبت ذلك عليهما هو المدعى لذلك ، فلا بد من إثبات ذلك بنقل يصدق ، ولا سبيل إلى هذا . فأين النقل المصدّق على أبي بكر أنه هرب في غزوة واحدة ، فضلا عن أن يكون هرب عدة مرات؟!

الثالث : أنه لو كان في الجبن بهذه الحال^(٤) لم يخصّه النبي صلى الله عليه وسلم دون أصحابه بأن يكون معه في العريش ، بل لا يجوز استصحاب مثل هذا في الغزو ، فإنه لا ينبغي للإمام أن يستصحب منخلًا^(٥) ولا مرجفا ، فضلا عن أن^(٦) يقدم على سائر أصحابه ، ويجعله معه في عريشه .

(٢) س ، ب : السير .

(٤) س ، ب : الحالة .

(٦) ب : يقدّمه .

(١) م : مرات .

(٣) مع من انهزم : زيادة في (م) .

(*) - (*) : ما بين النجمتين ساقط من (س) ، (ب) .

(٥) م : مخلولا .

الرابع : أن الذى فى الصحيحين من ثباته وقوة يقينه فى هذه الحال يكذب هذا المفترى . ففى الصحيحين عن ابن عباس عن عمر قال : لما كان يوم بدر نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المشركين ، وهم ألف ، وأصحابه ثلثمائة وسبعة عشر رجلاً ، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم القبلة ، ثم مَدَّ يديه ، وجعل يهتف بربه : «اللهم أنجز لى ما وعدتنى ، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد فى الأرض» فما زال يهتف بربه ماداً يديه مستقبل القبلة ، حتى سقط رداؤه عن منكبيه . فأتاه أبوبكر ، فأخذ رداءه ، فألقاه على منكبيه ، ثم التزمه من ورائه ، فقال : يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك ، فإنه سينجز لك ما وعدك . فأنزل الله عز وجل : ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ [سورة الانفال : ٩] الآية ، وذكر الحديث^(١) .

الخامس : أن يُقال : قد علم كل من علم السيرة أن أبابكر كان أقوى قلباً من جميع الصحابة ، لا يقاربه فى ذلك أحد منهم ، فإنه من حين بعث الله رسوله إلى أن مات أبوبكر لم يزل مجاهداً ثابتاً^(٢) مقداماً شجاعاً ، لم يُعرف قط أنه جبن عن قتال عدوٍّ ، بل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعفت قلوب أكثر الصحابة ، وكان هو الذى يثبتهم ، حتى قال أنس : «خطبنا أبوبكر ونحن كالشعالب ، فما زال يشجعنا حتى صرنا كالأسود» .

وروى أن عمر قال : يا خليفة رسول الله تألف الناس . فأخذ بلحيته

(٢) ثابتاً : ساقطة من (س) ، (ب) .

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى .

وقال: يا ابن الخطاب: أجبّار في الجاهلية خوّار في الإسلام؟! علام
أتألفهم: على حديث مفترى أم على شعر مفتعل؟!.

الوجه السادس: قوله: «أيما أفضل: القاعد عن القتال أو المجاهد بنفسه
في سبيل الله؟».

فيقال: بل كونه مع النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الحال هو من
أفضل الجهاد؛ فإنه هو الذي كان العدو يقصده، فكان ثلث العسكر
حوله يحفظونه من العدو، وثلثه أتبع المنهزمين، وثلثه أخذوا الغنائم. ثم
إن الله قسمها بينهم كلهم.

الوجه السابع: قوله: «إن أنس النبي صلى الله عليه وسلم برّه كان مغنيا له
عن كل أنيس».

فيقال: قول القائل: إنه كان أنيسه في العريش، ليس هو من ألفاظ
القرآن والحديث. ومن قاله، وهو يدري ما يقول، لم يُرد به أنه يؤنسه لثلا
يستوحش، بل المراد أنه كان يعاونه على القتال، كما كان من هو دونه
يعاونه على القتال.

وقد قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي آتَاكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة
الأنفال: ٦٢]، وهو أفضل^(١) المؤمنين الذين أيده الله بهم.

وقال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلِّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرْصُ
الْمُؤْمِنِينَ﴾ [سورة النساء: ٨٤]، وكان الحث على أبي بكر أن يعاونه بغاية
ما يمكنه، وعلى الرسول أن يحرضهم على الجهاد، ويقاثل بهم عدوه،

(١) ن، م، س: وأفضل أفضل...، وهو خطأ. والمثبت من (ب).

بدعائهم ورأيهم وفعلهم وغير ذلك مما يمكن الاستعانة [به] ^(١) على
الجهاد.

الوجه الثامن

ظ ٣٩٠

الثامن: أن يُقال / : [من] ^(٢) المعلوم لعامة العقلاء أن مقدّم القتال
المطلوب، الذي قد قصده أعداؤه يريدون قتله، إذا أقام في عريش أو
قبة أو حركاه، أو غير ذلك مما يجنبه ^(٣)، ولم يستصحب معه / من
أصحابه إلا واحداً، وسائرهم خارج ذلك العريش، لم يكن هذا إلا
أخص الناس به، وأعظمهم موالاةً له وانتفاعاً به.

٢٨٦ / ٤

وهذا النفع في الجهاد لا يكون إلا مع قوة القلب وثباته، لا مع ضعفه
وخوره.

فهذا يدل على أن الصديق كان أكملهم إيماناً وجهاداً. وأفضل الخلق
هم أهل الإيمان والجهاد، فمن كان أفضل في ذلك كان أفضل مطلقاً.
قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ إلى
قوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [سورة التوبة: ١٩ : ٢٠]، فهؤلاء أعظم درجة
عند الله من أهل الحج والصدقة والصديق أكمل في ذلك.

وأما قتال عليّ بيده، فقد شاركه في ذلك سائر الصحابة ^(٤) الذين قاتلوا
يوم بدر، ولم يُعرف أن عليّاً قاتل أكثر من جميع الصحابة يوم بدر ولا أحد
ولا غير ذلك.

(١) به : ساقطة من (ن) ، (م) ، (س) .

(٢) من : زيادة في (م) .

(٣) ن ، م ، س : مما يجبه ، وهو تحريف . ويجنبه : يخفيه .

(٤) م : كثير من الصحابة . .

ففضيلة الصديق مختصة به لم يشركه فيها غيره، وفضيلة على مشتركة بينه وبين سائر الصحابة، رضى الله عنهم أجمعين.

الوجه التاسع

الوجه التاسع: أن النبي صلى الله عليه وسلم - هو وأبو بكر - خرجا بعد ذلك من العريش، ورواهم النبي صلى الله عليه وسلم الرمية التي قال الله فيها: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [سورة الأنفال : ١٧] والصديق قاتلهم حتى قال له ابنه عبدالرحمن: قد رأيتك يوم بدر فصدفك عنك. فقال: لكنى لو رأيتك لقتلتك.

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١): «وأما إنفاقه على النبي صلى الله عليه وسلم فكذب، لأنه لم يكن ذا مال، فإن أباه كان فقيراً في الغاية، وكان يُنادى على مائدة عبدالله بن جُدعان كل يوم بمدَّ^(٢) يقتات به، ولو^(٣) كان أبو بكر غنيا لكفى أباه. وكان أبو بكر معلماً للصبيان في الجاهلية، وفي الإسلام كان خياطاً^(٤)، ولما ولي أمر المسلمين منعه الناس عن الخياطة، فقال: إني محتاج^(٥) إلى القوت،

تابع كلام
الرافضي على
أبي بكر رضي الله
عنه

(١) الكلام التالي في (ك) ص ٢٠٠ (م) وسبق في هذا الجزء.

(٢) ك : بمد في كل يوم .

(٣) ك : فلو .

(٤) ك : خياطاً، وكل يوم يخط بدرهمين أو واحد.

(٥) ك : من الخياطة، فقال أبو بكر: إني لأحتاج .

فجعلوا له كل يوم ثلاثة دراهم من بيت المال»^(١).

والجواب: أن يقال: أولاً: من أعظم الظلم والبهتان أن ينكر الرجل ما
تواتر به النقل، وشاع بين الخاص والعام، وامتألت به الكتب: كتب
الحديث الصحيح، والمسند، والتفسير، والفقه، والكتب المصنفة في
أخبار القوم وفضائلهم، ثم يدعى شيئاً من المنقولات التي لا تعلم بمجرد
قوله، ولا ينقله بإسناد معروف، ولا إلى كتاب يعرفه^(٢) يوثق به، ولا يذكر
ما قاله. فلو قدرنا أنه ناظر أجهل الخلق لأمكنه أن يقول له: بل الذي
ذكرت هو الكذب، والذي قاله منازعوك هو الصدق، فكيف تخبر عن أمر
كان بلا حجة أصلاً، ولا نقل يُعرف به ذلك؟ ومن الذي نقل من الثقات
ما ذكره عن أبي بكر؟.

ثم يُقال: أما إنفاق أبي بكر ماله، فمتواتر منقول في الحديث
الصحيح من وجوه كثيرة. حتى قال: «ما نفعتني مال قط ما نفعتني مال
أبي بكر»^(٣). وقال: «إن أمن الناس علينا في صحبتته وذات يده
أبو بكر»^(٤). وثبت عنه أنه اشترى المعدئين من ماله: بلالا، وعامر بن
فهيبة، اشترى سبعة أنفس.

وأما قول القائل: «إن أباه كان يُنادى على مائدة عبد الله بن جُدعان».
فهذا لم يذكر له إسناداً يُعرف به صحته، ولو ثبت لم يضر؛ فإن هذا

(١) ك: من بيت مال المسلمين.

(٢) ب: يعرف.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢١/٥.

(٤) سبق هذا الحديث ٥١٢/١.

كان في الجاهلية قبل الإسلام، فإن ابن جدعان مات قبل الإسلام. وأما في الإسلام فكان لأبى قحافة ما يعينه، ولم يُعرف قط أن أبا قحافة كان يسأل الناس، وقد عاش أبو قحافة إلى أن مات أبوبكر، وورث السدس، فردّه على أولاده لِعِناهُ عنه.

ومعلوم أنه لو كان محتاجاً لكان الصديق يبرّه في هذه المدة، فقد كان الصديق ينفق على مسطح بن أثاثه لقراءة بعيدة، وكان ممن تكلم^(١) في الإفك، فحلف أبوبكر أن لا ينفق عليه، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [سورة النور: ٢٢]. فقال أبوبكر: بلى والله أحب أن يغفر الله لي، فأعاد عليه النفقة. والحديث بذلك ثابت في الصحيحين^(٢)

وقد اشترى بماله سبعة / من المعذبين في الله، ولما هاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم استصحب ماله، فجاء أبو قحافة وقال لأهله: ذهب أبوبكر بنفسه، فهل ترك ماله عندكم أو أخذه؟ قالت أسماء: فقلت: بل تركه، ووضعت في الكوة شيئاً، "وقلت: هذا هو المال، لتطيب نفسه أنه ترك ذلك لعياله، ولم يطلب أبو قحافة منهم شيئاً". وهذا كله يدل على غناه.

٢٨٧ / ٤

(١) ن، س، ب: يتكلم.

(٢) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في: البخارى ١٧٣/٣ - ١٧٦ (كتاب الشهادات، باب تعديل النساء بعضهن بعضاً)، ١٠١/٦ - ١٠٥ (كتاب التفسير، سورة النور، باب: ولولا إذا سمعتموه...)، ١٣٨/٨ (كتاب الأيمان، باب اليمين فيما لا يملك وفي المعصية وفي الغضب)؛ مسلم ٢١٢٩/٤ - ٢١٣٧ (كتاب التوبة، باب في حديث الإفك)؛ المسند (ط). الحلبي ١٩٤/٦ - ١٩٨. (٥-٥): ما بين النجمتين ساقط من (م).

وقوله : إن أبا بكر كان معلماً للصبيان في الجاهلية .

فهذا من المنقول الذي لو كان صدقاً لم يقدح فيه ، بل يدل على أنه كان عنده علم ومعرفة . وكان جماعة من علماء^(١) المسلمين يؤدّبون ، منهم أبوصالح صاحب^(٢) الكلبي كان يعلم الصبيان ، وأبو عبد الرحمن السلمي وكان من خواص أصحاب عليّ ، وقال سفيان بن عينية : كان الضحّاك بن مزاحم وعبد الله بن الحارث يعلمان الصبيان ، فلا يأخذان أجراً . ومنهم قيس بن سعد ، وعطاء بن أبي رباح ، وعبد الكريم أبو أمية^(٣) ، وحسين المعلم ، وهو ابن ذكوان ، والقاسم بن عمير الهمداني ، وحبيب المعلم مولى معقل بن يسار . ومنهم علقمة بن أبي علقمة ، وكان يروى عنه مالك بن أنس ، وكان له مكتب يعلم فيه .

ومنهم أبو عبيد القاسم بن سلام ، الإمام المجمع على إمامته وفضله .

فكيف إذا كان ذلك^(٤) من الكذب المختلق ؟ !

بل لو كان الصديق قبل الإسلام من الأزدلين لم يقدح ذلك فيه ، فقد كان سعد ، وابن مسعود ، وصهيب ، وبلال ، وغيرهم من المستضعفين ، وطلب المشركون من النبي صلى الله عليه وسلم طردهم ، فنهاه الله عن ذلك ، وأنزل : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ

(١) علماء : ساقطة من (م) .

(٢) صاحب : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٣) م : وعبد الكريم وأبو أمية .

(٤) ذلك : ساقطة من (س) ، (ب) .

وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ ﴿٥٢﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [سورة الأنعام: ٥٢ - ٥٣].

وقوله: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾ [سورة الكهف: ٢٨].

وقال في المستضعفين من المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أُجْرِمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ * وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ * وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ * وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ * وَمَا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ * فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ﴾ إلى آخر السورة [سورة المطففين: ٢٩ - ٣٤].

وقال: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة البقرة: ٢١٢].

وقال: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَابِ رَجُلًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ﴾ [سورة الأعراف: ٤٨، ٤٩].

وقال: ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رَجُلًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ * اتَّخَذْنَاهُمْ سِحْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ﴾ [سورة ص: ٦٢، ٦٣].
وقال عن قوم نوح: ﴿قَالُوا اتُّوْمُنْ لَكَ وَاتَّبَعَكَ الْأَرْذَلُونَ﴾ [سورة الشعراء: ١١١].

وقال تعالى : ﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا تَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا تَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِإِدْنِي الرَّأْيِ ﴾ [سورة هود : ٢٧].

وقال عن قوم صالح : ﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسِلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَتُمْ بِهِ كَاذِبُونَ ﴾ [سورة الأعراف : ٧٥ ، ٧٦].

وفى الصحيحين أن هرقل سأل أبا سفيان بن حرب عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : أشراف الناس أتبعوه أم ضعفاؤهم؟ قال : بل ضعفاؤهم . قال : هم أتباع الرسل^(١) .

فإذا قُدِّرَ أن الصديق كان من المستضعفين ، كعمار وصهيب وبلال ، لم يقدح ذلك فى كمال إيمانه وتقواه ، كما لم يقدح فى إيمان هؤلاء وتقواهم . وأكمل الخلق عند الله أتقاهم .

ولكن كلام الرافضة من جنس كلام المشركين الجاهلية ، يتعصبون للنسب والأباء ، لا للدين ، ويعيبون الإنسان بما لا ينقض إيمانه وتقواه . وكل هذا من فعل الجاهلية ، ولهذا كانت الجاهلية ظاهرة عليهم ، فهم يشبهون الكفار من وجوه خالفوا بها أهل الإيمان والإسلام .

وقوله : «إن الصديق كان / خياطاً فى الإسلام ، ولما ولى أمر المسلمين منعه الناس عن الخياطة» .

كذب ظاهر ، يعرف كل أحد أنه كذب ، وإن كان لا غضاضة فيه لو

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى ٤/ ٤٣٤ .

كان حقاً؛ فإن أبا بكر لم يكن خياطاً، وإنما كان تاجراً، تارة يسافر في تجارته، وتارة لايسافر. وقد سافر إلى الشام في تجارته^(١) في الإسلام. والتجارة كانت أفضل مكاسب قريش، وكان خيار أهل الأموال منهم أهل التجارة، وكانت العرب تعرفهم بالتجارة. ولما ولى أراد أن يتجر لعياله، فمنعه المسلمون، وقالوا: هذا يشغلك عن مصالح المسلمين.

وكان عامة ملابسهم الأردنية والأزر، فكانت الخياطة فيهم قليلة جداً، وقد كان بالمدينة خياط دعا^(٢) النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيته^(٣). وأما المهاجرون المشهورون فما أعلم فيهم خياطاً، مع أن الخياطة من أحسن الصناعات وأجلها.

ولإنفاق أبي بكر في طاعة الله ورسوله هو من المتواتر، الذي تعرفه العامة والخاصة. وكان له مال قبل الإسلام^(٤)، وكان معظماً في قريش محبباً مؤلفاً، خبيراً بأنساب العرب وأيامهم، وكانوا يأتونه لمقاصد التجارة، ولعلمه وإحسانه. ولهذا لما خرج من مكة قال له ابن الدُّغْنَة.

(١) ن، م: في تجارة. (٢) س، ب: عند.

(٣) ب: لال. والحديث عن أنس بن مالك رضى الله عنه في البخارى ٦٨/٧ (كتاب الأطعمة باب من تتبع حوالى القصعة...) ونصه... سمع أنس بن مالك يقول: إن خياطاً دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم لطعام صنعه. قال أنس: فذهبت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأيت يتبع الدُّبَاء من حوالى القصعة. قال: فلم أزل أحب الدُّبَاء من يومئذ. والحديث أيضاً في البخارى ٦١/٣ (كتاب البيوع، باب ذكر الخياط)؛ مسلم ١٦١٥/٣ (كتاب الأشربة، باب جواز أكل المرق...) والحديث في سنن أبى داود والموطأ ومسنند أحمد. والدُّبَاء: اليقطين أو القرع الواحدة: دُبَاءة.

(٤) م: في الإسلام.

«مثلك لا يُخْرَج ولا يُخْرَج»^(١).

ولم يُعلم أحد من قريش وغيرهم^(٢) عاب أبا بكر بعيب، ولا نَقَصه ولا استرذله، كما كانوا يفعلون بضعفاء المؤمنين. ولم يكن له عندهم عيب^(٣) إلا إيمانه بالله ورسوله، كما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن قط به عيب عند قريش ولا نقص ولا يذمونه بشيء قط، بل كان معظماً عندهم: بَيِّتاً ونسباً، معروفاً بمكارم الأخلاق والصدق والأمانة. وكذلك صديقه الأكبر لم يكن له عيب عندهم من العيوب.

وابن الدُّغْنَةِ سيد القارة - إحدى قبائل العرب - كان معظماً عند قريش، يجيرون من أجاره لعظمته عندهم.

وفي الصحيحين أن أبا بكر لما ابتلى المسلمون خرج مهاجراً إلى أرض الحبشة، حتى إذا بلغ برك الغماد لقيه ابن الدُّغْنَةِ - وهو سيد القارة - فقال: أين تريد يا أبا بكر؟ فقال: أخرجني قومي، فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. فقال ابن الدُّغْنَةِ: فإن مثلك لا يُخْرَج ولا يُخْرَج؛ إنك تكسب المعدوم، وتصل الرحم، وتحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق، فأنا لك جار، فارجع واعبد ربك ببلدك. فرجع وارتحل معه ابن الدُّغْنَةِ، فطاف ابن الدُّغْنَةِ عشيةً في أشراف قريش، فقال لهم: إن أبا بكر لا يخرج مثله ولا يُخْرَج، أخرجون رجلاً يُكسب

(١) سبق هذا الحديث قبل صفحات في هذا الجزء.

(٢) وغيرهم: ساقطة من (س)، (ب).

(٣) ن: ولم يكن لهم له عيب عندهم..

المعدوم، ويصل / الرحم، ويحمل الكل، ويقرى الضيف، ويعين على نوائب الحق؟ فلم يكذب قريش بجوار ابن الدغنة، وقالوا لابن الدغنة: مر أبابكر فليعبد ربّه في داره، فليصلّ فيها، وليقرأ ماشاء، ولا يؤذنا بذلك ولا يستعلن به، فإنّا نخشى أن يفتن نساءنا وأبناءنا. فقال ذلك ابن الدغنة لأبى بكر. فلبث أبوبكر بذلك يعبد ربّه في داره، ولا يستعلن بصلاته، ولا يقرأ في غير داره، ثم بدا له، فابتنى مسجداً بفناء داره، فكان يصلّى فيه، ويقرأ القرآن، فيتّصفّ عليه نساء المشركين وأبنائهم، يعجبون منه، وينظرون إليه. وكان أبوبكر رجلاً بكاءً، لا يملك عينيه إذا قرأ القرآن. وأفرغ ذلك أشراف قريش، فأرسلوا إلى ابن الدغنة، فقدم إليهم، فقالوا: إنّنا كنّا أجراً أبابكر بجوارك، على أن يعبد ربّه في داره، فجاوز ذلك، فابتنى مسجداً بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنّا قد خشينا أن يفتن نساءنا وأبناءنا، فانهه، فإن أحب أن يقتصر على أن يعبد ربّه في داره فعل، وإن أبى إلا أن يعلن بذلك، فسله أن يردّ إليك ذمتك، فإنّا قد كرهنا أن نخفرك، ولسنا مقرّين لأبى بكر الاستعلان.

قالت عائشة: فأتى ابن الدغنة إلى أبى بكر، فقال: قد علمت الذى عاقدت لك عليه، فإما أن تقتصر على ذلك، وإما أن ترجع إلىّ ذمتي؛ فإننى لا أحب أن تسمع العرب أنّي أخفرت في رجل عقدت له. فقال أبوبكر: فإننى أردّ عليك جوارك، وأرضى بجوار الله. وذكر الحديث^(١).

(١) سبق هذا الحديث من قبل هذا الجزء.

فقد وصفه ابن الدُّغْنَةِ بحضرة أشراف قریش بمثل ماوصفت به خديجة النبی صلی الله علیه وسلم، لما نزل / علیه الوحي، وقال لها: «لقد خشيت على عقلي» فقالت له: «كلا والله لن يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقرى الضيف، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق»^(١).

فهذه صفة النبی صلی الله علیه وسلم أفضل النبيين، وصديقه أفضل الصديقين.

وفى الصحيحين عن أبي سعيد أن النبی صلی الله علیه وسلم جلس على المنبر، وقال: إن عبداً خيرَه الله بين أن يؤتیه من زهرة الدنيا وبين ما عند الله، فاختار ما عنده» فبكى أبوبكر، وقال: فدينك بآبائنا وأمهاتنا. فكان النبی صلی الله علیه وسلم هو المخير، وكان أبوبكر أعلمنا به. فقال النبی صلی الله علیه وسلم: «لا تبك يا أبا بكر، إن آمن الناس على في صحبتته وماله أبوبكر، ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً، لاتخذت أبا بكر خليلاً، لا يبقين في المسجد خوخة إلا سدت، إلا خوخة أبي بكر»^(٢).

وفى الصحيحين عن أبي الدرداء رضى الله عنه، قال: كنت جالسا عند النبی صلی الله علیه وسلم إذ أقبل أبوبكر آخذاً بطرف ثوبه، وذكر الحديث إلى أن قال: فقال النبی صلی الله علیه وسلم: «إن الله بعثنى

(١) سبف هذا الحديث فيما مضى ٢ / ٤١٩ - ٤٢٠.

(٢) سبق هذا الحديث من قبل عدة مرات. انظر ١ / ٥١٢.

إليكم فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت^(١)، وواساني بنفسه وماله،
فهل أنتم تاركو لي صاحبي؟ مرتين^(٢).

وروى البخاري عن ابن عباس قال: خرج رسول الله صلى الله عليه
وسلم في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقه، فصعد المنبر، فحمد
الله وأثنى عليه، ثم قال: «ما من الناس أحدٌ آمنَ علىّ في ماله ونفسه من
أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً» فذكر تمامه^(٣).

وروى أحمد عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن
أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مانفَعني مال مانفَعني
مال أبي بكر» فبكى وقال: وهل أنا ومالي إلا لك يا رسول الله؟^(٤).

وروى الزهري عن سعيد بن المسيب قال: قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم: «ما مال رجل من المسلمين أنفع لي من مال أبي بكر» ومنه
أعتق بلالا، وكان يقضى في مال أبي بكر كما يقضى الرجل في مال
نفسه.

(١) ن، س: صلق.

(٢) سبق هذا الحديث في هذا الجزء.

(٣) انظر ما سبق ٥١٢/١.

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢١/٥.

﴿فصل﴾

ص ٣٩٢

تابع كلام
الرافضي على
أبي بكر رضي الله
عنه

وقوله: ^(١) «كان النبي صلى الله عليه وسلم قبل الهجرة غنياً بمال خديجة، ولم يحتج إلى الحرب» ^(٢).

الجواب: أن إنفاق أبي بكر لم يكن نفقة على النبي ^(٣) صلى الله عليه وسلم في طعامه وكسوته؛ فإن الله قد أغنى رسوله عن مال الخلق أجمعين، بل كان معونة له على إقامة الإيمان، فكان إنفاقه فيما يحبه الله ورسوله، لا نفقة على نفس الرسول، فاشتري المعدبين، مثل بلال، وعامر بن فهيرة، وزنيرة، وجماعة.

﴿فصل﴾

وقوله: ^(٤) «وبعد الهجرة لم يكن لأبي بكر شيء ألبتة». **فهذا** كذب ظاهر، بل كان يعين النبي صلى الله عليه وسلم بماله، وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم على الصدقة، فجاء بماله كله، وأصحاب الصفة كانوا فقراء، فحث النبي صلى الله عليه وسلم على

(١) في (ك) ص ٢٠٠ (م) - ٢٠١ (م). وسبق فيما مضى في هذا الجزء.

(٢) ك: إلى الحرب وتجهيز الجيوش.

(٣) م: نفقة للنبي.

(٤) في (ك) ص ٢٠١ (م). وسبق إيراده في هذا الجزء.

طعمتهم، فذهب بثلاثة، كما فى الصحيحين عن عبدالرحمن بن أبى بكر^(١)، قال: إن أصحاب الصفة كانوا ناسا فقراء، وإن النبى صلى الله عليه وسلم قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس وسادس، - أو كما قال - وإن أبابكر جاء بثلاثة، وانطلق نبى الله صلى الله عليه وسلم بعشرة، وذكر الحديث^(٢).

وروى زيد بن أسلم عن أبيه، قال: قال عمر: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، ووافق ذلك مالاً عندي، فقلت: اليوم أسبق أبابكر - إن سبقته يوماً - فجئت بنصف مالي، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ فقلت: مثله. قال: وأتى أبوبكر بكل مال عنده، فقال: «يا أبابكر ما أبقيت لأهلك؟» فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لا أسابقك إلى شىء أبداً، رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث صحيح^(٣).

(١) ن، م، س: عبدالرحمن بن أبى بكر، وهو خطأ.

(٢) الحديث عن عبدالرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما فى: البخارى ١٢٠/١ (كتاب

المواقيت، باب السمر مع الضيف والأهل)، ١٩٤/٤ (كتاب المناقب، باب علامات النبوة

فى الإسلام)؛ المسند (ط. المعارف) الأرقام ١٧٠٢، ١٧٠٤، ١٧١٢، ١٧١٣.

(٣) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥٢/٢.

﴿فصل﴾

قول الرافعي لو
أنفق أبو بكر
لوجب أن ينزل
فيه قرآن مثل
صل رضي الله
عنها
الجواب

/ **وأما قوله^(١)** : «ثم لو أنفق لوجب أن ينزل فيه قرآن، كما أنزل^(٢) في عليّ : ﴿هَلْ أَتَى﴾ [سورة الإنسان : ١]^(٣)

والجواب: أما نزول: (هَلْ أَتَى) في عليّ، فمما اتفق أهل العلم بالحديث على أنه كذب موضوع، وإنما يذكره من المفسرين من جرت عادته بذكر أشياء من الموضوعات. والدليل الظاهر على أنه كذب: أن سورة (هل أتى) مكية باتفاق الناس، نزلت قبل الهجرة، وقبل أن يتزوج عليّ بفاطمة، ويولد الحسن والحسين، وقد بسط الكلام على هذه القضية في غير موضع، ولم ينزل قط قرآن في إنفاق عليّ بخصوصه، لأنه لم يكن له مال، بل كان قبل الهجرة في عيال النبي صلى الله عليه وسلم، وبعد الهجرة كان أحياناً يؤجر نفسه: كل دلو بتمرة، ولما تزوج بفاطمة لم يكن له مهر^(٤) إلا درعه، وإنما أنفق على العرس ما حصل له من غزوة بدر.

(١) في (ك) ص ٢٠١ (م). وسبق في هذا الجزء.

(٢) م، س، ب، أنزل.

(٣) ن، س، ب: هل أتى على الإنسان حين.

(٤) س، ب: مال.

وفى الصحيحين عن عليّ رضى الله عنه قال: كانت لى شَارِفٌ^(١) من نصيبى من المغنم يوم بدر، وأعطانى رسول الله صلى الله عليه وسلم شارقاً من الخمس، فلما أردت أن أبتنى بفاطمة^(٢) واعدت رجلاً صواغاً من بنى قَيْنَقَاعٍ يرتحل معى، فنأتى بإذخِرٍ^(٣) أردت أن أبيع به من الصواغين، فاستعين به فى وليمة عرسى، فبينما أنا أجمع^(٤) لشارفٍ متاعاً من الأقتاب^(٥) والغرائر والحبال، وشارفاى مُناخان إلى^(٦) جانب بيت رجل من الأنصار.. قال: وحمة يشرب فى ذلك البيت، وقينة^(٧) تغنيه، فقالت:

ألا يا حمزُ^(٨) للشرفِ النواءِ^(٩).

(١) قال ابن حجر فى «فتح البارى» ١٩٩/٦: «الشارف: المسنّ من النوق، ولا يقال للذكر على الأكثر.

(٢) ابنتى بفاطمة: أى أدخل بها.

(٣) قال ابن الأثير فى «النهاية فى غريب الحديث»: «الإذخربكسر الهمزة: حشيشة طيبة الرائحة تُسَقَفُ بها البيوت فوق الحشب».

(٤) ن، م: أنا نجمع. والمثبت فى البخارى ومسلم.

(٥) فى «المعجم الوسيط»: «القَتَبُ: الرَّحْلُ الصغير على قدر سنام البعير. والجمع أقتاب».

(٦) م: فى.

(٧) القينة: هى الجارية المغنية.

(٨) ن: خمر، وهو تحريف.

(٩) قال ابن حجر فى «فتح البارى» ٢٠٠/٦: «والشرف: جمع شارف كما تقدم، والنواء: بكسر

النون والمد مخففاً: جمع ناوية وهى الناقة السمينة... وحكى المازباني فى «معجم الشعراء» أن هذا الشعر لعبد الله بن السائب بن أبى السائب المخزومى المدنى، وبقيته: «وهن معقلات بالفناء... وأراد الذى نظم هذا الشعر وأمر القينة أن تغنى به أن يبعث همه حمزة لما عرف من كرمه على نحر الناقتين لياكلوا من لحمها... وقوله: يا حمز: ترخيم وهو بفتح

فشار إليها حمزة، فاجتَبَ أَسْنَمَتَهَا^(١)، ويقر^(٢) خواصرها، وذكر الحديث^(٣)، في البخارى^(٤)، وذلك قبل تحريم الخمر.

وأما الصديق رضى الله عنه فكل آية نزلت في مدح المنفقين في سبيل الله فهو أول المرادين بها من الأمة، مثل قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مَنِ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا﴾ [سورة الحديد: ١٠]، وأبو بكر أفضل هؤلاء وأولهم.

وكذلك قوله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ﴾ [سورة التوبة: ٢٠].

وقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى * الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [سورة الليل: ١٨]، فذكر المفسرون، مثل ابن جرير الطبرى، وعبد الرحمن بن أبى حاتم، وغيرهما، بالأسانيد عن عروة بن الزبير وعبد الله بن الزبير وسعيد ابن المسيب وغيرهم، أنها نزلت في أبى بكر.

الزأى ويجوز ضمها. وذكر البيت أيضا ابن الاثير في «النهاية في غريب الحديث»: مادة «شرف».

- (١) الجب: الاستئصال في القطع، والسنام: ماعلى ظهر البعير.
- (٢) بقر: أى شق.
- (٣) الحديث عن على بن أبى طالب رضى الله عنه في: البخارى ٧٨/٤ - ٧٩ (كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس)، ٨٢/٥ - ٨٣ (كتاب المغازى، باب حدثنى خليفة حدثنا محمد بن عبد الله الأنصارى)؛ مسلم ١٥٦٨/٣ - ١٥٧٠ (كتاب الأشربة، باب تحريم الخمر...).
- (٤) ن، س، ب: قال البخارى. والمثبت من (م). ولم أجد الكلام التالى في البخارى في الموضعين المشار إليها في التعليق السابق.

﴿فصل﴾

قال الرافضي^(١) : «وأما تقديمه في الصلاة فخطأ ، لأن بلالا لما أذن بالصلاة^(٢) ، أمرت عائشة أن يُقدّم أبا بكر^(٣) ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع التكبير ، فقال : من يصلي^(٤) بالناس ، فقالوا : أبوبكر . فقال : أخرجوني ، فخرج بين عليّ والعباس ، فنحاه^(٥) عن القبلة ، وعزله عن الصلاة ، وتولى هو الصلاة^(٦) .»

قول الرافضي إن
أبا بكر لم يقدم في
الصلاة وأن
النبي صلى الله
عليه وسلم
نحاه... إلخ

والجواب : أن هذا من الكذب المعلوم عند جميع أهل العلم بالحديث . ويقال له : **أولاً :** من ذكر ما نقلته بإسناد يوثق [به]^(٧) وهل هذا

الجواب من
وجوه
الوجه الأول

(١) في (ك) ص ٢٠١ (م) وسبق إيراد هذا الكلام في هذا الجزء .

(٢) ك : للصلاة .

(٣) ك : أن يقدم أبوها . وبعد هذه العبارة توجد العبارات التالية التي لم ترد في جميع النسخ :

«ورسول الله صلى الله عليه وآله في حال المرض الشديد ، والصحابة في المسجد ، وسمعوا حال النبي صلى الله عليه وآله فكلهم في حزن وبكاء غروباء ، وفات الصلاة .»

(٤) ك : سمع التكبير من الصحابة ، وسمع قول عائشة وقول حفصة لأبيها عمر ، وتشوش الأحوال وتفرّق القوم سأل من يصلي... .

(٥) ك : بين عليّ عليه السلام والعباس ، وذهب إلى المسجد فرأى أبا بكر في المحراب فنحاه .

(٦) ك : وعزله وتولى هو الصلاة .

(٧) به : في (م) فقط .

إلا فى كتب من نقله مرسلًا من الرفضة، الذين هم من أكذب الناس وأجهلهم بأحوال الرسول؟ مثل المفيد بن النعمان، والكراچكى، وأمثالهما من الذين هم من أبعد الناس عن معرفة حال الرسول وأقواله وأعماله.

الوجه الثانى

ويقال : ثانياً : هذا كلام جاهل يظن أن أبا بكر لم يصل بهم إلا صلاةً واحدة ، وأهل العلم يعلمون أنه لم يزل يصلّى بهم حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذنه واستخلافه له فى الصلاة ، بعد أن راجعته عائشة وحفصة فى ذلك ، وصلّى بهم أياماً متعددة ، وكان قد استخلفه فى الصلاة قبل ذلك ، لما ذهب إلى بنى عمرو ابن عوف ليصلح بينهم ، ولم يُنقل أن النبى صلى الله عليه وسلم استخلف فى غيبته على الصلاة ، فى غير سفر فى حال غيبته وفى مرضه^(١) إلا أبا بكر، ولكن عبد الرحمن بن عوف صلّى بالمسلمين مرة صلاة الفجر فى السفر / عام تبوك ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم كان قد ذهب ليقضى حاجته ، فتأخر ، وقدم المسلمون عبد الرحمن ابن عوف ، فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعه المغيرة ابن شعبه ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد توضأ ومسح على خفيه ، فأدرك معه^(٢) ركعة ، وقضى ركعة ، وأعجبه ما فعلوه من صلاتهم^(٣)

٢٩١ / ٤

(١) س، ب: فى حال سفر، وفى (س: فى) حال غيبته فى مرضه ..

(٢) ن، م، س: فأدرك بعضهم معه ... وهو خطأ.

(٣) ن: وأعجبه ما فعله من صلاتهم؛ س: وأعجبه ما فعله من صلواتهم؛ ب: وأعجبه ما فعله من صلاته.

لما تأخر^(١)، فهذا إقرار منه على تقديم عبدالرحمن .
وكان إذا سافر عن المدينة استخلف من يستخلفه يصلى بالمسلمين ،
كما استخلف ابن أم مكتوم تارةً، وعلياً تارة في الصلاة، واستخلف
غيرهما تارة .

فأما في حال غيبته ومرضه^(٢) فلم يستخلف إلا أبا بكر لا علياً: ولا
غيره . واستخلافه للصديق في الصلاة متواتر ثابت في الصحاح والسنن
والمساند من غير وجه، كما أخرج البخارى ومسلم وابن خزيمة وابن
حبان وغيرهم من أهل الصحيح عن أبى موسى الأشعرى قال: مرض
النبي صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه، فقال: «مروا أبا بكر فليصل
بالناس» . فقالت عائشة: يارسول الله إن أبا بكر رجل رقيق، متى يقيم
مقامك لا يستطيع أن يصلى بالناس . فقال: «مرى أبا بكر فليصل
بالناس، فإنكن صواحب يوسف» فصلى بهم أبا بكر في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم، وذكر البخارى فيه^(٣) مراجعة عائشة للنبي صلى الله
عليه وسلم ثلاث مرات^(٤) .

(١) الحديث عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه في: مسلم ٣١٧/١ - ٣١٨ (كتاب الصلاة،
باب تقديم الجماعة من يصلى بهم إذا تأخر الإمام . . .) وأوله . . أن المغيرة بن شعبة أخبره
أنه غزا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك . . وفيه: فلما قضى النبي صلى الله عليه
وسلم صلاته أقبل عليهم ثم قال: «أحسستم» أو قال: «قد أصبتم» يغطهم أن صلوا
الصلاة لوقتها . والحديث في: سنن أبى داود ٧٣/١ - ٧٤ (كتاب الطهارة، باب المسح
على الخفين)؛ المسند (ط. المعارف) ١٣٠/٣ - ١٣١ .

(٢) س، ب: غيبته في مرضه . (٣) ن: وذكر بالبخارى فيه . .

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥١٢/١ .

وهذا الذى فيه من أن أبا بكر صلى بهم فى حياة النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه إلى أن مات مما اتفق عليه العلماء بالنقل ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم مرض أياما متعددة ، حتى قبضه / الله إليه . وفى تلك الأيام لم يكن يصلى بهم إلا أبو بكر ، وحجرتة إلى جانب المسجد ، فيمتنع والحال هذه أن يكون قد أمر غيره بالصلاة ، فصلى أبو بكر بغير أمره تلك المدة ، ولا مراجعة أحد فى ذلك .

والعباس وعلى وغيرهما كانوا يدخلون عليه بيته ، وقد خرج بينهما فى بعض تلك الأيام . وقد روى أن ابتداء مرضه كان يوم الخميس ، وتوفى بلا خلاف يوم الإثنين من الأسبوع الثانى ، فكان مدة مرضه فيما قيل اثنى عشر يوما .

وفى الصحيح عن عبيد الله بن عبد الله قال : دخلت على عائشة فقلت لها : ألا تحدثينى عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : بلى ، ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : «أصلى الناس^(١) ؟» قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله . قال : «ضعوا لى ماء فى المِخَضْبِ» ففعلنا ، فاغتسل ، ثم ذهب لينوء ، فأغمى عليه ، ثم أفاق ، فقال : «أصلى الناس ؟» قلنا : لا ، وهم ينتظرونك يا رسول الله . قالت : والناس عكوف فى المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة . قالت : فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبى بكر أن يصلى بالناس ، فأتاه الرسول ، فقال : إن رسول الله صلى الله

(١) س ، ب : أصلى بالناس .

عليه وسلم يأمرُك أن تصلّي بالناس . فقال أبو بكر - وكان رجلاً رقيقاً - :
يا عمر صلّ بالناس . فقال عمر : أنت أحقُّ بذلك . قالت : فصلّي بهم
أبو بكر رضي الله عنه تلك الأيام .

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد من نفسه خِفَةً ، فخرج بين
رجلين ، أحدهما العباس ، لصلاة الظهر ، وأبو بكر يصلي بالناس ، فلما
رآه أبو بكر ذهب ليتأخّر ، فأومأ إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن لا
يتأخّر ، وقال لهما : «أجلساني إلى جنبه»^(١) فأجلساه إلى جنب أبي بكر ،
فكان أبو بكر يصلي وهو قائم^(٢) بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
والناس يصلّون بصلاة أبي بكر ، والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد . قال
عبيد الله : فدخلت على ابن عباس فقلت : ألا أعرض عليك ما حدثتني
[به]^(٣) عائشة عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : هات .
فعرضت عليه حديثها ، فما أنكر منه شيئاً ، غير أنه قال : أسمت لك
الرجل الذي كان مع العباس ؟ قلت : لا ؟ قال : هو عليّ بن أبي
طالب^(٤) .

(١) ن : إلى جنب أبي بكر .

(٢) في «البخارى» : يأتّم ، وفي رواية في «البخارى» : قائم .

(٣) به : زيادة في (م) .

(٤) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في : البخارى ١٣٨/١ - ١٣٩ (كتاب الأذان ، باب
إنما يجعل الإمام ليؤتم به) ؛ مسلم ٣١١/١ - ٣١٣ (كتاب الصلاة ، باب استخلاف الإمام
إذا عرض له عذر . . .) ؛ سنن النسائي ١٠١/٢ - ١٠٢ (كتاب الإمامة ، باب الائتنام
بالإمام يصلي قاعداً) ؛ المسند (ط . المعارف) ١٥٢/٧ - ١٥٣ (رقم ٥١٤١) ، (ط .
الحلي) ٢٥١/٦ . وقال ابن الأثير في «النهاية في غريب الحديث» : «المُخَضَّب بالكسر :

فهذا الحديث الذى اتفقت فيه عائشة وابن عباس ، كلاهما يخبران بمرض النبى صلى الله عليه وسلم ، واستخلاف / أبى بكر فى الصلاة ، وأنه صلى بالناس قبل خروج النبى صلى الله عليه وسلم أياما ، وأنه لما خرج لصلاة الظهر أمره أن لا يتأخر ، بل يقيم مكانه ، وجلس النبى صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، والناس يصلّون بصلاة أبى بكر ، وأبو بكر يصلّى بصلاة النبى صلى الله عليه وسلم .

والعلماء كلهم متفقون على تصديق هذا الحديث وتلقيه بالقبول ، وتفقهوا فى مسائل فيه ، منها : صلاة النبى صلى الله عليه وسلم قاعداً وأبو بكر قائم هو والناس : هل كان من خصائصه ؟ أو كان ذلك ناسخاً لما استفاض عنه من قوله : « وإذا صلى جالسا فصلوا جلوسا أجمعون » ؟ أو يُجمع بين الأمرين ، ويحمل ذلك على ما إذا ابتداء الصلاة قاعداً ؟ وهذا على ما إذا حصل القعود فى أثنائها : على ثلاثة أقوال للعلماء . والأول قول مالك ومحمد بن الحسن . والثانى قول أبى حنيفة والشافعى . والثالث : قول أحمد ، وحماد بن زيد ، والأوزاعى وغيرهما ممن يأمر المؤمنين^(١) بالقعود إذا قعد الإمام لمرض . وتكلم العلماء فيما إذا استخلف الإمام الراتب خليفة ، ثم حضر الإمام ، هل يتم الصلاة بهم ، كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم فى مرضه ، وفعله مرة أخرى

== شبه المِرْكَن ، وهى إِبْجَانَةٌ تُغْسَلُ فيها الثياب . وقال ابن حجر فى «فتح البارى» ١٧٤/٢ : «ثم ذهب (لينوء) بضم النون بعدها مدة : أى لينهض بجهد» .

(١) ن ، م : المؤمنين ، وهو تحريف .

سنذكرها ؟ أم ذلك من خصائصه ؟ على قولين ، هما وجهان في مذهب أحمد .

وقد صدق ابن عباس عائشة فيما أخبرت به ، مع أنه كان بينهما بعض الشيء ، بسبب ما كان بينهما وبين عليّ ، ولذلك لم تسمه ، وابن عباس يميل إلى عليّ ولا يُتهم عليه ، ومع هذا فقد صدّقها في جميع ما قالت ، وسمّى الرجل الآخر عليّاً ، فلم يكذبها ولم يخطئها في شيء مما روته .
وفي الصحيحين عن عائشة قالت : لقد راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك ، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلاً قام مقامه أبداً ، وإلا أنى كنت أرى أنه^(١) لن يقوم مقامه أحد إلا تشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر . قال البخاري : «ورواه ابن عمر ، وأبو موسى ، وابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم»^(٢) .

وفي الصحيحين عنها قالت : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلال يؤذنه بالصلاة ، فقال : «مروا أبا بكر فليصل بالناس» قالت : فقلت : يا رسول الله إن أبا بكر رجل أسيف ، وإنه متى يقوم مقامك لا

(١) أنه : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٢) الحديث عن عائشة رضي الله عنها في : البخاري ١٢/٦ (كتاب المغازي ، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته) ؛ مسلم ٣١٣/١ (كتاب الصلاة ، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر . . .) حديث رقم ٩٣ . وقول عائشة رضي الله عنها : «فأردت أن يعدل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أبي بكر في «لسان العرب» : «وعَدَلَ عن الشيء يَعْدِلُ عَدْلًا وعدولاً : حاده والمعنى : أي أن يجعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم يحيد عن أبي بكر رضي الله عنه فيختار غيره .

يسمع [الناس]^(١)، فلو أمرت عمر. فقال: «مُروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت: فقلت لحفصة: قولي له إن أبا بكر رجل أسيف، وإنه متى يقوم مقامك لا يسمع الناس، فلو أمرت عمر. فقالت له، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنكن^(٢) لأنتن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس». قالت: فأمرُوا أبا بكر أن يصلي بالناس^(٣). وفي رواية البخاري^(٤): ففعلت حفصة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مه إنكن لأنتن صواحب^(٥) يوسف، مروا أبا بكر فليصل بالناس» فقالت حفصة لعائشة: ما كنت لأصيب منك خيراً^(٦).

ففى هذا أنها راجعته وأمرت حفصة بمراجعته، / وأن النبي صلى الله عليه وسلم لا مهن على هذه المراودة، وجعلها من المراودة على الباطل، كمراودة صواحب يوسف ليوسف.

(١) الناس: ساقطة من (ن)، (م).

(٢) م: إنكن لأنتن صواحب..

(٣) الحديث عن عائشة رضى الله عنها فى: البخارى ١٣٣/١ - ١٣٤ (كتاب الأذان، باب حد المريض أن يشهد الجماعة)، ١٤٣/١ - ١٤٤، ١٤٤ (كتاب الأذان، باب من أسمع الناس تكبير الإمام، باب الرجل يأتى بالإمام ويأتى الناس بالمأموم)؛ مسلم ٣١٣/١ - ٣١٤ (كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض عذر...) حديث رقم ٩٥؛ سنن النسائى ٩٨/٢ - ١٠١ (كتاب الإمامة، باب الائتنام بالإمام يصلى قاعداً)؛ المسند (ط. الحلبي) ١٥٩/٦، ٢١٠، ٢٢٤.

(٤) فى: البخارى ١٤٤/١ - ١٤٥ (كتاب الأذان، باب إذا بكى الإمام فى الصلاة).

(٥) ن، م، ب: إنكن صواحب.. والمثبت من (م)، البخارى.

(٦) سبق هذا الحديث فيما مضى ٥١٢/١.

فدلّ هذا على أن تقديم غير أبي بكر في الصلاة من الباطل الذي يُذمّ من يراود عليه، كما ذمّ النسوة على مراودة يوسف. هذا مع أن أبا بكر قد قال لعمر يصلي، فلم يتقدم عمر، وقال: أنت أحقّ بذلك. فكان في هذا اعتراف عمر له أنه أحقّ بذلك منه، كما اعترف له بأنه أحقّ بالخلافة منه ومن سائر الصحابة، وأنه أفضلهم.

كما في البخاري عن عائشة لما ذكرت خطبة أبي بكر بالمدينة، وقد تقدّم ذلك. قالت: واجتمعت الأنصار إلى سعد بن عباد في سقيفة بني ساعدة، فقالوا: منا أمير ومنكم أمير. فذهب "إليهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما وأبو عبيدة بن الجراح، فذهب" عمر يتكلم، فأسكته أبو بكر، وكان عمر يقول: والله ما أردت بذلك إلا أني هيات كلاماً أعجبنى خفت أن لا يبلغه أبو بكر، ثم تكلم أبو بكر فتكلم أبلغ الناس، فقال في كلامه: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، فقال حباب^(١) بن المنذر: لا نفعل، منا أمير ومنكم أمير. فقال أبو بكر: ولكننا الأمراء / وأنتم الوزراء، هم أوسط العرب داراً، وأغرقهم^(٢) أحساباً، فبايعوا عمر أو أبا عبيدة بن الجراح. فقال عمر: بل نبايعك أنت، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ عمر بيده فبايعه، وبايعه الناس. فقال قائل منهم: قتلتم سعد بن عباد. فقال عمر: قتله الله^(٣).

(١ - ١) : ساقط من (س)، (ب).

(٢) ب: غيب، وهو خطأ.

(٣) م: وأعزهم..

(٤) سبق هذا الحديث فيما مضى ٧١٥/١، ٥٠/٢.

ففى هذا الخبر إخبار عمر بين المهاجرين والأنصار أن أبا بكر سيد المسلمين وخيرهم وأحبهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك علة مبايعته . فقال : بل نبايعك أنت ، فأنت سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليبين بذلك أن المأمور به تولية الأفضل ، وأنت أفضلنا^(١) فنبايِعك .

كما ثبت فى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل : من أحب الرجال إليك ؟ قال : «أبو بكر»^(٢) .

ولما قال : «لو كنت متخذا خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا»^(٣) ، وهذا مما يقطع أهل العلم بالحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله ، وإن كان من ليس له مثل علمهم لم يسمعه ، أو سمعه ولا يعرف أصدق هو أم كذب ؟ فلكل علم رجال يقومون به ، وللحروب رجال يُعرفون بها ، وللدواوين حساب وكتاب .

(١) م : وأنت أفضل .

(٢) يشير ابن تيمية هنا إلى حديث عمرو بن العاص رضى الله عنه وهو فى : البخارى ٥/٥ (كتاب فضائل أصحاب النبى . . . ، باب حدثنا الحميدى ومحمد بن عبد الله . . . ونصه . . . حدثنى عمرو بن العاص رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل ، فأتيته فقلت : أى الناس أحب إليك ؟ قال : «عائشة» فقلت : من الرجال ؟ فقال : «أبوها» . قلت : ثم من ؟ قال : «ثم عمر بن الخطاب» فعذر رجالا . . . والحديث فى : البخارى ١٦٥/٥ - ١٦٦ (كتاب المغازى ، باب غزوة ذات السلاسل) ؛ مسلم ١٨٥٦/٤ (كتاب فضائل الصحابة ، باب من فضائل أبى بكر . . .) ؛ سنن الترمذى ٣٦٤/٥ (كتاب المناقب ، باب من فضل عائشة رضى الله عنها) . وسبق الكلام على هذا الحديث فيما مضى ٣٠٣/٤ .

(٣) تقدم هذا الحديث ٥١٢/١ .

وهؤلاء الثلاثة هم الذين عنتهم عائشة - فيما رواه مسلم عن [ابن]^(١) أبي مُليكة^(٢) - قال: سمعت عائشة وسئلت: من كان رسول الله مستخلفاً لو استخلف؟ قالت: أبوبكر. ف قيل لها: من بعد أبي بكر؟ قالت: عمر. قيل لها: من بعد عمر؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح، ثم انتهت إلى هذا^(٣).

والمقصود هنا أن استخلافه في الصلاة كان أياماً متعددة^(٤)، كما اتفق عليه رواية الصحابة، ورواه أهل الصحيح من حديث أبي موسى وابن عباس وعائشة وابن عمر وأنس، ورواه البخاري من حديث ابن عمر، وفيه قوله: «مروا أبا بكر فليصل بالناس» ومراجعة عائشة له في هذه القصة، وذكر المراجعة مرتين. وفيه قوله: «مروه فليصل بالناس فإنكن صواحب يوسف»، ولم يزل يصلّى بهم باتفاق الناس حتى مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد رآهم النبي صلى الله عليه وسلم يصلّون خلفه آخر صلاة في حياته، وهي صلاة الفجر يوم الاثنين، وسُرَّ بذلك وأعجبه^(٥).

(١) ابن: ساقطة من (ن)، (س)، (ب).

(٢) هو عبدالله بن عبيد الله بن أبي مليكة التيمي، المتوفى سنة ١١٧. ترجمته في: تهذيب التهذيب ٣٠٦/٥، الأعلام ٢٣٦/٤ - ٢٣٧.

(٣) الحديث - مع اختلاف في اللفظ - عن عائشة رضي الله عنها في: مسلم ١٨٥٦/٤ (كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق...); المسند (ط. الحلبي) ٦٣/٦. وسبق الحديث فيما مضى ٤٩٧/١.

(٤) م: معلومة.

(٥) سبق الحديث فيما مضى ٥١٢/١، وذكرت هناك أن الحديث روى عن عائشة وأنس رضي الله عنهما، وذكرت بعض مواضعه في البخاري. والحديث أيضاً عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه في: البخاري ١٣٢/١ (كتاب الأذان، باب أهل العلم والفضل أحق

كما في الصحيحين عن أنس أن أبا بكر كان يصلي بهم في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين، وهم صفوف في الصلاة، كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم ستر الحجر، فنظر إلينا وهو قائم، كان وجهه ورقة مصحف، ثم تبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكاً، [قال: ^(١)] فبهتتا ونحن في الصلاة من الفرح بخروج النبي صلى الله عليه وسلم، ونكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، وظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خارج للصلاة، فأشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده أن أتموا صلاتكم. قال: ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فأرخى الستر، قال: فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه ذلك.

وفي بعض طرق البخاري: قال: فهم الناس أن يفتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر أن ذلك كان في صلاة

بالإمامة). والحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما في: البخاري ١٣٣/١ (الكتاب والباب السابقان). والحديث في: مسلم ٣١٣/١ - ٣١٦ (كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر...). وأما حديث ابن عباس رضي الله عنهما ففيه اختلاف في الألفاظ وإن تناول نفس الواقعة وهو في: البخاري ١٣٤/١ - ١٣٥ (كتاب الأذان، باب إنما جعل الإمام ليؤتم به).

والحديث عن عائشة رضي الله عنها في سنن الترمذي ٢٧٥/٥ - ٢٧٦ (كتاب المناقب، باب ٥٨) وقال الترمذي: «وفي الباب عن عبدالله بن مسعود وأبي موسى وابن عباس وسالم بن عبيد». وحديث عائشة أيضاً في: المسند (ط. الحلبي) ٩٦/٦، ٢٠٢، ٢١٠، ٢٢٤، ٢٢٨ - ٢٢٩، ٢٧٠.

(١) قال: زيادة في (م).

الفجر^(١).

وفى صحيح مسلم عن أنس قال: آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: كشف الستارة يوم الإثنين، وذكر القصة^(٢).

وفى الصحيحين عن أنس قال: لم يخرج إلينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً، فأقيمت الصلاة، فذهب أبو بكر يتقدم، فقال: نبي الله صلى الله عليه وسلم بالحجاب^(٣)، فرفعه، فلما وضع لنا وجه النبي صلى الله عليه وسلم ما نظرنا منظراً قط أعجب إلينا من وجهه حين وضع لنا^(٤). قال: فأوماً نبي الله صلى الله عليه وسلم بيده إلى أبي بكر أن يتقدم، وأرخى نبي الله صلى الله عليه وسلم الحجاب، فلم يقدر عليه حتى مات^(٥).

فقد أخبر أنس أن هذه الخرجة الثانية إلى باب الحجرة كانت بعد احتباسه ثلاثاً، وفي تلك الثلاث كان يصلى بهم أبو بكر، كما كان يصلى بهم قبل خرجته الأولى التي خرج فيها بين عليّ والعباس، وتلك كان

(١) الحديث عن أنس رضى الله عنه في: البخارى ٤٧/١ (كتاب الأذان، باب هل يلتفت

لأمر ينزل به...؛ مسلم ٣١٥/١ (كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له

عذر...) حديث رقم ٩٨.

(٢) مسلم: الموضع السابق حديث رقم ٩٩.

(٣) ن، م، س: فقال أبو بكر بالحجاب.

(٤) م: حين وضع لنا وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٥) الحديث عن أنس رضى الله عنه في: البخارى ١٣٢/١ - ١٣٣ (كتاب الأذان، باب أهل

العلم والفضل أحق بالإمامة)؛ مسلم ٣١٥/١ (باب استخلاف الامام)... حديث رقم

٩٨.

يصلى قبلها أياماً. فكل هذا ثابت فى الصحيح كأنك تراه.

وفى حديث أنس أنه أوما إلى أبى بكر / أن يتقدم فيصلى بهم هذه
الصلاة الآخرة التى هى آخر / صلاة صلاها المسلمون فى حياة النبى
صلى الله عليه وسلم، وهنا باشره بالإشارة إليه: إما فى الصلاة، وإما
قبلها.

وفى أول الأمر أرسل إليه رسلاً فأمره بذلك، ولم تكن عائشة هى
المبلاة لأمره، ولا قالت لأبيها: إنه أمره، كما زعم هؤلاء الرافضة
المفترون.

فقول هؤلاء الكذابين: إن بلالاً لما أذن أمرته عائشة أن يقدم أباً بكر،
كذب واضح: لم تأمره عائشة أن يقدم أبابكر، ولا تأمره بشيء، ولا أخذ
بلال ذلك عنها، بل هو الذى آذنه بالصلاة. وقال النبى صلى الله عليه
وسلم لكل من حضره: لبلال وغيره: «مروا أباً بكر فليصل بالناس» فلم
يخص عائشة بالخطاب، ولا سمع ذلك بلال منها.

وقوله: «فلما أفاق سمع التكبير فقال: من يصلى بالناس؟ فقالوا:
أبو بكر. فقال: أخرجونى».

فهو كذب ظاهر؛ فإنه قد ثبت بالنصوص^(١) المستفيضة التى اتفق أهل
العلم بالحديث على صحتها أن أباً بكر صلى بهم أياماً قبل خروجه، كما
صلى بهم أياماً بعد خروجه، وأنه لم يصل بهم فى مرضه غيره.

ثم يقال: من المعلوم المتواتر أن النبى صلى الله عليه وسلم مريض

(١) ن، م: بالنقول.

أياماً متعددة، عجز فيها عن الصلاة^(*) بالناس أياماً، فمن الذى كان يصلى بهم تلك الأيام غير أبى بكر؟ ولم ينقل أحد قط لا صادق^(*) ولا كاذب: أنه صلى بهم غير أبى بكر، لا عمر ولا على ولا غيرهما. وقد صلوا جماعة، فعلم أن المصلى بهم كان أباً بكر.

ومن الممتنع أن يكون الرسول لم يعلم ذلك، ولم يستأذنه المسلمون فيه؛ فإن مثل هذا ممتنع عادة وشرعاً، فعلم أن ذلك كان بإذنه.

كما ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحة، وثبت أنه روجع فى ذلك، وقيل له: لو أمرت غير أبى بكر؟ فلام من من راجعه، وجعل ذلك من المنكر الذى أنكره، لعلمه بأن المستحق لذلك هو أبو بكر لا غيره.

كما فى الصحيحين عن عائشة قالت: قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ادعى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتاباً لأبى بكر، فلانى أخاف أن يتمنى متمن، أو يقول قائل: أنا أولى، ويأبى الله ورسوله والمؤمنون إلا أباً بكر»^(١).

وفى البخارى عن القاسم بن محمد قال: قالت عائشة: وارأساه. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «ذاك لو كان وأنا حى، فأستغفر لك وأدعو لك» فقالت عائشة: واثكلتاه، والله إنى لأظنك تحب موتى، فلو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك. فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «وارأساه لقد هممت أن أرسل إلى أبى بكر وابنه وأعهد،

(*) - (*) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(١) تقدم هذا الحديث ٤٩٢/١

أن يقول القائلون، أو يتمنى المتمنون، ويدفع الله، ويأبى المؤمنون^(١). وهذا الحديث الصحيح فيه همّة بأن يكتب لأبى بكر كتاباً بالخلافة، لثلاث يقول قائل: أنا^(٢) أولى، ثم قال: «يأبى الله ذلك والمؤمنون» فلما علم الرسول أن الله تعالى لا يختار إلا أبا بكر، والمؤمنون لا يختارون إلا إياه، اكتفى بذلك عن الكتاب، فأبعد الله من لا يختار ما اختاره الله ورسوله والمؤمنون.

وقد أراد النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مرتين فى مرضه. ^(٣) قال لعائشة: «ادعى لى أباك وأخاك» وقال قبل ذلك لما اشتكت عائشة قال: «لقد هممت أن أكتب لأبى بكر كتاباً^(٤)».

ثم إنه عزم يوم الخميس فى مرضه^(٥) على الكتاب مرة أخرى، كما فى الصحيحين عن ابن عباس أنه قال: «يوم الخميس وما يوم الخميس، اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم الوجع، فقال: «اثنوني بكتب أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعده أبداً»، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبيّ تنازع، فقالوا: ما شأنه هجر؟ استفهموه، فذهبوا يردّون عليه، فقال: «ذروني فالذى أنا فيه خير مما تدعونني إليه» فأمرهم بثلاث، فقال: «أخرجوا اليهود من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم» وسكت عن الثالثة، أو قال: فنسيها^(٦).

(١) تقدم هذا الحديث ٤٩٦/١ - ٤٩٧.

(٢) م: لثلاث يقول القائل: إني...

(٣-٤) : ما بين النجمتين ساقط من (م).

(٣) تقدم هذا الحديث ٤٩٢/١.

(٤) م: أو قالها فنسيها؛ س: أو قال فنسيها. وانظر ما سبق

وفى رواية فى الصحيحين قال: «وفى البيت رجال فيهم عمر، فقال
النبي صلى الله عليه وسلم: «هلموا أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده» فقال
بعضهم - وفى رواية: عمر -: رسول الله صلى الله عليه وسلم قد غلب
عليه الوجع، وعندكم القرآن حسبكم كتاب الله. فاختلف أهل البيت
واختصموا، فمنهم من / يقول: قربوا يكتب لكم. ومنهم من يقول "ما
قال عمر، ومنهم من يقول" غير ذلك، فلما أكثروا اللغط قال: «قوموا
عنى». قال عبيد الله الراوى^(١) عن الزهرى قال ابن عباس: إن الرزية كل
الرزية ما حال بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين كتابه^(٢). فحصل
لهم شك: هل قوله: «أكتب لكم كتابا، لن تضلوا» بعده هو مما أوجه
المرض، أو هو الحق الذى يجب أتباعه؟ وإذا حصل الشك لهم لم
يحصل به المقصود، فأمسك عنه، وكان لرأفته^(٣) بالأمة يحب أن يرفع
الخلاف بينها، ويدعو الله بذلك، ولكن قدر الله قد مضى بأنه لا بد من
الخلاف.

كما فى الصحيح عنه أنه قال: «سألت ربي ثلاثا، فأعطاني اثنتين
ومنعني واحدة: سألته أن لا يسلط على أمتي عدوا من غيرهم

(١-١) : ساقط من (س)، (ب).

(٢) ن، س: الرازى.

(٣) تقدم هذا الحديث

(٤) ن، م، س: لا تضلوا.

(٥) ن، م، س: وكان الرافة...

فيجتاحهم^(١) فأعطانيها، وسألته أن لا يهلكهم بسنة عامة فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها^(٢).

ولهذا قال ابن عباس: «إن الرزقة كل الرزقة ما حال بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين الكتاب» فإن ذلك رزقة في حق من شك في خلافة الصديق وقدح فيها، إذ لو كان الكتاب الذي هم به أمضاه، لكانت شبهة هذا المرتاب تزول / بذلك، ويقول: خلافته ثبتت^(٣) بالنص الصريح الجلي، فلما لم يوجد هذا كان رزقة في حقه، من غير تفريط من الله ورسوله، بل قد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم البلاغ المبين، وبين الأدلة الكثيرة الدالة على أن الصديق أحق بالخلافة من غيره، وأنه المقدم.

وليست هذه رزقة في حق أهل التقوى الذين يهتدون بالقرآن، وإنما كانت رزقة في حق من في قلبه مرض، كما كان نسخ ما نسخه الله، وإنزال القرآن، وانهزام المسلمين يوم أحد، وغير ذلك من مصائب الدنيا: رزقة في حق من في قلبه مرض.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [سورة آل عمران: ٧].

وإن كانت هذه الأمور في حق من هداه الله مما يزيدهم الله به علما وإيمانا.

(١) فيجتاحهم: ساقطة من (س)، (ب).

(٢) تقدم هذا الحديث فيما مضى

(٣) ن: ثبت.

وهذا كوجود الشياطين من الجن والإنس، يرفع الله به درجات أهل^(١) الإيمان بمخالفتهم ومجاهدتهم، مع ما فى وجودهم من الفتنة لمن أضلّوه وأغووه.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيَقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَزَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا﴾ [سورة المدثر: ٣١].
وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ﴾ [سورة البقرة: ١٤٣].

وقول موسى: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِي مَنْ تَشَاءُ﴾ [سورة الأعراف: ١٥٥].

وقوله: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ﴾ [سورة القمر: ٢٧].
وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ * وَلَيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [سورة الحج: ٥٢ - ٥٤].

(١) أهل: ساقطة من (س)، (ب).

فصل^(١)

وقد تقدم التنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم أرشد الأمة إلى خلافة الصديق، ودلهم عليها، وبيّن لهم أنه أحقّ بها من غيره. مثل ما أخرجاه في الصحيحين عن جبير بن مطعم أن امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله: أرايت إن جئت فلم أجذك؟ - كأنها تعنى الموت - قال: «فإن لم تجدينى فأتى أبا بكر»^(٢).

والرسول علم أن الله لا يختار غيره^(٣)، والمؤمنون لا يختارون غيره، ولذلك قال: «يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر» فكان فيما دلّهم به من الدلائل الشرعية، وما علم بأن الله سيقدره من الخير الموافق لأمره ورضاه، ما يحصل به تمام الحكمة في خلقه وأمره، قدراً وشرعاً.

وقد ذكرنا أن ما اختاره الله كان أفضل في حق الأمة^(٤) من وجوه، وأنهم إذا ولّوا بعلمهم واختيارهم من علموا أنه الأحقّ بالولاية عند الله ورسوله، كان في ذلك من المصالح الشرعية ما لا يحصل بدون ذلك.

وبيان الأحكام يحصل تارة / بالنص الجليّ المؤكده، وتارة بالنص

(١) م: فائدة.

(٢) تقدم هذا الحديث ٤٨٨/١.

(٣) م: والرسول أعلم أن الله لا يجعل غيره.

(٤) م: ما قدر الله كان أفضل في الأمة.

الجلّى المجرد، وتارة بالنص الذى قد يعرض لبعض الناس فيه شبهة بحسب مشيئة الله وحكمته .

وذلك كله داخل فى البلاغ المبين ؛ فإنه من ليس^(١) شرط البلاغ المبين أن لا يُشكل على أحدٍ، فإن هذا لا ينضبط، وأذهان الناس وأهواؤهم متفاوتة تفاوتاً عظيماً، وفيهم من يبلغه العلم، وفيهم من لا يبلغه : إما لتفريطه، وإما لعجزه .

ولإنما على الرسول البلاغ المبين : البيان الممكن، وهذا - والله الحمد - قد حصل منه صلى الله عليه وسلم ؛ فإنه بلغ البلاغ المبين، وترك الأمة على البيضاء : ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعده إلا هالك، وما ترك من شيء يقرب إلى الجنة إلا أمر الخلق به، ولا من شيء يقربهم من النار إلا نهاهم عنه، فجراه الله عن أمته أفضل ما جزى نبياً عن أمته .
وأيضاً فأمر النبي^(٢) صلى الله عليه وسلم أباً بكر بالصلاة بالناس إذا غاب، وإقراره إذا حضر - قد كان فى صحته قبل هذه المرة .

كما فى الصحيحين عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بنى عمرو بن عوف ليصلح بينهم، فحانت الصلاة، فجاء المؤذن إلى أبى بكر، فقال : أتصلى بالناس فأقيم ؟ قال : نعم . فصلّى أبوبكر، فجاء النبي صلى الله عليه وسلم والناس فى الصلاة، فتخلّص حتى وقف فى الصف، فصقّ الناس، وكان أبوبكر لا يلتفت فى الصلاة، فلما أكثر الناس من التصفيق التفت، فرأى رسول الله صلى الله

(١) ليس : ساقطة من (س)، (ب) .

(٢) ب : فأمر النبي الله . . . وهو خطأ مطبعى فيما يظهر .

عليه وسلم، فأشار إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن امكث مكانك، فرفع أبو بكر يديه، فحمد الله على ما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك، ثم استأخر أبو بكر حتى استوى في الصف، وتقدّم النبي صلى الله عليه وسلم فصلّى بهم، ثم انصرف. فقال: «يا أبا بكر ما منعك أن تثبت إذ أمرتك؟» فقال أبو بكر: ما كان لابن أبي قحافة أن يصلّى بين يدَي رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مالى أراكم أكثرتم التصفيق؟ من نابه شيء في صلاته فليستج، فإنه إذا سبّح التفت إليه. وإنما التصفيق للنساء» وفى رواية: «فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرق الصفوف حتى قام عند الصف المقدّم. وفيها: أن أبا بكر رجع القهقرى. وفى رواية للبخارى: فجاء بلال إلى أبى بكر فقال: يا أبا بكر إن رسول الله صلى الله عليه وسلم / قد حبس وقد حانت الصلاة، فهل لك أن تؤم الناس؟ فقال: نعم إن شئت. وفى رواية: «أيها الناس مالكم حين نابكم شيء في صلاتكم أخذتم في التصفيق، إنما التصفيق للنساء، من نابه شيء في صلاته فليقل: سبحان الله، فإنه لا يسمعه أحد يقول: سبحان الله إلا التفت، يا أبا بكر ما منعك أن تصلّى بالناس حين أشرت إليك؟» وفى رواية: أن تلك الصلاة كانت صلاة العصر، وأن النبي صلى الله عليه وسلم ذهب إلى بنى عمرو بن عوف بعد ما صلّى الظهر، وفيه: فلما أوّما إليه النبي صلى الله عليه وسلم أن امضه، وأوّما بيده هكذا، فلبث أبو بكر هنيهة يحمد الله على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم مشى القهقرى.

ظ ٣٩٤

وفى رواية: أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم، [وفى رواية: (١)]، فحضرت الصلاة ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم، فأذن بالصلاة، ولم يأت النبي صلى الله عليه وسلم. فهذا [الحديث] (٢) من أصح حديث على وجه الأرض، وهو ما اتفق أهل العلم بالحديث على صحته وتلقيه بالقبول (٣)، وفيه: أن أبا بكر أمهم في مغيب النبي صلى الله عليه وسلم لما حضرت صلاة العصر، وهى الوسطى التى أمروا بالمحافظة عليها، خصوصا وقد علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان مشغولا، ذهب إلى قباء ليصلح بين أهل قباء لما اقتتلوا، وقد علموا من سنته أنه يأمرهم فى مثل هذه الحال أن يقدموا أحدهم، كما قدموا عبدالرحمن بن عوف فى غزوة تبوك لصلاة الفجر، لما أبطلأ النبي صلى الله عليه وسلم، حين ذهب هو والمغيرة (٤) لقضاء حاجته، وكان عليه جبة من صوف، ويلال هو المؤذن الذى هو أعلم بذلك (٥) من غيره، فسأل أبا بكر / أن يصلى بهم، فصلى بهم، لا سيما وقد أمرهم بتقديمه.

٢٩٧ / ٤

(١) وفى رواية: زيادة فى (م).

(٢) الحديث: زيادة فى (م).

(٣) الحديث برواياته المخلفة عن سهل بن سعد الساعدي رضى الله عنه فى: البخارى

١٣٧/١ - ١٣٨ (كتاب الأذان، باب من دخل ليؤم الناس فجاء الإمام الأول...)،

٧٠/٢ (كتاب السهو، باب الإشارة فى الصلاة) مسلم ٣١٦/١ - ٣١٧ (كتاب الصلاة،

باب تقديم الجماعة من يصلى بهم... سنن أبى داود ٣٤٠/١ - ٣٤١ (كتاب

الصلاة، باب التصفيق فى الصلاة) سنن النسائى ٦٠/٢ - ٦١ (كتاب الإمامة، باب إذا

تقدم الرجل من الرعية...).

(٥) م: بمثل ذلك.

(٤) م: حين ذهب النبي والمغيرة.

ففى الصحيحين عن سهل بن سعد قال : كان قتال بين بنى عمرو بن عوف ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاتاهم ليصلح بينهم بعد الظهر ، فقال لبلال : « إن حضرت الصلاة ولم آتكم ، فمر أبا بكر فليصل بالناس » وذكر الحديث . ثم لما قدم النبى صلى الله عليه وسلم أشار إلى أبى بكر أن يتم بهم الصلاة ، فسلط أبوبكر مسلك الأدب معه ، وعلم أن أمره أمر إكرام لا أمر إلزام ، فتأخر تأدباً معه ، لا معصية لأمره ، فإذا كان هو صلى الله عليه وسلم يقره فى حال صحته وحضوره على إتمام الصلاة بالمسلمين التى شرع فيها ، ويصلى خلفه صلى الله عليه وسلم ، كما صلى صلاة الفجر خلف عبدالرحمن بن عوف فى غزوة تبوك ، صلى إحدى الركعتين وقضى الأخرى ، فكيف يُظنّ به أنه فى مرضه وإذنه له فى الصلاة بالناس يخرج ليمنعه من إمامته بالناس !؟

فهذا ونحوه مما يبين أن حال الصديق عند الله وعند رسوله والمؤمنين فى غاية المخالفة لما هى عند هؤلاء الرافضة المفترين الكذابين ، الذين هم ردة المنافقين ، وإخوان المرتدين والكافرين ، الذين يوالون أعداء الله ، ويعادون أولياءه .

ولا ريب أن أبا بكر وأعوانه هم أشد الأمة جهاداً للكفار والمنافقين والمرتدين ، وهم الذين قال الله فيهم : ﴿ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ﴾ [سورة المائدة : ٥٤] .

فأعوانه وأولياؤه خير الأمة وأفضلها ، وهذا أمر معلوم فى السلف

والخلف، فخير المهاجرين والأنصار الذين كانوا يقدمونه في المحبة على غيره، ويرعون حقه، ويدفعون عنه من يؤذيه.

مثال ذلك أن أمراء الأنصار اثنان: سعد بن معاذ، وسعد بن عباد. وسعد بن معاذ أفضلهما.

ففي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه اهتز لموت سعد عرش الرحمن فرحاً بقدوم روحه، وحمله النبي صلى الله عليه وسلم على كاهله^(١).

ولما حكم في بني قريظة بحكم لم تأخذه في الله لومة لائم، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سموات»^(٢).

وقد عرف أنه وابن عمه أسيد بن حضير كانا^(٣) من أعظم أنصار أبي بكر وابنته على أهل الإفك، ولما دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح كان أبو بكر رأس المهاجرين عن يمينه، وأسيد بن حضير رأس الأنصار عن يساره، فإن سعد بن معاذ كان قد توفي عقب الخندق، بعد حكمه في بني قريظة.

وقال أسيد بن حضير لما نزلت آية التيمم: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، ما نزل بك ما تكرهينه^(٤) إلا جعل الله لك فيه فرجاً، وجعل للمسلمين فيه بركة.

(٢) تقدم هذا الحديث ٣٣٢/٤.

(١) سبق هذا الحديث فيما مضى.

(٤) م: أمر تكرهينه.

(٣) ن، م، س: كان، وهو تحريف.

وعمر وأبو عبيدة وأمثالهما من خيار المهاجرين ، وكانا من أعظم أعوان الصديق ، وهؤلاء أفضل من سعد بن عباد ، الذي تخلف عن بيعته ، وعن القيام على أهل الإفك ، وعزله عن الإمارة يوم فتح مكة ، وقد رُوى أن الجن قتلته ، وإن كان مع ذلك من السابقين الأولين من أهل الجنة .

وكذلك عمر وعثمان أفضل من عليّ ، فإنه لم يكن له في قصة الإفك من نصرة الصديق ، وفي خلافة أبي بكر من القيام بطاعة الله ورسوله ومعاونته أبي بكر ما كان لغيره ، والله حكّم عدل يجزى الناس بقدر أعمالهم ، وقد فضل الله النبيين بعضهم على بعض ، وفضل الرسل على غيرهم ، وأولو العزم أفضل من سائر الرسل ، / وكذلك فضل السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار على غيرهم ، وكلهم أولياء الله ، وكلهم في الجنة ، وقد رفع الله درجات بعضهم على بعض ، فكل من كان إلى الصديق أقرب ، من المهاجرين والأنصار ، كان أفضل ، فما زال خيار المسلمين مع الصديق^(١) قديماً وحديثاً ، وذلك لكمال نفسه وإيمانه .

٢٩٨ / ٤ / وكان رضى الله عنه من أعظم المسلمين رعاية لحق قرابة^(٢) رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بيته ؛ فإن كمال محبته للنبي صلى الله عليه وسلم أوجب سراية الحب لأهل بيته ، إذ كان رعاية

(١) مع الصديق : ساقطة من (س) ، (ب) .

(٢) م : لقرابة .

أهل بيته مما أمر الله ورسوله به ، وكان الصديق رضى الله عنه يقول : « ارقبوا محمداً فى آل بيته » رواه عنه البخارى^(١) . وقال : « والله لقراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب إلى أن أصل من قرأتى »^(٢)

(١) تقدم هذا الحديث ٢٥٤/٤ . وبعد هذا الحديث فى (ن) كتب ما يلى : « تم الكتاب بمن الله وكرمه ، وإعانتة وجزيل نعمه ، نهار الجمعة المعظم ، حادى عشرين شهر جمادى الأولى ، أحد شهور عام خمس بعد الألف من الهجرة النبوية ، على صاحبها أفضل الصلاة والسلام . وذلك بخط العبد الفقير ، المعترف بالذنوب والتقصير ، الراجى عفوريته المنان ، محمد بن عبد الرحمن السمان ، غفر الله له ولوالديه ، ولجميع المسلمين آمين » . ويوجد بعد ذلك بياض يبدأ من منتصف الصفحة إلى قرب نهايتها حيث يوجد إطار مزخرف كتب فيه بخط كبير : « وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم » . وأما نسخة (م) فكتب فيها بعد هذا الحديث ما يلى : « تم الكتاب بعون الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم » .

أما نسخة (س) فكتب فيها بعد هذا الحديث عبارات استغرقت أكثر من صفحتين ، هى نفس العبارات التى انتهت بها النسخة المطبوعة ببولاق (ب) وقد ذكرتها فى مقدمة الطبعة الأولى ، على أنها زادت بعدها عدة سطور لم تذكر فى نسخة (ب) وهى : « وإلى هنا انتهى ما كان فى آخر الأصل ، ويقول أضعف العباد أبو إسماعيل يوسف حسين بن القاضى محمد حسن الخانقورى الحنبلى السلفى أنه قد استتب إتمام هذا الكتاب ضحوة يوم الأربعاء خامس شهر الله الحرام محرم الحرام سنة اثنتين وعشرين بعد ألف وثلاثمائة بعون الله الملك الوهاب ، وإليه المرجع والمآب ، بهمتى القاصرة ، وبدي الفاترة ، فأسأل الله أن يجعل لى فيه نصيباً من الآخرة ، وأحسن عاقبتى وعاقبة والدى وأستاذى وجميع المؤمنين والمؤمنات ، والمسلمين والمسلمات فى الأمور كلها ، وأجارنا ولإياهم من خزي الدنيا وعذاب الآخرة آمين ، وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه وجميع أئمة دينه بإحسان إلى يوم الدين ، وسلم تسليماً كثيراً كثيراً ، وسبحانك اللهم ، وتحيتهم فيها سلام ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين » .

(٢) سبق هذا الحديث فيما مضى ٢٥٤/٤ .

فهرس موضوعات
الجزء الثامن من كتاب
«منهاج السنة النبوية»

الموضوع	الصفحة
(فصل)	
تابع كلام الرافضي على علم علي رضي الله عنه	٥ - ٤١
الرد عليه	٥ - ٧
التعليق على قول الرافضي إن واصل بن عطاء	
أخذ عن أبي هاشم بن محمد بن الحنفية	٧ - ٤١
(فصل)	
تابع كلام الرافضي على علم علي رضي الله عنه	٤١ - ٤٣
الرد عليه من وجوه:	٤١ - ٤٣
الوجه الأول والوجه الثاني	٤١
(فصل)	
تابع كلام الرافضي: علم الطريقة منسوب إليه	٤٣ - ٥٠
الرد عليه من وجوه:	٤٣ - ٥٠
الوجه الأول	٤٣
الوجه الثاني	٤٤
(فصل)	
تابع كلام الرافضي: علم الفصاحة هو منبعه	٥٠ - ٥٦

الصفحة	الموضوع
٥٦ - ٥١	الرد عليه
	(فصل)
	تابع كلام الرافضي قال علي: سلوني قبل
٦٠ - ٥٦	أن تفقدوني
٥٨ - ٥٧	الجواب:
٦٠ - ٥٨	التعليق على قوله: أنا أعلم بطرق السماء
	(فصل)
	تابع كلام الرافضي: وإليه يرجع الصحابة
٧٤ - ٦٠	في مشكلاتهم
٦٢ - ٦٠	الرد عليه
٦٢	الرد على قوله: إن علياً رد عمر إلى قضايا كثيرة
	(فصل)
٨٥ - ٧٥	تابع كلام الرافضي الرابع: أنه كان أشجع الناس
٨٥ - ٧٦	الرد عليه
٨٩ - ٨٦	(فصل)
	(فصل)
	التعليق على قول الرافضي: سيفه ثبت
٩٠ - ٨٩	قواعد الاسلام
	(فصل)
٩٤ - ٩١	التعليق على قول الرافضي: ما انهزم قط

وعلى قوله : ما ضرب بسيفه إلا قط ٩٢ - ٩١

وقوله وطالما كشف الكروب عن وجه رسول

الله صلى الله عليه وسلم ٩٤ - ٩٢

(فصل)

تابع كلام الرافضي : وفي غزاة بدر... الخ ٩٦ - ٩٤

الرد عليه ٩٦ - ٩٤

(فصل)

تابع كلام الرافضي : وفي غزاة أحد ١٠٥ - ٩٦

الرد عليه ١٠٥ - ٩٧

(فصل)

تابع كلام الرافضي على شجاعة علي رضي الله عنه ١١٠ - ١٠٥

الرد عليه ١١٠ - ١٠٧

الوجه الأول والوجه الثاني ١٠٧

(فصل)

تابع كلام الرافضي على شجاعة علي رضي الله عنه ١١٤ - ١١٠

الرد عليه ١١٤ - ١١٠

(فصل)

تابع كلام الرافضي على شجاعة علي رضي الله عنه ١١٩ - ١١٥

الرد عليه ١١٩ - ١١٦

(فصل)

تابع الكلام على شجاعة علي رضي الله عنه ١١٩ - ١٢٢

الرد عليه ١٢٠ - ١٢٢

(فصل)

تابع الكلام على شجاعة علي رضي الله عنه ١٢٢ - ١٢٦

الرد عليه ١٢٣ - ١٢٦

(فصل)

تابع الكلام على شجاعة علي رضي الله عنه ١٢٦ - ١٣١

الرد عليه ١٢٧ - ١٣١

(فصل)

كلام الرافضي على إخبار علي رضي الله عنه بالغيوب ١٣١ - ١٥٣

الرد عليه ١٣٥ - ١٥٣

(فصل)

قول الرافضي السادس : إن علياً رضي الله عنه

كان مستجاب الدعاء ١٥٣ - ١٥٧

التعليق عليه ١٥٤ - ١٥٧

(فصل)

السابع : أن علياً رضي الله عنه كان مستجاب الدعوة ١٥٧ - ١٦٠

الرد عليه ١٥٨ - ١٦٠

(فصل)

الثامن : كلام الرافضي على قتل علي

الصفحة	الموضوع
١٦٣ - ١٦٠	رضي الله عنه لكفار الجن
١٦٣ - ١٦١	الرد عليه
	(فصل)
	تابع كلام الرافضي : التاسع : حديث رد الشمس
١٩٨ - ١٦٤	لعلي رضي الله عنه
١٩٨ - ١٦٥	الرد عليه
	(فصل)
٢٠١ - ١٩٨	تابع كلام الرافضي على كرامات علي رضي الله عنه
٢٠١ - ١٩٩	الرد عليه من وجوه :
	الوجه الأول والوجه الثاني والوجه الثالث
١٩٩	والوجه الرابع
٢٠٠	الوجه الخامس
	(فصل)
٢١١ - ٢٠١	تابع كلام الرافضي على كرامات علي رضي الله عنه
٢١١ - ٢٠٢	الرد عليه
	(فصل)
٢٤٤ - ٢١١	تابع كلام الرافضي على فضائل علي رضي الله عنه
٢٤٤ - ٢١٤	الرد عليه
٢٤٤	(فصل)
٢٤٦ - ٢٤٤	ما ذكره من الفضيلة بالقراءة عنه أجوبة
٢٤٤	الأول

٢٤٥	الثاني
٢٤٧	الفصل الرابع من منهاج
		الكرامة في إمامة باقى الأئمة الاثنى عشرية قال الرافضى
٢٤٧	لنا في ذلك طرق أحدها: النص
٢٥٤ - ٢٤٧	الجواب من وجوه
٢٤٧	الوجه الأول
٢٤٨	الوجه الثاني والوجه الثالث والوجه الرابع
٢٤٩	الوجه الخامس والوجه السادس والوجه السابع
٢٥١	الوجه الثامن والوجه التاسع والوجه العاشر
٢٥٣ - ٢٥٢	الوجه الحادى عشر والوجه الثانى عشر
٢٥٤	حديث المهدي كما يرويه الرافضى
٢٦٠ - ٢٥٤	الجواب من وجوه
٢٥٤	الوجه الأول
٢٥٦	الوجه الثانى
٢٥٨	الوجه الثالث
		(فصل)
		كلام الرافضى على الطريق الثانى في إثبات إمامة
٢٦٠	الأئمة الاثنى عشر
٢٦٢ - ٢٦٠	الرد عليه من وجوه
٢٦٠	الوجه الأول والوجه الثانى
٢٦١	الوجه الثالث
٢٦٣	الطريق الثالث عند الرافضى

٢٦٣	الجواب من وجوه
	الوجه الأول والوجه الثاني والوجه الثالث
٢٦٣	والوجه الرابع
	الفصل الخامس
٣١٧ - ٢٦٤	من كلام الرافضي : في أن من تقدمه لم يكن إماماً
٢٦٧ - ٢٦٤	الرد عليه
	(فصل)
٢٦٦	قال الرافضي الأول قول أبي بكر إن لي شيطاناً يعتريني
٢٧٢ - ٢٦٦	الرد عليه من وجوه
٢٦٦	الوجه الأول
٢٦٧	الوجه الثاني، الوجه الثالث
٢٦٩	الوجه الرابع
٢٧٠	الوجه الخامس
٢٧٧ - ٢٧٣	قول الرافضي : ومن شأن الإمام تكميل الرعية
٢٧٣	الوجه الأول
٢٧٤	الوجه الثاني، الوجه الثالث، الوجه الرابع
٢٧٦	الوجه الخامس
	(فصل)
٢٧٨ - ٢٧٧	قال الرافضي الثاني قول عمر كانت بيعة أبي بكر فلتة
	(فصل)
	قال الرافضي الثالث قصورهم في العلم والتجاؤهم في أكثر

الموضوع	الصفحة
الأحكام إلى عليّ	٢٧٨ - ٢٨١
الرد عليه	٢٧٩ - ٢٨١
(فصل)	
قال الرافضي: الرابع الوقائع الصادرة عنهم	٢٨٢ - ٢٨٣
(فصل)	
قول الرافضي الخامس قوله تعالى: ﴿لا ينال عهدي الظالمين﴾	
أخبر بأن عهد الإمامة لا يصل إلى الظالم .. الخ	٢٨٣ - ٢٨٧
الجواب من وجوه	٢٨٣
الوجه الأول	٢٨٣
الوجه الثاني	٢٨٤
الوجه الثالث	٢٨٥
الوجه الرابع	٢٨٦
الوجه الخامس، والسادس، والسابع	٢٨٧
(فصل)	
قال الرافضي: السادس قول أبي بكر: أقيلوني	
فلست بخيركم	٢٨٨
الجواب من وجوه	٢٨٨
الوجه الأول، والوجه الثاني	٢٨٨
(فصل)	
قول الرافضي: قول أبي بكر عند موته: ليتني كنت سألت رسول	
الله صلى الله عليه وسلم هل للأتصار في هذا الأمر حق	٢٨٩

٢٨٩	الرد عليه
	(فصل)
	قال الرافضي الثامن قوله في مرض موته: ليتني كنت
٢٩٠ - ٢٩١	تركت بيت فاطمة
٢٩٠	الرد عليه
	(فصل)
	قال الرافضي التاسع: ان الرسول صلى الله عليه وسلم أمر
٢٩٢	بتجهيز جيش أسامة
٢٩٢	الجواب من وجوه
٢٩٢	الوجه الأول، الوجه الثاني
٢٩٣	الوجه الثالث، الوجه الرابع
	(فصل)
	قال الرافضي العاشر: أنه لم يول أبا بكر شيئاً من
٢٩٤ - ٢٩٥	الأعمال وولى عليه
٢٩٤	الرد عليه من وجوه
٢٩٤	الوجه الأول، الوجه الثاني، الوجه الثالث
	(فصل)
	قال الرافضي الحادي عشر: ان الرسول صلى الله عليه وسلم
٢٩٥ - ٣٠٠	أنفذه لأداء سورة براءة ثم رده
٢٩٦ - ٣٠٠	الجواب من وجوه:
٢٩٦	الوجه الأول

٢٩٨	الوجه الثانى
٣٠٠	الوجه الثالث والرابع والخامس

(فصل)

قال الرافضى الثانى عشر: قول عمر: إن محمداً لم يمت

٣٠٣-٣٠٠	وهذا يدل على ... الخ
٣٠١	الجواب من وجوه:
٣٠١	الوجه الأول

(فصل)

قال الرافضى الثالث عشر: أنه ابتدع التراويح .. الخ

٣١٢-٣٠٤	الرد عليه
٣٠٥	الجواب من وجوه
٣٠٥	الوجه الأول، الوجه الثانى، الوجه الثالث
٣٠٨	الوجه الرابع

(فصل)

قال الرافضى الرابع عشر: إن عثمان فعل أموراً

٣١٧-٣١٢	لا يجوز فعلها
٣١٧-٣١٣	الجواب من وجوه:
٣١٣	الوجه الأول، الوجه الثانى
٣١٤	الوجه الثالث

قال الرافضى: الفصل السادس فى نسخ حججهم على

إمامة أبى بكر . احتجوا بوجوه: الأول الإجماع

٣١٧	والجواب منع الإجماع . . . الخ
٣٤٠ - ٣١٨	الجواب
٣٥٦ - ٣٤٠	(فصل)
٣٥٦ - ٣٤٠	الجواب من وجوه:
٣٤٠	الوجه الأول
٣٥٧ - ٣٥٦	(فصل)
٣٥٦	الجواب
	(فصل)
	قول الرافضي: إن كل واحد من الأئمة يجوز
	عليه الخطأ فأبي عاصم لهم عن الكذب عند
٣٥٩ - ٣٥٧	الاجماع؟
٣٥٩ - ٣٥٧	الرد عليه
	(فصل)
	قول الرافضي: لو أجمعوا على خلاف النص على علي
٣٦٠ - ٣٥٩	لكان خطأ عندهم
٣٦٠	الجواب من وجوه:
	الوجه الأول، والوجه الثاني، والوجه الثالث
٣٦٠	والوجه الرابع
	(فصل)
	قول الرافضي: برد حديث اقتدوا باللذين من بعدي

أبي بكر وعمر	٣٦١ - ٣٦٤
الجواب من وجوه:	٣٦١
الوجه الأول	٣٦١

(فصل)

رد الرافضي لكثير مما ورد في فضائل أبي بكر رضي الله عنه	٣٦٤ - ٤٢٧
الرد عليه	٣٧١
الرد على قوله: لا فضيلة له في الغار	٣٧٢
الرد على القول بأن ظاهر القرآن يدل على الحلول	
من وجوه:	٣٧٥
الوجه الأول	٣٧٥
الوجه الثاني، والوجه الثالث	٣٧٧

(فصل) ٤٢٨

(فصل) ٤٣١

(فصل)

قول الرافضي يجوز أن يستصحبه معه لثلا يظهر أمره حذراً منه .	٤٣٣ - ٤٤٩
الرد عليه من وجوه:	٤٣٣
الوجه الأول، الوجه الثاني	٤٣٣
الوجه الثالث، الوجه الرابع	٤٣٦
الوجه الخامس	٤٤٧
الوجه السادس	٤٤٨

(فصل)

قول الرافضي إن الآية تدل على نقصه ٤٤٩ - ٤٥٦

الجواب من وجوه: ٤٤٩

الوجه الأول ٤٤٩

(فصل) ٤٥١ - ٤٥٦

(فصل) ٤٥٦ - ٤٦٠

ليس في الآية ما يدل على قول الرافضي من وجهين ٤٥٧

الوجه الأول، الوجه الثاني ٤٥٧

(فصل) ٤٦١ - ٤٦٢

(فصل)

كلام الرافضي على حزن أبي بكر رضي الله عنه ٤٦٢ - ٤٦٩

الجواب من وجوه: ٤٦٣

الوجه الأول، والوجه الثاني ٤٦٣

الوجه الثالث ٤٦٥

الوجه الرابع ٤٦٦

كلام ابن حزم على حزن أبي بكر رضي الله عنه ٤٦٦

(فصل)

تابع الكلام على قوله تعالى ﴿لا تحزن إن الله معنا﴾ ٤٦٩ - ٤٨٨

الأدلة على إيمان أبي بكر وعدم جواز نسبة النفاق

إليه رضي الله عنه ٤٧٤

أولاً : ٤٧٤

٤٧٥	ثانياً:
٤٧٦	ثالثاً:
٤٧٩	سعي ابن سبأ لإفساد دين الإسلام
٤٧٩	كلام الباقلاني على اتخاذ الباطنية التشيع مدخلاً لزندقتهم
٤٨٦	تعليق ابن تيمية على ما ذكره الباقلاني عن الباطنية

(فصل)

قول الرافضي إن انزال السكينة على الرسول

٤٨٨ - ٤٩٣	صلى الله عليه وسلم وحده يعني نقصه
٤٨٩	الجواب من وجوه:
٤٨٩	الوجه الأول، والوجه الثاني

(فصل)

٤٩٣ - ٥٠٤	كلام الرافضي على قوله تعالى ﴿وسيجنبها الأتقنى﴾
٤٩٤	الجواب من وجوه:
٤٩٤	الوجه الأول
٤٩٦	نزلت الآية في الصديق من وجوه:
٤٩٦	الوجه الأول
٤٩٧	الوجه الثاني
		أبو بكر أولى الناس بالدخول في الآية لأسباب
٤٩٧	الأول :
٤٩٩	الثاني :
٥٠٠	الثالث :
٥٠٢	الرابع :

(فصل)

كلام الرافضي على قوله تعالى : ﴿ قل للمخلفين من الأعراب ﴾ . ٥١٩ - ٥٠٤
 قول الرافضي : الداعي هو علي قاتل أهل الجمل

وصفين والخوارج ٥٣٣ - ٥٢٠

الجواب من وجوه : ٥٢٠

الوجه الأول ٥٢٠

الوجه الثاني ٥٢١

الوجه الثالث ٥٢١

(فصل)

كلام الرافضي على كون أبي بكر كان أنيس النبي

صلى الله عليه وسلم - في العريش يوم بدر ٥٤٠ - ٥٣٤

الجواب من وجوه : ٥٣٤

الوجه الأول ٥٣٥

الوجه الثاني ٥٣٦

الوجه الثالث ٥٣٦

الوجه الرابع ٥٣٧

الوجه الخامس ٥٣٧

الوجه السادس ٥٣٨

الوجه السابع ٥٣٨

الوجه الثامن ٥٣٩

الوجه التاسع ٥٤٠

(فصل)

تابع كلام الرافضي على أبي بكر - رضى الله عنه - ٥٤٠ - ٥٥٠

الجواب من وجوه :-

الوجه الأول ٥٤١

(فصل)

تابع كلام الرافضي على أبي بكر - رضى الله عنه - ٥٥١ - ٥٥٢

(فصل)

قول الرافضي لو اتفق ابوبكر لوجب أن ينزل فيه قرآن ٥٥٣ - ٥٥٥

(فصل)

قول الرافضي : إن أبا بكر لم يُقدم في الصلاة ٥٥٦ - ٥٧٤

الجواب من وجوه :-

الوجه الأول ٥٥٦

الوجه الثاني ٥٥٧

(فصل) ٥٧٥ - ٥٨٢

رموز الكتاب

- | | | |
|---------|---|---|
| ١ - ن | = | نسخة نور عثمانية باستانبول . |
| ٢ - م | = | نسخة المكتبة المحمودية بالمدينة المنورة . |
| ٣ - ب | = | النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق . |
| ٤ - ع | = | نسخة عاشر أفندي باستانبول . |
| ٥ - ا | = | نسخة مكتبة الأوقاف الأولى ببغداد . |
| ٦ - ق | = | نسخة مكتبة الأوقاف الثانية (المختصرة) ببغداد . |
| ٧ - و | = | نسخة الولايات المتحدة الأمريكية . |
| ٨ - ل | = | مخطوطة جامعة الإمام الأولى . |
| ٩ - ص | = | مخطوطة جامعة الإمام الثانية . |
| ١٠ - هـ | = | مخطوطة جامعة الإمام الثالثة . |
| ١١ - ح | = | مخطوطة جامعة الإمام الرابعة . |
| ١٢ - س | = | مخطوطة جامعة الإمام الخامسة . |
| ١٣ - ر | = | مخطوطة جامعة الملك سعود الأولى . |
| ١٤ - ي | = | مخطوطة جامعة الملك سعود الثانية . |
| ١٥ - ك | = | كتاب «منهاج الكرامة في إثبات الإمامة» لابن المطهر الحلي . |